

روایت

اجتیاہ

نہی طلبہ

لحظہ اختیار..

حوالہ من نجم العائلہ.. إلى عارها

ولحظہ اختیار آخری.. بین انتقام.. واجتياح

اجتياح

اجتياح

رواية بقلم

نهى طلبية

شخاييط وردية

□ ابرام الحرف وعشق الأجرية

غلاف/ صابرين الديب

صفحات/ نهى طلبية

<https://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia/>

المقدمة

تحركت الحاجة أمنة بخفة رغم حجم جسدها الضخم والذي
يمنحها عمراً إضافياً، فالزواج المبكر وإنجاب خمسة أبناء
أضافا لعمرها سنوات فوق سنواتها الأربعين..

زواج بعمر الخامسة عشر أعقبه إجهاض متتابع لعدة مرات
حتى أنجبت أخيراً ابنها الأكبر؛ ياسين.. قررة عينها وأول الأبناء
ليعقبه ماجد ثم رقية وأخيراً التوأمتين؛ بلسم وسعاد..

بدأت روتينها اليومي بإعداد مائدة الإفطار العامرة، تساعدنا
صباح خادمتها لسنوات طوال..

- يلا يا صباح علقي على الشاي بسرعة، وورصي الأطباق على
الترابيزة.. أنا هاروح أصحي الولاد..

- أمرك يا ست أم ياسين..

وقبل أن تخرج آمنة من المطبخ التفتت إلى صباح هاتفة:

- اوعي تكوني نسيتِ طبق البيض بالبسطرمة بتاع ياسين!

ضحكت صباح خفة:

- ودي معقولة أنسى فطارزينة الشباب!.. ربنا يحمهلك

وتفرحي بيه وتشوفي ولاده بيتنططوا كده على حجرك..

ضحكت آمنة بسعادة وهي ترفع يديها للسماء تؤمن على

دعوات صباح يخالجها شعور قوي أن وصول أحفادها للعالم

مسألة وقت ليس إلا، فرقية صغيرتها الجميلة ذات الجدلتين

السوداوين والتي بدأت دراستها الجامعية منذ سنة واحدة

فقط عُقد قرانها على حاتم ابن عمها.. طبيب التخدير الشاب

والذي يكاد يقبل قدمي والدها الحاج حافظ ليتم الزواج

أمس وليس غداً..

أما ياسين فيبدو أنه قرر الزواج من زميلته سماح تلك التي
 قرر متعمداً الرسوب السنة الماضية ليعيد سنته النهائية
 بكلية التجارة مرة أخرى حتى يظل بجوارها...

تنهدت بحنق وهي تتمتم..

"من دلوقتٍ وعرفت تسيطر عليه وتخليه يلزق جنهما، أومال
 أما تتجوزه بقى مش هشوفه خالص.. يا عيني عليك يا أمنة..
 قال على رأي المثل.. ربي يا خايبة للغايبة"..

أخذت تمصمص شفيتها وتتمتم ببعض الكلمات عن بجاجة
 بنات اليوم.. ولكنها ستساعده ليتزوجها طالما هي من يريدتها
 قلبه..

تعرف تصلب رأسه وعناده الذي ورثه عن أبيه الذي كاد أن
 يقاطعه غاضباً عندما علم أنه رسب في سنته النهائية عامداً
 متعمداً ولولا أنه استمر بعمله بمحلات العطارة التي يملكها
 والده، بل ساعده بجدية تامة أوضحت نيته الخالصة

للاستمرار بالعمل وإدارة تجارة والده والسير على خطاه.. ما
سامحه أبداً ولظل مقاطعاً له لأجل غير مسمى..

فتحت النوافذ بردة المنزل لتسمح بدخول نسيم الصباح..
تلك النسومات الرقيقة هي أجمل ما تبدأ به يومها.. تمنحها
شعوراً بحنين غير مفهوم لأيامٍ ماضية.. حيث كانت تجلس
بالنافذة تحتضن رقية وتراقب ياسين وماجد ومعهما
حاتم_ ابن عمهما_ يتقاذفون الكرة أمام محلات العائلة..
"عطارة برهام"..

ومرت الأيام ولم تتبدل مشاغبة الأولاد.. فقط تغيرت مع
تغيرهم.. فحاتم وهو الأكبر قرر أن يصبح طبيباً ورغم توسلاته
والده الحاج اسماعيل شقيق زوجها وشريكه بالتجارة.. إلا أنه
تمسك بموقفه واتخذ قراره ونفذه وهو الآن بالفعل طبيب
مقيم في إحدى المشافي الجامعية وفي طريقه ليتخصص
كطبيب تخدير.. وما يشفع له عند عمه؛ الحاج حافظ هو
عشقه لرقية الجميلة.. لذلك ساعده على تنفيذ أحلامه

معتمداً على ياسين الذي قرر بحسم خوض مجال التجارة
واقترحام سوق العمل.. فياسين يعمل بالفعل بمحلات والده
منذ كان في الحادية عشر بدأ كعامل صغير ثم تدرج ليشارك
والده وعمه الإدارة.. بينما قرر ماجد السير على خطى حاتم
فالتحق بكلية الطب وهو الآن بالسنة الرابعة..

تابعت دعواتها لابنائها بالنجاح فالיום يختم كلا من ياسين
ورقية امتحاناتهما.. وهذا يعني شيئاً واحداً.. حاتم سيصر على
اتمام الزواج.. وسيتبعه ياسين.. وهي ستصبح جدة في أقرب
وقت.. هزت رأسها بأسى وتلك الفكرة تمر برأسها..

"هتبقى جدة يا أمنة ولسه بتحملي!"..

ضحكت بخجل عروس وهي تمر بيدها على بطنها برقة.. لم
تخبر أحد سوى زوجها الحاج حافظ بحملها.. وقررا معاً اخبار
الجميع بعد انتهاء فترة الامتحانات..

اتسعت ضحكتها وهي تتذكر حافظ الذي نفخ صدره وبرم
شاربه بفخر عندما علم بحملها وكلمته الشهيرة..

"الدهن في العتاقى" ..

لكنها تعلم أنها لن تسلم من لسان هادية شقيقة حافظ.. ولا
حتى سليمة زوجة شقيقه..

أكملت فتح النوافذ لتتوجه بعدها إلى غرفة ياسين وتفتحها
برفق بعد طريقة خافتة لتجده جالساً على فراشه يحاول
الاستفاقة من نومه وبجانبه الشقية بلسم ذات الخمس
سنوات والتي تعشق ياسين ربما أكثر من أبيها وأمها.. وهو
يدللها حد الفساد مخبراً الجميع أنها ابنته التي لم ينجيها، فهو
من منحها اسمها وهو من كان يسهر بها ويراعمها في طفولتها..
فكان مكانها الوحيد والحصري هو إحدى ركبتيه بينما كان
يضع أوراق مذاكرته على الركبة الأخرى.. يعشق الصغيرة حد
الثمالة.. ربما لن يحب أطفاله بتلك الطريقة.. علاقته القوية

بالصغيرة تصيبها هي شخصياً بالغيرة، فما بال شقيقتها
التوأم؛ سعاد التي تحاول جذب انتباهه دائماً.. وهو يحبها
ويميزها أيضاً ولكن تظل بلسم هي أثيرته المدللة..

دلفت للحجرة وهي تطلق ابتسامتها البشوشة في وجهه وتحبه
تحيتها المعهودة:

- يا صباح الخير يا وش الخير.. يا صباح النور على البنور..
صباح القشطة يا طبق القشطة..

ابتسم لها وهو يقفز من فراشه ليحتضنها ويطلع قبلة قوية
على جبهتها:

-صباح الفل والورد على عيونك يا أم ياسين.. هاه.. دعيت لي
في الفجر ولا قعدت تدعي أن الست رقية تفضل قاعدة
جنبك.. وحاتم يوافق يسيهالك كمان سنة..

ضحكت آمنة:

- يا حبيب قلب الحاجة آمنة هو معقول أنساك برضوه!..

همس لها بخفوت:

- وأخبار الحاج حافظ إيه؟.. كلمتيه ولا لسه؟..

برمت شفقتها بحنق:

- وأنت مستعجل ليه!.. مش نستنى أما النتيجة تظهر.. يا واد

أنت لسه هتخلص النهارده.

أمسك بذقنها يداعمها:

- وبعدين بقى يا أمون.. عايز أخلص من موضوع الخطوبة ده..

نعمله مع فرح رقية.. عايز أفضى للشغل..

ضحكت وهي تخبط كف بكف:

- أيوه.. أيوه.. كل بعقلي حلاوة عشان أنفذك اللي أنت عايزه..

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة:

- اللي نفسي فيه!.. أبداً يا أمون.. ده أنا هضحي بنفسي وحرיתי

العزيزة الغالية واتجوز عشان اجيبلك عيال قطاقيط
صغيرين يسلك.. أصل أكيد ولاد رقية هيكونوا رخمين زي
أبوهم..

ضحكت وهي توكره في كتفه:

- بس يا واد.. عيب كده.. ابن عمك الكبير وجوز أختك..

حرك حاجبيه:

- آه الكبير اللي نفذ من محلات العطاره.. وأنا اللي لبستهم..

زجرته آمنة بحزم:

-بمزاك يا ياسين ولا إيه!

عاد يطبع قبلة هادئة على وجنتها:

- بمزاجي يا أمون.. هو أنا قلت حاجة..

ابتسمت آمنة وهي تربت على كتفه:

- ربنا يكرمك يا ياسين.. ويوقفك ولاد الحلال ويرحك يا بني
زي ما أنت ريحت بال أبوك وفكره..

قبل يديها بحب وهو يقول بعبث:

- الله الله على الدعوات الحلوة.. أيوه كده.. سمعيني كمان..
ولا لازم تدعي لي وأنا مش موجود.. قولي قولي وما تخبيش..
صباح بتحكي لي على كل حاجة..

سحبت يدها منه وهي تتحرك لتخرج من الغرفة:

- بس يا واد بقى.. هتأخرني على ميعاد أبوك.. إلبس واجهز
عشان توصل أختك في سكتك..

شهق بعجب خبيث:

- أوصلها أنا!.. او مال الأخ الأستاذ حاتم فين؟..

أجابته بهدوء:

حاتم عنده عملية الصبح بدري..

أوماً برأسه:

حاضر هوصلها.. بس الكونتيسة رقية هتوافق تركب ورايا

على المتوسيكل!

رفعت أمنة حاجها بدفاع عن ابنها البكري:

- هي تطول تركب وراك يا حبيب أمك!..

قفزت رقية بينهما فجأة هاتفة بسخط:

- أيوه أنتِ بس أقعدي أنفخي في سي ياسين.. زي ما يكون ما

خلفتيش غيره..

خبطت أمنة على صدرها شاهقة:

- ابيه يا رقية حد يعمل كده برضوه على الصبح!

أمسك ياسين بمقدمة أنفها موبخاً:

- صوتك يا محطة الإذاعة المتنقلة.. بلسم هتصحى وتعيط لو

شافتني وأنا نازل..

خبطت رقية على جيبتها:

ياسين روح قلب آمنة وبلسم دلوعة ياسين.. واحنا بقى ولاد

البطة السودا!

خبطتها آمنة على مؤخرتها موبخة:

- بطة سودا في عينك يا قليلة الأدب.

حككت رقية مؤخرتها بكف يدها:

- قليلة الأدب!.. مقبولة منك يا أم رقية.. يلا بقى.. بابا بيقولك

تعالى عشان نفطر..

ثم حركت شفيتها بحركة تمثيلية كوميدية:

- نعمل إيه مش بيعرف ياكل غير وأمون جنبه!..

تحركت أمانة بأقصى سرعة منحها لها جسدها ذو الوزن
 الزائد مضافاً إليه وزن حملها البسيط لتصل إلى مائدة
 الطعام وتجد الحاج حافظ قد جلس على رأس المائدة
 بالفعل.. يحادث ماجد الذي يبدو أنه كان مستيقظاً بعد ليلة
 استذكار طويلة..

بأدائها حافظ يعاتبها بمحبة:

- صباح الخير يا أم ياسين.. اتأخرت عليَّ النهارده يعني!

تحركت أمانة لتصل إليه عند مقدمة المائدة وخلفها الهمسات
 الضاحكة والمشغبة من ياسين ورقية اللذين أتيا خلفها من
 غرفة الأخير..

- سامحني يا حاج.. النهارده آخريوم امتحانات وكنت بصحي
 الولاد واطمن عليهم..

غمغمت رقية بصوت مسموع:

- الولاد برضوه يا أمون ولا سي ياسين حبيب القلب..

زجرتها أمنة:

بس يا رقية..

برمت رقية شفتها هاتفة:

- بسيت..

تدخل ياسين ليتقدم من والده ويقبل يده:

صباح الخير يا حاج..

ثم تبعته رقية بالمثل واتخذا مقعديهما على المائدة ليتردد

صوت الحاج حافظ:

- النهارده هتخلص امتحانات يا ياسين؟

- أيوه يا حاج..

- آخر كلام ولا اللي حصل السنة اللي فاتت هيتكرر؟

أطلقت رقية ضحكة مكتومة بينما ظل ماجد محافظاً على
هدوئه وهو يتناول طعامه بصمت..

أجاب ياسين بشقاوة:

- يعني يرضيك يا حاج اسيب البننت لوحدها في الكلية العيال
البايظين يعاكسوها..

كتم حافظ ابتسامته بينما لم تستطع رقية كتم ضحكاتهما التي
تعالت حتى أن عيونها أدمعت بينما سأل حافظ بجدية:

- يعني هي دي اللي نويت عليها؟..

أوما ياسين بهدوء:

- أيوه هي يا حاج..

وافقه حافظ:

-على خيرة الله.. الجواز بدري سترة وعفة للراجل والبننت..

أول ما تطلع النتيجة نروح نتكلم عليها..

حاول ياسين الاعتراض:

- بس يا حاج..

قاطعه حافظ:

- خلاص يا ياسين.. نطمئن على نجاحك الأول..

قبل أن يتفوه ياسين بكلمة سارعت أمانة للتدخل:

- عندك حق يا حاج..

ورمت ياسين بنظرة ذات معنى حتى لا يعترض، فقرار والده لن يغيره ويجب أن يكون شاكراً أن عقاب والده اقتصر على تأجيل الخطبة فقط ولم يرفض نهائياً الفتاة التي شغلت قلب بكرهه ليتنازل عن سنة كاملة من عمره.. ليظل بجوارها بين أروقة الجامعة..

أخفض وجهه لطبق افطاره_طبق البيض بالبسطرمة_الذي يتم إعداده من أجله خصيصاً.. بينما وكزه ماجد هامساً:

- خلاص يا ياسين.. كده كويس قوي.. ما تقفلش دماغك بقى.

أجابه ياسين هامساً هو الآخر:

- أنا مش معترض بس خايف الواد اللي اسمه زهير طنطاوي

ده يخطبها.. أنت عارف هو حاططها في دماغه من سنتين..

ولولا أن والدها رفض أي ارتباط قبل تخرجها ما كانش

هيسكت..

- ما تقلقش.. حتى لو هو عمل كده.. أنت مش مالي إيدك منها

ولا إيه؟

- أيوه.. بس..

قاطعها ماجد:

- ما فيش بس.. حتى لو حصل وقتها بابا أكيد هيوافق تتقدموا

ومش هينتظر ظهور النتيجة..

وافقه ياسين الرأي بهزة رأس خفيفة.. ليعود ماجد ويهمس
متسائلاً:

- استأذنت من الحاج عشان خروجة الليلة؟..

هز ياسين رأسه نافياً:

- لسه.. خايف يرفض..

- طيب ما تقوله دلوقتٍ.. أنا سهرت ليلة امبارح كلها أذاكر..

عايز أفك عن نفسي شوية..

- ما تقوله أنت يا بني.. على الأقل ممكن تصعب عليه وأنت

مفحوت مذاكرة كده..

ارتفع صوت الحاج حافظ متسائلاً:

- في إيه يا ولاد؟..

اجاب ياسين:

- بعد إذنك يا حاج.. كنا بنستأذن النهارده بعد الامتحانات..

هنخرج كام ساعة كده.. أنا وماجد..

أضف ماجد بسرعة:

وحاتم كمان جاي معانا..

التفت إليه ياسين بدهشة ليكمل ماجد:

يعني يا حاج شوية ترفيه بسيط كده قبل ما أدخل على

الامتحانات.. أنت عارف سنة كاملة بذاكر..

تبادل حافظ النظرات مع أمنة لتومئ بخفة موافقة.. فتكلم

حافظ بهدوء:

- شباب بس يا ياسين؟

رفع ياسين حاجبيه ببراءة مصطنعة:

- ده اسمه كلام يا حاج.. ده أنا راجل على وش جواز..

غمغمت رقية بغيظ:

- وحاتم جاي معاكوا؟.. ما قالش يعني..

ابتسم ياسين ساخراً:

- سيبي الراجل يلقط نفسه.. بكره تتجوزوا وتزهقوا من

بعض..

والتفت لوالده:

- رأيك إيه يا حاج؟..

وافق حافظ بتحفظ:

- ياسين.. من غير مشاكل..

أوماً ياسين برأسه موافقاً، هو يعلم أن والده يقصد مشاجرته

السابقة مع زهير طنطاوي؛ تلك المشاجرة التي انتهت بتحطيم

مقاعد وموائد إحدى المقاهي الشهيرة.. مما دفع صاحب

المقهى لتحرير محضراً ضد زهير وياسين معاً.. ولولا الشهود

الذين أقروا بأن زهير هو المعتدي، ونفوذ والد زهير ما تنازل
صاحب المقهى عن القضية راضياً بالتسوية المالية الباهظة
التي عرضها والد زهير..

أجاب ياسين بثقة:

- أنت عارف يا حاج إني مش بتاع مشاكل.. وزهير هو اللي كان
غلطان.

أوماً حافظ موافقاً:

- عارف يا ياسين.. بس الحكمة بتقول "احذر خطأ الغير"..

نهض ياسين ليقبل يد والده:

- اطمئن يا حاج.. إن شاء الله خروجة بريئة ومن غير مشاكل..
ومن بكره الصبح بدري هكون في المحل..

ربت حافظ على رأس ياسين:

- ربنا يبارك فيك يا بني..

- ويخليك لنا يا حاج..

ثم التفت إلى رقية:

- يلا قومي هاتِ شنطتك.. يا دوب نلحق..

وتوجه بالحديث لماجد:

- هستناك أنت وحاتم على الساعة اتنين كده.. تمام..

أشار له ماجد بالإيجاب وجاءت رقية مسرعة:

- أنا جاهزة..

جذب ياسين الخوذة الخاصة به وألقى بأخرى لرقية:

- إلبسي يا سمو الكونتيسة.. لازم أرجعك حتة واحدة للسيد

الأستاذ حاتم..

وكزته رقية بخجل:

- يوه يا ياسين.. أنا أساسًا وافقت على حاتم لأنه نسخة منك..

التفت لها بدهشة وهو يتحسس جيبتها:

- حاتم نسخة مني!.. أنتِ سخنة يا بنتي ولا عبيطة ولا إيه!

ضربت قدمها بالأرض غاضبة:

- يا سلام على هزارك البايخ..

ارتفع صوت أمنة محذرة:

- ما تزعلش أختك قبل امتحانها يا ياسين..

تحرك ياسين ليقبل جبهة والدته ويديها:

- أنتِ تؤمري يا أمون.. سمو الكونتيسة على راسي.. ما تنسيش

بقي دعواتك.. النهارده محاسبة تكاليف.. عايزين ختامه

مسك..

- إن شاء الله يا حبيبي.. هيكون حلوقوي..

وصل لأسماعهم نغمات الأغنية المعتادة لإحدى البرامج
الصباحية في الإذاعة..

"بالسلامة يا حبيبي بالسلامة.. بالسلامة تروح وترجع
بالسلامة"..

ليرفع ياسين صوته يردد الأغنية ويقول:

- أيوه بقى.. أهو الواحد كده كملت اصطباحتة..

ضحكت آمنة:

- لسه بتحب الأغنية دي يا ياسين؟..

اوماً موافقاً:

- جداً يا أم ياسين.. مش عارف سرها معايا إيه..

خرج ياسين مصطحباً رقية بعد أن ودع أمه بقبلة على جبينها
وهي تدعو له بالسلامة كما تردد كلمات الأغنية الإذاعية..

وللأسف لم تستجب دعوات الحاجة آمنة بذلك اليوم..

بعد عدة ساعات...

دخل الحاج حافظ وهو يزفر بغضب شديد يرافقه أخوه

إسماعيل وعبد القادر زوج شقيقتهم..

وصوت مناقشتهم ترتفع وتيرته بشدة لتصل بعض الكلمات

للحاجة آمنة..

- أنا نيمت على ياسين بلاش يدخلوا في مشاكل.. كويس كده..

الثلاثة في الحجز..

ليرد إسماعيل بقلق:

- كلمت المحامي يا حاج حافظ؟.. حاتم ما ينفعش يقضي

الليلة في الحبس، شغله و..

قاطعه حافظ بغضب:

شغل إيه بس!.. دي قضية.. ومش قضية سهلة.. اللي اسمه

زهير ده لو حصل لعينيه حاجة هتبقى جناية..

اقتحمت أمانة غرفة الضيوف صارخة:

- حجز إيه وجناية إيه يا حاج!.. إيه اللي حصل؟..

نهرها حافظ بشدة:

- مش وقته يا حاجة.. روجي اوضتك دلوقتٍ ...

قاطعته باكية:

- فين ولادي يا حاج؟.. فين ياسين وماجد؟..

اندفع إسماعيل بغضب:

- اتخانقوا يا حاجة.. اتخانقوا ومعاهم حاتم.. ضربوا زميل

ياسين اللي دايماً بيتخانق معاه..

تساءلت أمانة بهلع:

- زهير طنطاوي؟؟؟

وافقها حافظ بقلق:

أيوه هو.. بس المرة دي.. حصلت إصابة لعيون زهير..

وتقريباً.. عينه اتصفت.. و..

شهقت آمنة برعب:

- ابني.. ياسين يا حافظ؟؟؟..

ردد حافظ بصوت ميت:

- ياسين اعترف في المحضر أنه هو اللي ضرب زهير.. وبكره

هيتعرضوا كلهم على النيابة.. و..

قاطعته بخوف:

- وإيه يا حاج؟؟..

اقترب منها هامساً بلطف:

- وربنا كبير يا حاجة.. ممكن تؤمري لنا بشاي؟..

أدركت أمنة أن حافظ يخرجها من الحجرة بلطف فأومأت
برأسها ودموعها تملأ وجهها وهي تكرر:

- ابني يا حاج.. ياسين يا حافظ..

همس حافظ بلوعة أب:

- ياسين ربنا معاه..

يوم صدور الحكم صباحاً..

رقدت أمنة بفراشها ودموعها لم تجف منذ غياب ياسين الذي
ظل محبوساً على ذمة القضية ولم يتم الافراج عنه...

وبجانها كانت رقية تواسيها وتحايلها لتتناول أدويتها.. بينما كان
ماجد ملتصقاً بالنافذة منتظراً عودة والده من المحكمة..

قالت أمنة من بين دموعها:

- ليه يا ماجد ما روحتش مع أبوك المحكمة؟.. معقول يا بني
تسيبه في يوم زي ده!..

ابتلع ماجد غصته وهو يلتفت لها:

- ما هو حاتم معاه يا أمي.. وبعدين لازم أكون جنبك.. أنتِ
دخلتِ في الشهر التاسع وما ينفعش تكوني لوحدهك..

وعاد يلتفت للنافذة مرة أخرى وكأنه لا يريد المزيد من
النقاش.. بينما أمنة تربت على بطنها المنتفخ بحزن وهي تهمس
لطفلها المختبئ داخلها..

"ادعي لأخوك يا حبيبي.. ده أحن أخواتك.. سندك واللي
هيربيك.. إن شاء الله هو اللي هيربيك.."

ورفعت عيونها للسماء تدعو بحرقة..

"رد غيبته يا قادريا كريم.. زي ما رديت يوسف ليعقوب رد لي
حبة قلبي.. رد لي ابني يا رب.."

انخرطت رقية بالبكاء وهي تستمع لأمها بينما ضرب ماجد الحائط بقبضته وهو يرى والده قادماً نحو المنزل يستند على حاتم بتهالك وكأن عمره تضاعف عشرات المرات.. وفقد كل قوته دفعة واحدة..

صاح ماجد بسرعة هاتفاً:

- بابا جه..

واندفع منطلقاً من الغرفة والشقة بأكملها ليلاقي والده على مدخل المنزل ويسأله لاهثاً ومتجاهلاً هالة البؤس والشقاء المحيطة به:

- ياسين فين؟..

رفع والده إليه عينيه بنظرات غريبة مما دفعه للتكرار:

- فين ياسين؟.. الحكم كان إيه؟..

رد حاتم بصوت ميت:

- خمس سنين.. اتحكم عليه بخمس سنين...

واختلقت شهقة ماجد بصرخة رقية التي دوت عالية..

"ماما"

انتهت المقدمة

الفصل الأول

العمل على قدم وساق بمطبخ الحاجة أمنة؛ عدة قدور
توزعت على الموقدين العملاقين، مجموعة مختلفة من
الخضراوات انهمكت صباح بتجهيزهم بينما انشغلت الحاجة
أمنة بإعداد طبقها الرئيسي المكون من ديك رومي ضخمة
ومحشو ترافقه عدة أنواع مختلفة من الطيور بداية من
الحمام وحتى البط..

هتفت بصباح:

- شهلي اللي في ايديك يا صباح، لسه سوى المحشي.. والمكرونه
تدخل الفرن..

ثم شهقت بقلق:

- ده كمان لسه الجلو..

أجابت صباح بعجلة:

- لهلوبة يا حاجة.. ساعتين زمن وأخلص كل حاجة..

ثم ربتت على كتفها برفق:

- روعي ارتاحي شوية.. ده أنتِ من ليلة امبارح على رجلكِ..

أجابتها آمنة وقد بدأت وجهتها المتماسكة بالتداعي، تماسك

إدعته لسنوات وأن أوان تفككه:

- وإيه يعني يا صباح.. شوية ساعات قصاد سنين.. سنين

شبابه يا حبة عيني اللي جريت جري..

- وحدي الله يا أم ماجد.. مش كده..

صرخت آمنة بها بعنف:

- أم ياسين.. من هنا وجاي ترجعي تقوليلى أم ياسين.. سنين

وأنا ساكتة وأنتوا تقولوا أم ماجد.. كفاكوا بقى.. ك..فاي..ة

تقطعت حروفها وهي تترك المطبخ بأقصى سرعة سمح بها

جسدها الضخم متوجهة بحركتها الثقيلة لغرفتها، لتغلق

الباب خلفها وتتهالك جالسة على الأريكة الواسعة تلقي
 بوجهها بين كفيها وشهقات بكائها تشق صدرها، دموعها تحرق
 عيونها، حسرتها تطحن قلبها، ندمها يشعل حنينها لغائب عن
 العيون حاضر بوجدان أم ملتاعة حرمت من فرحتها الأولى،
 بكرها وفرحة عمرها الأول..

تفتحت أمومتها له وبه، استعذبت آلام مخاض لساعات تمزق
 جسدها لتتمكن من احتضان أول من رأت العين وخفق له
 قلب الأم..

هتفت أعماقها على استحياء.. "ياسين" .. وصاح قلبها بوجع..
 "ياسين" .. وأخيراً سيردد اللسان بدون قلق .. "ياسين" ..

اثنا عشر عاماً غابهم عن عينيها ولم ينسه قلبها للحظة..
 صورته بين جفونها وبأعماقها هي أول ما تفتح عينيها عليها
 وآخر ما تغلقهما.. تناجيه كل ساعة وتحكي له ما مرت به في
 يومها.. ما يجد على إخوته من أحداث؛ أعدت له بذلة جديدة

بفرح رقية منذ أكثر من عشر سنوات، وبمناقشة رسالة
الماجستير لماجد كانت تحجز له مكاناً..

تشتري له الملابس الصيفية والشتوية كل عام مع ملابس
إخوته وتحتفظ بها داخل خزانها، تتذكر منحه العيضية بكل
عيد وتضيفها لصندوقها النفيس الذي تحتفظ فيه بصوره
وكل ما جمعه له على مدار سنوات غيابه، الكروت الصغيرة
الخاصة بعلب سبوع أولاد رقية شقيقته، صور ياسر شقيقه
الأصغر والذي لم يعرفه أبداً منذ مولده وحتى الآن وقد احتفل
منذ شهر بميلاده الحادي عشر، وصور مدلته.. بلسم.. أول
يوم لدخولها المدرسة، شهادة الابتدائية.. و.. و..

صندوق النفائس كما تطلق عليه رقية.. بداخله جمعت
ذكريات سنوات غاب فيها عنهم، وبه كل خطاباته لها والتي
رغم كلماتها القليلة إلا أنها إحدى كنوزها، وما مكنها من
الاستمرار تلك السنوات إلا تلك الكلمات التي تنحصر في
سؤاله عن صحتها وعن أخبار شقيقه الصغير، وتوصيته

المستمرة على المدللة الصغيرة.. وطلبه على استحياء ألا تنساه
من دعواتها.. وبكل مرة تقبل الخطاب وتضيع حروفه وسط
دموعها وهي تردد..

"القلب داعي لك قبل اللسان يا نور عينيا" ..

ورغم صرامة الحاج الحافظ إلا أنه لم يحاول منعها من
الحفاظ على ذكرى ياسين بداخلها، أو ربما كان يحافظ على
ذكرى ياسين بداخله هو بسماحه لها بالاحتفاظ بذلك
الصندوق..

كان يدرك بفطنته عدم جدوى محاولته لردعها، وهل يمكن
لأم نسيان وليدها!.. حتى لو أتهم بأبشع الجرائم يظل طفلها..
حتى لو أدانتها كل محاكم الأرض فقلها يهتف كل لحظة
ببرائته، وعقلها يرفض على الدوام استيعاب غيابه عن حيز
نظرها لأكثر من عشر سنوات..

فبعد زيارتها الأولى له وكان ذلك عقب ولادة الصغير ياسر
 بعدة أسابيع أصيبت بوعكة صحية شديدة كان سببها الأول
 رؤية ياسين بلباس السجن، رؤيته وهو يتجه نحوها ونظرات
 الشوق ممزوجة بالخزي في عينيه وهو يواجهها كانت لحظة
 تمننت فيها الموت على إحساسها بفلذة كبدها الأول يتمزق
 طلباً لنسمة من الحرية أو لحظة خارج محبسه المير،

لم تحتمل مدة الزيارة وسارعت بتركه وحيداً بفناء السجن
 ورحلت تتهالك بين ذراعي زوجها لتلزم الفراش في حالة انهيار
 كامل لعدة أسابيع، بعدها قرر الحاج حافظ منعها من زيارة
 ياسين تماماً واكتفى بزيارته له ومعه ماجد أو حاتم..

ثم كانت الكارثة الكبرى التي أنهت ثقة الحاج حافظ بياسين
 للأبد، فكان تورط ياسين بجريمة أخرى داخل السجن،
 والأدهى أنه اعترف لوالده بمنتهى الصراحة أنه خطط ونفذ
 للجريمة ولم يفصح عن السبب رغم تهديد والده له بحرمانه
 من رؤيته أو رؤية شقيقه، إلا أن ياسين أصر بشدة على عدم

الاعتراف بمبرر مقنع لجريمته، وأمام صمته الخانق أصبحت
 الخمس سنوات.. اثنتا عشر سنة.. فقد حكم عليه بأقصى
 عقوبة.. وأضيفت سبع سنوات للخمس مع التوصية بنقله
 لسجنٍ آخر.. وحكم مشدد مع عدم السماح بالخروج قبل
 انتهاء مدته..

يومها صرخت أمانة بقلب ممزق..

"اتناشر سنة يا ياسين.. ده مش كسر وسط يا حبيبي ده قطم
 رقبة" ..

ليصدر الحاج حافظ فرمانه القاسي بمعاقبه ياسين وحرمانه
 حتى من الزيارة الشهرية فهو خان ثقته مرتين وكل مرة كان
 الثمن أفدح من أن يغتفر، واكتفى بإرسال الأموال له
 بمحبسه..

وسقطت أمانة مريضة مرة أخرى.. مريضة بقهرتها وكسر قلبها
 على ابنها.. بحرمانها حتى السماع عن أخباره.. ورضخ حافظ

لتوسلاتها وسمح لماجد بزيارته.. فكان ماجد يطمئنها عن أخباره باستمرار.. وإن كان في السنوات الأخيرة قلل من زيارته له.. فجدول عمله مزدحم بشدة، بعدما بدأ عمله بمشفى الدكتور "طاهر برهام" ابن عم والده.. كطبيب جراح مقيم.. بالإضافة لعمله الأساسي بنفس المشفى الجامعي الذي يعمل به حاتم ابن عمه وزوج شقيقته رقية؛ حاتم الذي لم يتخلف مرة عن زيارة ياسين برغم انشغاله بعمله وزواجه وأطفاله الثلاثة إلا أنه والحق يقال لم يقصر مرة واحدة بحق ياسين.. حتى أنه هو من تطوع باصطحابه اليوم من سجنه إلى المنزل.. تساقطت دموعها مع سقوطها أرضاً لتسجد لله شكراً أن مد بعمرها حتى تكتحل عيناها برؤية الغائب مرة ثانية.. أن منحها العافية لتمكن من احتضانه بين ذراعيها.. واستجاب لدعوتها ورد إليها قرة عينها.. فاليوم.. ينهي ياسين محكوميته.. ويعود لبيته.. أخيراً بعد غياب اثنا عشر عاماً.. يعود الغائب..

استقل ياسين وحاتم سيارة الأخير التي تنهب الطريق بسرعة
عالية دفعت ياسين للهتاف:

- هدي السرعة شوية يا حاتم لو سمحت..

رفع حاتم حاجبه بعجب:

- أنت مش مستعجل ترمي نفسك في حضن الحاجة أمنة ولا
إيه!..

تأمله ياسين للحظات ولم يجب بشيء، ثم حرك رأسه ليتأمل
الطريق من النافذة.. يتمتم داخله باستمرار..

"أنت بقيت حر.. حر.. حر"..

تنهد بقوة يلتقط أنفاساً عميقة.. ليمس ساخراً..

"أنفاس الحرية"..

نعم.. هو خارج السجن الآن..

أين ذلك الاختلاف في نسمات الهواء!..

لم إحساسه بأشعة الشمس ما زال كما هو!..

أين النظارة الوردية التي سيرى بها الكون؟.. لم لا تهبط على

عينيه!!..

لقد ظن أنه سيقبل تراب الأرض خارج السجن.. وبالفعل
وقف للحظات يتأمل أولى خطواته للحرية، يحاول إقناع نفسه

بالفرق، بأن تلك الأرض تختلف عن الأخرى التي تركها
بالداخل.. أنه يجب عليه الاستلقاء والتمرغ بتراب الحرية،
ولكنه فقط حرك نظره بين ملابسه الجديدة وبين الأرض
المتربة ثم هز رأسه باستهجان وتحرك ليرتقي مقعد سيارة

حاتم وبداخله يردد سوف أشعر بالفارق عندما ابتعد..

عندما تعصف بي رياح الحرية..

حاول إلتقاط أنفاساً أخرى فلم يشعر سوى بنفس الضيق
القديم يطبق عليه كأنه سيسحق حنايا صدره..

تحسس ملابسه الجديدة والتي أتى بها حاتم خصيصاً من
أجله، نعم تلك تختلف كثيراً عن رداء السجن ولكنها فقط
تسبب له مزيداً من الضيق..

لمح الطريق حوله ليلحظ الفارق؛ اختلاف اثنا عشر سنة
ضاعفت من أعداد السيارات والبشر.. أم أنها ضاعفت أيضاً
من قسوة قلوبهم، تجاهلهم المخزي للمشاعر وقدرتهم على
سحق الأضعف، فقط لأنه لا يملك من القوة للصراخ..

"كفى" ..

هل يختلف داخل السجن عن خارجه بالفعل!..

أم أنه خرج من سجن محدد بقضبان وحراس في أركانه إلى
سجنٍ أوسع وبه الجميع قاضٍ وجلاد وهو المتهم الأوحده..

هو النقطة السوداء بجبين العائلة الناصع البياض.. هو
القطع الذي يجب رتقه بالثوب المهيب والعار الذي يجب دفنه
وإن كان حياً فلا يهم ليتم وأده إذاً.. لا فارق..

ماذا يأمل من خروجه!..

كرر السؤال بداخله عدة مرات..

"ماذا بعد؟!.."

عادت ابتسامته الساخرة ترسم على وجهه ليفكروهل كان
هناك قبل ليتساءل عما بعد!..

هل يتذكرونك كما تتذكر كل تفصيلة وهمسة تخص كلا

منهم؟..

هل أفتقدوك يوماً أم أن الحياة سارت وكأن وجودك يوازي

عدمه..

هل يشتاقون لك كما تشتااق لنسمة تحمل رائحة أنفاسهم!..
 لتكن واقعياً وجودك بينهم على الأرجح هو كابوس يخشونه
 ولكنهم مرغمون على تقبله..

هتفت أعماقه لتكن أكثر تفاءلاً لا داعي للنظارة الوردية ولكن
 لا تحولها لسوداء قاتمة، ربما يخالفون ظنونك..

ربما يريدونك بالفعل..

لتعود سخريته إلى السطح.. وما الحاجة لسجين سابق!..
 ماذا تمثل أنت بين طبيب جراح ناجح كماجد أو زوجة سعيدة
 ومدرسة ناجحة وأم لثلاث أبناء كرقية المتزوجة من طبيب
 أكثر نجاحاً كحاتم!.. حتى بلسم المدللة الصغيرة تعد من أوائل
 دفعتها بكلية الصيدلة والشقية المشاغبة سعاد تدرس بتفوق
 بالسنة الثانية بكلية الآداب..

أنت كنبات شيطاني وسط حديقة عامرة بأعلى الزهور..

حقاً ياسين أنت عشبة ضارة يجب اجتثاثها.. ولا تدع قلبك
المشتاق لحضن آمنة يصور لك العكس..

فالدلائل واضحة؛ مقاطعة أبيك الحاسمة فقط لأنك لم تلتزم
بتعليماته وتبتعد عن المشاكل..

رسم بسمه مريرة.. وبداخله يهتف..

أبتعد عن المشاكل!.. كيف وأنا وسط المادة الخام
للمشاكل!!..

هل يدرك والده صعوبة ما يطلبه؟!.. كأنه يطلب منه التوقف
عن التنفس أو التحكم بضربات القلب.. ولكنه أخطأ.. لا
ينكر.. دفعته الحمية والإنتقام ليخطط وينفذ ثم يعترف بكل
سذاجة..

اعترافه كاد أن يودي بحياته.. وعلامة الجرح بصدغه وعنقه
ذكرى

تنبيه على الدوام ألا يندفع بدون تفكير..

أن الحق ممكن استرجاعه بدون أن يفقد المرء ذاته بإنتقام
أهوج..

عاد يتحسس علامات جروحه في وجهه لتتحرك أنامله لأذنه
والتي قطع منها جزء ليس بالهين.. هذا بخلاف عدة جروح
منتشرة بجسده ليتهد، بالفعل عدم إلتزامه بنصيحة والده
كلفه الكثير.. فهو تحول لمركز جاذب للمشاكل..

"فقط لو تعلم يا أبي.. فقط لو تعلم.. لم أكن يوماً ظالماً..
أقسم بالله.. حاولت أن أكون عند حسن ظنك.. ولكنك رببت
رجلاً.. والرجل يحمي ما يخصه"..

ليكرر عقله بحزم..

"حماية.. وليس إنتقام يا ياسين.. الفارق ضخم.. ضخم بعدد
سنوات سجنك"..

انتبه من شروده على يد حاتم تربت على كتفه:

- سرحان في إيه؟..

التفت له ياسين وأنامله مازالت تتحس أذنه المقطوعة:

- ممكن نعدي على أي محل.. عايز اشترى كاب؟.

تساءل حاتم بعجب:

- كاب!!

وكانت حركة ياسين المتوترة وهو يعبث بأذنه كافية ليدرك

السبب خلف طلبه.. ويجيبه بخفوت:

- هنوقف عند أول محل..

وسكت للحظة يسأل بفضول:

- برضوه مش هتقولي ودنك اتقطعت ازاي والجروح..

قاطعه ياسين بحسم:

- لأ.

رمقه حاتم للحظات قبل أن يتنهد ويمد يده لمشغل
الإسطوانات لتتردد الكلمات ولو بدون قصد..

"أنا المنسي.. أنا الصعلوك"

أنا الشيء اللي جنب الشيء.. أنا المكتوب على الهامش

بعيش عشان أكمل شيء.. لكن في الأصل مش عايش"

لترتسم ابتسامة ساخرة على شفتي ياسين وتتحول في لحظات

إلى ضحكات ساخرة عالية لم يستطع التحكم بها..

وانتبه حاتم متأخراً لكلمات الأغنية ليحاول إسكاتهما فيمنعه

ياسين بحزم ساخر.. والكلمات تتعالى..

"أنت المنسي.. أنت الصعلوك.."

هل جريت مرة أن تتصاعد أحلامك لتصل للسماء، تتضخم
 آمالك ويتعالى سقف طموحاتك في انتظار حدث ما، حدث
 ترقبته لسنوات.. واحتملت الكثير في سبيل الوصول لتلك
 اللحظة، لحظة بلوغ النهاية؛ نهاية الانتظار، نهاية الشوق
 والحرمان.. نهاية الفقدان..

هذا ما كانت تشعر به آمنة وهي تسمع هتاف رقية:

- وصل يا ماما.. وصل.. حاتم وصل ومعاه ياسين..

تجمدت ساقي آمنة.. ترسختا بالأرض ولم تطاوعا إرادة عقلها
 بالتحرك للنافذة لتتال نظرة من الغائب.. بل كانت اليد العليا
 للقلب وهو يأمر ساقها بالتحرك للباب لملاقاته، كأنه طفل
 عائد من مدرسته في أول يوم بعدما انتزعوه من أحضانها
 ليرموا به في دنيا غريبة قاسية تخلو من تربيته أناملها أو
 حضنها الدافئ..

وكان القلب ستكفيه نظرة لتروي شوق اللقيا..

وكانها ستكتفي بلمحة خاطفة من بين شقي النافذة..

وهل نسيته العين ليدكرها القلب!..

أبدأ والله فهو ملئ العين والقلب والوجدان منذ الأزل وحتى

نهاية العمر..

تحركت لتفتح الباب لتسمع صوت الحاج حافظ يتساءل

بهدهوء مرتعش:

- وصل؟..

أومأت برأسها موافقة بهدهوء.. وقلبي يتمزق بين عودة الغائب

وبين ذاك الذي يتبنى القسوة منهاجاً..

عرفته حازماً ولم تدرك قسوته إلا بعد سجن ياسين..

قسوته تمزقه وتطحن قلبه قبل الجميع، يتظاهر بقوة

وعنفوان وهي أعلم الناس بمدى رقة قلبه.. لا تدري لم لا تظهر

قسوته إلا عند ذكر ياسين.. وقتها تنقلب ملامحه ويكتفي
بترديد جملة واحدة..

"خيب أمني" ..

تتساءل هي بلهفة وتحفز عن مبرر لتلك الكلمات ولكنه
صامت.. يكتفي بنظرة حزينة وتلمس خفي لأخبار الغائب بدون
تعقيب عما يسمع...

هزت آمنة رأسها بحزن على حاله فهو يكبت حزنه واشتياقه
وحنينه بداخله.. لا يصرح لها ولا حتى لنفسه.. حتى فرحته
بعودة الغائب ينكرها.. ويتعذر بإرهاق مبالغت داهمه فلا ينزل
إلى عمله ويرابط بالمنزل منتظراً البشرى وخبر الوصول...

فُتِح الباب على مصرعيه لتنتفض القلوب برجفة ترقب تنتهي
بدخول ياسر الصغير وخلفه أولاد شقيقته رقية؛ عمرو
وياسمين تحمل الصغيرة بسنت وجميعهم يصيحون:

- هولسه ما طلعهش احنا شوفناه من البلكونة..

ركضت نظراتها إلى الباب المفتوح تنتظر.. تترقب.. تنافسها
دقات القلب..

تلمح الباب يتحرك ببطء ليدخل حاتم ومن خلفه يتحرك هو
ببطء وبخطى متثاقلة: الغائب..

ملامحه مختفية خلف قبعة رياضية أنزل حافتها لتصل إلى
طرف أنفه وتخفيه تماماً خلفها، لكنها ميزت انخفاض نظراته
لتقابل الأرض وكأنه يخشى لحظة المواجهة.. لحظة اللقاء..

سمعت الهمس المرحب..

"ياسين" ..

ولمحت من خلف ستائر دموعها رقية وهي ترتمي بأحضانها..
ورأته يلفها بذراعيه على استحياء ليرفع نظراته بوجل وترقب
للتقابل العيون وتتلاقى النظرات..

لحظة اللقاء..

لم تعد تعرف هل تسابقها نظراتها أم النبض والأنفاس..
 تدرك فقط أن عيونها تجري على ملامحه، أنفاسها تتسارع
 لتطلق تنهيدة وجع، نبضاتها تزداد في محاولة فاشلة لمجاراة
 أنفاسها اللاهثة..

تتعالى الشهقات بدون إرادة منها ورأسها يتحرك عاجزاً..
 عقلها يتساءل بهلع..

"من هذا!!.. وأين طفلي؟"..

والقلب ينهره بعنف..

"هو.. هو ياسين قرة العين.. وهل يمكن أن أخطئه!"..

وحيرة ملامحها تلتقطها نظراته بسهولة.. وتخبط روحها يُصدع

تماسكه الواهي لتتجمع دموعه بمقلتيه يحبسها ببسالة

فتتجمد نظراته على وجه أمه الغارق بدموع الشوق

والصدمة..

صدمة رسخها بقسوة وهو يرفع قبعته الرياضية بعنف فتظهر
ملامحه كاملة..

وتطلق آمنة شهقة صدمة غير قادرة على كتمانها..

وهو ترتسم على شفتيه بسمة ساخرة وكأنه يخبر قلبه الأحمق

"ألم أخبرك؟!.. حتى هي.. آخر أمل لك.. حتى هي تستنكرك"..

وقلب الأم بها يهتف بعويل..

"لم استنكر ملامحك يا طفلي الساذج.. لبت ما تغير هو بضع

شعيرات ستستطيل مع الزمن.. أو علامة لجرح قديم بوجهك..

بقدر فزعي لمكانه الذي يعني شيئاً واحداً.. أنني كدت أفقدك..

ولكن كلا.. لم يكن هذا سبب الصدمة.. صدمتي، بل قل

مصيبتى هي نظرتك يا وليدي.. لم أخف من ملامحك التي

شُوهِت بل من نظرتك التي قست.. نظرة نابعة من قلب

تحجر.. تصلب.. وبطريقه للاحتضار والموت.. وأسفااااه على

نبته يانعة

جفت ثمارها ويبست أوراقها ولم يبقَ بها إلا النذر اليسير من
الحياة بأعمق أعماق الجذور"

فتحت ذراعها على وسعها تناجيه بروحها..

"هيا يا صغيري.. اشتاق القلب لضمك.. اشتاقت الروح
لرائحتك وهمس أنفاسك"

واستجاب الغائب.. لم يتحمل المزيد من المكابرة فمقاومة
ضمة أمه تحتاج لقوة لا يمتلكها..

وغاب العائد بين عناق ودموع وقبلات تتناثر على ملامحه عليها
تمحي القليل من قسوتها، تبحث عن روحه الرقيقة بين ركام
سنوات القسوة والضيم..

أحنى رأسه يقبل يدها وأناملها تملس رأسه بحنين مؤلم
وغصتها تخنق كلماتها فتكتفي بدموعها ودعوات قلبها له
بالهداية والاطمئنان..

- حمد لله على السلامة يا ياسين..

دوت كلمات الحاج حافظ بقوة.. قوة حاول استدعائها بكل
طاقته، مبتهلاً ألا تخونه مشاعره الآن أمامهم جميعاً..

ألا ينهار السد وتنفجر الشفاه بكلمات اللوم والشوق والعتاب
ويسقط حاجز الوهم الذي أخفى مشاعره وخيبته وذنبه خلفه
لسنوات..

رفع ياسين نظراته لتلتقي بنظرات والده، لحظات تجمد بها
الزمن.. سنوات مرت أمام ياسين وحوارهما الأخير يتردد صدها
بينهما...

"كل اللي طلبته كان أنك تبعد عن المشاكل.. كثير يا ياسين
تسمع كلمتي؟"

"يا حاج أنا مش طالب غير ثققتك فيا.. أنا ما غلطتش"

"واعترافك يا ياسين؟"

"يا حاج ده مجرم.. يستحق القتل!"

"قتل يا ياسين؟!!"

ليردد ياسين بقسوة أكسبتها له شهور السجن..

"أيوه.. أنا كنت عايز أقتله مش بس أجيب له عاهة!"

وكان الرد صفعه قوية.. صفعه لم ينلها طوال سني عمره،

حتى عندما أتهم بقضية زهير..

ووقتها كان يستحق.. لكن الآن.. الآن هو تغير.. شهور قليلة

مضت نعم.. ولكنها غيرت به الكثير.. الكثير الذي جعله يهتف

رافضاً..

"أنا ما أستحقش القلم ده يا حاج.. أنا...."

قاطعته والده بحزم..

"أنت مش قاضي ولا أنت جلاذ.. أنت واقف قدامي وبكل جرأة

بتعترف أنك خططت تسلب روح بني آدم.. فوووق يا ياسين.."

فوق قبل ما جدران السجن وقضبانه تحتل قلبك.. فوووق يا

بني قبل ما السجن يسكن جواك"

ورحل والده متمسكاً بقراره وعقابه بحرمان سنوات.. ولم

ينسَ بكل زيارة لماجد أو حاتم له أن يرسل له يذكره..

"افتكريا ياسين.. أنت بين جدران السجن.. ما تسمحلوش

يسكن قلبك"

عاد ياسين لتلتحم نظراته بنظرات أبيه وهو يلمح شفثيه تردد

الرسالة بصمت.. ولكن هل كان العقاب ضروري يا والدي؟..

هل كان حرمانني من أبسط الحقوق الانسانية هو الحل؟.. هل

تحذرنني من احتلال السجن لقلبي لتترك القسوة تستوطن

قلبك!..

مد ياسين يده برسمية وتصلب لوالده مردداً:

متشكريا حاج..

ارتفعت حدة التوتر بالجو مع انقباض ملامح الحاج حافظ
 وعودة ياسين مرة أخرى لقوقعة القسوة الخاصة به..
 وارتجف قلب أمنة بوجل.. تخشى رفض حافظ ليد ياسين
 الممدودة..

وبدا واضحاً أن تلك الفكرة مرت بعقول الموجودين جميعاً..
 فارتجفت رقية قلقاً.. وارتسمت نظرات توجس بعيون حاتم..
 وراقب الأطفال بفضول ذلك اللقاء الغير المألوف..

لتصرخ نظرات أمنة برجاء، لهفة، توسل..

"لا تخذله.. بالله عليك لا تفعلها.."

فيخفق قلب الأب قبل أن يستجيب قلب الزوج ويمد يده

قابضاً على كف بكريه بقوة..

وتصرخ الروح بهلعة..

"نورت بيت أبوك يا ياسين.."

ولكن يأبى اللسان لفظها...

نظرات أمنة الممتنة تحيط بحافظ الذي يتمم بخفوت:

- جهزوا الغدا على ما أصلي العصر..

ويتجه بخطوات متثاقلة جديدة على عنفوان رجولته متعذراً

بصلاة العصر ليسجد شاكراً رحمة ربه.. وحامداً فضله..

بعودة الغائب...

راقب ياسين ابتعاد والده بصمت وقد عاد لوجهه قناع

القسوة والجمود من جديد ليفاجئ بمن يقفز إلى جواره هاتفاً:

- أنا بقى ياسر.. أنت تعرفني؟..

ابتسم ياسين بشجن:

- أيوه.. أعرفك.. وأعرفك كويس كمان..

انزوت آمنة بأحد الأركان تلملم بقاياها التي تناثرت بين
 أحضان صغيرها وتركت لياسر مهمة الثرثرة مع ياسين معرفاً
 إياه بأبناء رقية وحاتم، ثم صارخاً ببلسم وسعاد اللاتين وقفتا
 بباب غرفتهما تتأملا الموقف بانشدها تام..

حرك ياسين نظراته إلى حيث أشار لياسر لتقابله عيون بنية
 ناعمة تصاحبها بسمة مترددة..

ودموع حبيسة لم يعرف إذا كانت خوفاً منه أو عليه..

مد يده برقة يستدعيها كما اعتاد أثناء طفولتها، ولكن نظرة
 الإستغائة التي وجهتها لوالدته دفعته لسحب يده ببطء
 ليعيدها بجواره، فمدلته الصغيرة ببساطة.. تخشاه..

امتدت أنامله لتعبث بأذنه المقطوعة بحركة لا إرادية عندما
 دوى صوت الشقية الأخرى:

- أنت ما عرفتنيش ولا إيه يا ياسو.. ده أنا حتى في شبه من

بلسم!

ابتسم ياسين بتوتر وهو يراقب دمعة صغيرة تساقطت على
وجنة بلسم بينما قفزت سعاد لترحب به وهي تردد بعبث:

- شوفت بقى أنا اللي فاكراك إزاي.. خسارة تربيتك فيها يا
بني.. كان المفروض تسميني أنا بلسم..

شهقت آمنة تؤنب سعاد بلطف:

- بس يا سعاد عيب الكلام ده.. وبعدين أنتِ اسمك على اسم

الحاجة جدتك.. الله يرحمها..

رفعت سعاد يديها للسماء:

- ويبش بش الطوبة اللي تحت راسي!..

ابتسم ياسين براحة.. فمشاغبات شقيقته الشقية بددت جو

التوتر الذي أحاط بالجميع..

وعاد ياسين يرمق بلسم بحنان هامساً:

- ما تخافيش.. أنا مش زعلان أنك نسيتيني.. أنتِ كنتِ صغيرة

قوي لما.. لما أنا..

قاطعته بصوت متهم:

- اتسجنت.

هتفت آمنة تزجرها بعنف:

- بلسم!!..

فالتفت ياسين لأمه يخبرها ببساطة:

- بلسم عندها حق يا حاجة.. هنزوق الواقع ولا نبذل

الحقايق؟!..

والتفت لبلسم بهدوء:

- أيوه لما اتسجنت..

وكان كلمته نزلت عليهم لتقروا قعاً حاولوا الهرب منه
بصعوبة، فأسرعت آمنة بتغيير وجهة الحديث هاتفة بلهفة:

-الغدا جاهزيا ياسين.. أنا عملت لك كل الأصناف اللي

بتحبها..

ابتسم لها شاكرأ:

- تسلم ايديك يا حاجة..

جلس الجميع حول مائدة الطعام المزدحمة بالأصناف
المختلفة.. وانتظروا جميعاً حتى أتى الحاج حافظ ليجلس على
رأس المائدة..

يخيم على المائدة صمت متوتر.. يتبادلون النظرات
والهمسات.. لا يعرف إذا كانت تهديدات راحة أم قلق..

وعيناه تراقب الجميع تارة وتتحرك لتتأمل الطعام الدسم تارة
أخرى..

تكاد بسمة ساخرة تنطلق من بين شفثيه متمتماً..

"أكل يكفي العنبر كله يا حاجة" ..

وتسافر عينيه لتراقب مدللته.. طفلته الصغيرة التي لم تبادله

أي حديث حتى الآن.. فقط كلمة توازي اتهاماً.. أعقبها صمت

قاتم كلون ثياب سجنه..

والده يختطف بضع نظرات خفية وكأنه يتأكد أن الجالس

على مائدته يتناول من طعامه هو ابنه بالفعل..

رقية وزوجها يتناولان طعامهما بألية مزعجة..

وسعاد فقدت مرحها وأحنت رأسها لا تفارق عيناها طبقها..

بينما ماجد غائب بدون تبرير..

والحاجة آمنة تجمع كل أصناف الطعام أمامه تتوسله أن

يتذوق..

وهو.. هو يرمقهم جميعاً بشعور غامض..

يكاد يترك جمعهم هارباً لسجنه.. لحياته الأمانة كما اعتادها
لسنوات.. لضجة زملاء السجن والتي رغم صخبها إلا أنها أكثر
راحة من تلك الجلسة المتوترة والكل يراقبه بتوجس وتحفز..
وكأنه سينقض على الطعام ليغرز به أنيابه، أو لعلهم يخشون
أن يغرزها بصدورهم..

لتتردد همسة ساخرة بين جنباته..

"أو عيونهم!.. ألم يطلق عليه زملاء السجن ياسين الأعور!"..

انتظر عدة دقائق أخرى ليستأذن تاركاً الجلسة المتوترة،
ويبتعد نحو حجرته القديمة متعذراً بحاجته للراحة مانحاً لهم
فسحة لإلتقاط الأنفاس وتناول الطعام بهدوء بعيداً عنه
وجوده المقلق لراحتهم..

تتابعه عينيّ آمنة بلوعة، تتعلق به وكأنها تخشى أن يختفي
ثانية..

ودمعة ألم وحسرة تدمي قلبها..

فالعائد الغائب لم يتناول إلا العيش الجاف.. وبعض الملح.

ويدخل ياسين لحجرته القديمة، لا يتأمل منها شيئاً، بل حتى

أنه لم يشعل إضاءتها.. فقط أوصد الباب خلفه وأغلق

النافذة.. ليعم الظلام الغرفة وينزوي هو بأحد أركانها ضاماً

ركبتيه إلى صدره وهابطاً برأسه لترتكز جبهته على ركبتيه..

ليحرر أخيراً دمعة وحيدة خارج سجن مقلتيه..

وبالخارج صوت المطرب يردد بأسى...

"لا ليا اسم ولا عنوان وفي تراب البشر مدعوك

أنا المنسي أنا الصعلوك.. أنا المنسي أنا الصعلوك

وقولوا زي ما تقولوا لا يمكن يوم هكون قاسي

وهعيش العمرزي ما يكون

أنت المنسي أنت الصعلوك"

انتهى الفصل

الفصل الثاني

تمتدداً على الأريكة الضيقة بمكتبه بمشفى الدكتور

"ظاهربرهام"

محاولاً إراحة جسده بعد قضاء أكثر من أربعة ساعات بغرفة العمليات.. سبقتها نوبتجية ليلية بالمشفى الجامعي الذي عُين به، بل للحقيقة أسبوع كامل من النوبتجيات المتوالية سواء هنا بالمشفى الخاص أم هناك بالآخر الحكومي، أسبوع كامل يقضي ساعاته في العمل وراحته بالدراسة.. والهرب!..

نعم.. يهرب من لقاء ثقيل على نفسه.. من مواجهة يرغب بشدة في تجنبها.. ومن أجواء متوترة وحزينة هو في غنى عن معايشتها؛ بكاء أمه، وقسوة أبيه المفتعلة، سخافات سعاد، سذاجة ياسر واكتئاب بلسم.. وأخوة ياسين...

حرك ذراعه فوق عينيه يحميها من الضوء.. يحتاج للراحة حتى ولو لنصف ساعة يشحن بها قواه حتى يمكنه العودة

لدوامه عمله، بل وإثبات جدارته لوالده.. عله يقتنع بقدرته

على النجاح..

والأصعب أن يثبت تلك الجدارة للدكتور طاهر..

جدارة تؤهله لنيل منصب إداري بالمشفى كخطوة أولى لتولي

إداراتها..

ارتباطه الوشيك ب"ليا".. الابنة الوحيدة للدكتور طاهر غير

كافي لضمان تحقيق طموحه، هو يحتاج لسيطرة كاملة..

تحكم كامل بكل شيء..

"ليا".. ردد اسمها بعبث.. لم تكن فقط تذكركه الراححة للقمه،

بل هي حلم يتمناه أي ذكر ذو دماء حارة؛ بداية من خصلاتها

الشقراء الطويلة ومروراً بعينين بلون سماء يناير الغائمة

وجسد تنافس به عارضات الأزياء، وصولاً إلى أكثر ممتلكاتها

إغراء وهي جنسيتها الأمريكية، فوالدتها وزوجة الدكتور طاهر

هي امرأة أمريكية إلتقاها ووقع بحبها أثناء إعداده للرسالة

الدكتورة بأرض الأحلام ليتزوجا وينجبا ابنتهما الوحيدة..
 "ليان" أو "ليا" كما تفضل هي أن يدعوها..

وانتهى دكتور طاهر من دراسته وأراد العودة لبلاده ولكن
 كارلا؛ زوجته رفضت ترك بلادها.. ولم يستطع طاهر اجبارها..
 فكان الاتفاق أن يتنقل هو بين البلدين على مدار العام..

وكان شرطه الأوحده أن يصطحب طفله بالأشهر التي يقضيها
 ببلده.. فنشأت ليا تجمع بين أفكار الغرب المتحررة.. والشرق
 بكل سحره وبراءته..

تلك البراءة التي كانت سبباً رئيسياً لموافقة الحاجة آمنة على
 زواجه من شقراء أمريكية، بل وساعدت بإقناع والده..
 وتحدد ميعاد إعلان الخطبة بالفعل.. ولكن عودة ياسين
 تسببت بتأجيل كل شيء..

ولم يكن ذلك لاعتراض دكتور طاهر أو "ليا" على كون شقيقه
 الأكبر سجين سابق.. فقد صارحهما في البداية بكل شيء

لإدراكه أن صلة القربى بين والده ووالد "ليا" تجعل من
السهل كشف الأمر..

ففضل أن يكون هو البادئ بالتصريح.. وكما ظن تماماً..
العقلية المتفتحة للدكتور طاهر تقبلت صراحته بإعجاب..
بينما كان الأمر أكبر عند "ليا".. فهي رغم نشأتها الأمريكية إلا
أنها تتفهم عقلية المجتمع الشرقي بوعي شامل فقابلت
مصارحة ماجد بإنهار جلي ساعده بشدة في النفوذ إلى
أعماقها والتأثير على مشاعرها..

من كان يظن أن يكون سجن ياسين هو المفتاح الذي
استخدمه ماجد، بل وأجاد استخدامه لفتح أبواب الحب
والعمل معاً!..

بسمة ساخرة ارتسمت على شفثيه مع وصول رائحة عطر
نسائي مثير لحواسه، نهته على الفور لوصول "ليا"..

وكأنه استدعاها من مخيلته.. فشعر بأناملها العطرة تتسلل

تحت ذراعه لتغطي عينيه هامسة:

- أنت نايم؟!..

ليغمغم:

- أممممم..

شعر بأناملها تضغط قليلاً على جبهته وعينيه ثم تبدأ بالتحرك

في دوائر ضيقة:

- ماجد.. حبيبي.. أنت مرهق قوي كده!

كرر غمغمته المهمة مستمتعاً بحركة أناملها:

- اممممممم..

همست بجوار أذنه:

- أنت خلصت شغلك ولا لسه؟..

رد بإجهاد:

- لسه شوية..

برمت شفتيها بغضب وتحركت لتجاوره على الأريكة هاتفة:

- أنا مش عارفة أشوفك من أسبوع.. وحتى الفون.. كلمتين

على السريع..

اعتدل جالساً ومد يده ليقبض على وجنتها بعبث:

- حبيبي زعلان!..

أومات برأسها موافقة بدلال أنثوي أشعل حواسه فاقترب

يطبع قبلة عميقة على وجنتها هامساً:

- وإيه اللي يرضي لولو؟!!

اتسعت ابتسامتها وهي ترفع إليه عينان تبرقان بالحماس:

- هتيجي معايا نتغدى؟..

قفز من فوق الأريكة غير قادر على تحمل الإلتصاق بها أكثر،
 فهي قد تبدو للبعض شقراء أمريكية متحررة.. إلا أن أفكارها
 فيما يختص بالعلاقات الحميمة تعد شديدة التقليدية..
 ولكن هذا لا يمنع من أنها أكثر انفتاحاً أي فتاة ذات خلفية
 شرقية خالصة..

- وماله يا حبيبتى.. هخلص مرور ونطلع على أشيك مطعم..

قاطعته بقفزة لاهثة وهي تضع كفها على كتفيه:

- أنا كلمت ماما أمانة وعزمت نفسي على الغدا عندكوا..

أبعد يديها عن كتفيه يرمقها بتأمل.. ثم غمغم بضيق:

- على فكرة.. ياسين مش فقرة من السيرك.. أو شو

استعراضى مسلي..

ضربت قدمها بالأرض:

- ماجد.. أنا..

قاطعها:

- أنتِ عايزة تتفرجي على أخويا.. و..

قاطعته بغضب شديد دفع بعض الدموع لعينيها كعادتها

عندما تنفعل بشيء ما:

- you're mistaken...I just want to meet him...

تحولت للعربية بسرعة وهي ترى عدم التصديق على ملامحه:

- ماما آمنة كانت بتحكي عنه كثير قوي.. عندي فضول شديد

أشوفه..

زفر بغضب لتعاجله هي:

- He has already paid his debt..

وهزت كتفها برقة لتخبره:

- ما حدش من حقه يحاسبه تاني..

ابتسم ابتسامة مجاملة لم تصل لعينيه:

- يظهر أنك والحاجة آمنة بقيتوا أصحاب قوي..

عادت تتمسك بذراعه ثانية وهي تهتف بجذل طفولي:

- ماجد.. هنروح نتغدى معاهم صح.. ماما آمنة هتعملي

المحشي اللي بحبه..

ورمشت بأهدابها بتوسل مغوي وهي تمط شفيتها:

- please....

أطلق ضحكة عالية وهو يعود ليقبض على وجنتها بشقاوة:

- قلت لي.. الحكاية بقى في المحشي..

ظلت تتوسله بعيونها حتى رضخ أخيراً.. داعب وجنتها برقعة:

- هخلص مروروبعدنا نروح.. أنتِ انتظريني في أوضة الدكتور

طاهر..

أومأت موافقة وهو تحرك ليخرج من الغرفة وبأعماقه يردد
"هذا أفضل" ..

فاللقاء لابد من وقوعه بأي حال .. ولا مفر من المحتوم ..
ووجود "ليا" قد يكون ورقة الحرارة التي تمتص الانفعال
الأولي ..

يومان مرا.. يومان وهو خارج محبسه ..

عفواً.. خارج محبسه الرسمي ولكنه ما زال داخل حبسه
الافتراضي .. منعزلاً عن الجميع بغرفته، يخرج منها لدقائق
بسيطة.. لتقابلة توليفة متضادة من المشاعر ما بين اشتياق
وحنين إلى تساؤل مهتم ومتهم ..

وأخرى حازمة تطالبه بالتوقف عن رثاء النفس والتحرك
قدماً ..

وهو عاجز.. عاجز تماماً عن التعامل مع أيأ منهم..

وكأنه لم يعرفهم يوماً.. يسمع أحاديثهم فيشعر أنه دخيل،
يحاولون جره لمشاركتهم وموافاته بكل اخبارهم فيشعر ببرودة
الغربة تسيطر على أعماقه.. وبصقيع يجمد نبضاته..

فهم مضوا قدماً.. عاشوا حياة كاملة بدونه.. كيف يمكنه أن
يحشر نفسه بها الآن؟.. كيف يتطفل عليهم ويحملهم عبأ
وجوده؟..

قضبان الغربة الباردة تطبق على أنفاسه كلما حاول الاندماج
معهم أو مجاراتهم ببعض كلمات بسيطة..

تضيع منه أنفاسه ويجاهد لإلتقاط بضعة ذرات من
الأكسجين تعينه على الحياة.. فلا يجد أمامه سوى المزيد من
الابتعاد.. فيرحل لغرفته مغلقاً الباب بينه وبين الجميع..
يعود إلى تقوقعه، إلى تشبثه بصندوق نفائس أمنة..

ينغمس به وكأنه يغمره بروح ياسين القديمة..

يساعده على التوغل بأعمق أعماقه باحثاً عن ذاتٍ مفقودة..

عن ياسين التي تشتاقه عيون آمنة وتناجيه نظرات بلسم

عندما تشرد للحظات متناسية نفورها منه..

عن رجل تمزقت أغلفة روحه واحداً تلو الآخر حتى كُشِف

الستار عن اهترائها وضعفها فكان لا بد من وضع أقنعة

القسوة والشراسة.. والحماية..

نعم.. أقنعة الحماية.. فقد علمته الأيام ألا يكشف عن وجهه

لخطوب الزمان وإلا سيفقد ماء ذلك الوجه...

طرقات متتالية على باب غرفته دفعته دفعاً لترك صندوقه

والتحرك لفتح باب الغرفة وابتسم بمجاملة للقادم الذي لم

يكن سوى حاتم ابن عمه:

- ازيك يا حاتم.. افضل..

رفع حاتم حاجبه:

- ازيك واتفضل!!.. إيه رأيك أنت اللي تتفضل تخرج من

الأوضة اللي حابسلي نفسك فيها دي..

تحرك ياسين ليجلس على طرف فراشه:

-عايز أقعد مع نفسي شوية..

جلس حاتم بجواره:

- وماله يا سيدي.. أنت ونفسك اقعدوا مع بعض براحتكوا..

بس مش طول اليوم يا ياسين.. الحاجة آمنة لها حق عليك..

أبوك..

التفت ياسين بعنف:

- هو اللي باعتك؟..

برقت نظرة غاضبة بين عيني حاتم:

- هو باعتني أيوه..

وقبل أن يتفوه ياسين بكلمة عاجله حاتم:

- بس مش زي ما أنت فاهم..

ثم مد يده بجيبه ليخرج جهاز هاتف حديث وجديد وقدمه

لياسين:

- اتفضل يا سيدي.. عمي نبه عليّ أنه يكون أحدث موديل في

السوق.

أمسك ياسين الهاتف بين يديه وهمس:

- موبايل!

قطب حاتم حاجبيه:

- مش عاجبك ولا إيه؟..

وضعه ياسين بخفة على المكتب بجوار صندوق نفائس آمنة
وشرد يتأملهما للحظات قبل أن يلتفت لحاتم:

- بلغه جزيل شكري..

وضع حاتم يده على كتفه:

- طيب إيه رأيك لو تبلغه أنت..

رفع ياسين حاجبه:

- هو اختار لغة الرسائل تكون وسيلة الحوار بيننا.. ومش من
دلوقت.. من أكثر من عشر سنين.. وأنت فاهم كويس يا حاتم
وأنا كمان مش غبي.. إيه هي الرسالة اللي بعثها معاك المرة
دي؟.. عايزني أمشي ولا....

قاطعه حاتم بسرعة:

- بس بس.. تمشي إيه!!.. إيه الكلام الفارغ ده!!..

رمقه ياسين بنظرة متسائلة فأكمل حاتم كلماته:

- مش ناوي تنزل محلات العطارة؟..

اتكأ ياسين على مكتبه بوهن:

- وده مسموح به؟!..

قطب حاتم متسائلاً:

- مش فاهم!.. قصدك إيه؟!!

التفت ياسين ليكتف ذراعيه وأجاب ساخراً:

- أقصد عمي وجوز عمتي.. هيسمحوا بكده؟!.. هيوافقوا

على دخولي المحلات؟..

هز حاتم رأسه متعجباً:

- وهيرفضوا ليه؟.. أنت متربي وسط أشولة العطارة.. أنت أكثر

واحد بعد عمي حافظ اللي بي فهم فيها كويس.. غير خبرتك في

الحسابات و..

قاطعه ياسين:

- فاروق ابن عمك هادية أكيد دلوقتِ بقى أشطرمني.. أنا
سمعت أنه هو اللي مسك المحلات من بعد.. من بعد ما دخلت
السجن..

ربت حاتم على كتفه ناصحاً:

- ياسين.. بلاش حساسية زائدة.. المحلات في النهاية هترجع
ليك أنت.. أنت الوحيد..

قاطعه ياسين ساخراً:

- اللي لا شغلة ولا شهادة ولا مستقبل..

هز حاتم رأسه بعجز:

- طبعاً ما اقصدش ده.. أنا قصدي أنت خبرتك أكبر من
فاروق و..

قاطعه ياسين بعنف:

- بلاش سيرة المحلات دلوقتِ يا حاتم.. أما أبقى قادر أرجع

الشغل هنزل لوحدي..

حاول حاتم إثنائه عن رأيه إلا أن ياسين عاجله بسؤال سريع

مبدلاً الموضوع:

- جبت معاك مفاتيح المكنة؟..

عبث حاتم بجيوبه للحظات قبل أن يخرج سلسلة مفاتيح

صغيرة، اختطفها منه ياسين على عجل ولكن حاتم أخبره

بسرعة:

- الموتوسيكل محتاج شوية شغل يا ياسين.. أنا كنت ببعته

للصيانة باستمرار.. بس آخر سنتين..

أجابه ياسين وهو يربت على كتفه بمودة:

- أنت كتر خيرك قوي يا حاتم.. أنا هبص عليه كده.. غالباً

هيححتاج شغل بسيط.. هو فين صحيح؟..

أجابه حاتم بعجب:

- تحت في مدخل البيت.. أنت ما اخدتش بالك منه ولا إيه؟..

هز ياسين رأسه نافياً فقدمه لم تطئ باب المنزل منذ عودته،
وبالطبع يومها لم يكن ذهنه حاضراً ليتأكد من وجود دراجته
البخارية الأثيرة لديه بمكانها..

استأذن حاتم ليلحق بموعد عمله ولكن ياسين استوقفه ويده

تدير مقبض الباب:

- حاتم؟..

التفت له حاتم ليجد أنه أولاه ظهره ويديه تكورتا بقبضتين:

- هي.. هي..

سكت ولم يستطع إكمال كلماته.. ولكن حاتم لم يستوعب

شيئاً من الكلمات المتقطعة فتساءل:

- مين هي؟..

زفرياسين بعنف:

- سماح..

شهو حاتم بتعجب.. فياسين لم يسأل عنها ولا مرة واحدة
طوال السنوات الماضية.. لم يذكرها مطلقاً.. حتى ظن أن
المشاعر التي حملها ياسين لسماح لم تكن أكثر من افتتان عابر
أو اعجاب مبدئي..

تساءل حاتم:

- أول مرة تجيب سيرتها يا ياسين!

هز ياسين رأسه بعجز:

- وكان هيفيد بآيه أني أجيب سيرتها أو أفكر فيها.. مرار على

مرار.. وهجر فوق هجر..

زاد من قسوة قبضته وهو يهمس:

- هناك.. جوه.. مش لازم تفكر.. تشعر.. تحن وتشتاق.. أي لحظة ضعف تساوي غلطة.. والغلطة بفورة زي ما بيقلوا..
غمغم حاتم بألم.. فياسين لأول مرة يفصح عن بعض معاناته:

- ياسين..

عاجله ياسين بإقرار أكثر منه سؤال:

- اتجوزت..

أوما حاتم برأسه موافقاً:

- زهير طنطاوي..

توسعت عينا ياسين بذهول للحظات ثم سرعان ما تعالت
ضحكات ساخرة عالية..

تعالت وتعالت حتى احتقن وجهه وطفرت من عينيه الدموع
فهتف حاتم:

- دي واحدة ما تستحقش أنك تزعل عليها لحظة.. دي..

قاطعها ياسين وهو يحاول التغلب على ضحكاته مخبراً إياه

بقسوة:

- دي اتجوزت الأعور!..

اختنق بضحكة ساخرة مريرة:

- يبقى مين اللي لازم يزعل!..

عاد حاتم يهتف:

- ياسين..

التفت إليه ياسين:

- في إيه يا حاتم.. أكيد أنا ما توقعتش أنها تستناني اتناشر

سنة.. أنا مش عبيط للدرجة دي..

أكمل حاتم له ما يعرفه عن سماح:

- هي اتجوزت زهيرة وسافروا بعدها إيطاليا.. بيدير فرع لشركة
أبوه هناك..

أخذ ياسين يتلاعب بالسلسلة المفاتيح الصغيرة.. ويحاول
استدعاء ذكريات حب ظنه الأقوى.. ومشاعر آمن بقدمسيتهما..
ارتباط اعتقد أن وثيق.. ولكن كما قال لحاتم
"هو لم يكن بتلك الدرجة من الحمق"..

فسنوات السجن جعلته يدرك بسهولة هشاشة تلك المشاعر
الرومانسية.. واهتراء تلك العهود الخيالية...

عندما يكون همك الوحيد أن تمر ساعات اليوم وأنت ما زلت
على قيد الحياة.. فقط تتنفس.. ولا يهم إذا كنت تعاني مما هو
أبشع.. تكون كل أمانيك في نهاية النهار أن تتمكن فقط من
إغلاق عينيك بسلام..

تلك رفاهية لا يقدر البشر عظم أهميتها..

توالت مشاعره بسرعة على وجهه فتغيرت ملامحه تنبسط
 بشجن لتعود للإنقباض بقسوة وجمود..

مما دفع بشهقة خفيفة من حاتم جعلته يرفع عينيه عن
 المفاتيح لتواجهه نظرات حاتم المشفقة..

فقسست عيناه على الفور:

- يلا على شغلك أنت مش كنت بتستأذن من شوية.. أنا عايز
 أنزل لمزتي..

شهو حاتم بذهول.. ليكمل ياسين بغمزة:

- المكنة يا عم الدوك.. ولو أن مزة أرحم من مكنة..

ضربه حاتم على كتفه بشقاوة:

- وحشتني نكتك يا ياسين.. بقولك إيه رأيك أطنش

النبطشية ونخرج ندور لنا على مزتين حلوين..

اقترب منه ياسين مهدداً:

- وأنت إيه رأيك أطلع أقول لرقية على أفكار جوزها المحترم..

تصنع حاتم الخوف وهو يهمس:

- الفتنة أشد من القتل يا ياسو.. خلاص طالما فيها رقية..

يبقى هبعثلك مزة دليفيري.. وأدبسك فيها..

ربت ياسين على كتفه:

- هو أنتوا كمان بقى عندكوا المزز دليفيري!

- عصر التكنولوجيا يا صاحبي.. بكره أما تشغل الفون

الجديد هتدعي لي..

انطلقت ضحكاتهما معاً وهما يخرجان من غرفة ياسين ليجدا

آمنة متجمدة على أحد مقاعد مائدة الطعام.. وقد توقفت

عن كل حركة كانت تقوم بها..

لم يكن يتحرك بها إلا دموعها فقط وهي تتمتم:

- أحمدك يا رب.. ربنا يكرمك يا حاتم يا بني.. الحمد لله أني

سمعت ضحكك ثاني يا ياسين..

اقترب ياسين ليقبلها على جبهتها:

- ربنا يكرمك يا حاجة وما يحرمنيش من دعواتك.. أنا هنزل

أبص على المك...

قطع كلمته عندما صدرت ضحكة مكتومة من حاتم.. فتمالك

نفسه ليكمل:

- هنزل أصلح الموتوسيكل بتاعي واشوفه محتاج إيه..

ضربت أمانة على صدرها:

- تنزل للشحم والزيت بهدومك النضيفة يا ياسين.. أدخل غير

يا حبيبي..

استأذن حاتم مهرولاً فقد تأخر بالفعل على مناوبته.. بينما

ارتسمت على شفتي ياسين ابتسامة بلهاء.. لم يعرف من أين

أنت ولا كيف سمح بها.. فقط يشعر بإحساس لا يمكنه
وصفه..

بأن هناك من يعتني به.. وما أروع ذلك الشعور..

مرت بأناملها الطويلة على جسدها الممشوق.. عظام رقيقة،
خصر نحيل، وركيين منحوتين بفتنة، خصلات بنية بلون
عيونها وكأنها لوحة لفنان يبرز كيف للرقة والأنوثة قد توازي
معانٍ مختلفة من الجمال...

لفت خصلة بنية ناعمة حول إصبعها، وبيدها أخرى أمسكت
بهاتفها وعلى وجهها تتوالى العديد من الانفعالات بداية من
الشوق والدلال نهاية بسخط غاضب..

"أمير.. ميرو"

"مش بترد عليا ليه؟"

:(

"-_-زعلان"

"حبيبي والله ما اقدرش"

"لازم نتقابل"

"واتس وفيسبوك مش كفاية"

"تؤ"

"بابا يدبحني"

"بلبلتي.. حرام تعذبيني كده"

>:(

"بتحبني؟"

"ده سؤال!"

"قولها"

"بموت فيكي يا أحلى بليس"

<3 <3 <3 <3

"بحبك"

"مش مصدقك"

"اثبت لي"

"يا حبيبي والله ده أنا بحلم باليوم اللي نكون فيه سوا"

"وافقي نتكلم فون وأوعدك هنكون سوا"

3:)

"تؤ"

"زحلانة منك"

"حبيبي.. ما اقدرش على زعله يا ناسو"

"بس حبيبي لازم يثق فيا"

"تؤ"

"أنا بعترك صوري.. مش كفاية"

"صورك لابسة اتنين كيلو هدوم يا بلبتي"

"احنا بينا كده برضوه"

"زعلانة بجد"

"سلام"

أغلقت الهاتف وألقته على الفراش وهي تنهض منه بغضب..

أمير يزعجها بشدة تلك الأيام.. يلح على مقابلتها، وإن رفضت

يساومها على مكالمة هاتفية تدرك تماماً ماذا يريد من ورائها..

وهي لن تفعل ذلك.. لن تفعله مطلقاً.. يكفي صورها التي
ترسلها له ولكنه لا يكتفي.. كالبحر.. كلما منحته شيئاً ثار
طالباً المزيد..

وصلها هتاف أمها من بعيد يستدعيها لتعاونها بالمطبخ..
فتأففت بغیظ؛ سترى تلك الباربي الشقراء اليوم.. تبا.. هل
كان يجب على أمها دعوتها على الغذاء؟!..

تحركت لتساوي خصلاتها أمام المرأة.. وهي تتحسر على لونها
البنی.. قد تكون بنعومة الحرير ولكنها تظل بنية اللون.. فلا هي
امتلكت فتنة الشقار.. ولا غموض سواد الليل..

اقتربت من المرأة قليلاً للتأمل عيونها العسلية.. حسناً.. قد
تكون قوانين الوراثة لم تفدها بلون الشعر ولكنها قطعاً كانت
كریمة معها بلون عينيها العسلي المائل للأخضر..

برمت شفيتها بحنق وهي تتذكر لون عيني "ليا" الأزرق
الرمادي.. لتهتف بداخلها بحنق

"أصل اليوم ناقصه زيارتك يا ست "ليا" ..

ممدداً بجوار دراجاته البخارية يحاول تشحيم بعض التروس ..
 لعل ذلك المحرك يتوقف عن إصدار تلك الأصوات المزعجة ..
 لتسقط بقعة زيت على وجهه فيزيلها سريعاً بطرف التيـ
 شيرت الذي يرتديه، وبداخله يشكر والدته على نصيحته التي
 عمل بها وقتها ليس خوفاً على ملابسه ولكن فقط ليشكرها
 على ذلك الاحساس الرائع الذي تمنحه اياه بلا قصد وبلا
 مقابل؛ ارتدى على عجل تي شيرت قديم بلا أكمام يتمسك
 بعضلات صدره بقوة ومعه بنطال من خامة الجينز الثقيلة
 واصطحب خوذته القديمة رغم ما بدا عليها من اهتراء ...
 ولكنه كان يأمل أن تعمل الدراجة البخارية فينطلق بها
 مستشعراً بعض الإنطلاق ومبتعداً عن دعوة غريبة أخبرته بها
 أمه .. فهي دعت خطيبة شقيقة للغداء ..

أي شقيق!.. وأي خطيبة!!..

متى عقد ماجد خطبته؟.. ولم لم يخبره أحد؟!..

وما علاقته هو بتلك الدعوة المملة؟!..

لابد أنها إحدى زميلته الطبيبات وسينقضي الوقت بين

مناقشات طبية لا يفقه بها شيئاً..

أو حوار نسائي بين أمه وشقيقاته مع تلك الخطيبة المجهولة..

وعلى الأحسن الأحوال سيرغب ماجد بالانفراد بخطيبته بعيداً

عن العيون..

نهض بعنف مبتعداً قليلاً عن دراجته الأثيرة.. زافراً أنفاساً

غاضبة وهو يدرك أن وسيلة ابتعاده عن المكان تحتاج لمزيد

من العمل..

إذاً.. لا مفر أمامه.. سيضطر لتحمل تلك المقابلة.. والأصعب..

اللقاء والمواجهة..

مواجهة حاول ماجد التهرب منها ونجح بجدارة، حتى أنه أتى
بخطيبة مجهولة يختفي وراءها ويمتص صدمة اللقيا..

ولكن هو ياسين كالعادة.. يفقد الحظ عندما يحتاجه.. حتى
رفضه لمقابلة من تهرب من أخوته لثلاث أيام ولسنتين من
قبلها يُعد رفاهية غير متاحة له..

وعلى بعد عدة خطوات منه وقفت "ليا" تتأمله بانهماركلي..
وكان ماجد قد أنزلها أمام المنزل وذهب ليصف سيارته بعدما
طلب منها أن تسبقه إلى مدخل البيت..

فترجلت من سيارته ودلفت إلى مدخل المنزل وليتها ما فعلت..
فعلى بعد خطوات منها كان يقف فارس أحلام مراهقتها بلا أي
مبالغة..

جسد رياضي ممشوق بعضلات منحوته ومغطاه بتي شيرت
يكاد يختفي لونه خلف بقع الزيت والشحم المنتشرة به..
قامته.. يا الهي.. وهي ظنت مرة أن ماجد طويل القامة!..

ماذا تصف ذلك الرجل؟.. عملاق!!..

وجه تعلوه علامات الخطر والشراسة.. ولا خلاف بالطبع عن
آثار الجروح المختلفة..

لاحظت أذنه المقطوعة.. ولكنها لم تهتم.. فقط تريد أن ترى
عينيه..

هيا.. هيا إيهما الشرس لتلتفت.. فقط إلتفاتة واحدة..

ظلت تتأمله بإنشدها للحظات لم يشعر هو بوجودها فقط
كان يحاول جاهداً معالجة أمر تلك الدراجة بلا فائدة لينتابه
القنوط والغضب ويمد يده ليجذب التي شيرت بعنف محاولاً
التخلص منه، عندها فقط ندت شهقة مبهورة من بين شفثيها
جعلته يتوقف على الفور، ليرفع رأسه نحوها يواجه تلك
الشقراء التي هبطت عليه من إحدى مجلات الموضة الحديثة،
الحديثة جداً في الواقع.. فهي كانت ترتدي ما يشبه كنزة
رمادية ملتصقة بها بحميمية مهلكة.. وأسفلها حذاء أبيض

اللون ذورقبة طويلة... وقبعة صوفية جمعت تحتها بعض
خصلاتها الشقراء... وفقط..

مرت عيناه عليها صعوداً وهبوطاً.. عدة مرات.. وكل مرة تتمهل
عيناه على أحد مفاتيها للحظات فتدفع الدم لوجنتها حتى كاد
أن ينفجر وجهها احمراراً وافتتاناً بطريقته في تفحصها، فرغم
وقاحته الفظة إلا أنها شعرت بأنوثتها طاغية تكتسحه.. بل
تجتاحه..

أخيراً تلاقت نظراتها الغائمة بسحب يناير بنظراته الرمادية
التي ت برق بوقاحة لم يظهرها أبداً..

وقبل أن يتفوه بكلمة سمعها تهتف بحالمية:

- you have a very pretty eyes!!

رفع حاجبيه بدهشة أمام تلك المبادرة الغير متوقعة من فتاة
مثلها.. لم يتوقف ليفكر لحظة من هي.. فبال تأكيد هي لا تمت
لهم بصلة قربي..

مر بذهنه خاطر نجاه على الفور.. كلا.. لا يمكن..

اقترب منها وهو يرشقها بنظراته الوقحة مغمماً بعث فاسق:

"يخرب بيتك يا حاتم أنت بعث مزة دليفيري بجد!!"

رمشت بأهدابها بخجل بينما ازداد احمرار وجنتها:

- مزة!..

شقق بقوة وقد انتابه للحظات خجل ياسين الشاب الغر:

- أنت بتعرفي عربي؟..

ضحكت بخجل وهي تهتف:

- أيوه طبعاً بعرف.. أنت أكيد ياسين.. صح؟..

وقبل أن يجيبها انطلقت كلماتها بسرعة:

- أنا بسمع عنك كثير.. من زمان قوي نفسي أشوفك..

قاطعها ياسين متعجباً:

- افندم..

لتعود هي للكلام بسرعة شديدة ووجنتها تحترقان خجلاً:

- أنا كنت محتاجة في المشروع الأخير بتاعي موضوع وااااو..

إيه رأيك تبقى الموضوع ده؟!..

لم تدعه يجيها وهي ترفع القبعة الصوفية من فوق خصلاتها

فتتناثر بفتنة حول وجهها المحمر وتعاود الحديث:

- أنت ازاي لابس خفيف كده!..

تتلمس عضلات ذراعه بتعجب:

- مش بردان!.. معقولة!

حاول تحريك شفتاه ليتحدث ليجدها تعاود سؤاله وهي تطير

بخيالها لتتخيل فرشتها تخط ملامحه الشرسة وتفاصيله

المثيرة على إحدى لوحاتها:

- إيه رأيك تبقى مشروعى الأخير.. أن

قاطعها تلك المرة صارخاً:

- اسكتي شوية.. إيه ده!!.. حنفيه كلام من غير جلدة..

برقت عينها بذهول لعنفه الموجه نحوها بلا داعٍ كما تعتقد

وحاولت الكلام لتجده يصرخ بها مرة ثانية:

- بس.. ولا كلمة..

عاودت محاولتها للكلام فهي لم تعدت أبداً أن يسكتها أحدهم..

فامتدت أنامله ذات بقع الشحم لتمسك بشفتيها الناعمتين

وتغلقهما بقوة وهو يصيح أمراً:

- هوووووش.. أنتِ تهوووووشي خالص.. هسأل وتجاوبي..

فاهمة..

أومات برأسها عاجزة عن تحريك شفتيها.. فسألها بغضب:

- أنتِ مين بالظبط؟..

وقبل أن يكمل أسئلته وصله هتاف غاضب:

- ابعد ايديك عنها يا ياسين.. أنت اتجننت ولا السجن نساك
الأخلاق والذوق!

التفت ياسين ببطء ليوواجه نظرات شقيقه الغاضبة..
وهو يعاود صراخه بينما يتقدم نحوه والغضب يحركه:
- بقولك ابعد عنها..

تركت أنامل ياسين شفيتها ببطء.. وهو يبتعد متراجعا للخلف
وباسطاً يديه أمامه باستسلام ساخر وهاتفاً بشقيقه:
- ومين بقى الهانم!

هتف ماجد بفخر:
- ليان طاهر برهام.. خطيبي..

قاطعته "ليا" بمودة وشغف:

- you can call me Leia!

التفت نحوها ماجد بغضب فسارعت لتهتف به:

- ماجد حبيبي.. أنت ما سلمتس على ياسين!

كتف ياسين ذراعيه يتأمل أخاه بسخرية..

لقد مرت السنوات بالفعل ونضج ماجد؛ هل ازداد عرض

كتفيه!.. كلا.. بالتأكيد هي ملامح النضوج التي ترسم على

وجهه الوسيم، أو ربما أصبح أطول قامة أم هو فقط شديد

الثقة بنفسه!..

ولم لا.. لقد أصبح لديه مهنة ناجحة ومستقبل مشرق..

وامرأة يغار عليها..

امرأة فاتنة للغاية.. امرأة رأى بعينها منذ لحظات افتتاحها به

هو..

اتسعت ابتسامته الساخرة وهو يرمق ماجد بنظرة ذات مغزى:

- أكيد ماجد قلقان لاحسن أوسخه..

وتحرك مبتعداً وهو يحيي ليا:

- فرصة سعيدة..

ليكمل لها بهمس لم يلحظه ماجد:

- يا مزة!

انتهى الفصل

الفصل الثالث

بين رسالة والده العملية ورسائل أمنة المعبقة برائحة ماضي
يحاول جاهداً التشبث بأذياله، الغرق بين طيات ذكرى لشاب
كان يرى الحياة بابتسامة حانية من أمه ونظرة فخورة من
أبيه..

يا الله!.. كم يحن لتلك الحياة.. كم يفتقدها.. يشتاق ذاته
القديمة.. ياسين في نسخته الشابة الباسمة، وليس ذاك الذي
يحمل وجه يشبهه وقلب كهل مثقل بهموم بلا آخر...
تلاعب بجهازهاتف حديث بين أنامل يد بينما تغوص الأخرى
بصندوق نفائس أمنة.. وهو ممد بفراس ضاق به..
ويخفي عينيه بوسادة ضخمة رقدت فوق وجهه تمنحه
إحساس زائف بالانفصال عما يحيط به.. وبعقله تدور
دوامات تتشابك وتتلاحم لتتحد عند نقطة واحدة..
"الخطوة القادمة"!!

هل يُسْقِطُ اثنا عشر عاماً من ذاكرته ليكمل حياته من حيث
توقفت قبل سجنه!..

كيف يمكنه؟.. ولم؟.. حتى يرضيهم!..

لم يبدو ذلك غاية لا تدرك.. لم يشعر أن الأسهل اغفال ما
قبل السجن.. ومحاولة التأقلم مع نسخته الجديدة من
ياسين!..

لم لا يفكرون جميعاً مثلها!!..

"إيه اللي يمنعك تعيش حياتك!.. أنت غلطت ودفعت تمن
غلطتك!.."

كانت تلك جملة الفاتنة الشقراء على مائدة غذاء آمنة، وكان
الرد الطبيعي والمتوقع منهم جميعاً مجموعة من الهمهمات
الخافتة والمختلطة والتي لا تعني شيئاً غالباً، ومنه هو كان
نظرة متفاجئة أخفاها سريعاً ليستبدلها برفعة حاجب ساخرة
أتقن اصطناعها لتتحول إلى عجب حقيقي مما يراه من تلك

الحمقاء ذات العيون الخادعة؛ فلا هي حملت غيوم ينايرو ولا
استوطنتها إشراقة يوليو.. فقط تنتقل بين الاثنين تاركة
خلفها سؤالاً أحرق.. هل فُتِنَ بالغيوم أم أراد الاستحواذ على
الإشراقة!..

فنظراتها تتابعه بإفتتان ساذج ترسمه ملامحها ببراعة حتى
يكاد يلمح الفراشات الزرقاء والقلوب الوردية تحلق فوق
رأسها..

سألته بصوتها الناعم:

- ما قولتش إيه رأيك يا ياسين؟..

قطب حاجبيه بدهشة:

- رأيي بخصوص إيه؟

همست بخجل بدا غريباً على طبعها المقتحم:

-عايزة أرسمك.. إيه رأيك تبقى موديل للمشروع بتاعي؟..

لاحظ ياسين أنها تتجنب استخدام أي كلمات بالإنجليزية في حضور آمنة ولا ينكر أن تصرفها ذاك جعله يحترمها نوعاً ما.. ولكن ليس لدرجة أن يصبح دمية العرض خاصتها..

رفض عرضها بتهذيب:

- آسف مش هينفع..

- ليه؟..

أجابها بملل:

- أسباب تخصني..

ثم بادرها بسرعة:

- عايزة موضوع جديد ممكن ترسمي سعاد وبلسم.. توأم

وتقريباً ملامح واحدة.. ممكن تحاولي تبرزي اختلافهم..

صاحت سعاد بنزق:

- لا طبعاً.. أنا مش عايزاها ترسمني..

جاء دور ماجد الذي يتبنى الصمت منذ بداية الجلسة

ليتساءل بعجب:

- ليه يا سعاد؟..

أجابت سعاد بمكر:

- أسباب تخصني..

عادت ليا للتدخل:

- بس أنا عايزة أرسم ياسين.. ممكن تفكرتاني في الموضوع؟..

لمح ياسين نظرات الغضب تلتمع في عيني شقيقه ومثلها بعينيّ

بلسم بينما تراقصت ابتسامة فضولية على شفتي سعاد

وأخيراً حطت عيناه على منارته وبوصلة إحساسه ليرى ملامح

أمنة تنقبض بسؤال لا يعجبها إجابته، فما كان منه إلا أن

وضع ملعقته بهدوء واستأذن ليدخل صومعته..

مر عليه بداخلها الآن أكثر من ثلاث ساعات ابتعد فيهم عن
الجميع وخاصة تلك المجنونة الشقراء والتي لا يعلم كيف
قبلت بها آمنة كينة...

حسناً.. مهما تكن أسباب آمنة أو مشاعر ماجد المشوشة،

تظل الزوبعة الشقراء زوجة مستقبلية لشقيقه..

إذاً فهي خط أحمر.. ولا مجال للاقتراب.. فالعبث بسلك

شائك محاط بعشرات الكيلوات من المتفجرات وموصول

بخط كهرباء قد يكون مسموحاً به.. أما ليان طاهر برهام..

فهي تعد من نساء المنزل.. كرقية وبلسم وسعاد تماماً..

فلتحشر تلك الحقيقة بتلايف أفكارك يا ياسين.. وابتعد عن

جنون الحياة..

والأهم.. لا تفكر بمدى اللذة التي يمكن لإنتقام ماجن أن

يمنحها...

أخذ يعبث بهاتفه لفترة وصله خلالها صوت مغادرة الشقراء
وعودة ماجد بعد أن قام بإيصالها..

وتأهبت حواسه في انتظار زيارة متوقعة من شقيقه..

انتظر.. وانتظر.. وانتظر..

ولكن ماجد اتبع أسلوب التجاهل.. أو لنقل تجنب المواجهة..
تمتم بداخله وهو يستغرق بنوم متقطع..

"لسه زي ما أنت يا ماجد.. دائماً بتهرب من المواجهة.. أو بتدور
على اللي يواجهه بذلك"

طرقات خافتة على باب حجرته أخرجته من غفوته، فتحرك
ليفتح الباب ليجد أمامه شقيقه الأصغر ياسر..

ابتسم ياسين وهو يعبث بخصلات الصغير:

- تعالى يا ياسر.. أنت كنت فين على الغدا؟..

رفع الصغير عينيه بفخر وهو يخبره:

- كنت بصالح الموتوسيكل بتاعك..

اتسعت عينا ياسين قلقاً وتساءل:

- تصلحه ازاي؟..

ارتفعت نبرة الصغير وهو يعلمه بشيء من الغرور المستحق:

- أنا بحب شغل الميكانيكا والمحركات.. إن شاء الله ناوي على

هندسة طيران.. يعني الموتوسيكل بتاعك ده كلام فارغ بالنسبة

لي..

ارتسمت على شفتي ياسين ابتسامة.. قد تعد أولى ابتسامته

الحقيقية منذ زمن.. ذلك الصغير منحه إحساس لا يوصف

بالبهجة والفخر.. فهمس بدعوة خافتة..

"ربنا يحميك" ..

وعاد الصغير يتساءل بقليل من التردد:

- أنت مش ناوي تجربه؟.. أنا صلحته بجد وهو شغال تمام..

اقترب ياسين منه محاولاً استمداد بعضاً من تلك العفوية

البريئة التي تحيط بالصغير وهمس له:

- أنا متأكد أنه شغال.. كوباية شاي ثقيلة وبعدها ننزل نجربه

سوا..

عبث ياسر بشعره وهو يقول بتردد:

- بابا مش هيوافق..

قطب ياسين بتساؤل:

- مش هيوافق؟!..

بدا ياسر مرتبكاً.. ولم يعرف بم يفسر كلماته وأخيراً هتف

سريعاً بالكلمات وكأنه وجد حل للغز مستعصي:

- أيوه مش هيوافق اركب موتوسيكل..

أوماً ياسين برأسه وعاد يلتحف بقناعه الساخر، بل أنه تحول

لقناع جامد الملامح وهو يخبر شقيقه بهدوء:

- ولا يهمك.. أنا هبقى أجربه وأقولك النتيجة..

دخل للمطبخ محاولاً إعداد قدهاً من الشاي.. فهو بالفعل
يشعر بصداق قاتل وجاء كلام شقيقه حول رفض والده
اصطحابه له ليذر الملح بجرح لم يبدأ حتى بالإلتئام..

أخذ يعبث بلا جدوى بمحتويات المطبخ محاولاً إيجاد بعض
الشاي، ولكنه بدا كغريب تائه بأرض يجهل معالمها..

دوى صوت بلسم بحدة:

- بتعمل إيه؟..

التفت لها بعنف فلم يستسغ تلك النبرة الحادة والتي تحمل
بطياتها آثار لاتهام ما.. وأجاب بسخرية طفيفة:

- أكيد يعني مش سطو مسلح على السكر ولا الزيت!..

ارتفع الدم لوجنتيها بحرج وأخفضت نظراتها أرضاً ليبادرها
وهو يمد يده في جيبه ويسحب هاتفه الحديث ويسألها بحرج:

- ممكن أطلب منك طلب؟..

رفعت عينها بتساؤل في لحظة دخول سعاد إلى المطبخ لتصيح
هاتفه عندما لمحت الهاتف:

- يا قوة الله!!!.. جبت الأيفون ده مينين؟!!

زفر بغیظ:

- من الحاج حافظ.. هيكون مينين!!

همست بلسم:

- سعاد ما تقصدش..

بينما اختطفت سعاد الهاتف وأخذت تتفحصه وتعبث به

وبدت غائبة عن الحوار الدائر..

تهند ياسين وعاد يسأل بلسم:

- ممكن تعملي كوباية شاي؟

قطبت بلسم حاجبها وبدت وكأنها تفكر بالأمر.. ثم تحركت
لتجلب علبة الشاي ثم السكر وأشارت إلى سخان الماء:
- ده السكر والشاي.. وحط ميه في الغلاية وشغله وخلص
مش شغلانة..

أوماً برأسه مغمغماً بشكر حزين.. والتفت ليبدأ في إعداد
الشاي.. ليجد بلسم تدفعه بلطف بينما بدت همستها حانقة:
- خلاص.. أنا هعمله..

عاد همسه المتساءل يتردد:

- ممكن قهوة بدل الشاي؟..

أومات برأسها بحركة بطيئة بينما توجه هو ليجلس قبالة
سعاد التي انهمكت بالهاتف ورفعت رأسها بخفة لتشرح له
كيف يستخدم هاتفه الجديد بسهولة..

وضعت بلسم قده القهوة أمامه وبجانبه طبق يحتوي على

بعض قطع البسكويت:

- البسكويت ده حلو مع القهوة.. وكمان أنت ما أكلتش

كويس..

رفع عينيه إليه يتأمل نظراتها الحنونة والتي سرعان ما أخفتها

لتعود لحدثها هاتفة بسعاد:

- خلاص يا سعاد بقى.. رجعي له التليفون.. ولا هو هتبقى

عادة في البيت ده أن كل واحد يبص للي في أيد غيره!..

ظل يتأملها للحظات.. صغيرته المدللة.. لم يظن يوماً عندما

منحها اسمها بلسم؛ أنها قد تكون تريقاً لروحه المهزومة أو

جرحاً جديداً يضاف إلى جروحه..

لكنه رآها.. شعر بوجودها.. طفلة الصغيرة تواجدت للحظات

لتهتم به.. ثم عادت القشرة الصلبة للظهور ثانية..

هو يفهم الآن.. يدرك.. تلك القشرة القاسية مزيفة بقدر زيف
 ابتسامته الساخرة.. وخلف الاثنين وجع وجرح عميق وإن
 اختلفت الأسباب.. حتى بقشرتها القاسية تحاول لفت نظره
 لحقيقة أن "ليا" تخص ماجد.. وأنها لاحظت ما كان يجري
 على مائدة الغذاء..

كاد أن يهتف بها موضحاً أنه لا يهتم بخطيبة ماجد على
 الإطلاق.. عندما دلف هذا الأخير إلى المطبخ ليتوجه نحو ياسين
 هاتفاً بلهجة امرأة:

- ياسين.. ما توافقش على طلب ليا..

حرك ياسين عينيه نحوه سامحاً لقناع السخرية البارد بتلبس
 ملامحه وهامساً:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

كتف ماجد ذراعيه بهدوء وهو يواجه ياسين مخبراً إياه ببرود:

- ما تحاولش تستفزني يا ياسين.. لأن ده صعب أنه يحصل..
وأعتقد أنه أما أطلب أنك ما تكونش موديل رسم لخطيبي ده
شيء من حقي وما يستحقش أنك تقابله بالسخرية دي..

غمغم ياسين وهو يرتشف قهوته بتلذذ:

- بس أنت ما طلبتتش يا ماجد.. أنت كنت بتتكلم بصيغة
الأمر.. وبيتهيا لي احنا الاتنين عارفين أن الأسلوب ده مش
هيحقق أي نتيجة.. خصوصاً مع واحد ما عندوش اللي
يخسره.. ولا إيه!..

جلس ماجد بتهالك على مقعد مجاور لياسين هامساً يلهجة
أقرب للتوسل:

- ياسين.. ليا بنت طيبة.. ممكن تكون عفوية بزيادة.. أو
منفتحة شوية..

قاطعته سعاد بسخرية:

- شوية!!.. دي كانت فاتحها مبوسة.. أول مرة ماجد جابها

نتعرف بيها رقية جابتها من شعرها قبل ما تاخد حاتم

بالحضن..

صرخ بها ماجد:

- سعاد.. اسكتي.. أنتِ مش فاهمة حاجة..

تدخلت بلسم:

- ليا طيبة وعفوية فعلاً زي ما ماجد قال.. بتتكلم بدون ما

تفلتر أفكارها.. تلقائية بزيادة.. وتصرفاتها في بداية تعرفنا عليها

شيء متوقع.. هي عاشت فترة كبيرة في نيويورك.. حتى هنا في

مصر تعليمها واختلاطها كان كله غربي.. بس أما ماجد بيطلب

منها تعدل في سلوكها بتستجيب.. بس لازم تقتنع الأول..

زفرت سعاد بحنق:

- برافو سيادة محامي الدفاع..

أنهى ياسين قهوته والنقاش:

- من غير كلام كثير.. أنا فعلاً رفضت عرضها وده كان قدام
الجميع.. أظن أني عملت اللي عليّ.. عن إذنكوا..

تحرك ليخرج من المطبخ لتهتف به سعاد:

- بلاش تطلع الصالة!

غمغم بعجب:

- ليه؟!.. خير!..

رمق ماجد بلسم وهو يخبر ياسين:

- مرات عمي وعمتي قاعدين بره مع ماما.. وأنت عارف

عمتي..

غمغم ياسين بتحدي وهو يراقب باستغراب نظرات ماجد

الموجهة لبلسم:

- عمتك مالها!.. دي حتى ما قالتش حمد لله على سلامتكم..

صمت للحظة وهو يرمق شقيقه بنظرة غامضة:

- تصدق مش هي لوحدها اللي ما قالتش..

وتحرك ليخرج من المطبخ لتوقفه صرخة بلسم تلك المرة:

- بلاش يا ياسين..

اتسعت عيناه للحظة وتماوجت بمختلف المشاعر فهي لم

تدعوه باسمه منذ وصوله إلا تلك اللحظة!..

فغمغم متسائلاً بحيرة:

- أنا مش فاهم حاجة!..

نهضت سعاد وهي تضع هاتفه بيده وتخبره باختصار:

- أنت عارف أن فاروق ابن عمتي هادية هو اللي ماسك

المحلات تقريباً دلوقتٍ.. وتقريباً بابا كلم عمي و..

قاطعها بتقرير:

- وقالهم أني هنزل الشغل تاني، فعمتك جاية ومش عاجبها
عشان ابنها الحيلة..

قاطعها ماجد:

- فاروق ابن عمك متكلم على بلسم..

شهو ياسين بحدّة وهو يلتفت لبلسم التي أخفضت عينها
خجلاً.. بينما ياسين يتساءل بشجن:

"كل يوم خبر جديد.. كل واحد فيكوا له حياة وبيعيشها
فعلاً.."

رمق بلسم بتساؤل:

- أنتِ موافقة على فاروق ابن عمك؟..

وسط حمرة الخجل لمح إمارات تمردها على تدخله تطفو على
السطح فكرر سؤاله بنبرة متوسلة:

- عايز اطمئن يا بلسم..

عادت تخفض عينها خجلاً وهي تومئ برأسها وهامسة بصوت
حالم:

- فاروق راجل كويس وبابا موافق عليه..

كرر ياسين بعنف بدأ يخرج عن سيطرته الحديدية:

- أنا بسأل عن رأيك أنتِ.. عايزاه؟..

لمح ابتسامتها الخجول وهي تخفض رأسها أكثر وأكثر حتى
التصقت ذقنها بمقدمة صدرها لتهتف سعاد منهية الموقف:

- انطقي يا بنتي.. ولا أقولك خليك في كسوفك اللي يشل ده..

أنا هرد عنك..

والتفتت لياسين:

- هي موافقة.. وموافقة قوي كمان.. وياريت ما تبوظش لها

الدنيا..

اقترب ياسين من بلسم ليربت على رأسها بخفة وسرعة هامساً:

- مبروك يا بلسم..

والتفت لسعاد:

- عقبالك يا عفريته..

وخرج من المطبخ قبل أن يتمكنوا من إيقافه..

دخل إلى غرفة المعيشة ليجد عمته وزوجة عمه يتهاامسان مع والدته والتي بدا على وجهها الغضب والرفض لما تسمعه..

حياهما بصوت عالٍ:

- ازيك يا عمتي.. اخبارك إيه يا مرات عمي؟..

التفت النسوة الثلاثة نحوه بحدة وبدا على والدته القلق

بينما لم يهتم بالآخريتين:

- مالك يا حاجة؟.. خير..

أخذت عمته ترمقه بنظرات مبهمة وهي تتأمل ملامحه
وتباطئت نظراتها عند جروحه وخاصة أذنه المقطوعة لتهمس
بتشفٍ تقريباً:

- مالها أم ماجد!!.. ما هي زي الفل اهي..

تدخلت زوجة عمه لترحب به بارتباك:

- حمد لله على سلامتک يا ياسين.. معلىش اعذرنا بقى اتعودنا

نقول أم ماجد..

أجابها ياسين محاولاً عدم الإنزلاق لفخهما:

- وماله يا مرات عمي.. أنا وماجد واحد..

مصمصت عمته هادية شفيتها لتعلق على كلماته:

- واحد!.. واحد ازاي!!.. ماجد دكتور قد الدنيا ما شاء الله

عليه.. وأنت...

هزت رأسها وبرمت شفيتها بحسرة مصطنعة:

- يا حسرة قلبي عليك يا أخويا.. ابنك الكبير..

اقترب منها ياسين بغتة وبخفة شديدة لتجده يهمس بجوار
أذنها:

- رد سجون.. خودي بالك على نفسك بقى يا عمتي!..

شهقت هادية بهلع بينما توجه ياسين ليقبل يد أمينة هامساً:

- أنا هخرج أجرب المكنة.. مش هتأخر..

شهقت أمينة بهلع:

- لا.. لا ياسين.. ما تخرجش..

ربت على كتفها هامساً بكل هدوء استطاعه.. فالغضب
بصدره ترتفع موجاته بعنف وبات يخشى عدم قدرته على
احتوائه:

- ما تقلقيش يا حاجة.. ساعة وراجع..

هزت أمانة رأسها برفض ودموعها تتراكم على وجنتيها:

- ياسين.. هترجع؟. هترجع يا ياسين؟..

قبل رأسها:

- هرجع يا حاجة ما تقلقيش..

عادت تهمس وسط اختناقات دموعها:

- الليلة؟..

ابتسم بشجن هي وحدها تنجح في تحريك ذلك الصلد الصلب

الذي احتل موضع قلبه:

- الليلة هنتعشى سوا يا أمون..

تحرك بسرعة ليخرج من المنزل ويتوجه لدراجته البخارية

فيستقلها وينطلق بأقصى سرعة تستطيعها،

انطلق.. طار.. بل اختفى بين عواصف من الأتربة خلفها
ورائه.. وكأنه يريد مزج سنوات ألمه بتلك الرياح الهوجاء عليها
تذرو وجعه بين عواصفها.. انطلق وابتعد.. ابتعد عن كثافة
البشر.. عن جموع الألم وأوجاعه..

غاب بطريق مظلم أراد الاختباء به عن ضوء حقيقته التي
تصفعه بحدة..

"مجرم" ..

"رد سجون" ..

"سوابق" ..

لا يملك ماضي مشرف ولا يتطلع لمستقبل مشرق.. فقط
لحظة موجعة من حاضر قاتم.. لا يجد به لمحة بسيطة من
ضوء خافت..

استمر بانطلاقته يبتعد بلا هدف.. بلا أمل.. بلا طريق ثابت
حتى دخل بالدراجة عمق صحراء مقفرة قاحلة كحياته، كلا
بل كقلوبهم الصلدة.. قلوب حرّمت على نفسها الرحمة وأرواح
خلت من الحنان.. تعمق بصحرائه حتى ابتعد عن الجميع غير
مهتم بضواري الصحراء وأخطارها فهي أكثر رحمة، بل هي لا
تتنكر وراء وجوه وابتسامات كاذبة..

توقف ليصرخ.. ويصرخ.. ويصرخ.. لم يعرف متى بدأ ولا كم
استمر ولا حتى كيف توقف

هو فقط يرغب في الصراخ.. والبكاء.. عينيه تتمرد عليه..
ترفض منحه بضعة دمعات قليلة ترطب صحراء قلبه
الجافة..

ولكن حنجرته كانت أكثر كرمًا فلم تبخل عليه بصرخات
عالية حارقة، وبقدر حرقتها رطبت جوفه المشتعل بنيران
الحرمان والوحدة.. وحدة يستشعرها فقط وسط قلوب

عشقها مرة.. ولكنها تفننت بتعذيبه بسياط الاتهامات
والنكران...

سقط على ركبتيه لاهثاً وقد غرقت ملامحه بقطرات حارة من
عرق بارد ولم يعرف كيف ينبض جسده بلهيب محرق
وبداخله يرتعش برجفات باردة متتالية... تمدد فوق رمال
الصحراء الباردة..

مرغ جسده بين ذراتها.. عله يستمد من برودتها نذريسير
يطفىء به نيران أوجاعه..

تناول هاتفه ليتصل برقم وما أن جاءه الرد حتى أجاب
بسرعة:

- مادو؟.. أنا ياسين.. أيوه الأعور.. خرجت من كام يوم.. تقدر
تظبط لي حثة قرن.. أيوه.. قرن مش سوسته.. ماشي..

سكت للحظات يستمع للطرف الآخر:

-ماشي.. هعدي أخذها بكره بالليل.. سلام..

رقدت بجواره في فراشهما الزوجي تتأمل ملامحه الوسيمة؛
وسامته صاعقة.. عيون داكنة تظللها دائماً نظرة تنذر
بالخطر.. بشرة برونزية وخصلات سوداء تتمرد دائماً على أي
تصفيفة هادئة.. وكأنه خُلِق للتمرد؛ حاتم رجل يضح بالخطر..
وهذا ما أوقعها به منذ البداية..

لم تعرف نفسها يوم إلا وهي عاشقة لابن عمها.. بينما كان هو
هائماً وسط دراسته وعلاقاته المتعددة كانت هي تتعجل الأيام
لتصل بها إلى قلبه.. قلب لم تعلم أنها امتلكته إلا عندما بلغت
الثالثة عشر وراقبته يدخل في شجار عنيف مع شقيق لإحدى
صديقاتها، فقط لأن ذاك الصبي أخبرها أنها جميلة..

يومها بعد أن أوسع الفتى ضرباً سحياً خلفه إلى منزلها
وأصدر فرماناً حاتمياً بأنها إحدى ممتلكاته وعليها ألا تنسى
ذلك.. وهي لم تفعل.. ولكن يبدو أنه هو من فعل...

مررت أناملها على ملامحه الغارقة في سبات عميق بعدما
أنهكها بإحدى عواصفه الهائجة.. تلك التي يجيد فنونها ويتقن
سحياً إلى أحضانها مهما كانت درجة غضبها منه..

ودرجات غضبها أصبحت في تصاعد مستمر على مدى سنوات
زواجهما التي قاربت على العشر سنوات الآن..

فوسيمها الخطير لا يقتنع بدور الزوج المخلص ورب الأسرة
المسئول.. لكنه يجيد حد الاتقان دور العاشق الهائم.. بعشقتها
تحديداً.. وعشق سائر النساء إذا أردنا التعميم..

اعترف لها في بداية زواجهما بعلاقات عابرة.. وأقسم أنه
اكتفى عبثاً.. ولكن هيهات أن يهجر الوسيم الخطر عبثه..

وما هي إلا بضعة أشهر لتكتشف أولى خياناته.. وتثور.. وتصيح
وتهجر.. وتطلب الانفصال.. ويؤيدها الأب والعم.. والأم تبكي
حظ ابنتها العثر..

و... يأتي هو باكياً نادماً معلناً توبة ليس بعدها خطيئة..
يذكرها بحبه.. بكونها خاصته.. خلقت لأجله.. وهي تحن..
تذوب شوقاً وتمنح صك غفران..

ويتكرر المشهد بعبثية.. عبثية ترفع عنها أبوها.. ورفع عمها
يده.. فهي من فرطت من البداية.. وهي من أعلنت السماح..
إذاً فلتتذوق لذوعة الغفران..

وتواسي الأم؛ هو يعود لبيته.. لا يستبدلك بنساء الأرض..
فلترضي وتغفري.. حب النساء آفة وهو مبتلٌ بها.. وأنتِ لكِ
الأجر على احتمالك...

وتحتمل هي ليس طلباً للأجر ولكن خضوعاً لعشق.. عشق
 أحاط قلبها بسلاسل من نار وأسقط كرامتها بفخ إماء الهوى..
 تستمع لمفردات عشقه وهو يلقنها اياها بأنها هي الأصل..
 هي الزوجة والحبيبة.. أما الأخريات فهن محض عبث..
 وينتهي عبثه دائماً بعودة الطائر الشريد إلى عشه.. إلى
 أحضانها.. يحمل معه في كل مرة هدية مختلفة.. بدءاً من
 الورود وحتى الدمى المحشوة..

هدايا حمراء ووردية سخيصة كانت تلقي بهم بعيداً ولكن مع
 وجود الأولاد وادعائه أن تلك هدايا للصغار.. لم تتمكن من
 التخلص منهم.. ليبقوا دائماً أمام عينيها إحدى حقائق زواجها
 العبثي كزوجها العابث تماماً..

فلم تكن تلك الهدايا إلا ذكرى وداعية لكل مغامرة نسائية مر
 بها وقرر انهاءها مُدعياً لشريكته بالمغامرة عدم قدرته على

التخلي عن بيته وزوجته وأولاده.. حتى لو كان قلبه ثمناً
لاستقرارهم..

والغريب أن حمقاواته يصدقن ادعائه..

والأغرب تصديقهن لامتلاكه قلباً من البداية...

انتهى الفصل

الفصل الرابع

الحب.. كلمة يشكلها أقل عدد من حروف اللغة، لكنها تجمع
كل ما تعرفه البشرية من كلمات متعددة الأحرف والمعاني؛
سعادة، بؤس، انتماء، غيرة، حسد، نشوة، كراهية، حيرة،
جنون، غضب، ارتباك....

كلمات تشير لمشاعر أو مشاعر تعبر عنها كلمات..

لا فارق.. فأي منهم لم تتضمن الابتدال، الامتحان.. والتنازل..
 تنازل يلي الآخر حتى يتجرد الحب من رقيه وسمو معانيه..
 ولكنها لم تهتم.. لم تفكر في ماهية علاقتها ب أمير..
 هو أخبرها أنه معجب بالتزامها.. يحترم الحدود التي وضعتها
 بينهما..

وأخيراً يخبرها أنه يحبها.. يعشقها.. ويريد رؤيتها.. وهي ترفض
 بدلال.. ويبيدي هو تفهمه لمبادئها.. يخبرها أنها غالية، جوهرة
 ثمينة بالفعل.. ويختفي لأيام.. تكاد أن تجن بها..
 أين هو؟.. لم التجاهل؟.. هل زهدا لأنها رفضت ملاقاته؟..
 ولكنه أبدى تفهماً.. فيبكي قلبها الأحق نائحاً..
 "تفهم أعقبه اختفاء.. لقد أضعت حبيبك أيتها المتذاكية"..

ويبدأ التنازل.. رسائل توصل.. استجداء..
 ويظهر الفارس الورقي مخبراً إياها بكل تبجح..

"أنتِ جوهرة غالية يا بيبي.. وتستحقي حد أحسن مني" ..

وتصرخ هي بهلع..

"بس أنا عايزاك أنت.. أنت أحسن واحد في عينيه" ..

ويضرب الثعلب ضربته..

"حبيبتي الأولانية عايزة ترجع لي.. وبصراحة يا بلبتي هي كانت

مريحاني وما بترفضش ليّ طلب" ..

وتبكي هي وتنوح..

"أنا بحبك يا أمير.. صدقني بحبك أكثر منها" ..

وتتراقص ابتسامة الانتصار على شفثيه..

"أنا كمان بحبك يا بيبي.. وزى ما قلت لك بحترم حدودك

جداً.. وأنتِ مش عايزة تيجي لي الشقة.. رغم أن دي أكثر مكان

أمان ومش ممكن حد يشوفك أو يزعجك"

تصمت ولا تدري كيف تجيب الحيرة تغرقها.. جميع صديقاتها

يمتلكن أصدقاء، بل وعشاقاً أيضاً..

حتى شقيقتها هناك هو من مدله بحبها.. وهي ستضيع بغائها
فرصتها لتجربة الحب ودخول دنيا المشاعر.. وهنا يأتي دور
التنازل التالي فتتقافز أصابعها على لوحة المفاتيح تزف إليه
بشرى من وجد حلاً للغز الألغاز..

"ممكن نأجل موضوع الشقة دي.. بس أنا ممكن أبعث لك
صوري وكده تبقى شوفتني" ..

وتتسع ابتسامته المنتصرة وهو يرى صورها تتوالى واحدة بعد
الأخرى..

لقد أحرز نقطته الأولى في شباك برائتها.. وبدأ يخطط
للتالية.. فأغرقها بقواميس العشق والغرام والوله.. لتذوب هي
به وتتطاير أحلامها في سماوات بللورية ترتسم عليها أقواس
قزح.. ليعود الذئب بطلب جديد.. وطعم آخر.. فكيف له أن
يتأكد أنها هي صاحبة الصور..

وشيطانها يمنطق طلبه بعقلها فتسارع لتنازل جديد.. وتفتح
 له عدسة الكاميرا بحاسوبها المحمول.. والوغد يغرقها مرة
 أخرى بغزل يتحول تدريجياً من العفاف إلى انحدار خلقي
 سافر ومؤخراً غزلاً فاجراً فاسقاً.. وفجأة يعود لاختفائه..
 وتعود هي للجنون.. لقد تعودت على وجوده، كلماته، غزله..
 أدمنت عشقه..

هي تعيش من خلال بضع كلمات يتبادلانها على وسائل
 التواصل الاجتماعي..

ولم تهدأ ولن تستسلم.. تراسله.. مرة وأخرى ومائة.. لم تدع
 وسيلة للاتصال إلا وحاولت معها..

واتس أب.. فيسبوك.. تويتر.. ماسنجر.. وهو لا يجيب.. فقط
 تلك الكلمة الغبية...

“seen”

أو ما يوازها

ويخبرها بحروف واضحة أنه يتجاهلها عن عمد.. يعاقبها
وبقسوة وللأسف عقابه أتى بنتائج باهرة كما خطط تماماً..
فها هي ترضخ لطلبه الأخير وتخط حروف رسالتها بسرعة خوفاً
من تردها وتراجعها..

"موافقة.. ميعادنا الليلة وهفتح الكاميرا... وزي ما أنت
طلبت" ..

والحقير على الجانب الآخر يبتسم بغرور وهو يخبر باقي الأوغاد
من حوله.. أن الغزال سقط بالشرك..

والفتاة العصية الأبية ستخلع له ملابسها الليلة.. وتتعالى
ضحكات الشياطين..

وهي تتذكر وعده بأنه سيكون زوجها.. بأنه يحبها.. يعشقها..
وتقدم تنازلها المميت وتفتح حاسوبها المحمول وتجهز الكاميرا
به وترتجف أناملها.. ترتعد بل تكاد أن ترقص رقصة الموت

الأخيرة وهي تعبت بأزرار قميصها لتبعده عن جسدها المتعرق
بعرق بارد كالموت..

وتفتح الكاميرا وهي تترنج لتمنحه ما يريد.. تقدم نفسها منحة
وعطية غير مستحقة لشيطان يتقن فنون الغزل والكلمات...
لم تتحمل نظراته النهمة والمتفحصة إلا لثوانٍ معدودة ركضت
بعدها لفراشها تلتف بمفارشه بقوة وكأنها تريد اخفاء
جسدها العاري حتى عن ذرات الهواء بالغرفة..

وقديماً قالوا أن الحرة لا تأكل بشديها ولكن فاتهم إخبارها أنها
قد تزيل سترهما قرباناً لمشاعر تظنها هي حباً...

مضجعاً على أحد المقاعد وباسطاً قدميه أمامه على أخرويين
أصابعه يتلاعب بنصل المدينة بسأم..

رأسه ملقاة للخلف يتأمل الدخان الأزرق المتصاعد من حوله
وحاسة الشم لديه تخبره أن تلك الرائحة النفاذة سينتج عنها
مشاكل لا محالة...

شعر بمن يربت على كتفه فالتفت ليجد مادو يرحب به:

-مسا الجمال يا كبير.. أتعشم أن القرن تكون نالت الرضا؟..

أوما ياسين موافقاً:

- جامدة يا مادو...

سأله مادو بتردد:

- برضوه مش ناوي تقولي أنت عايزاها في إيه؟..

هز ياسين رأسه نفيماً.. وهل يستطيع إخباره أنه لم ينم بعمق
وراحة إلا والمدية تحت وسادته!..

كلا.. تلك الحقيقة غير مسموح لأحد بمعرفتها.. لا أحد على
الاطلاق..

عاد صوت مادو يتردد:

- لو عندك مصلحة قولي.. ده أنا الراجل بتاعك برضوه..

ربت ياسين على كتفه بقوة:

- شايلك لوقت عوزه يا مادو..

اقترب مادو منه بخبث هامساً:

- طيب إيه رأيك تشاركني في مصلحة صغيرة كده.. ده أنا

يبقى لي الشرف والنعمة..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي ياسين.. فما هو

"عرض عمل" ..

يُلقي بين يديه.. حتى لو كان عرضاً مشبوهاً.. إلا أنه يقدم

بطريقة مغرية جداً والأدهى أنها غاية في التهذيب..

فمادو يعد اشتراكهما معاً في جريمة ما هو قمة الشرف
الإجرامي!..

عاد بذاكرته لحوار آخر منذ عدة أيام.. وعرض والده المتجدد
للعمل بمحل العطارة..

وكانت والدته هي صاحبة الرسالة تلك المرة..

"كم أنت ماكريا حاج حافظ!، تعلم أنني لن أرد لأمنة طلباً"..

ونزل المتجر في اليوم التالي بالفعل تحت نظرات ماجد
المندهشة ولبسم الساخطة وسعاد اللامبالية..

كيف يجعلهم يفهمون.. أنها آمنة.. وكلمات آمنة واجبة
النفاذ...

هي لا تطلب.. كلا.. هي تأمر وهو سينفذ صاغراً حتى لو قتله
ذلك ألف مرة..

حتى لو وجد أنه سيعمل تحت إشراف فاروق ابن عمته.. حتى
 لو تحول من ابن صاحب العمل والرجل الثاني بالمتجر إلى
 مجرد عامل يرتب العلب والأجولة..

كلا لن يعترض.. هو يدرك تفكير والده.. يفهم أسلوبه جيداً..
 يعلم بأنه يستفزه.. أو بالأحرى يحفزه.. ذاك مفهوم الحاج
 حافظ عن الحافز..

يضغط بشدة ليستخرج منه أقصى قواه.. يريد أن يعود
 ياسين ما قبل السجن..

يظن أنه سينتفض مطالباً بحقه.. حق اكتسبه إن لم يكن
 بالخبرة فبالوراثة..

ولكن الحاج حافظ يخطئ بحسابته للمرة الثانية.. فهو غير
 مدرك أنه يستنفذ طاقة الحلم بداخله.. فهو يتحكم بغضبه
 وحنقه طوال ساعات النهار بالعمل حتى لا يندفع مارده
 الشيطاني فيحرق الأخضر واليابس..

ويحطم سقف المتجر فوق رأس المدلل ابن عمته.. ليس
لخاطر عمته بل لأجل عيون بلسم..

يريد الحفاظ على خيط رفيع من التواصل بينهما.. نقطة
ضوء خافتة يحتاجها بظلام نفسه..

هزة كتف خفيفة أفاقته من شروده وعاد صوت مادو هامساً:

- المزاج شكله مش رايق.. سيبيني أروقهولك على كيف كيفي..

رفع ياسين أصبعين بجانب جبهته وغمغم بسخرية:

-مادو.. اطلع من نافوخي شوية، أنت عارف ماليش في كيفك
ولا مزاجك..

خبط مادو بكفه على جبهته وكأنه انتبه لشيء ما:

- آخ.. تصدق فاتتني دي.. تعرف أنك الوحيد اللي أعرفه
ودخل السجن وهو بيدخن وخرج وهو ما بيقربش لا سيجارة
ولا ميه ولا هوا..

واقترب برأسه ليهمس بأذن ياسين عدة كلمات وهو يشير
لمجموعة من النساء واللاتي تبدون من ملابسهن أنهن تحت
مستوى الشبهات بعدة أميال..

استمع ياسين لكلماته الفجة وعلى شفثيه ابتسامة متمكمة
أخذت تتسع وتتحول لقهقهات ساخرة وهو ينهض ويلقي بعض
الأوراق المالية على المائدة ويضغط على كتف مادو بشدة
هامساً بأذنه:

- نسيت كمان النسوان الشمال..

فرك مادو ذقنه بحرج:

- لا مؤاخذة يا كبير.. عندي دي.. امسحها فيا.. دول مش من
مقامك برضوه..

وقبل أن يتحرك ياسين ليخرج من المقهى الشعبي.. الشعبي
للغاية.. والذي قد يطلق عليه مجازاً مقهى.. تمسك مادو
بذراعه متوسلاً:

- عندي مصلحة مقشرة.. و..

أبعده ياسين بحسم:

- مادو.. يوم ما خرجت من الزنزانة، أقسمت مش هرجع لها

تاني.. سلام...

خرج ياسين بخطوات واثقة من مقهى/غرفة مادو.. وبدخله

حاجة شديدة لمجالسة أمنة..

تتحرك في المطبخ بروتينية قاتلة؛ تعد الحليب لطفلها

الصغيرة، وعدة شطائر لأخويها الأكبر، تبدأ في إعداد طعام

الغداء، تعد إفطار حاتم وقهوته..

تتحرك من مطبخها إلى غرف أطفالها تتأكد من اكتمال

استعدادهما للذهاب إلى المدرسة... تخرج قميصه وتبدأ في

كيه.. تلف وتدور كنعلة لا تهدأ..

هو يراقبها بصمت.. يدرك حالتها تلك بعد كل مرة يتقرب منها..
يكاد يقسم أنها بحركتها الدائبة والمتواصلة تلك تريد التخلص
من ذكرى الليلة الماضية، تنهك جسدها وروحها علماً تتناسى
استسلامها له..

تتمنى أن يتسرب يوماً هارباً من مسامها مثلما تغلغل عشقه
بداخلها ولم يبارح قط..

نهض من فراشه واقترب منها يحتضنها من الخلف بقوة..
كلا لن يسمح لها بالهروب من دائرة حياته.. طبع قبلة على
خصلاتها وتغلغل بوجهه ليدسه بينهم ويقبل عنقها هامساً:
- صباح الخير يا بسكوتي..

أغمضت عينها بوجع.. تبا.. هو يعلم أنها تريد الهروب ولكنه
يتفنن في محاصرتها..

"بسكوتي" ..

كلمة الدلال الخاصة به فقط.. همزة الوصل بينهما..

وبداية تفتح أنوثتها بين يديه..

عاد يهمس ثانياً وقد وصلته ردة فعلها:

- بسكوتي.. فاكرة يا رقية..

ومع ازدياد ضغط ذراعيه حولها تعاودها ذكرى ليلة عقد

قرانها..

وكانت ذكرى ميلادها السادس عشر.. كانت طفلة.. ولكنها

تعشق بقلب امرأة.. وهو أراد السيطرة على جسد الأنثى..

وتلقينها فنون الغرام..

هربت ليلتها للمطبخ.. تشعر بجوع قاتل.. لم تضع طعام في

معدتها منذ الصباح.. ووصل توترها لأشده وهي تستمع

لكلمات الخطبة التي ألقاها المأذون عن قدسية الزواج

وحقوق الزوج..

وأخيراً.. بدأت تشعر بالجوع.. أخذت تبحث في المطبخ حتى

وجدت علبة البسكويت المملح والذي تعشقه..

تناولت واحدة وأخرى وقبل أن تمد يدها للثالثة شعرت به

خلفها يهمس بعث:

- مبروك يا مراتي..

التفتت بحدة وعيناها متسعتان ببراءة وخوف وبيدها تمسك

نصف بسكويتة والباقي تحاول حشره بحلقها..

ابتسم بشقاوة وهو يقرب وجهه منها ممرغاً أنفه بأنفها هامساً:

- بتعملي إيه..

عيناها منومة مغناطيسياً بنظراته وأنامله تتسلل على طول

ذراعها ليتمسك بكفها فيصطدم بنصف البسكويتة ويضحك

متسائلاً:

- إيه ده؟!..

وتهمس هي وعيناها غائبة بعينيه:

- بسكوتي..

وباقى الحروف كانت بين شفثيه وهو يهمس:

-ده بسكوتي أنا!..

ومنذ تلك اللحظة وأصبح لقب دلالها "بسكوتي"...

يناديهما به فى أشد لحظاتهم حميمية.. وأيضاً أشدها قسوة..

فها هو يعاود تذكيرها بمدى هشاشتها وضعفها..

كقطعة بسكويت رقيقة كسرهما بين أنامله..

حولها لفتات منثور.. فلا هي بقيت صحيحة ولا تطايرت

بالهواء..

فقط فتات مسجون بين أنامله..

تخبرها أمانة أنه عاشق لجنس النساء.. ولكنها تعلم أفضل..

ليته كان عاشقاً للمرأة.. هو عاشقاً لوجود المرأة..

لتلك النشوى التي تمنحها دقة القلب المتفردة ..

اللمسة الأولى.. الهمسة العاشقة..

يدور هائماً ومستهلكاً عواطفه بعلاقات تمنحه نشوى

البدايات.. ليحرق بركان عواصفه ويشذب من قوة اجتياحه

ويعود لأحضانها كطفل ضائع لا يرضى عن ضمته بديلاً..

ولا يضم صدره خصلات أخرى..

فقط.. عشق.. للعشق..

فقط لو تعلمين يا أماه.. علتة ليست جنس النساء، بل هو

صلف الرجال..

رمت برأسها على صدره.. مكانها الحصري وتدرك تماماً أنه لم

يسمح لغيرها باستيطانه..

وبداخلها تهمس..

"ليته كان عاشقاً للنساء.. تباً.. تباً.. هويلهث خلف نشوى
البدايات.. ولا بد أن يهلك يوماً ما"..

تغير شيء ما بآمنة خلال الأيام الماضية.. لا يدري ما هو
بالتحديد ولكنه يشعر بحيرتها، تخطبها وارتباكها..

وكأنها تعلم أن سهراته الليلية لا تعد بريئة تماماً فأى براءة
تلك التي سيقابلها ب"غرزة مادو"..

وكأنها تدرك أن عمله بمتجر العطاراة يستنفذ منه كل قواه
النقية..

بل أن وجوده نفسه بين إخوته وأخواته هو عبأ نفسي ضخم
بدأ ينوء به كاهله..

فكلّ لاه عنه بعمل أو دراسة.. وهو يحيا حياة الفراغ الخاوية
إلا من شبه عمل..

حاول الإمساك بعينها ليجدهما تهربان من مواجهته وكأنها
تخفي ذنباً بأعماقهما.. وهي تفعل.. تخفي قلقاً، بل هلعاً
أيقظه بداخلها حديث أخت زوجها وشقيقه..

هوة سحيقة من الحيرة تسقط بها ولا تجد من يقدم لها ذراعه
تستند عليها..

لا أحد سوى طفلها المنبوذ..

وهي ترى وجعه بعينه يصرخ طالباً الرحمة.. السماح
والغفران من ذنب تاب منه وغلطة دفع ثمنها سنوات من
شبابه..

وهي تريد منحه بعض الراحة.. الأمان.. فلا غيرها يمنحهما..
ولكن تعود كلمات حافظ لترن في أذنيها..

"لازم ياسين يفوق من الغيبوبة اللي عاش فيها اتناشر سنة،
كفاية طبطبة يا آمنة.. الدنيا بتجري من حوالية واحنا مش
هنعيش له العمر كله" ..

وتحاول أن تقوي قلبها وتضغط عليه وتستخدم حبه لها
لتقنعه بالعمل في ذاك المتجر الذي يسلب روحه رويداً رويداً..
وهو بالمقابل يزداد انعزلاً.. وابتعاداً عن الجميع..

حتى وجباته أصبح يفضل تناولها منفرداً.. وازدادت ساعات
بعده عن المنزل.. تأخره في العودة كل ليلة.. نظراته تزداد حدة
وقسوة..

تشعر أن بداخله بركان يغلي ببطء.. وتخشى تلك اللحظة التي
ستُخدش بها فوهته لتنتلق حمم غضبه تحرق الجميع...
تحركت عيناها لتتأمله.. تراقبه.. تلاحظ انبساط ملامحه
والراحة المرتمسة على وجهه فقط لأنه جالس بهدوء أمامها..
يفترش الأرض وحوله عدة مطارق ومسامير متعددة الأحجام

وبضع أدوات أخرى لم تتعرف عليها وهو منهمك بشدة عاقداً
 حاجبيه ومكرثاً كل تركيزه في إصلاح منضدة المطبخ الخشبية
 التي حطمتها صباح رفيقتها الأمانة نقيه القلب، وشديدة
 الملاحظة..

فبعدهما عرض ياسين عليها إصلاح مقعدها المفضل والذي
 كسر نتيجة مغامرة متهورة منها باعتلائها اياه لتزيد من طولها
 وتتمكن من تنظيف الأركان بسهولة، ولم يتحمل المقعد
 المسكين وزنها فتحطمت أرجله ورأف بها القدر ولم تتحطم
 أي من عظامها..

وقام ياسين بإصلاحه بالفعل.. وقدمه لها بسعادة وعلى
 ملامحه معالم فخر طفولي ذكرتها بياسين الشاب اليافع..
 فرحة عينيه دفعت صباح لتحطيم نصف المقاعد والموائد
 الخشبية المنتشرة بالمنزل..

حتى ترى سعادته تلك ترتسم على ملامحه مرة أخرى وهو
يعيدها لحالتها الأولى..

رفع ياسين عينيه ليمسك بعينيّ أمنة ترمقه بحنان متسائلة:

- ما نزلتش الشغل النهارده يا ياسين؟..

أخفض عينيه وأوماً برأسه موافقاً.. فعادت تتساءل:

- في حاجة زعلتك؟..

صمت ولم يجب بشيء.. كيف يخبرها بأنه إذا عاد للعمل مع

ابن عمته ذاك فسيصدق عنقه.. تلك الحقيقة بمنتهى

البساطة.. فهو تحمل منه سخافات عدة.. وصلت حد تغاضيه

عن معاملته المهينة له وسط العمال الذين يعلمون جيداً من

يكون ياسين وكيف كان يدير العمل من قبل بسلاسة وخبرة..

غض الطرف عن ملاحظات سخيفة وتعليقات أسخف وهو

يخبر نفسه بصمت..

"كله يهون عشان عيون أمنة وبلسم"

لكن أن يصل الأمر لتلميح يكاد يصل حد الإتهام بأن ياسين
يسحب أموالاً من خزانة المحل.. فهذا ما لم يحتمله ياسين
أبداً..

ما زال يتذكر ملاحظة فاروق المهينة وهو يستدعيه متغاضياً
حتى عن فارق السنين بينهما

"ياسين.. تعرف حاجة عن الفلوس اللي ناقصة من
الخزينة؟"...

لحظتها لجمت الصدمة لسان ياسين وبدأت براكين الغضب
تثور بخفوت بأعماقه وهو يهمس بغضب مكتوم..

"سؤال ده ولا إتهام؟"...

ليجيب المدلل بصفاقة..

"شيء طبيعي أني أسألك.. أنت الوحيد اللي..."

ولم يكمل جملته.. ولم يطاوع ياسين غضبه الذي يغيره
بتحطيم أنفه..

فقط اقترب منه بهدوء ليمسك بكفه بقوة.. قوة صارخة كان
محركها الأول غضب أعمى وظلم موجع..

ضغط ياسين وضغط.. فرك كف فاروق بين يده حتى ظن أنه
سمع طقطقات عظامه..

"لولا بلسم كان سيكون ردي مختلف"..

ونفض يده بعنف وتحرك خارجاً.. ثم توقف لحظة ليلتفت له
مرة ثانية ويشير بيده محذراً..

"بلسم.. فاهم.. عايز أسمع بس أنك زعلتها مرة وقتها اللي
هيتكسر عضم رقبتك"..

أعاده صوت أمانة وهي تهتف:

- يا ااسين!!

فابتسم لها هاتفاً وراغباً في تغيير الموضوع:

- إيه الحكاية يا أمون.. كل يوم كرسي ولا تراييزة مكسورة...

احنا نعملك بقى عفش جديد لانج..

سألته آمنة بعجب:

- حقيقي تعرف تعمله يا ياسين؟..

رفع أحد حاجبيه وهو يخبرها:

-يا حجوج أنا أسطى نجار موبيليا بريمو..اهوه قدامك

أسبوع كامل بصلح كراسي وتراييزات وكمان سرير ياسر اللي

مش فاهم لحد دلوقت اتدغدغ كده ازاي.. تفتكري تكون

صباح طلعت اتنططت فوقه!..

ضحكت آمنة ضحكة هادئة:

- يوه يا ياسين.. ضحككتني يا بني.. بس جاوبني بجد.. اتعلمت

النجارة إمتى وفين..؟..

توقفت الكلمات بحلقها وهي ترى انكسار عينيه وخفوت

السعادة من ملامحه.. وسرعان نهض متمتماً:

- التراييزة بقيت تمام.. ياريت تبليغي صباح كفاية تكسير في

عفش البيت..

وأكمل بصوت خفيض:

- الحكاية مش مستاهلة...

وقبل أن تجبه بكلمة وصلهما ضجة عالية ميز هو على الفور

صوت ماجد وهو يزعق بغضب:

- عايز تضيع نفسك يا ياسر!!.. تخيل لو كان مدير المدرسة

اتصل بالحاج حافظ..

دخل ماجد وهو يقبض على ذراع ياسر بقوة وبدا أن غضبه

ازداد عندما لمح ياسين أمامه

فنفض ياسر بعنف وانقض على ياسين ليلكمه بأنفه بغضب
هاتفاً:

- عايز تضيع أخوك؟..

صرخت آمنة بهلع وتوجهت نحو ياسين الذي أخذته المفاجأة
ولم يتمكن من تجنب لكمة ماجد فسقط على ركبته ومسح
الدماء التي سالت من أنفه بكم قميصه وهو يستمع لتعنيف
آمنة:

- أنت اتجننت يا ماجد!.. تضرب أخوك الكبير؟..

هتف ماجد بسخرية حانقة:

- آه الكبير.. القدوة.. والمثل الأعلى..

ثم ألقى بوجه ياسين بالمديية وهو يصرخ:

- مطواة يا حاجة.. أخويا الكبير والمثل الأعلى لأخويا الصغير.. جايب في البيت مطواة وإيه!.. سايبها بين إيدين ياسر العيل الصغير يلعب بيها وياخذها المدرسة يفرجها لزمايله!..
انزوى ياسر بأحد الأركان يبكي في صمت.. بينما تجمدت ملامح
أمنة بذهول وصدمة..

وكلمات هادية وسليمة تتوالى على ذهنها..
"اتناشر سنة عايش بين المجرمين الله أعلم خد منهم إيه"..
"ياسين الراجل اللي قدامك دلوقت مش هو الشاب الصغير
اللي غاب عنك اتناشر سنة"..
"افرضي كان اتعلم جوه السجن حاجة كده ولا كده.. خافي
على باقي ولادك"..
"ما ينفعش نسيبه يختلط بولادنا.. احنا مش عارفين هو
ممکن يعمل إيه.. خافي على ولادك"..
نهى طلبية

- لا.. يا حاجة.. لا.. افهميني..

سألته والنبرة مرتجفة والدموع تتجمد بالمآقي:

- بتاعتك يا ياسين؟.. دخلت بيت الحاج حافظ برهام

مطواة.. سلاح!

هتف ماجد بحنق:

- أ يوه بتاعته.. هتكون بتاعة مين!

صرخ به ياسين:

- اخرس.. اخرس يا ماجد..

بادله ماجد الصراخ وقد تراكم الغضب بداخله نحو ياسين..

فالجميلة ليا لا تفتأ تطالبه بإقناع ياسين بالموافقة على طلبها

ليكون الموديل الخاص بمشروعها..

وهو لا يرى في طلبها سعياً نحو تحقيق نجاح فني، بل إعجاب

فاضح برجل آخر.. وهذا الرجل هو أخاه:

- مش هخرس يا ياسين.. من يوم ما خرجت من السجن
واحنا كلنا ماشيين على خيط رفيع ومشدود كله خايف على
مشاعرك.. على نفسيتك..

صرخت آمنة بصوت متقطع:

- بس يا ماجد.. اسكت يا بني..

تحامل ياسين على نفسه ووقف والمديه بيده يضغط عليها
بقوة محاولاً تخفيف بركان غضبه بضغطة عليها حتى كاد أن
يمزق أنامله من ضغطة على مقبضها الخشبي فقط..

دلف حاتم بتلك اللحظة وقد جذبته الأصوات العالية ليلمح
المشهد المتوتر: آمنة وملامح حزن وخيبة أمل عميقة ترسم
ملامحها، ياسر الباكي في الزاوية، ماجد المتحفز والذي ينبض
جسده بحنق وغيظ وياسين الذي قبضت يده بقوة على مديه
وبدتا عيناه حمراوان بلون الدماء المتجلطة وجرح رقبتة
ينتفض بغضب حارق ينبأ بجلاء عن سرعة دقات قلبه والتي

تتقاذز بسرعة مقلقة تجاري طوفان الثورة التي تنبض
بعروقه..

اقترب من ياسين يريد امتصاص قدر يسير من غضبه،
فتجاهله ياسين ليمر بالقرب من ماجد هاتفاً بصوت قاتل:

- المطواة بتاعتي أيوه.. بقيت حته مني.. من تكويني.. حقيقة
مش هقدر أنكرها.. زي ما مشرط الجراح بقى حته منك.. بس
الحقيقة اللي مش هتقدر تنكرها.. أن السنين اللي خلت
المطواة حته مني، هي اللي اشترت لك مشرط الجراح..

والتفت نحو أمه يصرخ بعذاب:

- أنا ما أذيتش حد.. ما طلبتش من حد حاجة.. ولا حتى
الكلمة الطيبة.. أنا ما خيبتش أملك يا أمي عشان تبصي لي
كده.. المطواة بتاعتي.. أيوه.. وأنا آسف أن ياسر وصل لها.. أنا
بس باحتاجها عشان أعرف أغمض.. عشان أنام.. كنت عايز
أنام يا أمي.. وما كنش قدامي أحن من حضن السلاح..

اختنق بغصته وأمنة أمامه ترتجف ألماً ووجعاً عليه لتسمعه

يصرخ:

- لو كان ياسر مسك مشرط ماجد يلعب به، كنتوا هتبقوا
فخورين وفرحانين به.. مع إن في النهاية.. ده سلاح وده سلاح..

تحرك ماجد ليقرب منه هاتفاً بغيظ وهو يجذبه من قميصه:

-أنت بتساوي سلاح المجرمين بتاعك بمشرط جراح بيعالج

آلام البشر!

التفت له ياسين بغضب وقد تواجهت عيونهما وتطايرت

النظرات الغاضبة:

- ابعد من وشي يا ماجد..

وركب شيطان العند ماجد لهتف:

- ولو ما بعدتش هتعمل إيه!

الفصل الخامس

تقلب بفراشها وكأنه جمر مشتعل؛ مشهد ولديها ويكاد
أحدهما يمزق الآخر، يحرق عينها بقسوة فلا تطيق انطباق
جفنيها..

دموعها تسيل وأعماقها تتمزق حيرة بين عاطفتها وحكمتها..
يجافها النوم وتهجرها السكينة.. فتنهض من فراشها، تدرع
أرض غرفتها ذهابًا وإيابًا.. تتنقل من الفراش للنافذة الواسعة
بصدر الغرفة..

تنتظر زوجها وبدخلها مئات الأسئلة.. وآلاف من كلمات اللوم
والعتاب والاتهام..

كيف وافق على تلك المأساة؟!.. كيف طاوعه قلبه ووافقه
عقله؟!..

كانت تظن أن لقسوته حد ولكنها كانت مخطئة..

كم كانت مخطئة غافلة...

والآن.. الآن شبت الناريين الأخوة.. فالمُضحى صُدِم بقسوة من
ضحى من أجله..

والآخر يرزح تحت وطأة النكران.. والتهرب من العرفان
بالجميل..

والجمرة التي توقدت بين الشقيقين منذ سنوات اشتعلت

الآن بحرائق لاهبة تهدد بإحراق أسرتها بالكامل..

عادت لتناظر النافذة؛ تنتظر عودة زوجها.. بينهما حوار
طويل.. حوار تأخر لسنوات..

لن تسمح له بالتهرب الليلة.. وستنتزع الحقيقة كاملة من بين
شفتيه.. كما ستنال وعده بعدم التدخل..

فليترك لها تلك المرة حرية التصرف.. عليها تصلح ما دمته
قسوة الأيام.. وحل أساء الجميع انتقائه..

أغمضت عينها تتردد بداخلها جملة ياسين التي لم تفهم
معناها ولم تتوقف أمامها لحظتها..

"الحقيقة اللي مش هتقدر تنكرها.. أن السنين اللي خلت
المطواة حتة مني، هي اللي اشترت لك مشرط الجراح"..

كانت تلك الكلمات أول ما أفاق عقلها عليه بعد غفوة بسيطة
بفعل عقار مهدئ دفعه حاتم بأوردتها بعدما سقطت عاجزة
عن تحمل مشهد تناحر ولديها..

وبمجرد أن فتحت عينها وبدأت في العودة إلى واقع لم تدرك
مرارته إلا مع غزو كلمات ياسين المستغيثة وهو يخبرها بوجع
أنه وجد أمانه بين أحضان سلاحه.. بينما وجد الشوك
والوجع بين أحضان أهله..

مكالمة هاتفية خاطفة استدعت بها حاتم على وجه السرعة..
هو من سيخبرها الحقيقة، فياسين اختفى وماجد غرق
بسبات عميق.. ولا تعرف إذا كان ذلك إرهاقاً أم هروباً..

تنبيه شديد الحزم على ياسر بعدم الاقتراب من ذلك السلاح
الbesch أبدأ.. ودعوة من القلب أن يحاول تناسي ذلك المشهد
القاسي بين أخويه...

دقائق ووصل حاتم تبدو على وجه إمارات القلق والإرتباك
لتصطحبه إلى غرفة الضيوف وتوصد الباب وتبادره متسائلة:

-ياسين فين؟..

أخفض حاتم نظراته:

- خرج.. هو استنى لحد ما طمنته على حضرتك.. وقلت له إني
اديتك مهدي وهتنامي لفترة.. وبعدها أخذ الموتوسيكل وخرج...
أكيد هيلف لفة يروق أعصابه ويرجع..

انقبض قلبها بقوة ككل ليلة يخرج بها ياسين من المنزل فلا
تهدأ ولا يسكن قلبها إلا عندما تطمئن على عودته.. ولكنها
تدرك اختلاف تلك الليلة..

فياسين لم يخرج بحثاً عن تهدئة، بل عن اشتعال..

يريد معاقبة نفسه وجلدها عن سقطته بنظرها.. بنظر ياسر
الذي تعلق ياسين به بشدة..

وكم تخشى قسوته على نفسه.. كم تخشى أن يخرج بلا عودة
ظناً منه أنه يقوم بالتصرف الصحيح..

تماماً كما حدث منذ سنوات.. عندما أضاع حياته ظناً منه
أنه يحسن التصرف ويتحمل المسؤولية؛ ذلك الشك الذي
عاش بأعماقها لسنوات وأكده ياسين اليوم بكلمات بسيطة..
ولكنها تحتاج أن تفهم..

بادرت حاتم بسؤال واضح وإن كانت لهجتها واهنة متوسلة:

- عايزة أعرف الحقيقة يا بني؟..

أجابها بتساؤل بينما تشي نظراته بارتباكاه:

- حقيقة إيه يا مرات عمي؟..

جلست آمنة بتهالك وهي تخبره:

- حاتم يا بني.. أنت لسه مديني حقنة مهدئة من كام ساعة..
أنا تعبانة ومش حمل مجادلة.. أنا وأنت سمعنا كلام ياسين
لما جد.. بس أنت كنت عارف صح؟..

تلعثم:

- عارف إيه؟..

تمهدت بوجع:

- حاتم.. ما تتعبنيش يا بني.. ماجد هو اللي ضرب زهير،
صح؟..

انتفض حاتم واقفاً وهو يتأملها بدهشة.. لم يظنها لاحظت
جملة ياسين الهامسة فهي سقطت فاقدة للوعي بعدها
بلحظات.. ولكن يبدو أنها لا تفوت همسة تخص أولادها..

حاول إلهائها عن الاجابة التي تنتظرها:

- هو حضرتك عاملة إيه دلوقت؟.. تحبي أقيس لك
الضغط؟..

هزت رأسها برفض وهي تلح عليه:

- حاتم... أنا سمعت كلام ياسين بس عايزة أفهم.. فهمني يا
بني..

أحنى رأسه باستسلام وهو يقص عليها حادثة مر عليها أكثر من
اثنى عشر عاماً؛

مجموعة من الشباب في مقتبل العمر واحتفال بسيط بانتهاء
سنوات الدراسة وبداية الحياة العملية.. جلسة صاخبة
بإحدى المقاهي الفاخرة.. الأصوات تتداخل والضحكات
تتعالى.. تعليقات شبابية معتادة.. بالمجمل كانت جلسة
استرخاء رغم صخبها..

ولكن لم يدم الاسترخاء طويلاً فسرعان ما ظهرت مجموعة
شبابية أخرى.. وبدا واضحاً أنها تتعمد الاحتكاك والتحرش
بياسين ومجموعته..

ازدرد حاتم لعابه بصعوبة ليكمل:

- إلى الآن ما حدث عارف ولا فاهم إيه اللي حصل.. فجأة
خناقة كبيرة.. ضرب وزعيق وصرخة جامدة من زهير
"عيبيبينيبي".. ياسين كان بعيد عنه، وماجد هو اللي..
سكت وهو غير قادر على التكملة ولكنها حثته بقوة تريد
الحقيقة كاملة.. فأكمل كلماته:

- في القسم زهير اتهم ياسين.. رغم أنه متأكد من برائته، بس
كان عايز ينتقم.. وياسين ما أنكرش.. وبعدين عمي..
شهرت آمنة بعنف:

- عمك!!.. عمك حافظ عارف؟!..

اتسعت عينا حاتم بارتباك ولم يعرف بم يجيها.. ومسح وجهه
 عدة مرات محاولاً الخروج من ذلك الموقف الحرج.. ولكنه
 عجز عن التفوه بكلمة واحدة..

رأفت آمنة بحاله.. فربتت على كتفه بهدوء:

- خلاص يا حاتم.. اطلع يا بني ارتاح في شقتك.. وأنا لي كلام
 مع عمك.. هافهم منه كل حاجة بالتفصيل...

وها هي جالسة بانتظار الحاج حافظ.. الذي تأخر الليلة على
 غير عاداته.. يبدو أن حاتم هاتف عمه ليخبره أن الغافلة
 أفاقت وهي بانتظاره ليخبرها الحقيقة كاملة...

جلس ياسين باسترخاء على المقعد الأمامي لسيارة يقودها مادو
 برعونة ملحوظة.. وبدا غافلاً عن ثرثرة مادو المتواصلة بشأن
 عملية سهلة ومريحة..

لم يهتم ياسين بلغوه الفارغ كما لم يهتم بكونه يجاور مَنْ
يلقب بمسجل خطروفي سيارة على الأرجح هي مسروقة..
وبين أنامله لفافة سجائر تحتوي على مكونات مهمة وقد
تكون أي شيء بخلاف التبغ المشروع..

أخذ يتلاعب باللفافة المشتعلة بين أنامله ويتأمل دخانها
الأزرق الغامض وهو يجلد نفسه بعنف..

"في كام ساعة بس يا ياسين عملت اللي ما عملتوش في
سنين" ..

زفر بضيق وهو يتذكر مواجهته لشقيقه.. الجراح العظيم
يتممه بإفساد شقيقهما الأصغر.. ونسى أو تناسى أنه بتهوره
واندفاعه الطائش كان السبب في ضياعه خلف قضبان
جريمة لم يرتكبها..

حسناً لم يرتكب الأولى.. ولكنه بكل تأكيد أجرم في تخطيط
وتنفيذ الثانية.. ولكن.. هل كان يفعلها لو لم تذكره عينا
شريف الحائرتين والمستغيثتين بعيني ماجد شقيقه..

متى يفهم ماجد أنه لا يدينه بشيء.. ولا ينتظر منه اعتراف ولا
حتى امتنان.. فلو كان عبر بوابات السجن للمرة الأولى بريئاً
فهو بكل تأكيد خرج منها ملوثاً بما لا يخطر على بال..
يدرك حقيقته جيداً.. ولكنه سدّد دينه كاملاً كما قالت
الشقراء المهوسة..

لم لا يتفهم شقيقه تلك الحقيقة!..

لم يشعره بأنه مُراقب طوال الوقت؟.. ولم لم يخبره بما حدث
من ياسر حتى يمكنه السيطرة على ما حدث بدون تلك
الضجة المفتعلة؟!..

يا الهي.. يعجز عن نسيان نظرة خيبة الأمل واللوم بعيون أمانة
وهي تلمح المدية التي ألقاها ماجد بوجهه وكأنه يرغب في
سحب آخر نسيمات الحنان من بين يديه..

اللعنة.. لِمَ يوقظ المارد بداخله؟.. لم يستفز شياطينه فيجعله
يندفع لتصرف يعلم أنه سيؤلم شقيقه..

تهد بغیظ وهو يرمق هاتفه بنظرات حانقة.. لقد هاتف
الشقراء المجنونة مبلغاً إياها بموافقته على أن يكون موضوع
مشروعها الفني الجديد..

تصرف متطرف لم يكن ليفعله لولا حالة الغضب الشيطانية
التي تلبسته.. وليته اكتفى بذلك.. فلم تطفئ صرخة الفرحه
التي أطلقتها "ليا" نار غضبه، بل كانت كوقود يزيد اشتعال
تلك النيران..

فبمجرد إغلاقه للخط تذوق بداخله معانٍ جديدة للحقارة،
فهو كرجل مدرك لحالة الافتتان التي تعيشها خطيبة

شقيقه.. هو يمثل لها حالة مثيرة تريد الاقتراب منها.. هالة من
الخطر تشعرها بالإثارة وتحفز الأنثى بداخلها.. هو يدرك ذلك..
ويعلم بغضب أخيه الشديد من حالة الانهيار التي تمر بها
خطيبته ولكنه وافقها على مشروعها فقط كإعلان للتمرد..
أراد إثارة غضب شقيقه وحنقه.. كان يرسل له رسالة
مضمونها..

"أنت تراني حقيراً.. إذا سأكون واحداً" ..

ألقى برأسه للخلف وهو يسحب نفساً عميقاً من لفافته
المشتعلة ويراقب دخانها الأزرق يتراقص أمام عينيه.. يراجع
قراراته الغبية التي اتخذها واحداً تلو الآخر؛

سماح وعلاقة حب مجنونة.. صراع بينه وبين زهير على قلب
الأميرة.. تحدي لعنفوانه ليفوز بحبها لتنتهي القصة الخيالية
به سجيناً والأميرة تتزوج ذو العين الواحدة..

انطلقت ضحكات هيسترية منه.. ليلتفت مادو نحوه بقلق:

- أنت زودتها الليلة يا كبير.. دخان بعد التيكيللا كثير.. وأنت

مش متعود..

رمقه ياسين بسخرية:

- أنت هتشتغلني يا مادو.. تيكيللا إيه!.. ده أنا بفكر أبلغ عنك

بتهمة غش الخمور!

انطلقت ضحكاته عالية وكأنه يظهر إعجابه بالنكتة التي قالها

لتوه.. بينما مادو يراقبه بقلق وهو يردد بتثاقل:

- الليلة خمر ونساء..

ثم يعود لضحكاته:

- النساء والسهرة..

غمغم مادو بقلق:

- في عربية واقفة بعرض الطريق.. ده إيه ده!.. خبر أسود إيه

اللي جاب الكمين ده هنا!..

حرك ياسين رأسه ليلمح سيارة متوقفة بعرض الطريق
وبعدھا بعدة أمتار توجد سيارة الدورية الراكبة الخاصة
بالشرطة..

"لم يكن كميناً عادياً"

كانت تلك أفكار ياسين وهو يرمق سائق السيارة المتوقفة
بعرض الطريق وهو يترجل منها ويتوجه نحو سيارة مادو التي
أوقفها على جانب الطريق وبدا واضحاً أنه يفكر بالهرب وترك
ياسين ليواجه مصيره وحيداً..

وقبل أن يضع أفكاره حيز التنفيذ كان يحيط بالسيارة
مجموعة من الجنود.. ومعهم سائق السيارة الغامضة يجاور
نافذة ياسين ويفتح بابه بعنف هامساً:

- اخرج يا ياسين!..

غمغم ياسين بدهشة:

- هاشم بيه!!..

جذبه هاشم بقوة ليخرجه من السيارة وهو يهتف بأحد
زملائه:

- العربية دي غالباً مسروقة يا أكرم بيه.. شوف اجراءاتك..
بس ده..

وأشار لياسين:

- ده يخصني.. وشكراً لمساعدتك يا باشا..

سار ياسين بجواره وبرأسه تدور عشرات الأفكار:

لا يدري إن كان ظهور هاشم بتلك اللحظة هو نعمة أم نقمة..
ولكن في كل الأحوال هو كان بحاجة ماسة لصفعة قوية
تفيقه.. ويبدو أنه سينالها.. وأقرب مما يتصور...

لم يتفوه هاشم بكلمة واحدة.. بل اكتفى بعدة نظرات تجلد
ياسين بسياط خيبة الأمل المترسمة بها ثم غمغم بجملة
حاسمة:

- سيجارة محشية يا ياسين.. إرميها.. اعمل حساب أنت قاعد
مع مين..

ألقى ياسين اللفافة المشتعلة من نافذة السيارة واستفسر
ببرود:

- إحنا رايعين فين؟..

أجاب هاشم ببساطة:

- القسم..

أعاد ياسين رأسه للخلف ليغمض عينيه بصمت وهو يفكر أن
ما يحدث هو نهاية مثالية لليلة مارس بها جميع أنواع
الحماقات.. لينتهي أخيراً بين يدي هاشم بالذات..

الرائد هاشم سيف الدين..

ضابط شرطة في الثلاثين من عمره.. نال رتبة رائد كترقية
استثنائية لكفائته الفذة.. تلك الكفاءة التي تمتع بها منذ
تخرجه من كلية الشرطة ومنحته أفضلية الاختيار..

ليفاجئ الجميع باختيار قطاع السجون..

لم يفهم زملاؤه سبب اختياره، بل الحقيقة لم يستوعب أيّاً
من معلميه وأصدقائه السبب الذي لم يكن سوى الثأر..
هاشم كان يبحث عن ثأر خاص جداً.. ثأر علم به القليل من
المقربين منه..

ثأر أراد به استرداد كرامة رجل يدين له بالكثير..

ثأر أدخل هاشم حياة ياسين في أسوأ فتراتهما.. لحظة تحكمت
دجنة السجن بقلب ياسين ليخطط وينفذ جريمة بوعي كامل..

جريمة أُلقت به في غياهب سجن آخر وهجر أقسى من والده..
وطوقت عنق هاشم بجميل أبد الدهر...

دلف الحاج حافظ إلى غرفته بهدوء متوتر ليلمح أمانة وهي
جالسة على الأريكة العريضة بصدر الغرفة..
علم من حاتم أنها عرفت الحقيقة ولم يخبره حاتم كيف
ولماذا..

يدرك أنها تنتظر إجابات.. شرح.. توضيح.. ولن تتنازل تلك المرة
إلا والحقيقة كاملة بين يديها..
بادرته قبل حتى أن يبدل ملبسه:
- عايزة الحقيقة يا حاج..

رمقها للحظة.. تبدو وكأن العمر تقدم بها سنوات.. معالم
الحزن ترسم تجاعيد جديدة على وجهها، ونظراتها تمتلئ
بخيبة أمل مريرة يكاد يتذوق مرارتها بحلقه..

أجاب بهدوء:

-حاتم حكى لك كل حاجة..

نهضت بعنف يناقض ضخامة حجمها وهي تهتف:

- عايزة أسمع منك!

رمقها بصمت لتعاود هتافها:

- ازاى طاوعك قلبك؟!..

تبتلع غصتها للحظة تصرخ بعدها:

- ازاااي!!!

واجهها هاتفاً بدوره:

- كنتِ عايزاني أعمل إيه.. قسم وشرطة ونيابة وجريمة..
 وولادك الاتنين.. الكبير العاقل اللي كنت عامله عكازي وسندي
 بيفقد أعصابه وتحكمه بغضبه بمنتهى السهولة ويورط نفسه
 وأخوه الأصغر منه بمشكلة اتحولت لجريمة.. والصغير لو
 اعترف على نفسه يبقى ضاع مستقبله.. كان لسه طالب في
 سنة رابعة.. وكلية طب.. يعني لو اتحكم عليه يبقى خسر
 الجلد والسقط.. ياسين كان خالص امتحاناته و..

قاطعته بذهول:

- وينفع كبش فدا!!!

هتف بها:

- يا آمنة افهمني الله يرضى عليك.. أنا كنت فاهم أني اخترت
 أحسن الحلول.. المحامي قالي أنه هياخد ثلاث سنين لأن ما
 فيش تعمد.. دي خناقة شباب.. والثلاث سنين مع حسن السير
 يبقوا سنتين وكام شهر.. وعقلي قالي؛ شوية شهر هيجر

يلاقي مكانه جنبي وهيبقى معزز مكرم و.. وأحافظ على
مستقبل ماجد..

ناحت أمانة بدموع بدأت تفقد سيطرتها عليها:

- وعزته يا حافظ؟؟.. صنته؟.. وصنت كرامته؟.. ولا سيبته
الصغير قبل الكبير بيجرح ويعاير ويكيد..

زفر بغضب:

- ما كنتش عارف أسامحه بعد اللي عمله في السجن..

عجزت عن إني أفهم إن ابني.. تربية إيدي يعرف يخطط لقتل
بني آدم ويعترف بمنتهى البرود.. خيبة أملي يا أمانة كبيرة قوي..

وتهالك على الفراش:

- وذني أكبر.. إحنا الاتنين مش عارفين نحط عينينا في عينين
بعض.. لا هو قادر يعاتب ولا أنا ينفع ألوم..

هز رأسه بعجز يعتصر عينيه بقوة يمنع ظهور دموعه.. لن
يبكي الآن.. لن تتساقط دموعه لتقلل من هيبة المشيب
وسطوة العمر..

رمقته أمانة ودموعها تغطي وجهها.. تهدلت كتفاه وأخفض
رأسه مخفياً عينيه عنها..

تساءلت بحيرة.. تواسيه أم تعاود الصراخ به!!..

تجرح أم تطيب؟.. تسلخه بالحقيقة المرة أم تداريه وتربت على
كتفيه وتثني على قراره وتتصرف كزوجة طيعة هادئة كما
اعتاد منها على مر السنوات..

ولكن إن كانت الزوجة بداخلها تهفو إلى مواساته فالأم
تصارعها لتشحن مخالها دفاعاً عن صغيرها فيتحرك لسانها
بما تموج به أعماقها:

- عايزني أقولك إيه يا حاج.. أنك عملت الصح؟!.. ولا زي ما
حطيت نفسك بإختيارين ماجد وياسين واختارت ماجد،

عايز تحطني بنفس الاختيار؟..

خبطت كفها بساقها بعنف وهي تهتف:

- لا يا حاج.. لا.. الإختيار ما كانش له داعي من الأساس.. اللي غلط كان يتحاسب ويتعاقب.. ده العدل.. دي الرحمة.. لكن..

قاطعها بانكسار:

- خلاص يا أمنة.. كفاية..

هزت رأسها تتمزق بين ابن ضائع وآخر جاحد ووالدهما يتمزق بين عذاب ذنب وكبر هو طبيعة به ولكن الضائع يحتاج لبر يرسو عليه، وقالوا قديماً..

"الغائب حتى يعود"..

ويا لهفي على غائب بين أهله عاد ليغترب.. تتسع وحدته وتتعلمق آلامه..

- كفاية يا حافظ!!.. كفاية أنتوا.. أنتوا بتحاسبوا اللي
 اتحاسب واتعاقب وترجعوا تعاقبوه تاني.. زي ما يكون خرج
 من سجنه عشان يدخل دايرة قسوتكوا وجمود قلوبكوا..
 مسح حافظ عينيه التي رغم كل شيء تبللت جفونها رغم
 قسوة تحكمه وهمس لها:

- عايزة إيه يا أمنة؟..

قبضت كفيها بقوة على ثوبها تدرك قسوة قرارها.. قرار اتخذته
 بعد تفكير مضني..

تقتلها لهفتها لوجود ياسين ويغلبها تعقلها يبغي مصلحته..
 غائبها الشارد تريده بجوار قلبها، كم ترغب بضمه داخل
 جفنيها فتغلقهما عليه تحفظه وتحميه بداخلهما، وليواجهها
 هي أولاً من يحاول ايذائه..

وتعود حكمتها.. حكمة الفطرة بداخلها تخبرها بتعقل.. أنك
تفقدينه.. بكل دقيقة تمر عليه بين جنبات تلك الجدران
الباردة يفقد ياسين جزء من كيانه.. ربما أكثر مما فقد خلال
سنوات سجنه.. نظراته تزداد قسوتها.. وحدته وابتعاده..
يهجرها وهو جوارها.. ينأى بنفسه وآلامه ليرمي بهما بين
أحضان نصل سلاح يؤمن له الأمان والحماية..
قلما يأمرها بحبسه بداخل أعمق غرفاته وعقلها يحذرها
بقوة..

"العمر يمر.. قطار يجري ولم تعد المحطات الباقية تكفي
لتأجيل القرار.. تمنحينه الآن غطاء الحنان وتدثرينه
بأمومتك.. ستمضي الأيام وتختفين بلحظة.. لحظة يصبح بها
وحيداً.. وقد كشف غطاءه وتعرى من ساتر أمنك فيصبح
لقمة سائغة للقريب قبل البعيد..

أطلقه يا أمنة.. أطلقه ليشدد عوده ويزيح أتربة الزمن عن
 عنفوانه.. أطلقه ليعود لكِ أو الأهم يعود لذاته.. يبنها ويشد
 أعمدتها" ..

أغمضت عينيها بألم فسقطت منها دمعة كانت كالنار بلهيمها:
 - أنا هديله مفاتيح بيت جدي القديم.. ياسين ماعدتش ينفع
 يقعد هنا..

قالت جملتها لتتسع عيني زوجها ذهولاً وتفهماً أليماً..
 وقلها يتمزق..

يكاد ينزف دماؤه ويلفظ أنفاس الحياة به..

حاوطته المياه الباردة من كل جانب.. تسقط فوق رأسه
 كسيول تجرف أمامها أفكاره السوداء.. وتزيح عبأً آلام ينوء بها
 كاهله..

لم يعد يتذكر كيف وصل إلى دورة المياه الملحقة بغرفة هاشم
بقسم الشرطة..

ورذاذ قاسٍ من ماء بارد يسقط فوق رأسه وأخريواجهه به
هاشم وقد أمسك بين يديه بخراطوم ماء بارد يصلته على
جسده بقوة وهو يهتف به:

- فاكر الدوش البارد يا ياسين.. دوش الترحيب بالوارد الجديد
تزايد المياه حوله حتى يكاد يعجز عن التنفس وهاشم يوجه
فوهة الخرطوم بدقة ويحركها بسرعة ومهارة لتضرب كل جزء
بجسده..

فتتعر الكلمات على لسانه بينما يتابع هاشم:

- افكرت ولا محتاج كمان.. هاه..

ويرتفع صوته:

- هااه يا ياسين.. فوقت وركزت ولا لسه محتاج دوش

تاني؟!..

ويزيد من تركيز المياه حتى شعرها ياسين تسلخ جلده عن جسده.. وبداخله يقسم لن يطالبه بالتوقف.. هو يحتاج صفعات الماء البارد لتطهر نفسه مما ارتكبه الليلة..

مما ارتكبه قديماً وما زال للآن يطحن ذاته وضميره تعذيباً وتنكيلاً عله يشعر بالراحة..

ولكن حتى تلك الراحة كانت وقتية لتختفي بتوقف سيل المياه..

ويقذفه هاشم بمنشفة نظيفة وعدة قطع من ثياب تناسبه ويخبره بحزم:

- غير هدومك وحصلني..

دقائق خرج بعدها ياسين من الحمام ليجد هاشم بانتظاره
 وبجواره عدة شطائر طازجة وكوبين من الشاي الساخن..
 أشار هاشم لياسين ليجاوره ويشاركه طعامه.. وبالفعل أنهى
 ياسين تجفيف خصلاته ليجلس مقابلاً لهاشم ويتناول الشاي
 الساخن بصمت بينما سمع هاشم يسأله ببساطة:

- إيه اللي حصل الليلة يا ياسين؟

ارتشف ياسين الشاي وهو يتساءل بدوره:

- مش فاهم!!

قطب هاشم حاجبيه:

- ياسين.. بلاش لف ودوران.. أنت كل ليلة صحيح بتقعد في
 غرزة مادو ساعتين تلاثة.. بس بتخرج زي ما دخلت.. إيه اللي
 اتغير الليلة.. شرب.. ودخان.. والله أعلم كنت ناوي على إيه
 تاني!!

أسبل ياسين أهدابه:

- أنت بتراقبني يا هاشم بيه؟..

عاد هاشم بمقعده للخلف:

- وافرض؟..

هز ياسين كتفيه بلامبالاة:

- عادي براحتك..

خبط هاشم على المكتب بكفه هاتفاً:

- هتخرج من الدائرة دي إمتي؟..

عاجله ياسين:

- وأنت هتدسى إمتي موضوع الدين اللي في رقبتك ده!.. ميت

مرة أقولك، أنا عملت اللي عملته وما كنتش مستني لا شكر

ولا امتنان.. أنا عملت وقتها اللي شوفته صح.. لكن مهما كان
رأيك ورأيي.. في الآخر اللي عملته كان جريمة..

قاطعها هاشم:

- جريمة واتحاسبت عليها والموضوع انتهى..

ابتسم ياسين ساخراً:

- ده رأيك!..

اقترب هاشم بوجهه منه ليخبره بحسم:

-ده التفكير الصح.. بس أنت مش عايز تقتنع.. أنت حطيت
نفسك في خانة الإجرام والذنب ومش عايز تخرج منها..

صمت لحظة قبل أن يسأله:

- تقدر تقولي إزاي عايز اللي حوالياك يعاملك بطريقة
طبيعية.. وأنت نفسك مش عارف تكون طبيعي معاهم.. إزاي

عايزهم يعترفوا ببرائتك وأنت بتصرخ بكل ما فيك أنا مذنب
عاقبوني..

صمت ياسين مطرقاً برأسه بينما تحرك هاشم ليربت على
كتفه:

- اتعلم تسامح نفسك يا ياسين.. خليك طيب معاها.. طبطب
على روحك بدل ما تجلدها..

تنهد بعمق ليكمل:

- احنا اتكلمنا في الكلام ده قبل كده.. إيه اللي بيحصل معاك
يا ياسين؟.. فهمني.

همس ياسين بحزن حائر:

- تعبت.. وتوهت.. مش عارف..

واجهه هاشم مباشرة:

-أنت مرتاح في شغلك في العطارة؟.. مرتاح مع ابن عمك؟.

ابتسم ياسين ساخراً:

- واضح أنه عندك كل الأخبار.. يبقى أكيد عارف إجابة
سؤالك..

زفر هاشم بغیظ:

- أنت عارف إن ده لمصلحتك..

نهض ياسين بدوره يهتف بغیظ:

- وأنا قلت لك مش عايز امتنان.. أنت كده بتعذبني أكثر..

إزاي عايزني أستوعب إن الجريمة ممكن يقابلها امتنان..

ده جنون..

همس هاشم بحزم:

- في حاجات كتير في الحياة يا ياسين ما ينفعش تتفسر..

ومش لازم ندور لها على منطق.. أه.. أنت ارتكبت جريمة..
 وصح هاشم رجل القانون بيقولي أنه عقابك ضرورة، لكن
 هاشم الإنسان ما يقدرش غير أنه يكون ممتن ومديون لك..

حاول ياسين مقاطعته فأوقفه هاشم:

- أرجوك نقل نقاش في الموضوع ده..

أوما ياسين موافقاً على مضمض.. ليتهد هاشم براحة ويخبره

بحسم:

- سيب الشغل مع والدك يا ياسين..

حرك ياسين عينيه بتهكم:

- وأعيش عائلة عليهم!..

فاجأه هاشم:

- وليه تعيش معاهم؟..

قطب ياسين حاجبيه ليعاود هاشم حديثه:

- أنا مش هسألك تاني إيه اللي حصل الليلة، بس لازم تعرف
أني مش هكون موجود في كل مرة تقرر تخرج فيها عن الخط..

أسبل ياسين جفونه متسائلاً:

- والمقصود؟..

أخبره هاشم بحزم:

- المثل بيقول اللي تعرف ديته إقتله.. وأنت عارف إيه اللي
بيوجعك.. إيه اللي بيخرج شياطينك..

قاطعه ياسين ساخراً:

- أقتل أهلي!!

صرخ هاشم بغیظ:

- ابعدهم.. ابعدهم وعيش يا ياسين...

دلف ياسين لغرفته بصمت ليجد آمنة جالسة بانتظاره على
أحد المقاعد العريضة..

أخفض بصره على الفور يتهرب من نظراتها اللائمة وهو
يهمس:

- مساء الخير يا حاجة..

همست آمنة:

- إحنا عدينا الفجريا ياسين.. يبقى صباح الخير..

حرك كتفيه بحيرة وصمت فسألته هي:

- اتعشيت؟..

أوما موافقاً:

- أيوه الحمد لله..

عاد صوتها يتردد بوجع:

- كنت فين يا ياسين؟..

أجاب بخفوت:

- مع واحد صاحبي..

شهقت بجزع وهي تسأله:

- اللي جبت منه المطواة؟..

هز رأسه مبتسماً بوجع:

- لا.. المرة دي ظابط..

تساءلت آمنة بتعجب:

- ظابط!!

أوما برأسه واكمل:

- أيوه ظابط.. وتخليي.. ساب لي المطواة.. يمكن فاهم

أهميتها عندي.. وعارف أنني مش هستخدمها غلط..

ببساطة عنده ثقة فيا..

كانت كلماته تجلدها بسياط اللوم والعتاب.. تخبرها بوضوح

أنهم جميعاً يتحينون الفرص لافتراض الأسوء..

يريدون تصديق أنه سيدسلك خط الإجرام بسهولة ويتناسون

أصله الطيب..

يتجاهلون جميعاً أنهم مدانون مثله.. هو فقط من سدّد دينه..

وهم مستمرّون في استنزافه وكأنهم يطالبونه بتسديد ديون

آثامهم وظنونهم السيئة..

يمزقون أسواراً واهية يشيدها حول ذاته الكسيرة، يحاول

حماية جرحه وهم يمعنون في كشف الجرح ولوي خناجرهم

به..

تشعر بروحه تستصرخها مطالبة بحمايتها لصغيرها..

وهي ستقدم له تلك الحماية.. ستبذلها بكرم..

فالمقابل هو أمومتها؛ ستضحى بفرحة أمومتها به.. باحتياجها

الفطري لضمه بين ذراعها وتقدم له مستقبلاً تظنه الأفضل..

بعيداً عن أخ يظن عليه بكلمة شكر..

وأخت تلسعه بحريق ذنب هو برئ منه..

وقسوة أب يظن أنه يلقنه مبادئ رجولة مهترئة..

وأقارب قد يتمنى الرجل أن ينتمي لكومة من العقارب

والثعابين عنهم..

لقد أحسنت القرار؛ بقاء ياسين بين أخوته وأهله سيسبب

المزيد من الخراب لنفسيته الهشة...

تمت بعجز:

- ربنا يحبب فيك خلقه يا بني..

تأملها ياسين للحظات.. يراقبها وهي تهرب بعينها من مواجهته
وكأنها تخفي عنه هماً عظيماً.. أو ذنباً أعظم..

سألها مرتبكاً:

- في إيه يا حاجة؟..

قاطعته بسرعة:

- بلاش تقول يا حاجة.. قول يا أمي..

همس ياسين بحيرة:

- أمي..

أغمضت عينها تشعر بالآم هي أشبه ما تكون بالآم المخاض..
وكأنها تمر بساعات من الوجد..

يتمزق جسدها بفعل ضرباته ليجد متنفساً للحياة..

وكأنهم ينتزعوه من داخلها من جديد.. يقطعون حبله السري
 ويفصلونه عنها.. يبعدونه عن دفء أحشائها ويقطعون عنه
 حنان دقات قلبها..

جففت دموعها ورمقته بعينين تقطران عاطفة أمومية
 خالصة تعارضت مع كلماتها الخافتة وهي تمد يدها بمفتاح
 قديم:

- ده مفتاح بيت جدي.. البيت قديم.. ومكانه شعبي شوية..

أنا اتربيت في البيت ده.. و

أمسك بالمفتاح بيده وكأنه يتمسك بصلب مصهور يحرقه من
 الداخل ليتصاعد لهيب الحزن الغاضب من عينيه وترجمه
 شفثاه:

- خلاص يا أمي.. يأسِتِ مني بسرعة؟!!

هي تنبذه..

آخر من بقيت له تخرجه من جنتها.. تغلق أبواب أمومتها أمام
احتياجه الطفولي لأحضانها..

لم تكد روحه الظمأى لحنانها ترتوي، حُرِمَ منها لسنوات..
اثنا عشر عاماً يغمض عينيه بكل ليلة منهم وهو يخبر نفسه
أنها بانتظاره لتسبغ عليها من أمومتها وحبها..

والآن.. هو ترك محبسه.. فقط أيام.. تمتع بوجوده قربها لأيام
تعد على أصابع اليدين..

ليمنحونه يوماً واحداً بجوارها عن كل شهر أمضاه بسجنه
وهو سيرضى بل سينتشي سعادة..

ألا يستحق منها ذلك؟!.. ألا تمنحه تضحيته تلك الرفاهية؟!..
فليخبره أحدهم ما الثمن المتوجب عليه دفعه ليربح بضعة
أيام أخرى بقربها وسيدفعه صاغراً، بل سعيداً فالربح لا يقدر
بثمن من الأساس..

هو يريد أمه وكفى.. فقط بضعة أيام.. وسيرحل بعدها..
 كان يخطط للرحيل بالفعل.. كلماته مع هاشم أثارت شيء ما
 بداخلة لا يعلم ما هو.. ولكنه يدفعه للابتعاد.. ومحاولة
 العيش..

هو أراد الرحيل.. وهم قرروا النفي..
 يتكرر الماضي من جديد ولكن بصورة أكثر قسوة وأشد
 بشاعة؛ منذ سنوات وافقه والده بإنقاذ مستقبل ماجد
 مضحياً به هو..

ومبرراً ذلك بأنه الأكبر والأكثر تحملاً ومسئولية..
 واليوم يعاد الشريط.. فيتم التضحية به هو.. لأنه..
 لأنه ماذا.. مدان!.. مذنب!!..
 خطر يدهم استقرار العائلة..

تباءً.. هو من منحهم ذلك الاستقرار..

بل اشتراه باذلاً أيام عمره ثمناً..

ولو عاد به الزمن سيختار التضحية.. تضحية يعلم أنها
منحت أمه الفخر بالطبيب الناجح والتطلع لمستقبل الصغير
الواعد..

سيبذل عمره طائعاً يشتري به أمان أمومتها.. أمان منحته له
بضمة صدر عند أول لقاء..

بإحكام غطاء بمنتصف ليل حالك وتربيته حنونة على كتفه
تعقبها قبلة اشتياق..

حسناً آمنة.. لك ما تريدين دائماً وأبداً.. دائماً وأبداً..

توالت انفعالاته بعينه ليعجز عن التحكم بها أو إيقاف
بضعة دمعات خائنة بدأت تظهر عند طرف عينه واستشعرت
آمنة صراعه على الفور

فخرجت كلماتها وكأنها تنعي بها أمومتها.. وكأنها أشواك
تسحب على سطح حرير ناعم فتخدش وتمزق وتقطع بطريقها
كل ما هو جميل بحياتها:

- أنا بوفر لك فرصة أنك تكون ياسين.. ياسين بس.. من غير
ماضي مؤلم أو حتى حاضر مش عارف تعيشه.. بدور لك على
مستقبل يا بني.. يمكن بعيد عني.. يمكن بأفطمك من حضني..
و..

اقترب ليركع بين يديها يتمسك بهما ويقبل كل واحدة على
حدى ويرفع عينيه لها:
- مش محتاجة تشرحي يا حاجة.. أمانة تؤمر وياسين هينفذ..

انتهى الفصل

الفصل السادس

الحزن القاتل والكامن بقلب أمانة والذي تجسد على ملامح
 وجهها لتزداد تجاعيدها عمقاً، نظراتها شاردة للمجهول..
 تعاودها ذكرى وداعه لها منذ ساعات؛ قبلة طويلة على جبينها
 ومثلها على كفها مع طلب بصوت خافت بإيصال تحيته
 للجميع...

ارتجفت جفونها بثقل دموعها الحبيسة وهزت رأسها رفضاً..

"لا يا ياسين أنا مش قصدي تمشي دلوقتِ لا يا بني.."

لم يدعها تكمل ليقاطعها بحسم وهو يجمع أشياءه بسرعة
 ومهارة ليضعها بحقيبة خفيفة للظهر..

"مش هتفرق يا حاجة.. أنا كده كده كان لازم أمشي"..

التفت ليتناول صندوق نفائسها ويضعه بالحقيبة ويغلقها
هامساً...

"هاخذ الصندوق معايا.. بس ما فيش داعي عملي واحد
جديد، أنا مش هبعد قوي"

عادت تحاول إبقائه بجانبها ولو لساعات إضافية..

"البيت هناك محتاج نظافة و..

وابتلعت دموعاً بدأت تخنق حروفها..

"استنى لبكره يا ياسين هبعث صباح تنضفه وتوضبه..."

سكنت حروفها وتولت دموعها السيطرة وهو يقترب ويضمها

بقوة طابعاً قبلته على الجبين ويلحقها بأخرى على كفها

ويهمس..

"ما تقلقش يا أمون.. دي حاجات بسيطة.. لا إله إلا الله..."

انطلق خارجاً ولم يلتفت خلفه وهي سكنت النافذة تراقب
رحيله على دراجته النارية ولسانها يردد

"محمد رسول الله" ..

وقليها يتمزع شوقاً له حتى قبل أن يختفي من أمامها وعقلها
يخبرها بحسم ..

"دعيه .. دعيه يعيش .. يتنفس .. يلقي حمل ذنباً لم يرتكبه من
فوق كاهله" ..

ويلتفت للقلب الدامي ينهره بعنف ليكف عن نحيبه بينما
تتمرد العيون فتذرف دموعاً، بل ألسنة من الجحيم تمزق
تماسكها الهش وهو يختفي تماماً عن عينيها ..

وتستطيل بقامتها محاولة التقاط لمحة لظله الراحل،
وتتمسك قبضتها بإطار النافذة بعنف حتى انطبعت خطوطها
داخل كفيها ..

وتطلق أخيراً شهقة قوية محتبسة داخل صدرها..
 ليأتي صوته الحازم ممتزج بانكسار غريب وهو يتساءل..
 "خلاص مشي؟"

التفتت بعنف وبعينها نظرة عتاب ولوم غير قادرة على
 إخفاءهما وهتفت بغضب مكتوم..
 "ليه ما سلمتمش عليه يا حاج؟"
 هرب بنظراته منها وعاد يتساءل..
 "البيت هناك مناسب للسكن؟"
 هزت رأسها بياس ومسحت دموعها..
 حافظ لن يتغير..

لن يبدأ هو الخطوة الأولى أبداً حتى لو تمزق قلبه قلقاً
 وخوفاً..

تحركت لتبتعد عنه، فحالتها النفسية الحالية لا تسمح بتبادل
هادئ للحوار واكتفت بغمغمة خفيفة..

"البيت محتاج تنظيف وهو ما وافقش أبعث صباح
تنظيفه" ..

تركته وذهبت لمطبخها تشغل يديها وعقلها بما يليه عن
التفكير، عن شعور قاتل بالذنب، عن هاجس يهاجمها بلا
رحمة صارخاً بها أنها تخلت عنه الآن مثلما فعل حافظ من
قبل..

كم تمننت لو صرخت به تستبقيه أو حتى تصحبه في بعده..
ولكن يدها مغلولة..

بل كيانه ممزق..

أمومتها تؤلمها.. تطحن ثنايا عقلها.. تعجزها عن اتخاذ قرار
حاسم..

من الأولى بوجودها؛ مراهقتين إحداهما تتجه لارتباط فاشل
بابن عمّتها والأخرى تلك اللغز الحائر بين الانطلاق والكآبة،
وطفل صغير يحتاج كل ذرة منها،

أم المنبوذ الضائع.. الشارد الذي عاد لبيته مرة أخرى؟..

من الأولى، بل من الأحق؟!..

فالأحق هو المنبوذ والأولى هم اخوته..

أخذت تعد الإفطار بألية تكاد تكون غير مدركة لما تصنعه
يديها حين اقتحمت بلسم المطبخ هاتفة:

- ياسين فين؟..

رفعت أمانة عينها إليها بنظرة غامضة ثم عادت لما كانت
تفعله بدون أن تمنحها رداً..

فعادت بلسم تردد بقلق:

- ماما.. أوضة ياسين فاضية ودولابه كمان..

لم تجب أمانة أيضاً وتحولت نظراتها الغامضة إلى غائمة بفعل

دموع تأبى التوقف..

ولكن بلسم لم تياس فعاتت تكرر بتساؤل مرتعب:

- هو رجع السجن تاني؟..

لتجيها أمانة بوجع:

- وهو إمتى خرج منه!..

تحركت بلسم لتواجه أمها وتتمسك بكتفيها:

- ماما.. أنتِ عارفة مكانه صح؟..

مسحت أمانة دموعها لتجيها بحسم:

- ياسين سافر..

تجمدت ملامح بلسم للحظة وعينيها تبقان بإحساس مؤلم من

الخدلان والفقْد

ومن خلفها جاءت شهقة خافتة كانت سعاد من أطلقتها وهي
تتهالك على إطار الباب الخشبي وقد كسى ملامحها حزن،
بل كادت آمنة أن تفسر نظرتها برعب لحظي ثم انطلقت
لغرفتها بصمت بينما انفجرت بلسم بهتاف غاضب:

- سافر.. سافر ليه؟.. سافر فين؟..

كانت نظرات آمنة تتابع هروب ابنتها الغامضة حين ارتفع
صوت بلسم مرة أخرى:

- ليه دائماً مُصر يختفي ويبعد في عز احتياجي له!..

رمقتها آمنة بنظرة لائمة قبل أن تخبرها:

- غريبة!.. اللي اعرفه أنك ما كنتيش عايزاه ينزل الشغل مع
فاروق.. أهوه ساب له الشغل والبيت والمكان باللي فيه..

اهتاجت بلسم وانفجرت تهتف غاضبة:

- هو اللي كل مرة بيسبني ويبعد.. مرة عشان واحدة اتخلت
عنه وباعته في ثواني.. ومرة مش عارفة ليه وهو مش عايز
يقول، والمرة دي ببعد بحجة جديدة.. أنه يريحني و..

قاطعتها آمنة بحزم بدا غريباً مع دموع مقلتها:

- اسكتي.. اسكتي خالص.. طالما مش عارفة يبقى تسكت..

دلفت رقية للمطبخ في تلك اللحظة لتقابلها دموع أمها
وهاتفها الحازم ببلسم التي بدا على وجهها التحفز والضياع

في مزيج غريب لينتصر الضياع وهي تهمس بياس:

- طيب ما قالش هيرجع إمتى؟.. مش هيحضر خطوبتي!!..

مش هيكون موجود في أهم يوم في حياتي!..

في تلك اللحظة أعلن ماجد عن وجوده بكلماته العملية:

- وأنتِ فاهمة أن فاروق هيوافق أن ياسين يحضر الخطوبة..

ده تقريباً كسر إيده!..

هتفت بلسم بدفاع:

- ما كانش يقصد.. هو قالي أنه ما قصدش يضغط على إيد

فاروق.. الحكاية سوء تفاهم بس..

تجاهلت أمانة الرد عليهم جميعاً..

وكأنها لاذت بفقاعة كبيرة تحجزها عن الجميع..

لن تخبرهم بمكانه.. لا تضمنهم .. ولا تضمن رعونتهم..

تريده أن يبدأ من جديد.. بلا ماضٍ أو حتى ذكرى تعيد له

ماضيه..

قد يكون منزل جدها الكبير في منطقة شعبية.. بعيدة ونائية

بالقرب من أطراف البلدة.. ولكن ذكرياتها عن أهل المنطقة،

عن الترابط والتقارب الذي يجمع أبناء تلك الاحياء، تدفعها

للاطمئنان على بدايته الجديدة..

فقط تتمنى أن تكون اتخذت القرار الصحيح بتركه يذهب
بعيداً.. بل دفعه للذهاب..

عادت أصواتهم تتداخل ثانية وتخرق قوقعتها الهادئة ورقية
تتكلم بتقرير:

- أكيد حاتم سيكون عارف هو فين.. هسأله و..

قاطعتها أمنة:

- ما تسألينش.. وما حدش يسأل ولا يحاول يعرف.. دلوقتِ
بتسألوا وقلقانين!.. ما هو كان قدامكوا.. وما أخذش منكوا

غير تجاهل ولوم وعتاب..

التفتت لتواجههم جميعاً موجهة كلماتها لرقية:

- أنتِ نزلتِ من شقتك كام مرة تسألني عليه ولا تقعدني
معاها؟.. هاه.. جاوبي.. ولادك.. منعتهم عنه عشان ترضي

حماتك..

رغم أن أبوهم اعترض.. ورفض.. بس أنتِ عومتِ على عوم
حماتك وعمتك..

غمغمت رقية بإرتباك:

- ما هو يا ماما..

أسكتتها آمنة بإشارة من يدها بحزم وهي تلتفت لبلسم:
-والهانم الدكتورة الصيدلانية.. أخذت منه جنب، اتهمت
وحاكت وعاقبت كمان.. سابت نوبة طفولة غبية تتحكم
فيها.. ونسيت إن كل الدلع اللي شافته وهي صغيرة كان على
إيديه..

تدخل ماجد هاتفاً بحنق:

- خلاص يا ماما.. كلنا طلعلنا وحشين وهو الملاك اللي ما
بيغلطش..

دوي الصفعة كان هائلاً..

لم يدربخلد أي من أبناء أمانة أن أمهم الهادئة الوديدة تمتلك
تلك القوة..

تلك القسوة والغضب الذي تفجر بصفعة مدوية صبغت
وجنة ماجد بألوان قاتمة وأصابع أمانة ترسم عليها بوضوح
وهتافها الغاضب بقسوة يتردد بأذنه:

- أنت بالذات ما تتكلمش.. تخرس وما تتكلمش.. ما يطلعش
نفسك إلا لما صاحب الحق يسترد حقه...

قالت جملتها الغاضبة وتركتهم جميعاً في حيرة شديدة.. بلسم
ورقية تتبادلان نظرات متسائلة.. وماجد يتحسس وجنته
بغضب هائل.. وبأعماقه فهم رسالة والدته..

لقد قررت نبذه، مقاطعته.. هي تعلم..

وتنتظر عودة الغائب ليعفو..

"الوجع.. أه من الوجع"

مين داقوا زي في الزمان ده وجربه

ياما ابتلاني بالهموم ياما الدموع نزلت في كاسي وأنا اشربه

محبوس وسجني حيطانه عذاب في قلعة جوه مدينة خراب

زنزانة ضلمة ومالهش باب يا عيني على ظلم المحكوم

اخبي وجعي في دموعي، من الألم طقوا ضلوعي

المُرشربي ومنقوعي

مكتوب لي أنا الهم ومرسوم

الوجع، أه من الوجع"

موال الوجع

تمدد ياسين على فراش ضيق بغرفة واسعة تحتوي على عدة مقاعد وأريكة كبيرة، بخلاف خزانة للملابس وعدة خزائن أخرى.. يخفي عينيه بذراعه كعادته ويشرد بذهنه بعيداً مع كلمات الموالم الذي يتردد من هاتفه وابتسامة ساخرة ترتسم على شفثفه..

يبدو أن جميع المطربين تفرغوا في السنوات الماضية لإنتاج أغاني تصف مأساته.. وكأن معايشتها بالواقع لا تكفي.. فيصدرونها لدنيا الخيال أيضاً..

حسنأ.. أنهى الأغنية بحسم وهو يخبر نفسه..

"ودع دنيا الخيال.. وتأهب لإقتحام واقعاً جديداً تماماً.. لن يكون ياسين الشاب الجامعي المتحمس لخوض غمار الحياة بصدر مفتوح، ولا ياسين المحكوم والمدان صاحب صحيفة

السوابق.. هنا في ذلك الحي الشعبي.. الشعبي للغاية حيث لا يعرفه أحد.. لن يحكم عليه أحد.. هنا هو ياسين فقط.."

هز رأسه بقلق هامساً..

"ياسين فقط!.. كيف سيعيش؟.. وحيداً!.. بلا رفقة!.. لا أهل ولا سند؟!"

أجابه عقله ساخراً..

"أي أهل!.. وهل تبقى لك أحد؟!.. أخرجوك من حياتهم كأنك هُرَّ شارد ضل طريقه لحياتهم وسرعان ما قرروا التخلص منه بعدما أمتعهم لفترة ونالوا منه غايتهم.. كل واحد منهم يتحرك بقوة للأمام.. يسعى لتحقيق هدفه.. وأنت يا ياسين!.. هل ستكتفي بخلفية الصورة؟.. البقاء في الظل؟.. الإنزواء بركن بعيد وكأنك جرو مصاب بمرض لعين!!.."

مذنب.. مدان.. مجرم بنظر الجميع.. حتى من علم ببرائتك ما زال يصر على جلدك بنبذ يعلم جيداً قسوته وجوره..

والآخر.. ذلك الأخ المفترض.."

قست نظراته بغضبه وهو يتذكر قبضة ماجد وهي تندفع
بوجهه واتهامه المفتعل..

"من أهداه سنوات عمره معتقداً أنه سيخرج من محبسه
ليجده المعين والسند هو أول من يحاول دفعه بعيداً.. وكأن
هدفه الأساسي أصبح إلقاءه خارج حياتهم جميعاً!.."

قطب جبينه يفكر هل لذلك علاقة بمطاردة الشقراء المُلحة
له؟.. هل يغار أخوه منه؟.. أو ربما يراه مصدراً لتهديد علاقته
مع خطيبته الأمريكية!!.."

أضاءت شاشة هاتفه باسم "المجنونة" في تلك اللحظة..
لترتسم ابتسامة ماكرة على شفتي ياسين..

فمنذ مكالمته لها ليلة تركه المنزل وهي تتصل به كل ساعة
تقريباً تتعجل اللقاء.. وكأنها لا تسعى لخط ملامحه على لوحة
فنية كما تزعم، بل يشعر بها تلح للقاءه وبعنون وكان

موافقته كانت إشارة ما تنتظرها.. إشارة لقبول ربما.. أو
استسلام لمطاردها له..

فتح الهاتف بحسم وحدد معها موعداً مسائياً بمرسمها..
ولم ينس التأكيد على أن اللقاء لا يعني موافقة نهائية..
كلا.. لن يوافق..

يشعر أنها تضغط عليه بقوة.. تطارده كفارسة بارعة تعرف
هدفها جيداً.. بينما هو يتخبط بين موافقة قد تعني تحوله
لسكة إنتقام يشعر بلوذعته تجذبه بشدة، وبين رفض يوازي
ابتعاد كلي عن ماضيه بكل ما فيه ومن فيه..

ولكن من أين له بالمال ليستمر؟.. هل ستنتهي مغامرته
ومحاولته للاستقلال لضيق ذات اليد!..

لن يعود للعمل صاغراً كأحد العمال بمحلات والده.. كلا لن
يحدث..

قفز من فراشه ليتناول صندوق أمانة ويعبث به قليلاً..

لاحظ من قبل وجود كمية من المال بداخله.. وكان قد قرر

عدم استخدامها وتركها كذكرى لسنوات لم يعيشها بينهم..

ولكن الآن لا مفر.. لابد له من البحث عنها...

وجد الأموال بسهولة.. مبلغ ليس بالكبير وأيضاً ليس بالهين..

يبدو أن الحاجة أمانة قد أضافت للصندوق عدة آلاف تلك

الليلة قبل وصوله واتخاذ قرار الرحيل..

دارت عيناه بالغرفة بشرود.. وذهنه يعمل بلا هوادة..

قد تكفيه تلك الأموال لفترة.. ولكن ماذا بعد؟..

يجب أن يجد عملاً ما.. لا يمكنه الذهاب لوالده ليطلب منه

أن يتكفل به مقابل ابتعاده عن العائلة.. وعن المشاكل.. كما

يحلو للحاج حافظ أن يخبره..

طرقات متتالية على باب المنزل جعلته ينتفض بمكانه

متسائلاً عن القادم.. ليأتيه صوت رجولي مميز يخبره:

- الحاج صالح صاحب القهوة اللي قدام البيت..

توجه نحو الباب ليلاحظ للمرة الأولى كم الأتربة والعناكب

المتراكمة بالمنزل..

يا الهي.. كيف لم يلمح قذارة المكان من قبل..

يومان كاملان بالمنزل وهو معتكف بإحدى غرفه ولم يهتم حتى

بإزالة الأتربة أو إزاحة بيوت العناكب..

حسناً ياسين.. لديك مهمة تنظيف عاجلة.. والأفضل أن

تنتهي من الرجل الواقف خلف الباب حتى تبدأ بها...

فتح الباب ليطالعه رجل متوسط القامة وممتلئ الجسد قليلاً

يرتدي ذلك الجلباب البلدي الشهير وفوقه معطف من

الصوف الثمين.. ويلف رأسه بعمامة ذات ألوان هادئة تماثل

ألوانها قطعة القماش العريضة الملقاة على كتفه..

رمشت عيناه للحظات وكأنه يتأكد أن الواقف أمامه رجل من
لحم ودم وليس نسخة ثلاثية الأبعاد من الحاج عبد الغفور
البرعي!..

جاءت تحية الرجل الودودة لتأكد لياسين أنه إنسان حقيقي
مثله:

- مساء الخير يا أستاذ...

مرر ياسين أنامله بخصلاته بقوة وأجاب:

- ياسين.. ياسين برهام..

ابتسم الرجل ببشاشة:

- عاشت الأسامي يا أستاذ ياسين..

تنحنح الرجل قبل أن يقول بإحراج:

- هنتكلم من على الباب كده!..

دارياسين بنظره داخل المنزل بغرفته ذات الأبواب المغلقة
والأتربة المنتشرة بكل مكان.. والأثاث الذي جُمع في أحد

الأركان وتمت تغطيته بمفارش كبيرة...

ثم عاد بنظره للرجل بنظرة مترددة.. وهو يغمغم:

- والله حضرتك تنورني.. بس.. أصل..

لمحة بسيطة خلف كتف ياسين وظهر التفهم على وجه الحاج

صالح ليربت على كتف ياسين:

- طيب إيه رأيك تيجي معايا ناخذ اتنين شاي ثقيل على

القهوة بتاعتي..

رمقه ياسين بتساؤل خفي فعاود الرجل حديثه:

- أنت قلقان مني ولا إيه!.. ده أنا تربية إيد جدك الكبير

الحاج مهدي أبو والدتك.. الله يرحمه.. ويرحم أمواتنا..

غمغم ياسين بخفوت..

"الله يرحمه" ..

جذب مفاتيح المنزل وتحرك مع الحاج صالح الذي أدرك أنه
كبير الحي وله مكانته بين أهل المنطقة..

وأن ترحيبه بوجوده بينهم يعد كنوع من القبول غير الرسمي
له بالمكان..

خرجا من بوابة البيت الخشبية العتيقة لتجذبه على الفور
رائحة شهية وتنبيه معدته أنه لم يضع طعاماً بفمه منذ أكثر
من أربعين ساعة!..

يا الهي هل نام كل تلك المدة؟!.. أم أنه كان يتهرب من حياته
بغيبوبة اختيارية...

لاحظ الحاج صالح تجمد ياسين أمام

"عربة الكبد"

التي تركز بمكانها المعهود بجوار المنزل.. وأدرك بفطنته أن
ياسين لم يأكل بعد..

فابتسم بود وهو يجذبه نحو عربة الطعام:

- إيه رأيك قبل الشاي.. ناكل عيش وملح مع بعض.. ده أنت
حفيد الغالي والله.... وساندوتشات الكبده بتاعة فجر لا يعلى
عليها.. أحلى أكل في المنطقة..

وتوجه نحو صاحبة العربة والتي كانت منهمة بخدمة زبائنها
ولكن ما أن لمحت الحاج صالح حتى هتفت بصوت ذا بحة
غريبة:

- يا أهلاً وسهلاً بسيد الحتة كلها.. أوْمرنِي..

ابتسم الحاج صالح ابتسامته الودودة وهو يخبرها:

- الأمر لله يا فجر.. عايزك تجهزي لي غدا وصاية لضيفنا..
الأستاذ ياسين..

تمتم ياسين بشكر مهم و رفع صوته يبغى الحصول على
موافقة كاملة من الحاج صالح:

- ضيف برضو يا حاج صالح!.. أنت عارف أن الحاج مهدي
يبقى جدي.. يعني أنا ابن الحتة هنا ولا إيه!

ربت صالح على كتفه بود:

- أكيد يا أستاذ ياسين.. بس تاخذ حق الضيافة ثلاث أيام..
تتعرف فيهم على المكان وأهله.. بعدها نعتبرك بقى ابننا وابن
المكان..

ربت ياسين على صدره ورأسه شاكراً الحاج صالح.. بينما
الأخير يكمل:

- هبعث لك حد ينضف الشقة و..

قاطعه ياسين بحزم:

- معلى يا حاج.. سيب لى الحكاية دي.. أنا عارف هوضيها
وأنضفها إزاي..

واقفه صالح بهدوء:

- وماله.. طيب قولى محتاج إيه؟.

وقبل أن يجيب ياسين دفعت فجر بطبق مكس بالشطائر
هاتفه بصوتها المميز:

اتفضل يا معلم.. بالهنا يا بيه.. أحلى غدا..

شكرها ياسين وهو يرمقها بنظرة خاطفة فلم يلمح منها إلا
كومة مكس من الملابس السوداء تعلوها رأس صغيرة مغطاة
بوشاح أسود اللون أيضاً..

وضعت الطبق بجانب العربة وذهبت لتتولى أمر باقي زبائنهم..
بينما عاد صالح يردد:

- أنا هسيبك براحتك.. بس لو احتاجت أي حاجة..

قاطعہ ياسين وهو يلتم شطائره بنهم:

- هطلب على طول.. كتر خيرك يا معلم صالح..

والتفت لفجرهاتفاً:

- تسلم ايديك يا حاجة فجر.. الساندوتشات حلوة قوي..

انتفضت فجروهي تبرم شفيتها وترفع حاجبها بعجب هامسة

بغيط:

- حاجة فجر!!.. عجائب!

ضحك صالح بمودة وهو يسكت غمغمة فجر المتلاحقة..

"حاجة مين يا ننوس عين الحاجة.. شايف شيبي نازل على

خدي ولا ماشية أسند على عكاز"

- خلاص يا فجر بقى.. الأستاذ ياسين لسه بيتعرف علينا..

والتفت لياسين:

- تحب نكمل كلامنا هنا ولا على القهوة؟..

هزياسين كتفيه بمعنى "كما تريد" ولم يتوقف عن إتهام الشطائر وهو يشعر بنظرات المدعوة فجر تحرق ظهره

ولم يعلم سر غضبها المبهم...

اصطحبه صالح للمقهى المقابل وجلسا معاً على إحدى الموائد خارجه واستمرت الدردشة بينهما لفترة وكلاهما يتعرف على الآخر..

عرف ياسين أن الحاج صالح هو مالك المقهى المواجه لبيت جده مهدي _رحمه الله_ وأنه يعد كبير المنطقة والجميع يحترمه ويقدره..

وأنه يمت بصلة قرابة بعيدة له.. وإن كان يحمل لجده امتناناً هائلاً لوقوفه بجانبه وكفالتة له حتى قام تزويجه بإحدى قريباته أيضاً ونتج عن الزواج نصف دسنة من الفتيات اللاتي تزوجن بدورهن وملأن بيت صالح بالذرية..

ابتسم ياسين بود وسأل وكأنه يلتمس الانتماء لذلك الرجل

ذو البسمة البشوشة:

- يعني احنا قرايب يا حاج صالح؟

- أومال يا أستاذ ياسين.. أنت لو دورت هتلاقي المصرين

كلهم يقربوا لبعض.. الدنيا صغيرة قوي..

ثم اقترب منه بجدية متسائلاً:

- ما تأخذنيش في السؤال.. هو حضرتك ناوي تعيش هنا على

طول؟..

أوما ياسين موافقاً وهو يردد شبه حقيقة قرر اخبار

الجميع بها:

- أنا ووالدي الحاج حافظ حصل بينا شوية مشاكل كده..

ومش هينفع نشتغل سوا.. وأنا كمان عايز أعتمد على نفسي..

رمقه صالح بتمعن قبل أن يعاود السؤال:

- يعني أنت مخطط هتعمل إيه ولا لسه بتفكر؟..

رفع ياسين نظراته بقلق فأكمل صالح:

- أنا بسألك علشان لو محتاج حاجة.. أو عايز مساعدة..

طبعاً أنت عارف أنه في محل تحت بيت جدك.. أنت ناوي

تفتحه وتشغله صح؟..

لم يستطع ياسين كبح دهشته وهو يتساءل هل ما يستشعره

صحيح!..

الحاج صالح يرسل له معلومة تلو الأخرى بطريقة سلسلة

ويقوده لاكتشاف ما يحتاج وما يريد بالفعل..

التفت ليتأمل المنزل القديم.. منزل ذو مساحة واسعة يتكون

من طابق ذلك الذي أقام به اليومين السابقين..

وأسفل المنزل يقبع بالفعل بوابة واسعة كانت تخفيها عربة
فجر للكبده..

ويبدو أن تلك البوابة تخص ذلك المحل الذي يتكلم عنه
الحاج صالح.. تساءل ترى ماذا يمكنه أن يفعل بتلك
المساحة؟!..

هل يلجأ لتأجير المحل ويستخدم عائده..

أم يستخدم المحل ذاته ك...

وجد لسانه يردد:

- ورشة نجارة..

سأله صالح بفرحة:

-هتفتح المحل ورشة نجارة؟!.. والله حلو قوي.. المنطقة فعلاً

ما فيهاش نجار.. وأنا يا سيدي أول زبون.. عايز منك أوضة

سفرة ونوم للأطفال وصاية..

مد يده بجيب الجلباب ليخرج حفنة من الأموال:

- وده عربون وربط كلام...

فوجئ ياسين بكلمات صالح المتتالية وهتف به وهو يحاول

إعادة الأموال:

- بالراحة عليا يا حاج.. هجهز الورشة وبعدين نتفق.. و

قاطع صالح وهو ينهض إستجابة لنداء صبي المقهى:

- قلنا يا ابني ده حق الضيافة.. وما ينفعش ترفضه.. رتب

نفسك زي ما تحب.. وأنا منتظر الأوضتين.. واللي أكيد

هيكونوا شغل عالي قوي.. بالإذن يا ابني..

أغمض ياسين عينيه يستمتع بتلك الكلمة الحبيبة "ابني"..

والتي لم يسمعها من والده الفعلي منذ سنوات..

وشعور غامض بسكينة قلقة، بل مرتعبة من تلك الخطوة
التي يخطوها.. خطوة نحو مجهول لا يعلم إذا كان سيرحب به
أم يلفظه هو الآخر!..

وبداخل المقهى كان صالح يجيب على الهاتف هامساً:

"ما تقلقش يا حاجة أمنة.. ياسين ده ابني.. وهشيله في
عينيه.. أحب أطمئنك أنه فكر في ورشة النجارة من نفسه..
ورافض أي تدخل مني أو مساعدة.. وعايذ يعتمد على نفسه
في كل حاجة"..

صمت للحظات قبل أن يجيبها ليطمئن مخاوفها..

"ده اسمه كلام يا حاجة.. أنا خلاص بقيت أول زبون عنده
واتفقنا على أوضتين.. كل أخباره هتكون عندك يوم بيوم..
ومعلش لو هو ما اتصلش اعذريه.. هو بقى له يومين قفل على
نفسه جوه الشقة وأنا سيبتة براحته"

صمت لحظة يستمع لها ليردد

"ياسين في عينيه يا أم ياسين.. مش واثقة في جوز بنت عمك

ولا إيه!"

الحب.. ذلك الشعور الغامض.. متى نعشق؟.. وكيف؟..

ولم يدق القلب لشخص تحديداً دون غيره..

كلها أسئلة بلا إجابات..

قد نحاول البحث لها عن تفسيرات منطقية تسكن تلك

الحيرة التي تموج بالأعماق.. ونتاجس أن تلك الحيرة هي ما

تمنح الحب غموضه وروعته..

ولكن الحيرة التي تعصف بقلب "ليا" أضافت سؤالاً جديداً؛

هل يمكن أن يتسع القلب لاثنين!؛ رجل يمتلك كل الرقي

والتحضر والطموح.. يسعى خلفها بلا هوادة.. يريد لها في حياته
وبصفة رسمية أيضاً..

والآخر هو المادة الخام للجموح، ترى نار فائرة بعينيه
وتتوق لاشعال المزيد بل تتمنى لو تحرقها نيرانه ولكنه
يسيطر عليها برباط حديدي، يرفض تقرباتها.. صداقتها..
مساعدها وهي.. تطارده.. لا تكف ولن تكف.. تريده في حياتها
وبأي صفة.. فقط تعرف أنها تريده..

لم تصدق أذنيها وهي تسمع موافقته على عرضها؛ أن يكون
النموذج الخاص للوحتها الجديدة..

كلا لم يكن هناك مشروعاً دراسياً.. أو حتى غير دراسي..
تلك الفكرة اشتعلت برأسها فور أن رأته، هي فقط تريد أن
تخط ملامحه على لوحاتها.. تحتجز تلك البدائية بين قماش
والوان.. ألوان تخصصها هي فقط..

ببساطة تريد أن تخوض مغامرتهَا معه لنهايتها..

هل هو إعجاب؟.. إفتتان؟.. سحر؟.. حب؟!..

لا تدري ولن تبحث عن مسمى لمشاعرها.. فعقلها وجزء غير

قليل من أحاسيسها يخبرها أنها تنتمي لماجد،

ولكن هناك ذاك الجزء البدائي والذي لا تستطيع تحديده

وهو يسيطر بقوة ويجذبها جذباً نحو ياسين لتقوم بتصرفات

وتسلك سلوكيات لا تقرها ولم تفكر بنهجها يوماً..

لكنها تريد جذب انتباهه لها.. تريد أن ترى صدى لنيرانها

بأعماقه.. تكاد صلابته تهلكها.. تجاهله الممين لأنوثتها لا

يزعجها بقدر ما يجعلها ترغب في هزيمة تلك الصلابة وتحويل

ذلك التجاهل لرغبة بها...

لا تدري سبب تغيير رأيه وموافقته على عرضها..

أىكون إلحاحها ومطاردتها الخفية له؟..

فهي كانت تتصل به باستمرار وكان يجيها مرة ويتجاهلها
مرات..

أم أن نزعة الخطر بداخله استيقظت ويرغب بخوض مغامرته
هو الآخر!..

وقفت تعدل زينتها بالمرأة.. لمسة من طلاء شفاه بلون الخوخ..
كحل أسود يبرز لون عيونها الضبابية.. ورشة من عطرها
المثير بفرشاة شعرها لتمشطه عدة مرات فيتوهج شقاره
مختلطاً بالعطر الصاخب...

وصل لأذنيها صوت دراجته النارية فمسدت ثوبها بسرعة
وتحركت لتقف خلف المنضدة الواسعة بصدر المرسم، تقلب
بصفحات مجلة ما ملقاة بوداعة، حاولت التحكم بدقات قلبها
السريعة وأنفاسها اللاهثة..

فلتحتفظ بقليل من كبريائها.. فهي طارده بما يكفي ولا

داعي للإعلان عن لهفتها له بحروف مضيئة..

تركت الباب مفتوحاً فدخل ياسين بهدوء يتأمل المكان من حوله، عدة حوامل خشبية، ومجموعة كبيرة من لوحات مطوية.. وأقمشة بيضاء مختلفة الأحجام.. بضعة مقاعد خشبية.. وأريكة واسعة ومريحة.. تبدو مثل تلك التي يستخدمها الأطباء النفسيون بالتلفاز..

وأخيراً منضدة واسعة بصدر المكان، اختفت هي خلفها تقريباً ولم يبدُ منها سوى ذراعين تستند بأحدهما على سطحها وتقلب صفحات إحدى المجلات بالأخرى.. تفتعل انهماكاً زائفاً في محاولة ساذجة لتجاهله..

حسناً هي تتلاعب.. وهو أيضاً..

التفت ليعود أدراجه وعندها هتفت صارخة:

– Wait... Yassin... wait...

التفت لها ببطء ليخبرها ساخراً:

- أنا شايف أنك مشغولة و..

اختنقت الكلمات بحلقه وهي تتحرك من خلف ساتر المائدة
وتتوجه نحوه..

فالثوب المحتشم الذي لمحّه من ثوانٍ مخفياً ذراعها خلف
قماش ناعم يلتصق بهما، بدا واضحاً أنه يلتصق أيضاً بكل
خلية من جسدها ويمتد بثنايات متعددة لينتهي قبل ركبتيها
بمسافة لا بأس بها..

مسافة تبعده كل البعد عن كونه محتشماً..

احتقن وجهه وسكنت حروفه رغماً عنه، مهما تجاهلها
واستخف بأنوثتها وفتنتها لا يستطيع

إنكار قوة تلك الأنوثة وتأثيرها القوي على بني جنسه..

والشقاء تجيد استخدام قواها ببراعة.. فبعد تأكدها من
 انشدها التام بمظهرها أبطأت من تحركها المندفع نحوه
 لتهدى بدلال فتتحرك خصلاتها المموجة مع كل خطوة
 تخطوها بحذائها ذو الكعب الرفيع حد الإبرة وكأنها تمزق
 تماسكه بكل خطوة..

وهو رجل في الخامسة والثلاثين، قضى أكثر من ثلث عمره
 خلف القضبان محروماً من الصحبة الأنثوية حرماناً كاملاً..
 حتى شبابه البعيد وهبه لحب سماح فقط..

وتلك الأخيرة رغم رقة ملامحها إلا أنها تعد أقل من عادية
 بجوارفتة "ليا"..

هو ليس بقديس.. لم يكن ولا ينوي أن يصبح واحداً..
 خلايا رجولته تستصرخ طالبة الارتواء.. وسيطرته تكاد تفلت
 وهي تقترب.. تقترب أكثر مما هو مسموح.. تلتصق به تقريباً..

يصله صوتها الهامس:

- أنت عايز تمشي ليه؟..

هز كتفيه وهو يعيد استجماع سيطرته:

- مش عايز أعطلك..

قاطعته وكأنه لم يتحدث:

- أنا مش مصدقة أنك هنا!..

أبعدها بحزم واه محاولاً الخروج من شرنقة عطرها الذي

هاجمه عابثاً بباقي تماسكه:

- طيب كويس.. إيه المطلوب؟..

لم تستجب لدفعته الخفيفة واستمرت بالتصاقها به

وهمسها له:

- هارسمك زي ما اتفقنا..

ابتعد هو تلك المرة لمهتف بغضب:

- لا.. إحنا اتفقنا آجي المرسم وأقرر بعدها..

زمت شفتيها بحنق طفولي وهي تضرب الأرض بحذائها:

- لا.. اتفقنا أرسمك.. أنت ناسي ولا إيه!..

مرر أصابعه بخصلاته في حيرة.. هو لا يتذكر الكثير من
مكالمتهما تلك الليلة..

ولكنها عندما حادثته قبل مجيئه لتصف له عنوان المرسم
أوضح لها تماماً أنه لم يتخذ قراراً نهائياً.. وهو لم يفعل..

ولا يظن أنه قادر على تحصيل دينه من ماجد بتلك الوسيلة
المُسفة..

سرقة خطيبته!..

يا الله!..

لقد انحدرت لأقل من الحضيض يا ياسين..

عاد صوتها الهامس يناديه:

- ياسين!..

التفتت لها بحيرة.. يحاول استدعاء روح آمنة بداخله لتمنعه من الإنزلاق، فلا يجد إلا شياطين الجحيم تهمس له بحلاوة..

"الفاطنة تريدك أنت.. كل ما بها يناديك.. فضلتك على الجراح الناجح الممهر.. فتنمها جروحك وأنستها مبضع شقيقك المتعجرف" ..

صوت خافت يكاد يختنق بداخله يردد بشجن..

"خطيبة أخيك خط أحمر.. خط أحمر" ..

وتعود الوسوسة بخبث..

"هي تريد منك مغامرة.. على الأرجح قامت بها عدة مرات من

قبل.. ما الخطأ؟" ..

لم يشعر بها تعاود الاقتراب ولكنه وجد أناملها تتجول فوق
ملامحه بافتتان:

- ملامحك مذهلة.. مش ممكن لون العيون ده.. مش عارفة
هعرف أدمجه ولا لأ..

فجأة وجدها تقفز من جانبه لتذهب للمنضدة الواسعة
وتعبث بعدة أنابيب ملونة وهي تحدث نفسها بلا توقف..
ويديها لا تتوقفان عن العبث..

ذراعها تمتد هنا وهناك.. وفجأة التفتت له وهي تشير للأريكة
بحزم:

- حاول تاخد وضع مناسب على الكنبه يا ياسين..

ظل يرمقها بذهول.. لقد اختفت إيرما اللعوب وتحولت
لناظرة مدرسته الابتدائية..

لم يتحرك ولن يتحرك.. هي لا تستمع إلا لنفسها فقط..

لقد أخبرها بوضوح أنه لم يوافق بعد.. ولكن يبدو أن عقلها
يتحرك في اتجاه واحد..

وهو الأريكة على ما يبدو.. فهي ترمقها بغموض..

ثم تعود للقفز مرة أخرى لتبسط فوق الأريكة مفرشاً من
الحرير بلون أمواج البحر الغاضبة..

قطب جبينه بغضب.. ماذا يحدث!!.. وما الذي تخطط له تلك
المجنونة؟!..

انتهت من ترتيب المفرش والتفتت بأمر حازم آخر:

- اقلع..

هتف بها بجنون:

- نعم ياختي!!

هزت رأسها بحيرة:

- what's your problem babe!

وعادت للعربية:

- أنا قصدي تقلع القميص عشان تاخذ وضع مريح

ومناسب..

ضحك بسخرية مردداً:

- لا مالوش داعي، كفاية واحد فينا قالع!..

ارتسم الغضب على ملامحها وهتفت بغیظ:

- قصدك إيه؟..

واجهها بحسم:

- بصي يا بنت الناس.. سيبك من فيلم الألوان والرسم ده..

ده لعب عيال وما يمشيش عليا.. أنا فكرت أصدق في البداية

وجيت لحد هنا.. والموضوع طلع بخ..

قاطعته بتعجب:

- what's the meaning of بخ?

غمغم بغيظ:

- يا الله يا ولي الصابرين..

هزت كتفها بحيرة ولكنه لم يتركها تتحفه بتعليق آخر فردد

بهدوء:

- هاتي من الآخر.. عايزة إيه؟..

اجابته ببساطة:

- You, i want you!

اتسعت عيناه بذهول من تلك الجرأة الوقحة، وحرك رأسه في

حركة نفي لما قالته ولكنها رددته مرة أخرى:

- you didn't get it wrong!

كتف ذراعيه وهو يسألها بتهكم:

- وده يبقى اسمه إيه؟..

ردت بسرعة:

- حب..

- متأكدة؟

- أكيد او مال إيه!.. أنا مستعدة أكون معاك بالطريقة

اللي تعجبك..

سألها مستفهماً:

- وماجد؟..

وقبل أن ترد عاود السؤال:

- وأما تشبعي من الحب معايا، هترجعي لماجد ولا هتشوفي

حد غيرنا احنا الاتنين؟..

صرخت بحزن:

- على فكرة أنا ما عرضتس العرض ده على أي راجل قبلك..
وأنت بتجرحني كده، أنا ما أذيتكش ولا أهنتك!

ارتفعا حاجبيه حتى كادا أن يلتصقا بمنابت شعره وهو يهتف:

- ما أهنتنيش!!.. أنتِ فاهمة أنتِ بتعرضي إيه؟!..

غمغمت بغضب:

- حي بتعتبره إهانة!!..

عاد يهتف بعنف:

- يا الله يا ولي الصابرين..

ليجدها تسألها بغضب:

- صابرين تاني!

وتحولت للإنجليزية بسرعة:

- She's your girl, right?

رمقها بذهول هاتفاً:

- أنتِ مجنونة رسمي.. أقسم بالله مجنونة!!..

في لحظة واحدة كانت تتعلق بعنقه تهتف متوسلة:

- مجنونة.. أيوه.. مجنونة بيك.. ياسين.. خلينا نكمل مع

بعض يمكن ننجح!

غمغم متسائلاً:

- تنجحي مع سجين سابق!.. رد سجون!!

هزت رأسها بإصرار:

- أنت اتحاكمت واتعاقبت وانتهى.. نقطة وسطر جديد..

شعر بأناملها تداعب خصلاته بشغف فلم يملك إلا إحاطة

خصرها بذراعيه هامساً بمرارة:

- بس أنا كتاب حياتي السطور فيه ممسوحة.. مطموسة

ومالهش معالم..

أجابته بحيرة:

-أنا مش فاهمة بتقول إيه.. بس أوعدك أكون جنبك في

كل لحظة.. أنا ما يهمنيش الماضي طالما نقدر نبني المستقبل..

هنروح أمريكا ونبتدي سوا بعيد عن الكل..

حرك كفيه بعيداً عن خصرها ليزيح ذراعها من حول

عنقه وهز رأسه:

- اللي بيمحي ماضيه بيلغي مستقبله.. آسف.. عرضك

مرفوض.. ما أقدرش أعمل كده في أبويا وأمي.. دي خيانة..

مش حب زي ما بتقولي..

تحرك ليترك المرسم وكل ما به من جنون ليسمع صوت

صراخها الغاضب:

- دي مش النهاية.. وأنا مش هياس..

أرسل لها تحية عابرة بدون حتى أن يلتفت خلفه..

يخشى بشدة أن يستجيب لشيطانه ويمنحها ما تريد

ويحصل هو على إنتقام حاقد وقذر...

ظل يدور بدراجته النارية عدة ساعات.. الأفكار تتصارع

بداخله؛ تارة ينتصر العقل والضمير.. ومرات تقفز الشياطين

كلها أمامه تزين له طريق "ليا"..

فهي تعرض الكثير وبوضوح..

هل يغامر بكل شيء؟..

يلقي حب أمانة وما تبقى من احترام حافظ خلف ظهره؟..

يتنكر لإخوته ورابطة الدم ويجاري "ليا"..

لتمنحه حباً خالصاً كما تدعي..

بالإضافة لبداية مشرقة في أرض الأحلام؟!..

أم يستكين لصوت الضمير وينسى تلك الساعات المجنونة
ويعود لبداية متواضعة تكاد تكون بائسة ولكنها تحمل

توقيع أمانة الحنون!!..

استمر بالدوران حول منطقة سكنه الجديدة وكأنه يحاول
اتخاذ قرار أي طريق يسلك..

ليفاجئه اهتزاز هاتفه ينبئه بوصول رسالة..

أوقف الدراجة النارية ليكتشف أنه وصل تقريباً لمنزله
الجديد!..

فتح الهاتف ليجد الرسالة من الرائد هاشم..

رسالة حازمة ولكنه استشعر منها حماية خفية وتحذير
واضح..

"روح يا ياسين وكفاية لف ودوران.. ومبروك على السكن
الجديد" ..

اتسعت ابتسامته لفحوى الرسالة قبل أن تتجمد ملامحه
وهو يستشعر ذلك النصل البارد يخز جانبه بقسوة وصوت
أجش تصاحبه أنفاساً عطنة يهمس بثاقل:

- إبرز يا ض..

كاد أن ينفجر ضاحكاً.. فما يحدث له هو ختام مثالي
لأحداث يومه الغريبة.. إنه يتعرض للسطو المسلح..

أو كما يقولون في تلك المنطقة

"بيتثبت" ..!

ياسين.. من لقب بالأعور وقضى اثنا عشر عاماً بالسجن،

منهم عشر سنوات كاملة بسجن مشدد قابل فيه أصنافاً من
البشر قد تدفع ذلك السكير الأبله الذي يضغط المطواة
بجانبه لترطيب سرواله هلعاً..

لحظات وانفجرت ضحكاته المريرة فهو لم يعد يملك سيطرة
لباقى الليلة..

فقد بذلها جميعاً حتى لا يقبل بعرض الحب المجاني..

وامتدت يده لتقبض على المطواة واليد التي تمسك بها

ليلفها بقوة ويلف هو الآخر ليمنح ذلك المترنح قبضة

مستحقة حطم بها أنفه..

ولكنها لم تسقطه أرضاً فهو كان رغم ثمالته ضخم البنية

وما فاجئ ياسين حقاً ظهور ضخم آخر.. لينقضا الاثنين عليه

بغته..

عدة دقائق مرت تناثرت بها اللكمات والقبضات لتنتهي
 المشاجرة بالضخم الأول فاقداً للوعي والأخريكاد يفتك
 بياسين لولا ظهور كومة ملتفة بالسواد انطلقت بصراخ
 مدوي..

"سيبه يا جبان يا حرامي.."

صاحب انطلاق الصراخ اصطدام قطعة من الحجر القوي
 بظهر ذاك الضخم من الخلف.. فتهاوت قبضته حول عنق
 ياسين للحظة واحدة تمكن بها من اسقاطه أرضاً بلكمة
 خاطفة..

وقبل أن يتوجه بالشكر لصاحبة المساعدة المجهولة فوجئ
 بصوتها ذو البحة المميزة وهي تردد..

"زمن العجايب.. الستات هي اللي بتنقذ الرجالة!"

ومصمصت شفيتها بصوت مسموع صاحبه نظرة شملته

من رأسه حتى قدميه...

"سلامتك يا ننوس عين الحاجة" ..

تعرف على الصوت بسهولة ..

إنها "فجر" ..

كومة الملابس ذات اللسان الحاد ..

انتهى الفصل

الفصل السابع

جلست أمام حاسوبها المحمول كما تفعل كل ليلة.. ودموعها
تتساقط على وجهها بينما تتراص كلماته المهددة والمهينة
بسرعة وهو يطالها بفتح الكاميرا كما اعتادت في الفترة
الأخيرة..

بينما تطبع هي كلمات التوسل والترجي.. وتذكره بعهود الحب
القديمة..

فلا تجد إلا كلمات أشد إهانة وتهكماً على سذاجتها المفرطة
تلتحم الحروف حرفاً تلو الآخر بسرعة لتشكّل جملته القاتلة..
"حب إيه وجواز إيه يا مزة.. أنا اللي بيني وبينك الكاميرا دي..
تفتحي وتعرضي وأنا أنبسط.. وإلا كل صورك اللي عندي
هتبسّط شباب النت المحروم.. يلا يا بت انجزي واخلي الروب
ده" ..

تهطل دموعها فلا تدري إن كانت ندماً أم خجلاً.. هل تبكي
دموعاً حارقة أم تنزف دماءها عليها تتخلص من عارها وهي
تخضع لطلبه الفاسق..

وتكشف ستر جسدها وسرعان ما يرن هاتفها لتبدأ معه
إحدى مكالماته الحقيمة.. ترضي بها رغبات قذرة لأحد جوارح
المجتمع..

فلم يعد القرب والإحتكاك من أساسيات ذلك النوع من
التحرش وهتك العرض..

يكفي فتاة بسذاجة سعاد تفتقر لإحساس الحب وتتوق
للشعور بأنها محبوبة مرغوبة فيتلقفها أحقر أنواع جوارح
الشبكة العنكبوتية.. عارضاً صداقة بريئة.. سرعان ما تتحول
لعلاقة حب مشبوب.. تضحي خلالها الفتاة بكرامتها وتمتمن
كبريائها حتى تنال جرعة الحب والاهتمام المعتادة..

وسرعان ما تتحول التضحية لتقدم جسدها من خلال كاميرا
الحاسوب.. وليته اكتفى..

فهو هدد وتوعد حتى نال المكاملة الأولى..

وفي الثانية اكتفى بالأمر..

والثالثة كان طلباً حقيراً..

وبعدها أصبحت هي رهن إشارته.. متى ما أراد إرضاء غرائزه
القدررة يكتفي برنة جرس..

لتستجيب هي وتكشف له نفسها وتجاريه بكلمات الغزل
السافر.. تهتك سترها تلبية لأمره.. وتخضع لتمثلياته الفاسدة
بل تقوم بدور البطولة المطلقة بها.. فهي جارية السلطان ولو
عبر شاشة وهاتف..

إما ذاك أو فضيحة تنالها هي وشقيقتها وعائلتها بالكامل...

أنهت معه المكالمة بعدما خضعت لجميع أوامره كالعادة
وتحركت بخطى مرتعشة متناقلة لترمي بجسدها العاري تحت
شلال ماء مثلج ويدها تدعك جسدها بجنون وكأنه لامسها
بيديه بالفعل ودموعها تهطل بلا توقف ممتزجة بالمياه
الباردة...

تدعك وتحك وتخدش وكأنها ترغب بسخ جسدها.. تشويهه..
وتقطيعه..

تدعوا لو تمتلك الشجاعة لتغرق نفسها بالكيروسين بدلاً من
المياه..

عليها تنال عقاب البراءة المسلوقة...

هل يعشق القلب اثنين!.. هل يتوق إليهما بنفس القدر وبشوق
مماثل.. رجل يُرضي طموح العقل وآخر يلهث خلفه جنون
الأنثى!..

أيًا من تلك الأسئلة لم تعد قضيتها.. لن تفكر بها ولا تعنيها من قريب أو بعيد..

هي لا تفكر إلا بحوارها الأخير معه.. لا تصدق ما أوصلها إليه تمورها.. لقد عرضت عليه فعلياً هجرة، بل هرباً من واقع وحياة وأسرة لم تمنحه سوى وجعاً..

وهو رفض..

رمى عرضها بوجهها ومعه حبها وأنوثتها.. والأدهى من ذلك أنه الآن يظن بها رخصاً وابتذالاً.. ويالسخرية هي ما فعلت ذلك إلا من أجله فقط..

فهي طالما خضعت لعادات والدها، بل افتخرت بكونها لن تمنح نفسها إلا لزوجها فقط..

وقابلت سخرية أصدقائها الأمريكيين بسخرية أشد من تلك السلوكيات التي تمتن الجسد باسم مشاعر زائلة غالباً..

وتباهت بقدرتها على نبذ تلك الزلات والاحتفاظ بجسدها
وقلبها سوياً لمن يستحقهما..

وظنت لفترة أنها وجدته؛ الطبيب الطموح الوسيم.. ولحسن
حظها أنه نال ثقة والدها وإعجابه أيضاً..

كانت سعيدة بحق.. ولكنها كانت سعادة منقوصة.. كانت
عاشقة لماجد.. لا تنكر.. ولكن عشقها افتقد تلك النكهة..

تلك اللذة الممتعة.. لمحة الخطر والمغامرة التي لمستها بياسين
من نظرة واحدة..

ولا تنكر أنها كانت تربة خصبة لغرس نبتة حبه فأمنة كانت
تتغنى بحب الابن البكر ورجولته وشهامته وحبه وعطفه
لجميع إخوته.. وهي كأى أنثى تنجذب لمجهول يناديها وقعت
بحب صورة خيالية.. صورة ما أن احتكت بواقعها حتى جُنت
لتحصل عليها.. تمتلكها.. بأي وسيلة ممكنة..

حلم ظنته محض خيال وعبث مراهقة لتفاجئ بقوة اقتحامه
لمشاعرها، قوة لم تظنها قادرة على زلزلة ثوابتها يوماً..

ولكنها تزلزلت بل تفتت مقاومتها وتشبثها بمبادئ لطالما أجلتها
ووقرتها فقط من نظرة، حديث، لقاء..

لا تدري إن كان حياً أم إفتتانياً لكنها واثقة أنه لم يؤثر به
بنفس درجة تأثرها هي..

ولكن تبقى عقبة قوية بينها وبين سعادة تحلم بها؛ ماجد..
خطيبها المفترض والذي يلح منذ فترة لإعلان الخطبة رسمياً..

والآن هي في وسط صراع بين عاطفة وعقل.. بين رغبة قلب
وتفكير واقعي وعملي ولا تنكرو وجود لمسة رومانسية تغلفه..

قد لا ترضيها تماماً ولكنها تكفي لبدء حياة هادئة وناجحة..

لا تستسيغ موقفها.. بل تحتقره.. ليست هي من تعلق رجلاً بها
لتسعى خلف الآخر.. والكارثة أنهما شقيقان.. وهذا لا يغتفر..

سواء في ثقافة مجتمعها المنغلقة أو حتى في ثقافتها الغربية؛
 علاقات أسرية لا يجوز المساس بها وهي تدرك ذلك..
 تستوعبه جيداً ولكنها عاجزة عن منع نفسها.. عاجزة عن
 قبول رفضه القاطع لأي علاقة تجمعهما وستسعى جاهدة
 لتغيير رأيه، بل هي تسعى لذلك بالفعل منذ أن ترك مرسمها
 هارباً من مشاعرها وهي لا تكف عن الاتصال وإرسال رسائل
 نصية.. تتوسله لقاء للتوضيح.. تريد أن تفسر.. تشرح.. تجعله
 يدرك أنها ليست تلك الفتاة المتهورة المبتذلة التي ظنها..
 هي فقط تحب.. تعشق.. ولا تعرف ألعيب الفتيات.. حينها
 يوازي جنون امتلاك.. تلك طبيعتها ولا يمكنها تغييرها.. ليست
 فتاة متعددة العلاقات ولا تحب أن تتحول لواحدة.. توقف
 تفكيرها عند تلك النقطة وهي تتخذ قراراً هاماً وتتوجه إلى
 مكتب والدها على الفور..

التهمت ساقاها درجات السلم الداخلي لفيلا أبيها وهي تهبط
الدرج بسرعة شديدة لتدلف إلى غرفة المكتب لتجده جالساً
خلف مكتبه الفخم وبفمه التصق غليونه الأثير وقد اندمج
بقراءة أحد الأبحاث الطبية على حاسوبه المحمول حتى أنه لم
يشعر بدخولها عليه..

تقدمت قليلاً حتى اقتربت من وأجلت صوتها:

- Morning...dad...

رفع طاهر عينيه إليها محذراً:

- ليا.. الكلام هنا بالعربي..

هزت كتفها بموافقة وهي تهمس:

- Ok

لمعت عيناه بتحذير صامت مما جعلها تشير بيدها في اعتذار
حقيقي.. وتقترب منه لتقبل وجنته هامسة:

- آسفة.. داد.. كنت محتاجة أكلمك في موضوع مهم..

أغلق الحاسوب ليلتفت لها بكل انتباهه:

-أنا كمان كنت عايزك في موضوع.. تبدأي أنتِ ولا أتكلم

أنا؟..

ابتسمت له وهي تهتف:

- اتفضل حضرتك الأول طبعاً..

نهض من مقعده ليصطحبها لمقعد عريض فجلس وأجلسها

بجانبه:

- ماجد كلمني أنه عايز يعلن الخطوبة رسمي..

تغيرت ملامحها المبتسمة وقطبت جبينها بقلق ليكمل والدها

بجدية:

- أظن أنه معاه حق.. أنتِ بقى لك شهور بتقربي منه وقبل

كده اتعرفتِ على عيلته وأظن أنك متعلقة بوالدته، والست

كثر خيرها تنازلت عن شرطها بوجود أخوه الكبير في الحفلة

الرسمية.. تقريبًا أخوه سافرو..

هبت ليا فجأة من جلستها هاتفه:

- ياسين سافر!!.. إمتي؟.. وفين؟...

رمقها والدها بدهشة مجيباً:

- ما اعرفش.. ماجد ما قالش بالضبط.. خرينا في المهم.. إيه

رأيك نعمل حفلة الخطوبة بعد أسبوعين؟.. وفرصة كويسة

كارلا هتكون متوجودة..

كتفت ذراعها تحتضن جسدها وعقلها مشتت بتلك المعلومة

التي أخبرها بها والدها بدون قصد؛ هل سافر بالفعل؟.. أين؟..

ومتى؟..

لهذا لا يجيب هاتفه؟.. ولم السفر؟.. هل يتهرب منها؟..

قطع والدها سيل الأسئلة المتدفقة بعقلها متسائلاً:

- ليا!.. روجت فين؟.. رأيك إيه في الموضوع؟..

فركت كفيها بتوتروهي تجبه:

- داد.. بصراحة هو ده نفس الموضوع اللي كنت عايزة

حضرتك فيه..

أوما والدها راضياً:

- طيب كويس..

هزت رأسها نفيًا:

- لا مش كويس.. أنا كنت بفكر ألغي مشروع الخطوبة ده..

برقت عينا والدها بدهشة مستنكرة فسارعت بالقول:

- أو آجله شوية..

نهض والدها ليواجهها متسائلاً بحزم:

- والسبب؟..

خفضت بصرها هامسة:

- سبب خاص.. داد..

هز والدها رأسه بالنفي وهو يسأل بتصميم:

- السبب يا ليان؟..

أجابته بخفوت:

- في شخص تاني في حياتي..

ارتد والدها خطوة للخلف وظهر في عينيه بريق غاضب..

وبدا وجهه محتقناً قليلاً.. ولكنه تمالك نفسه وسألها بهدوء

ظاهري:

- والشخص ده أنا أعرفه؟..

ترددت للحظات قبل أن تهز رأسها نفيًا:

- ما اعتقدش..

عاد يتساءل:

- وهو صارحك؟.. الموضوع جدي يعني؟..

ترقرقت الدموع بعينها وهي تهز رأسها بعجز:

- لا.. هو... أنا..

صاح والدها بغضب:

- مش فاهم يا ليا كلامك.. بتحببيه؟.. بيحبك؟..

دمعة واحدة سقطت على وجنتها وهي تهمس:

- مش عارفة.. أنا.. أنا بيتيألي أني بحبه.. مش عارفة..

حاول والدها التحكم بأعصابه ليسأل ببطء:

- وهو؟..

هزت ليا رأسها بنفي واضح لتنفجر ينابيع الغضب بوالدها:

- وده اسميه إيه!.. جنون!!.. مشاعر منفلته؟!..

دفنت وجهها بين كفيها وهي تجلس على أقرب مقعد وقد بدأت
تفلت دموعها:

- please , dad...

تمهد والدها بقوة مسيطراً على غضبه:

- ليا.. حبيبتي.. سبق واتكلمنا على ماجد.. وقلت لك أنه أنا
شخصياً معجب بظموحه وقوة شخصيته.. ده غير أننا عارفين
أسرته كويس.. لكن أنتِ دلوقتِ بتكلميني عن زوبعة في
فنجان.. موجة مش محسوبة من المشاعر..

حاولت ليا مقاطعته ولكنه أوقفها بجملة حاسمة:

-مشاعر مش متبادلة.. وده كلامك... وطالما مش متبادلة
تبقى مش حب.. لأن الحب من طرف واحد ده المعنى الحقيقي
للإهانة.. وأنا ما ربيتش بنتي عشان تهين نفسها..

مسحت ليا دموعها بظهر يدها وهي تهمس:

- مشاعري متلخبطة..

تحرك والدها ليضمها لصدره وهو يربت على شعرها..

- هقول لما جد أنك لسه محتاجة وقت.. بس عشان خاطر

بابا.. الوقت ده تستغليه عشان تتغلي على التشوش ده.. شهر

واحد يا ليا تبلغيني بعده بميعاد الخطوبة المناسب ليكي..

هزت رأسها بصمت وعقلها يقر بصحة كل كلمة قالها والدها..

ولكن قلبها يكاد يجن هلعاً من مجرد احتمال سفره وغيابه

نهائياً عن حياتها...

"المساحة كبيرة قوي.. وهتحتاج شغل كتير وفلوس أكثر..."

هذا ما كان يدور بذهن ياسين وهو يدور بعينه في مساحة

المحل الواسعة.. مساحة تكفي لمعرض كامل من الأثاث وليس

مجرد ورشة نجارة بسيطة يبدأ بها حياته..

تحرك ليتفحص الجدران وبأذنيه يدوي هذر العمال الذين
وفرهم له الحاج صالح لتأهيل وتجهيز المحل ليصبح الورشة
التي يتمناها ياسين، يحاولون منذ أكثر من أربعة أيام
إنهاء المهمة، ولكنها تمتد وتتشعب حتى كادوا أن يعيدوا بناء
المكان... وذلك يكلفه الكثير..

جاءه صوت كبير العمال يطالبه برد نهائي ليقرروا اتجاه سير
العمل:

- هتجدد كل المساحة يا أستاذ ياسين؟..

سأله ياسين بشك:

- ممكن نحاول نقسم المساحة بحيث نجدد نصها.. وتقبل
النص الثاني..

هز الرجل رأسه رافضاً الفكرة:

- صعب والله يا هندزة.. المحل متصمم طولي.. هتقسمه

إزاي..

حك ياسين رأسه مفكراً بحل تلك المعضلة.. من حماقة
إنفاق معظم ما يمتلك على إصلاح الجدران فقط، هو ما زال
يحتاج إلى الكثير..

معدات، آلات، أخشاب، بضعة إجراءات قانونية..

يا الهي.. العمل لا ينتهي.. والمساحة الواسعة لا تساعد..

قطع أفكاره بتلك اللحظة صوتها ذو البحة المميزة وهي تخاطب
كبير العمال متسائلة بمكر:

-وأنت عايز توضب المساحة كلها ليه يا أسطى بدوي؟.. أنت

ممکن تحول اللي جوه لورشة فيها العدة.. ودي تحتاج

توضيب بسيط.. والجزء اللي بره يتضبط سنجة عشرة ويبقى

معرض صغير..

والتفت لياسين برأسها الملفوف بوشاح أسود ضخمة:

- إيه رأيك يا سي ياسين؟..

حرك ياسين نظراته بينها وبين الريس بدوي متسائلاً:

- الكلام اللي هي بتقوله ينفع؟..

تلعثم بدوي:

- آه.. أصل..

قاطعته فجر مؤنبة:

- لا أصل ولا فصل يا ريس بدوي.. ما ينفعش تجري ورا
سبوبة من شغلانة موصيك عليها الحاج صالح بذات نفسه..
أنت داخل النهارده على اليوم الرابع وما خلصتس المحل.. في
إيه يا خويا بتصب برج ولا يكونش هتعمل كوباوند..

احتقن وجه الريس بدوي وزجر فجر مؤنبة:

- إيه يا فجر مش هنخلص من لسانك.. أنتِ تفهمي إيه في
شغل المرمة والنقاشة..

اقتربت منه فجروهي تمسك بيدها لفافة ضخمة وبيدها
الأخرى لوح في وجهه هاتفة:

- أيوه بفهم في شغل المرمة يا سيد المعلمين... وبعرف في
النقاشة يا ريس الأسطوات.. وأعرف كمان أنه عيب أما أكل في
ابن منطقتي وأقلبه في قرشين..

ثم التفتت إلى ياسين وعيناها تجول بين قسمتات وجهه
وملابسه لتكمل بلهجة ماكرة:

- ولا عشان هو لابس لبس بهوات قلت ده غشيم ولا ننوس
عين الحاجة!..

كور ياسين يده في قبضة غاضبة يكاد يطلقها بوجه كتلة
الملابس تلك.. فهي لا تتوانى عن تذكيره بتلك الكلمة

"ننوس عين الحاجة" ..

في كل مناسبة ..

تلك المرأة تشبه الكرة الشراب بطبقات ثيابها المتعددة
ووشاحها الضخم لا تعلم أنه يحاول دفن عصبية وغضب
ياسين والبدء بصفحة بيضاء ..

لو تدرك فقط ما هو قادر عليه لتطائرات تلك الطبقات هلعاً ..
ولكنه لا ينكر مساعداتها له، تعمل بوصية ذلك الرجل النادر؛
الحاج صالح_الذي سافر إلى ابنته مع وعد بعودة سريعة_
فأصبحت لا تؤخر خدمة عنه ولا تبخل بنصيحة ..

وهذا لا يمنع لسعات لسانها الحاد وبصفة مستمرة ...

تحركت لتضع ما معها من لفائف لعدة شطائر وهي تكمل
وكأنها لم تطلق قذائف لسانها منذ قليل:

- الغدا بتاعك يا سي ياسين وغدا العمال ..

مد ياسين يده بعدة أوراق مالية هاتفياً:

- الحساب يا ست فجر.. مش معقول اربع أيام ما أخذتيش
ولا مليم!

أشارت فجر بيدها رافضة بشدة:

- أبدأ.. والله ما يحصل.. أول ما الورشة تدور نبقى
نتحاسب..

وعادت تقطب جبينها وهي تهتف بالريس بدوي وتشير بثلاثة
أصابع:

- هما ثلاث أيام يا ريس بدوي.. تكون مسلم الورشة لسي
ياسين.. ولا عشان الحاج صالح سافر هتقلب الرجل في
فلوسه..

حاول ياسين التدخل لاسترضاء الرجل ولكنها جذبتة من
ذراعه لتسحبه بعيداً هاتفية:

- عايزاك في كلمتين يا سي ياسين..

غمغم ساخراً:

- هو في لسه كلام ما قولتتهوش..

رفعت رأسها له فقد كانت قامتها تصل لمنتصف صدره تماماً..

وهمست بخجل وتردد وكأنها لم تسخر منه منذ دقائق:

- كنت عايز أطلب من حضرتك طلب؟..

اتسعت عيناه بدهشة للتغير الجذري بأسلوب حديثها.. حتى أنه دعك أذنه السليمة ليتأكد أنه سمع تلك الكلمات وبذلك

الأسلوب المهدب..

لفتت حركته انتباهها لتسأله بفضاضة:

-أومال ودنك الثانية راحت فين؟.. حادثة دي ولا أنت مولود

معيوب؟.

هتف بإستنكار مذهول:

- معيووب!!!..

أطلقت ضحكة محرجة وهي تهمس بخجل:

- يووه.. ما قصدتش يا سي ياسين..

وأشارت بيدها وكأنها تمسح كلماتها:

- خلاص ولا يهملك.. نرجع للخدمة..

هز رأسه بعجز لا يدري أيغضب أم يدفع رأسها بأقرب جدار..

ولكنها مسلية.. لا ينكر هذا..

أخبرها بهدوء:

- أوأمري يا ست فجر.. تحت أمرك..

هتفت بعفوية:

- ما يؤمر عليك عدويا سيد الناس.. بس كنت عايزة
أستأذنك أني أفضل واقفة بعربية الكبدة بعد ما تفتح
الورشة؟..

هزرأسه بعدم فهم:

- وإيه المشكلة؟..

اتسعت عيناها بدهشة:

- يعني أنت مش ممانع!!..

عاد يستفسر منها مجدداً.. يشعر بوجود شيء غامض:

- وهمانع ليه يا ست فجر؟..

مطت شفتهما:

- يعني هتقولي قفلتِ باب الورشة وده باب رزق.. عايز أعرض

حتت العفش بره.. وريحة الكبدة مضايقاني.. حاكم أنا

اتنقلت في كل حنة في الحارة دي وعارفة كل الحجج والأعدار..

وغلبت والله يا سي ياسين.. لقمة العيش مُرة..

ابتسم ياسين بمودة:

- لا ما تقلقيش يا ست فجر.. حتى لو طلبت منك تتحركي

بالعربية.. ممكن توقي قدام بوابة البيت.. ما فيش أي

مشكلة..

رفعت يديها للسماء تدعو لله:

- ربنا يكرمك ويرزقك يا رب.. الحاج صالح له نظرته برضوه..

قال عليك ابن أصول.. صحيح الأول ما كنتش نازلي من زور..

بس طلعت ابن بلد حقيقي..

وضع كف فوق وأخرى وهو يتساءل عن المعنى المزدوج لكلمات

الكرة الشراب..

أتمدحه أم تدمه!!..

وسرعان ما جاءت نهاية جملتها لتدفع بشياطين الغضب

أمامه:

- وأنا برضوه عندي نظر.. هتدفع لك اللي تطلبه..

كاد يحطم وجهها الذي يظهر بالكاد من وشاحها..

من تظنه!.. بلطجي يتقاضى إتاوات نظير السماح لها

بمزاولة عملها..

كتم غضبه ليجها ببرود:

-عارفة يا فجر لولا أنك ست.. كنت نزلت لك صف سنانك..

عشان بس تعرفي ننوس عين الحاجة ممكن يعمل إيه..

وقفي العربية مكان ما تحبي.. وأنا ما باخدش إتاوة يا حاجة

فجر..

ربت على رأسها بعنف وهو يبتعد مع كلماته الأخيرة ليجيب
على هاتفه الذي تعالي رنينه بتلك اللحظة، ولشدة غضبه لم
يتأكد من هوية المتصل..

فتح الخط ليجد ليا تهتف بلهفة:

- ياسين.. أخيراً رديت على التليفون!..

أبعد الهاتف عن أذنه وكأنه يريد التأكد من هوية المتصلة،
ليطلق سباب بصوت خفيض..

هو يتهرب منها منذ أربعة أيام.. لا يجيب على اتصالاتها ولا
رسائلها.. لا يريد أن يفكر بعرضها..

يغرق نفسه بالعمل في تجهيزات الورشة نهائياً، وبترتيب
وتنظيف المنزل في ساعات الليل..

ورغم ذلك يناوشه عقله لقبول العرض..

أن يترك نفسه لمتعة وجود امرأة مثلها في حياته.. ويسمح
لذلك الشعور بالتميز بالتغلغل داخله فقط لأنها فضلته على
شقيقه..

يستجيب لعطش رجولته ليروي ظمأه الطبيعي لوجود أنثى
ترضي رغباته وتحيل جفاف سنوات شبابه لحياة طبيعية
أصبح يفتقدها بشدة وخاصة بعد ابتعاده عن حنان أمانة
وتفهمها..

ليس فقط الاحتياج الغريزي لأنثى.. ولكنه احتياج من نوع
آخر.. احتياج للرفقة.. الونس.. الدفاء.. الاهتمام..

وهي تعرض كل ذلك وبوفرة.. ومطارقتها لا تنتهي وعزمها لا
يلين.. لا يستطيع إحصاء عدد رسائلها واتصالاتها على مدار
الأربعة أيام الماضية...

أتاه صوتها المتردد:

-ياسين.. أنت سافرت فعلاً؟.. أنا السبب؟.. أنا اللي خليتك

تبعد..

زفر بحنق:

- عرفتِ منين أني سافرت؟.. سألتِ ماجد؟..

جاءه صوتها الهائم به:

- ياسين.. خليني أشوفك..

رده كان حازماً:

- لا..

هتفت بصوت لائم:

- ليه لا؟..

- مافيش حاجة زيادة ممكن نقولها..

همست بتردد:

قاطعته هاتفة:

- أول مرة تنطق اسمي!.. مش مصدقة!!.. ياسين.. محتاجة

أشوفك.. لازم نتكلم..

همس بصوت يحاول استرجاع قوته:

- لا..

عادت تلح:

- عشان خاطري.. نتقابل مرة واحدة.. عايزة أعرف أنت

بعدت ليه.. قلبي واجعني وحاسة أني السبب..

- لا.. أنتِ مش السبب..

عادت تتوسله بصوت هامس:

- محتاجة أتكلم معاك يا ياسين.. بابا أداني مهلة عشان

أحدد موقعي من خطوبة ماجد.. لازم نتكلم..

هتف يحارب هاجس بداخله يحثه على القبول:

- مافيش كلام بينا..

أقلت بورقتها الأخيرة.. هي تريد مقابلته ومعرفة مكان تواجد

بأي طريقة:

- محتاجة أتكلم عن ماجد..

صمت للحظات يفكر بينما هي لم تكف عن الإلحاح.. حتى

هتف أخيراً:

- موافق.. بس مش في المرسم..

وافقت على الفور:

- أولك.. بكره الساعة خمسة، ستاريكس المهندسين.. تعرفه؟

لم يكن يعرفه ولكنه أجاب بسرعة:

- أيوه.. سلام..

أغلق معها الخط وهو يحاول اقناع نفسه أنه سيلتقيها
ليقنعها بالزواج من ماجد
ويحذرهما حتى تبتعد عنه هو.....

توجه ماجد لغرفته بالمشفى الحكومي، غرفة يتقاسمها مع
خمسة أطباء آخرين.. ولا تحتوي إلا على فراشين فقط..
وعدة مقاعد..

واعتاد دائماً التنافس مع زملائه حتى ينال راحة الفراش ولو
ساعتين متصلتين.. ولحسن حظه تلك الليلة لم يكن أي من
زملائه يشاركه مناوبته الليلية..

هو بأمس الحاجة إلى الراحة.. لم تنل عضلات جسده الراحة
منذ يومين متصلين..

بين إجراء عمليات بمشفى الدكتور طاهر.. وعدة عمليات
أخرى هنا بالمشفى الحكومي.. هو لا يمانع..

فبكل حالة يكتسب خبرة.. ومع كل عملية تزداد ثقته ومهاراته
الجراحية..

ما أن ترك عضلاته المتألمة تنال بعض الراحة على الفراش
حتى تعالي النداء الروتيني بمكبرات الصوت داخل غرف
الأطباء وسائر أنحاء المشفى...

“code bluecode bluecode blue ...code blue”

زفر بحنق.. فها هي الراحة التي يتوسلها جسده تتبخر مع
أصوات النداء..

اعتدل جالساً محاولاً تصفية ذهنه فربما يحتاجونه لإجراء
شق حنجري أو صدري إذا استدعت الحالة ولم يستجب
القلب لإنعاش طبيب الطوارئ والطبيب المقيم...

وبالفعل لم تخب توقعاته.. فسرعان ما تعالت الطرقات على
باب الغرفة وإحدى الممرضات تقتحم الغرفة بقوة وقبل أن
ينهرها على فعلتها سمعها تهتف:

-دكتور ماجد.. دكتور ماجد.. دكتور حاتم!

قطب جبينه مستفهماً:

- الحالة اللي شغال عليها دكتور حاتم هي ال

....code blue?

هزت الفتاة رأسها نفيماً هاتفة بجزع:

- هو code blue

دكتور حاتم..

هتف بجنون:

- حاتم قلبه وقفه؟..

وانطلق مسرعاً نحو غرفة الإنعاش تختلط المشاعر بداخله
بين غضب وحنق وحزن

هامساً..

"مش ناوي تجيبها لبريا حاتم!"...

انتهى الفصل

الفصل الثامن

ما هو الشعور المضاد للحب؟..

الكراهية؟.. كلا.. فالكراهية نوع متطرف من الحب.. أو من
 المشاعر بصفة عامة.. هي الوجه الآخر للحب.. الحب الأسود..
 القاتل.. قاتل حد الكراهية..

اللامبالاة؟.. كلا أيضاً.. فالامبالاة هي فقط التوقف عن
 الحب، عن الاهتمام والمرعاة.. فقدان عام للمشاعر..
 للإحساس بالآخر...

إذاً.. ما هو ذلك الشعور الذي يمكننا القول وبوضوح أنه
 الشعور العكسي للحب؟!..

إنه الأذى يا سادة.. أن تحب أحداً هذا يعني تحديداً أنك عاجز
 عن أذيته،

أنتك منحه حصانة الحب..

ومتى ندرك افتقاد القلب لتلك الدقة النابضة باسم
 الحبيب؟.. متى يبدأ الحب بالاضمحلال، التلاشي؟..

الإجابة بسهولة عندما لا نجد صعوبة في إلحاق الأذى بذلك
الحبيب المفترض..

أن يكون الرابط بينكما هو مجرد الشعور بالذنب..
والأدهى.. أن يكون الواجب والمفروض..

مسحت رقية دموعاً جرت على وجنتها وهي تستمع لكلمات
شقيقها المضطربة والغير مقنعة بالمرّة..

"حاتم مش هيقدر يرجع الليلة.. العملية اللي شغال عليها
هتطول.. ومش عارف هيخلص إمتى"..

ابتلعت الكلمات بصمت ومنحت أخاها بضع كلمات متفهمة
وأغلقت الهاتف لتأمله عدة لحظات سمحت فيهم لعبراتها
بالانهمار، ثم وكأنها تخضعهم لإرادة فولاذية..

توقفت العبرات.. وسكنت الملامح..

بل أن الأنفاس كادت أن تخفت.. فقط دقات القلب هي من

تسارعت وكأنها تصرخ أنها تتعرض لأذى..

أذى عنيف قاتل.. أذى بطعم الكراهية المغلفة بالامبالاة..

فلا هي طالت خلاص الكره ولا تمتعت بلذة المبالاة...

أغمضت عينها تبتلع غصة تكاد تكتم أنفاسها لتتذكر مآساتها

مع من عشقت..

وإن ظنت للحظة أن ولعه بالعلاقات العاطفية هو ما سيدمر

حياتها فقد كانت واهمة، فهي تعلم وعن قوة إدراك أنه لم

ولن يعشق غيرها..

وما ركونها لنصيحة آمنة بالترفع عن تلك العلاقات وغض

النظر عنها إلا استجابة لهوى في نفسها..

هي تعشقه وهو يبادلها عشقها بجنون أكبر..

وبقدر ما عرف من نساء فإن واحدة لم تحل محلها بقلبه، لم تقارب حتى منزلتها..

ماذا تريد بعد!!..

كانت تخدع نفسها بتلك المواساة الفارغة وعاشت بفقاعة عازلة عن واقعها المر؛ حياة افتراضية تضم أسرة سعيدة وأبناء هم قرة عينها وزوج عاشق ذو مستقبل باهر ومهنة واعدة،

ليصفعها الواقع مرة أخرى، وكم كانت الصفعة مدوية وهادرة تلك المرة.. فزوجها الشاب؛ الطبيب الواعد يخطو، بل يعدو ويسقط ويتهالك نحو دائرة الضياع..

وكانت البداية، بل النهاية لا تعلم.. فقط لاحظت عدة أمبولات بجيب سترته، وكان مبررره أنها تخص عمله فهو طبيب تخدير.. وصدفته.. هل تملك غير ذلك!..

وتكرر الأمر ومعها التبرير.. وهي مستمرة بتصديقه..

تحيا الكذبة وتتمرغ بين أشواكها راضية.. فقط لا تريد أن
تفيق من غفوتها.. من غباوتها.. من عشقها الذي منحه
حصانة الحب.. والتصديق..

لتكذب عيونها وإحساسها وإدراكها لأحواله المتغيرة..
مزاجه المتقلب.. أعصابه التي تتأرجح بين فوهة الجحيم
وبرودة القطب..

تفاضت وتجاهلت وأملت أن تهرب من الحقيقة لتغافلها
وتصدمها بلا رحمة..

يومها.. صرخت.. بكت، توسلته التوقف وبداخلها تتمنى لو
يستمر بكذبتة.. يداوم على الإنكار..

يعيدها لفقاعتها الوردية العازلة.. ولم يستطع.. فبيدها
الأمبولات الفارغة وبالأخرى محقن ملوث بدمائه ألقاه بلحظة
تية في حمامهما الخاص بغرفة نومهما..

بكت، وبكى.. صرخت به، وتوسلها التفهم..

لطمت خديها ونزعت خصلاتها قهراً وانهمازماً،

وصرخ بها لتصمت..

أخفت وجهها خوفاً من غضب تلمحه بعينه لأول مرة،

وأخفى وجهه خزيًا وأسفًا..

تهالكت وانهارت تطالب بتفسير،

تهالك وانهار بين يديها يبرر ويبرر..

ولم تستمع لكلماته الكثيرة.. لم تفهمها وكأنه يستخدم لغة

غريبة لم تمر بأذنيها من قبل...

كلمات متناثرة بدت كطلقات تصيب كل ثوابتها فتدمرها

وتبعثرها هباء..

"شقى ومرسيع سنين دراسة"..

"خريج جديد وطبيب مقيم عشان يضمن استمراره.. يضمن مركزه وما تنتهيش نيابته اللي حفر الصخر عشان يطولها، لازم نبطشيات، سهر، أيام متواصلة عينيك ما بتشوفش إلا مرضى وما بتسمعش إلا مصطلحات طبية وأسماء أدوية.. عمليات.. وعمليات.. شغل ما بينتهيش..."

"بحتاج الحقن دي.. بحتاها عشان استمر.. عشان أوصل.. عشان أعمل حاجة"..

"النظام عندنا قاتل.. قاتل للطموح.. قاتل للإنسانية.. قاتل للرحمة.. عشان توصل لازم استمرار ودوام.. متطلبات تحتاج روبوت عشان يقدر عليها.. مش كفاية سنين الدراسة.. لا بعدها مرمطة الإمتياز والحصول على واحدة من النيابات عشان تضمن دراستك العليا.."

"أنت عايشة بتباهي بجوزك الدكتور العظيم!.. هااه.. ما تعرفيش بيمربايه عشان ينول اللقب.. المعرفة والخبرة.. أنه

ممکن يكون مرمطون، خدام أو حتى مهرج وبلياتشو للدكتور
اللي الأكبر منه.. للدكتور المشرف على شغله ورسالة الماجستير
بتاعته" ..

"مش أنا لوحدي اللي بحتاجه.. مائات زي بيحتاجوه عشان
يستمرؤا.. عشان أقدر أقضي نبطشية هنا، وألحق بعدها
عملية ولا اتنين هناك، وأرجع أطبق نبطشيات تاني.. ما
تلوميش عليا.. أنا بس بحاول استمر.." ..
سمعت تبريراته.. سمعتها لآخرها.. ولم تفهم..

ماذا يقول!.. هل تلك مبرراته!!..

هل يظنها طفلة حمقاء تتلاهي بجداولها عن أفعاله المشينة!!..
هل يظنها لا تفهمه!.. لا تعرفه!..

تباً من عشق شرارة البداية.. من نشوى تستهلك صاحبها
لتهلكه..

تعلم أنه يلهث خلف تلك الشرارة.. تجذبه تلك النشوى كما
تجذب ظمآن بصحراء قاحلة..

ينتقل من علاقة لأخرى باحثاً عن إحساس أثري يريد تجربته
مراراً وتكراراً..

فاستهلك مشاعره حتى فتمها..

وانتقل باحثاً عن نشوى أخرى.. لذة جديدة يريد تجربتها
والانغماس بها..

تسمع عن إبهار المرة الأولى للمخدر.. وتعلم أنه سقط ضحية
شغفه..

انحدر لهوة الضياع ولم يعد له مخرج....

لم تعرف كيف ارتدت ملابسها وتحركت لتوقف سيارة أجرة
وتصل للمشفى الذي يعمل به زوجها وشقيقها..

تتحرك بخطوات مهزومة لتصل لغرفة العناية المركزة..

تلمح زوجها على أحد الأسرة وبجواره شقيقها يتابع حالته
بإصرار وقلق..

أزاحت شقيقها جانباً.. لتضم رأس الغائب عن الوعي ودموعها
لا تتوقف...

ضاع، وضاعت..

تتلاعب بمفاتيح سياراتها بسأم وعيناها تترقب وصوله.. تعلم
أنه سيأتي.. هو وعدها ولن يكسر كلمته..

رمقت الباب والنافذة الزجاجية مرة أخرى وانتقلت عيناها إلى
ساعة يدها..

لتلحظ تأخره عدة دقائق.. فركت كفها بقلق..

تحاول ترتيب كلماتها.. شرح مشاعرها..

لقاؤه فرصة ثمينة يجب أن تقتنصها لتجعله يستوعب

مشاعرها التي تدفعها نحوه..

نظرة سريعة أخرى لتجده يصف دراجته النارية أمام المقهى

بدون اهتمام لحارس الأمن الذي رمقه شزراً..

وقبل أن تفكر في عقبات فعلها أخفت مفاتيح سيارتها بحقيبة

يدها بسرعة.. وبداخلها هاجس يدفعها لتحقيق حلمها عنوة..

لحظات ووجدته أمامها.. بينطاله الجينز المهترئ وقميص من

خامة الجينز الأزرق عكس لون عينيه الغريب فلم تتمالك

نفسها من التمهيد بلوعة:

-عينيك فظيعة.. أنت ازاي كده!!..

واجهها بجلستها وهو يزفر بحدة غاضباً:

- حاولي تخلي في فيلترين عقلك وبين لسانك..

خفضت رموشها وهي تغغم بخجل:

- آسفة.. أنا مش كده..

وارتفعت جفونها وهي ترمقه بنظرة مفتونة:

- بس مش عارفة معاك بيحصلي إيه.. كل أفكارى ومشاعرى

بتتلخبط..

قبض أنامله بغضب:

- ليا.. أنا مش جاي اسمع الكلام ده.. أنتِ طلبتِ نتقابل

ونتكلم عن ماجد.. وأنا وافقت.. اتفضلي.. قولي اللي عندك..

همست بتوسل:

-طيب اهدى بس.. وبلاش تكلمنى بالطريقة دي..

عاد للخلف ليستند على ظهر المقعد:

- اتكلمى..

همست بتساؤل:

- أنت ما سافرتش، صح؟..

رفع حاجب متساءل فأكملت وهي تشير لدراجته النارية:

- your motorcycle...

اتبع اشارتها وأوماً برأسه متجاهلاً الاجابة عليها.. ولكنها لم

تياأس:

- معنى أنك جيت بيها، أنك جاي من مكان قريب مش سفر..

أقر بذكائها.. ولكنه لم يعقب على كلماتها بل عاد يتساءل:

- عايزة توصلي لإيه يا ليا؟..

- أنت ما بعدتش بسبب اللي حصل بينا؟..

هدرهما بعنف:

- ما فيش حاجة حصلت بينا، أساساً ما فيش حاجة اسمها

احنا..

هزت رأسها بحزن:

- طيب أنت عايش فين دلوقت؟..

اقترب برأسه هامساً بفحيح غاضب:

-قدامك خمس دقائق تتكلمي فيهم.. أو همشي حالاً..

مدت يدها بتسرع لتمسك بيديه:

- لا.. ما تمشيش.. هتكلم..

سحب يده من بين يديها ليجلس معتدلاً بمقعده ويكتف

ذراعيه بينما ترمقه هي بحزن وتبدأ كلماتها:

- هقولك الكلام اللي بكرره لنفسي مليون مرة.. ماجد راجل

هايل.. وزوج مناسب جداً.. ده لو أنا بدور على بيت هادي

وأمان واستقرار وحماية والكلام اللي بيتكرر كتير ده.. ماجد

أكثر واحد ممكن يقدم لي ده.. وكنت هوافق على الخطوبة

فعلاً عشان أحقق كل ده.. بس.. بس ظهرت أنت..

فك ياسين ذراعيه وهو يريحهما على المائدة أمامه

وعلى وجهه ارتسم تعبير غريب بينما هي تكمل:

- أنت بقى كيان مختلف.. عالم غريب.. حسيت أنني نفسي

أدخله.. أدور في ملكوته.. أعيش معاه المغامرة.. أجرب الجنون

اللي طول عمري باتحكم فيه جوايا.. فاهمني يا ياسين؟..

أطرق ياسين برأسه عدة لحظات قبل أن يرفعها ويواجه ليا

بنظرات غامضة:

- أنا آخر واحد في الدنيا دي ممكن يعيش معاك بطولة فيلم

الإثارة اللي بتحلني به ده.. أنا مش سوبرمان ولا الفارس اللي

هينقذ الأميرة في آخر الفيلم..

حاولت مقاطعته فأوقفها ليكمل:

- أنتِ بنت جميلة.. جميلة جداً.. هكون أعمى لو أنكرت

الحقيقة دي.. وأكون كداب لو قلت أن عرضك ما لمسش

حاجة جوايا.. بس ده مجرد لمسة سطحية ما سابتش أي أثر..
 وهتستغربي لو قلت لك أن الست اللي هختارها تكمل معايا
 مشواري، هكون بتمنى أنها تشوفني أمان واستقرار وحماية
 لها..

هزت رأسها برفض لكلماته:

- لا.. لا أنا مش مصدقة كلامك ده.. أنت قلت أنني لمست
 حاجة من جواك..

ربت على يدها بمواساة:

- سيبيني أكمل كلامي.. أنا بالنسبة لك حلم الجنون.. مجرد
 حلم.. أنت مش شايفة ياسين الحقيقي.. وفي نفس الوقت
 حصرت ماجد جوه إطار الزوج الرزين العاقل..

وأكمل بهمس توضيحي:

- معذورة.. ما شوفتيش جنون ماجد...

عادت تهتف بجزع:

- ياسين.. سيبنى أكمل كلامي.. أنا مش صغيرة عشان أعيش

حلم مراهقة..

هز رأسه بأسى:

- هي الأحلام بقيت حصرية للمراهقين!.. ليا.. أنتِ بتدوري

على حلم معين.. بس للأسف بتدوري في المكان الغلط..

ليه ما حاولتيش تقربي من ماجد بدل ما بتقربي من الحاجة

أمنة؟..

اهتزت شفرتها بردة فعل مصدومة وهي تردد:

- ماما أمنة!..

هتف بحسم:

- أيوه.. ماما آمنة.. أنتِ طول الوقت بتدوري على صورة أنتِ
 محتاجاها للآم.. والصورة دي جوازك من ماجد كان
 هيوفرها.. ودلوقتِ عجبتك صورة المجرم التايب فقررتِ
 تضيفها لحلمك..

صرخت به:

- اسكت يا ياسين.. أنت بتشوه مشاعر حلوة جوايا ليك.. كل
 كلامك ده غلط.. غلط..

ابتسم بغموض:

- اسمعي نصيحتي كأخ كبير.. قربي من ماجد.. حاولي تلاقي
 الشعلة اللي بتحلمي بيها جوه ماجد.. وصدقيني هتوصلي
 بسرعة..

نهض واقفًا:

- عن إذنك.. أنا لازم امشي..

تمسكت بيده بسرعة هاتفة:

- ما تتخلّاش عني يا ياسين.. لو مش قادر تحبني زي ما..

سحب يده منها بعنف:

- تاني.. هنرجع تاني..

بادرته بسرعة:

- خلينا نكون أصحاب.. أنا حيرانة ومحتاجة أتكلم مع حد..

بابا مش قادر يفهمني.. وماما..

سكتت لترمقه بنظرة قطيطة تستغيث:

- أنا محتاجة صديق.. على الأقل لحد ما أحسم لخبطة

المشاعر اللي جوايا دي..

بدا الرفض جلياً على ملامحه..

هو لا يريد الإقتراب منها على الإطلاق.. لقد قاوم كل غرائزه
نحوها إلى الآن..

نعم.. هو لا يجد مشكلة في الاعتراف بأن غرائزه تستجيب لها..
لأنوثتها.. لدلالها..

لعرض الإنتقام الجاهز والذي تقدمه له بمنتهى السذاجة..
فقط نقطة بسيطة بيضاء بداخله هي ما تجعله يستمر
بمقاومته..

برفضه لظعن أخيه بظهره.. ولكن

عليها أن تبتعد..

كفاه صراعاً.. يريد راحة البال.. الأمان والاستقرار اللذان
تستعين بهما تلك المدللة.. هما يبحث عنهما.. ولكنها تنبش بقوة
لإزعاج ذلك الأمان وزعزعة الاستقرار..

انتبه لها وهي تداعب كفه بحميمية وتهمس:

- خلىنا أصحاب يا ياسين.. محتاجة لك.. معقولة ترفض

توقف جنبي في عز احتياجي لوجودك..

سحب يده منها ببطء لتعود هي وتتمسك بها:

- هسمع كلامك.. هحاول أقرب من ماجد.. بس..

قاطعتها:

- بس إيه!.. ده قرارك أنت.. وكل كلامك ده..

قاطعتها هي بسرعة:

- ياسين.. أنا محتاجة لك تحميني من جنوني..

وأكملت بنبرة متوسلة لم يستطع مقاومتها:

- plz .. I need you ، don't let me down

تمهد ياسين بيأس:

- كل الي اقدر أوعدك به.. أنك لو طلبتِ مساعدتي هتلاقيني
مش هتاخر..

ابتسامه رائعة ارتسمت على شفيتها ولكن نبرتها كانت مرتعشة
وهي تجبه:

- وده يكفيني جداً..

وعادت تهمس بنبرة غريبة:

- ممكن استغل كرم أخلاقك وأطلب منك توصلني..

وقبل أن يبدي تعجبه سارعت بالقول:

- أصل واحدة زميلتي وصلتني.. وأنا مش معايا عربيتي..

هز كتفيه بغیظ وهو يشير لها بذراعه:

- اتفضلي..

قفزت لتسبقه مسرعة نحو باب المقهى ووقفت بجوار الدراجة
النارية وهي تتأملها بانهار.. بينما هو يرمقها بفضول وعدم
تصديق..

رفع الخوذة ووضعها بين يديها:

- آسف ما فيش معايا إلا خوذة واحدة.. هتضطري
تستخدمي بتاعتي..

هزت رأسها بعبث وهي ترد له خوذته هاتفة بجدل:
-أنا مش عايزة..

هز كتفيه باستخفاف وركب الدراجة لتقفز هي خلفه..
وتلقي برأسها على كتفه محيطة خصره بذراعها بإحكام..
مما جعله يخبرها ساخراً:

- أنا لسه ما دورتش المكنة حتى.. فكي إيديك شوية..

خشيت أن يرفض إيصالها.. فابتعدت عنه مسافة بسيطة،
سرعان ما طوتها وعادت تحكم ذراعها حوله وتمسح وجنتها
بكتفه و تعيش حلمها الخاص؛ هي وهو وحدهما على دراجته
النارية يقتحمان العالم ويعلنان انتمائهما لبعضهما..

كانت سعيدة، بل تكاد تطير سعادة كما تتطاير خصلاتها بقوة
بفعل الرياح حتى شعرت أنها تكاد أن تتنزع من جذورها..
ولكنها لا تأبه..

فقط تحرك وجنتها على كتفه بخفة تلمح تأثير خصلاتها
عليه.. لتفاجئ بوجود الخوذة على رأسه..

قطبت جبينها وبحركة سريعة حركت يديها لتخلع خوذته،
وتعالق ضحكاتهما الشقية بينما كاد ياسين أن ينفجر غيظاً..
ولكنه عاجز عن إيقافها..

فهو يقود الدراجة وسط طريق مزدحم بالسيارات.. وهي
تضحك بجنون تقريباً وتلقي بالخوذة في أقرب حاوية للمهمات
وتعود لإحكام السيطرة على خصره..

أخذ يناور بدراجته محاولاً الوصول لطريق أقل ازدحاماً..
فهو قرر إنزالها أو حتى رميها من فوق الدراجة.. بينما هي كانت
تتفجر سعادة.. سعادة وشوق.. شوق لم تستطع كبحه
للتحرك أناملها ببطء مثير من خصره لتصل إلى فتحة العنق
بقميصه فتطلق تهيدة عالية وأناملها تعانق بشرة صدره
الساخنة..

توقفت عن ملامسته عندما شعرت أن الدراجة تقفز بهما
تقريباً قبل أن يتوقف بها ياسين فجأة على جانب الطريق
جاذباً ليا من ذراعها وهو يصرخ بها:

- أنتِ مجنونة.. في حد عاقل يعمل كده.. احنا في طريق
ووسط ناس..

وصرخ بصوت أعلى:

- وعلى مكنة.. على موتورسيكل..

قال كلمته الأخيرة بلكنتها الأمريكية وهو يكاد يخنقها بينما

هي تحمي وجهها من تحركات كفيه العشوائية، فهو كان

غاضباً لدرجة لم تتخيلها..

وأخيراً جذبها ليلقي بها في أول سيارة أجرة وقفت بجوارهما

ليستطلع قائدها الأمر..

وهتف بحنق:

- يلعن دي صداقة يا شيخة..

عاد إلى دراجته ليتمطمها بغضب وينطلق نحو الحارة..

نحو حياته الجديدة..

تأكدت فجر من إحكام إغلاق أقفال العربة.. وغطتها بقطعة
 ضخمة من القماش.. وهي تعود بأنظارها إلى ورشة النجارة
 المفترضة وقد أغلقت أبوابها واختفى صاحبها منذ عدة
 ساعات..

قطبت حاجبها بشدة وهي تتساءل أين ذهب؟..

وما هو ذلك الموعد الهام الذي دفعه لترك متابعة أعمال
 الإصلاحات بورشته والإنطلاق خلفه!!..

كانت قد وصلت لمنزلها وهي مازالت غارقة في حيرتها عندما
 وجدت أمامها فجأة من يقطع طريقها وصوت غليظ يدوي
 بجوار أذنها:

- يا مساء الأنوار يا ست البنات..

رفعت فجر عينها لتقابلها ملامح المعلم "أنور"؛ صاحب المنزل
 الذي تحتل هي غرفة البدروم به..

غمغمت بتبرم:

- عواف يا معلم..

حاولت التحرك والابتعاد عنه إلا أنه سد الطريق أمامها وهو

يزمجر بنبرة ثقيلة:

- الجميل مش ناوي يحن علينا بقى..

لوت فجر ملامحها وهي تتخصر له هاتفة:

- ما يصحش الكلام ده يا معلم..

لفت فجر من حوله وحاولت دخول المنزل لتجده يمد ذراعه

ويمنعها من الوصول للباب ونبرته الكريمة ما زالت تدوي

بأذنها:

- يا فجر ده أنتِ لكِ غلاوة تانية عندي.. هو أنا أنسى لما كنتِ

بتلعي مع عيالي على السلم.. كنت حطة جماريا بت..

شهقت فجر بجزع وهي تهتف باستنكار:

- طيب كويس أنك لسه فاكر أني من دور عيالك.. استحي على دمك.. ولا فاهم الشعرتين المصبوغين بتوعك دول هتضحك بيهم على عقلي..

اشتعلت عيناه غضباً وقبض على ذراعها بقوة وهو يهتف:

- يا بت أنا عايزك في الحلال..

جذبت يدها منه بعنف ومررت أصابعها على جبهتها وهي تشهق بسخرية:

- حلال!!.. الله الغني عن الحلال بتاعك ده.. يا راجل أنت على ذمتك اتنين..

مد أنور كفيه ليمسك بذراعيها ويدفع جسدها لجدار المنزل بعنف مما جعلها تتأوه بألم ورعب وقد أدركت أن الحارة الضيقة التي يقع بها منزلها خالية تقريباً من البشري تلك اللحظة..

وهي وحدها مع ذلك الرجل الذي لا يراعي ذمة ولا ديناً..

وكلماته تأتيها كالفحيح:

- ما هو أنا هاخذك يعني هاخذك.. فاسمعي الكلام بدل ما
تلاقيني رميت لك كراكيبك بره الأوضة وابقى نامي في الشارع
وشوفي مين هيرضى يتاويكي.. وأخرتك برضوه في حضني!

حاولت الإفلات منه إلا انه أحكم قبضتيه عليها وهو يقترب

منها:

- اسمعي نصيحتي واللي يجيكي غصب خوديه بالتراضي وتبقى

بجميلة..

لأول مرة تستشعر فجر ضعفها وقلة حيلتها أمام ذاك الوغد

وهو يقترب منها يستحل مساحتها الخاصة ويحاول انتهاكها..

لسعات لسانها كانت سلاحها الأول ضد هجمات بعض الرجال

الذين يستحلون وجود امرأة وحيدة تسعى على رزقها بينهم..

ولكن ذاك القدر اقتنصها بلحظة ضعف.. لحظة حيرة غرقت
بها فلم تنتبه لاقترابه الخطر..

حاولت الإفلات منه ثانية وهي تتوسله بضعف نال منها للمرة
الأولى ولكن رغبته الشديدة بها كانت قد أعمته عن كل شيء
وهو يمني نفسه بنيلها تلك الليلة، ليفاجئ بقبضة قوية تنزعها
من بين ذراعيه وصوت ياسين يدوي بسخرية:

- خيرا معلم.. كنت عايز ساندوتشات كبده ولا سجق..
معلوماتي أن الست فجر بتقفل على العشا..

اختفت فجر خلف ياسين تماماً تتمسك بقميصه في قلق بينما
وقف هو كالسد المنيع بينها وبين المعلم أنور الذي اشتعلت
عيناه بغضب شيطاني وصوته يهتف بفحيح:

- لسه كلامنا ما خلصش يا... ست فجر..

اختفى أنور داخل المنزل ليلتفت ياسين لفجر وقد سبقته
كلمات لم يستطع إيقافها:

-شوفتِ بقى ننوس عين الحاجة ممكن يعمل إيه!

ولم يكن يمر بأقصى أحلامه هذياناً أن تقابل جملته بنوبة
عنيفة من البكاء..

ولسان حاله يتمم بذهول وكأنه اكتشف طريقة لتحويل
الخشب إلى ذهب..

"إنها امرأة.. كرة الشراب متعددة الطبقات.. امرأة تعرف
البكاء!"

انتهى الفصل

الفصل التاسع

متعة الوجود على قيد الحياة تكمن بخوض تناقضاتها..
تذوق الاختلاف والقبول بنكهته اللاذعة، الرضا بالمكتوب
ومحاولة تعديل الوضع، النظر للخلف فقط لإيجاد العظة

واستخدامها للمضي قدماً.. الحركة الدائمة ما بين هبوط
وارتفاع، شد وجذب، مد وجزر..

لا يهم المسمى أو الديناميكية فقط الحركة وتناقضها هو ما
يمنح لذة الوجود، فالجمود والثبات قتل للروح.. للطموح
والإبداع..

تلك التناقضات كان ما يفكر به ياسين وهو يتكأ على باب
ورشته يرتشف قدحاً من الشاي الثقيل، يتأمل المكان حوله..
مقهى الحاج صالح بكل ما يحتويه من نماذج بشرية مختلفة،
الحاج صالح نفسه رجل ندر وجوده؛ وقوفه بجانبه ومنحه
القبول والترحاب، مراعاته له حتى أثناء غيابه، ومساعدته
على تسلم ورشته من الأسطى بدوي بوقت أقل مما تصور..
والأسطى بدوي وطرقه المتلاعبية ورغم ذلك لم يبخل عليه
ببضعة نصائح تخص معاملات سوق العمل، المعلم أنور
صاحب محل الخضروات والفاكهة والذي يُعد أبغض

الكائنات التي قابلها على الاطلاق.. فلا يستحق لقب رجل، ولا حتى بشر ذلك من يستقوى على الأضعف..

وهناك فاضل صاحب محل العطارة الصغير وهو لا يوازي زاوية صغيرة بمحلات برهام التي تمتلكها عائلته، نماذج عديدة لم يظن أنه سيكون بينهم، واحد منهم بيوم؛ فياسين الشاب الجامعي كان ذو طموح جامع.. يخطط ويحلم بمستقبل مختلف، محلات العطارة به كانت البداية لعمل أكبر وأكثر اتساعاً في سوق المال.. كان يملك الخطط بالفعل ولكن لم يممهله الوقت للتنفيذ فقفز به لحياة ياسين المحكوم داخل عنابر السجون ليتعامل مع حثالات البشر ويقابل من هو أكثر نقاءً وبراءة..

تناقض آخر يا ياسين.. يبدو أنك ستحيا بدائرة التناقض للأبد..

وعلى ذكر التناقضات، أتت سيدتها بلا منازع؛ كرة الملابس
السوداء..

ابتسم بسخرية وهو يتذكر أحد الأفلام الكرتونية التي يعشقها
ياسر شقيقه الأصغر.. وكانت بطلته تطلق على حبيبها اسم
دلال؛ "كُرتي البعبع"..

أطلق ضحكة قصيرة.. كلا هي ليست بعبع.. ولكنها بالقطع كرة
صغيرة خائفة.. خائفة من مواجهته أو الاقتراب منه منذ تلك
الليلة عندما أنقذها من برائن ذلك الموتور أنور..

لتنفجر بعدها بنوبة بكاء عنيفة.. وتنتهي الانفجار لتختفي من
أمامه فجأة.. وهي مستمرة للآن بالاختفاء والاختباء، وكأنها
تكره شهادته لحظة ضعفها والاسوأ محاولة انتهاكها..

تضع طعامه على مكتبه الصغير بالورشة وتركض ركضاً
متمتمة بكلمات مهمة عن

"العربية لوحدها"..

لا تبقى حتى لتتقاضى أجرها، ومن بين متماتها الهاربة
استوعب بصعوبة..

"هنتحاسب بالشهر يا سي ياسين" ..

ابتسم بتسلية وهو يلمحها قادمة بعدما أنهت توصيل الغذاء
للمعلم صالح لتتجاهله كعادتها في الأيام الأخيرة وهي تبدأ في
اعداد مجموعة جديدة من الشطائر..

فشاكسها ضاحكاً:

- على الفكرة الكبده النهارده ما كانتش حلوة.. يمكن مش
طازة!

التفتت له على الفور لتهتف ببحتمها المميزة:

- أبداً والله يا سي ياسين.. طازة وبلدي كمان.. أنا دائماً براعي
ربنا في أكل عيشي و..

قاطعها بسرعة:

- طيب.. طيب.. خلاص.. آسف يا ست فجر.. حقك عليا..
شوفت.. عادي الواحد ممكن يقدم اعتذار وبرضوه يقدم
شكر..

التفتت ثانية لعملها وهي تهمس بحرج:

- العفويا سي ياسين.. ده أنت جميلك على راسي..

ثم لم تستطع كبح جماح كلماتها وهي تواجهه بحنق:

- ما كنتش أعرف أنك منتظر كلمة شكر.. على العموم

متشكرين على الواجب اللي عملته معايا..

تجاهل تلميحها المبطن وحروفها التي ضغطت على كلمة

واجب حتى ظن أنها ستضيء بمصباح ملونة أمام وجهه

وارتشف رشفة كبيرة من قدحه قبل أن يعاود مشاكستها:

- ياااه.. أنت لسه فاكرة.. على العموم العفو.. إحنا في

الخدمة دائماً.. يا حاجة فجر..

تحولت ملامحها المحرجة في ثوانٍ لأخرى غاضبة وحادقة..
واحتقن وجهها بشدة وأخذت تتمتم كعادتها بكلمات مبهمة
يكاد يقسم أنها مجموعة منتقاة من الألقاب على غرار

"نوس عين الحاجة"...

لا يعلم لم يشاكسها.. يدفعها للغضب ويسبب لها الغيظ..
يعلم فقط أنه في مزاج رائع للغاية.. يمر مزاجه بنوبة مد
عالية مصدرها زيارته منذ عدة أيام لأمنة..

أخبرها أنه لن يبعد كثيراً وبربوعده؛ أراد اخبارها فعلياً أنه لن
يهجرها ولن ينساها بإرادته، وحده الحبس ما منعه عنها..
لقاؤها كان دافئاً بعقب الشوق كما توقع.. كما تمنى..

قبلاهما تناثرت على وجهه وشعره وكتفيه.. تتحسس كل شبر
منه كأنها تتأكد أنه ياسين حقيقة..

سأل بايجاز عن أخوته فهو يعلم أنهم غير متواجدين حالياً..
 لقد اختار ذلك الموعد على وجه الدقة حتى يلتقي بأمنة..
 وأمنة فقط..

ترك رأسه ليرتاح بأحضانها، أخبرها عن ورشة النجارة وانتظر
 ردة فعلها على الخبر كمن ينتظر حكم البراءة بقضية مفقود
 بها الأمل، ولكنها آمنة.. واحتة الأمنة ومصدر السلام بحياته؛
 شجعتة وأيدت الفكرة بل أبدت حماساً جلياً لمشروعه وهي
 تثني على موهبته..

"أي حد هيعي شوية التوابل في الأكياس بتوعها في محلات
 العطارة.. لكن مش كل واحد يعرف يمسك حتة خشب ويطلع
 منها تراييزة ولا كرسي"

كانت تطيب خاطره وتواسيه وهو لم يعترض رغم معرفته
 الداخلية بأن مجال العطارة أوسع مما قالتة بمراحل، ولكنه
 كان بحاجة لتشجيعها.. لنيل موافقتها..

كان يريد افتتاح ورشته وموافقة أمنة منحها الشرعية لتكون
مهنته المستقبلية..

لمح سؤاها الحائر بعينها..

"هل تخبرهم؟.. هل تخبره هو بالذات من نبذه وتجاهله وكأنه
بذلك يمحي وجوده ويمحي معه ذنبه بحقه" ..

وكانت إجابته هزت رأس بلا معنى.. ولا إجابة..

ظلت رأسه بأحضانها طويلاً وهي تعرض عليه كل ما بالمنزل من
طعام..

وتستفسر عن طعامه وشئونه.. و.. و..

ليقاطعها مبتسماً بسخرية مريرة..

"يعني ١٢ سنة في السجن يا أمي تفكري ما اتعلمتش أغسل
وأكنس وأمسح كمان.. ما تقلقيش أنتِ بس.. أنا عارف أدبر كل
أموري.. ومبسوط ومتحمس عشان الورشة.. دعواتك بس"

كادت الزيارة أن تمر على خير لولا اصطدامه بمهوسته

المجنونة وهي قادمة في زيارة ل

"ماما آمنة كما ادعت" ..

لتدعو ماجد والأسرة بأكملها لمأدبة غداء بفيلا والدها ..

سعادتها كانت واضحة برؤيته وعجزت عن اخفائها ..

وعندما أبدى شكه بنواياها بعيداً عن أعين آمنة بالطبع

أخبرته بتأكيد أنها تتبع نصيحته وتتقرب من ماجد وأظهرت

ندماً بدا صادقاً وقتها على فعلتها الرعناء ..

لكنه لم يصدقها، وكان محقاً .. فما أن ودع آمنة ليرحل حتى

قفزت ليا تطالبه بتوصيلها ..

اعتذر بلطف وبعينيه نظرة تحذير لها ألا تتمادى .. فلم يكن

أمامها سوى التأكيد عليه ألا ينسى دعوة الغداء ..

وظلت تسعى خلف ذلك التأكيد بالرسائل والاتصالات الملحة
حتى أغلق هاتفه تماماً مقررًا عدم الذهاب والابتعاد عن
جنونها تماماً..

أفاق من شروده على نظرات فجر المتعجبة لملامحه التي كانت
تنقبض وتنبسط وأحياناً ترسم ابتسامة بلهاء بلا معنى..
تنحج محرّجاً وسألها بجفاف لم يقصده:

- في حاجة يا ست فجر!..

هزت فجر رأسها بحيرة:

- سلامتك يا سي ياسين.. بس أنت ما كنتش هنا خالص..

أخفض رأسه معترفاً:

- آه كنت بفكر في والدتي.. زورتها من كام يوم..

اتسعت عينا فجر مع شهقتها المتعجبة:

-إيه ده!.. هو أنت عندك أهل وناس!!.. طيب ليه سيبتهم
وجيت هنا لوحدك?..

تجهمت ملامحه قليلاً قبل أن يجيها بجفاء:

-ظروف يا فجر.. نفس الظروف اللي بتخليكي تنزلي الشارع
تدوري على أكل عيشك.. وتعيشي في أوضة مش بتاعتك..

شهقت فجر باستنكار:

- مش بتاعتي!.. إزاي الكلام ده!.. الأوضة بتاعة جدتي الله
يرحمها وأنا كنت عايشة معاها من أكثر من ١١ سنة..

أخذ ياسين يعبث بقدحه بعدما أنهاه تقريباً وأجابها بخفوت
فهو يعلم أن ما سيخبرها به ليس هيناً:

- تاني يوم.. بعد اللي حصل مع المعلم أنور، وقفني وقال أنه
كان في سوء تفاهم وأناي فهمت الوضع غلط.. وهو ما اتهجمش
عليك ولا حاجة، ده كان بيحاول يتفق معاك تسيبي الأوضة

عشان محتاجها.. هو كان رفع قضية طرد على جدتك الله
يرحمها قبل ما تموت وكسب القضية.. ويقول أنه سايبك
تقعدى فيها.. شهامة منه..

قاطعته بغضب:

- شهامة!!.. شهامة!!.. وده يعرف إيه عن الشهامة معدوم
المروءة ده.. عديم المرجلة والنخوة.. عايز يرميني في الشارع
عشان مش بطاوعه في..

قطعت كلماتها لتتحول لمجموعة من ألفاظها المبهمة ووجهها
يحمر غضبا وحنقا.. عندما وصلها صوت ياسين:

- لو الراجل ده بيتعرضلك بأي طريقة..

لم تدعه يكمل كلماته فقد استلمت جبهة الهجوم:

- ما تشغلش بالك يا سي ياسين.. وإن شاء الله.. مش هزعجك
تاني بمشاكلي..

أجابها بجديّة:

- يا فجر الموضوع مش سهل.. هو بيقول معاه حكم طرد..
يبقى لازم تفكري هتعملي إيه وتروحي فين.. و..

قاطعته بسرعة:

- سي ياسين.. هو مش أنت فتحت الورشة والعدة جوه؟..

أجابها موافقاً ومتعجباً:

- أيوه..

أكملت بتحدي:

- وأخذت عربون من الحاج صالح عشان تعمله أوضتين؟..

أوماً موافقاً مرة أخرى.. وقبل أن يتفوه بكلمة عاجلته:

- أومال واقف تتساير معايا ليه يا خويا!.. روح شوف أكل
 عيشك وسيبني أشوف أكل عيشي.. وفُضك من حواديت
 عيشة وأم الخير دي..

رمشت عيونه بسرعة غير قادر على استيعاب كم التأنيب الذي
 تحتويه كلماتها.. ولم تتح له فرصة للحديث.. بل انكبت على
 عملها بهمة وبعقلها تتزاحم آلاف الأسئلة عما ينتويه أنور وما
 يخطط له.. والأهم.. ماذا بيدها تفعله حتى تمنع شره عنها...

أوقفت ليا سيارتها الحمراء الصغيرة في مدخل الحي الشعبي
 العتيق.. ترجلت من سيارتها بتردد وهي تتأمل معالم الشارع
 الأقل اتساعاً..

مقهي بلدي جلس مرتادوه على عدة مواد تناثرت حوله؛ منهم
 من يتناول طعامه مع عدة أكواب من الشاي الثقيل وهناك

من ينفخ دخان الأرجيلة بتلذذ.. والبعض انغمس في لعب النرد
أو الدومينو..

بضعة محلات تراصت بجوار بعضها.. لم تستطع تمييز نشاط
أي منهم.. ولكنها لمحت بوضوح نظراتهم التي انطلقت خلفها
تفصل تنورتها القصيرة وقميصها الحريري ذو اللون الذهبي
الناعم والذي حدد معالم أنوثتها الرقيقة..

ارتفعت الأصوات وتحولت الهمسات إلى معاكسات واضحة
ومبتذلة أيضاً مما سبب لها الارتباك وأخذت تتلفت حولها
بحثاً عن ورشة النجارة الخاصة به، ولكنها لم تستطع تمييزها
وسط الهلع الذي أصابها..

انتفض جسدها فجأة على صوت أنثوي ذو بحة مميزة:

- أي خدمة يا مزمازيل؟.. بتدوري على مين؟

ابتلعت ليا ريقها بصعوبة وهي تلتفت لصاحبة الصوت المميز
لتجد فتاة قصيرة بصورة ملحوظة..

ترتدي ملابس سوداء بلا معالم تخفيها تماماً.. من رأسها
المغطى بوشاح ضخم حتى قدميها المختفيتين بحذاء رياضي
مهترئ..

هتفت فجر بها:

- يا مزمازيل.. يا أنسة!..

- أيوه.. أيوه.. لو سمحتِ عايزة ورشة النجارة بتاعة ياسين..

تنقلت نظرات فجر بين وجه ليا وجسدها المغطى بملابس لا

تسمن ولا تغني من حشمة

لوت فمها بعدم رضا عما تراه.. وأشاحت بوجهها بعيداً..

وهي تتمتم بداخلها بغضب..

"ياسين!.. حتى ما فيش أستاذ.. لا.. باين أنها واخدة عليه

قوي"

أعدت ليا السؤال مرة أخرى.. فأشارت لها فجر بلامبالاة

مرددة:

- الورشة هناك أهي.. تعالي معايا.. أنا هوديكي..

دقائق بسيطة كانت بعدها ليا بداخل الورشة الواسعة ذات

الجو البارد..

تجولت بعينها في المكان لتلمح عدة مقاعد.. وقطع خشبية

مستطيلة ومربعة.. ولكنها لم تجد أثراً لياسين..

نادته بصوت خافت.. مرة.. وثانية.. وثالثة..

وأخيراً وصلها صوته من ينادي من داخل ممر طويل بالورشة:

- أيوه أنا هنا..

سارت لآخر الممر لتلمح مساحة واسعة تناثرت بها بعض

أدوات مختلفة..

وعدة قطع خشبية غير مكتملة.. وفي وسط ذلك كله كان
ياسين يولمها ظهره.. وقد انهمك بتنعيم لوح خشبي طويل
مستخدماً فأرة تنعيم، أخذت تتأمل جذعه العضلي عارياً
وعضلاته تتحرك بتناغم رائع انثناءً وانبساطاً..

وقد تناثرت قطرات العرق على ظهره لتمثل لوحة مثيرة
سحبت أنفاسها بشهقة عالية جعلته يلتفت فجأة ليراها
واقفة تتأمله بشغف جليّ وقد ظهر تأثرها به بعينها
الواسعتين..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفثيه فشغفها بمظهره
الخارجي أعماها على ما يبدو عن الجروح الواضحة والمحفورة
بظهره..

فما يراه بعينها هو تأثر امرأة برجل.. تأثر واضح لا تحاول
تجميله ولا اخفائه.. وهو سأم من كل شيء.. سأم نظرتها تلك..
وفكرتها الخيالية عنه.. ومطاربتها الحثيثة له..

لم يعد يعرف كيف يفكر.. هل هي مجرد فتاة بريئة تشعر
بافتتان يفوق قدرتها على التعامل معه، أم هي امرأة خبيثة
تسعى لاغوائه؟!...

أغمض عينيه محاولاً التحكم بغضبه.. وبأعماقه صوت
يهتف..

هل من فارق.. هي غبية حمقاء لم تعرف متى تتوقف..

فحتى لو كان بداخله ذرة اهتمام بها فهي محتها محواً بسلوكها
المتهور..

قلبت الأوضاع وحرمته لذة المطاردة وحصرته بزواية الفريسة..
ولا يوجد مطلق رجل يرغب بلعب ذلك الدور حتى ولو كانت
المُطارِدة فاتنة كليا!..

موقفها الأخير معه؛ فوق دراجته النارية.. خط سطر النهاية
لوجودها بحياته.. سيكون كاذباً لو لم يعترف بأن مشاعره

تأثرت، رجولته طالبت بها وهي تعبت بثباته للحظات لعينة
تحتضنه، تتلمسه،

تتهمد بحرقه تأثراً به حتى كاد أن يفقد الطريق وحياته وحياتها
معه..

ورغم كل محاولاته للتهرب منها وتجنبها إلا أنها لا تياس..
حسناً..

إذا كانت ترفض الفهم بالطريقة السهلة فلا مفر من نهج
الطريق الآخر.. الأصعب.. والأقذر.. سيكون لها ما أرادت..
فقط يتمنى أن تهرب باكية..

مد يده يتناول قطعة قماش صغيرة يمسح بها صدره ووجهه
وأخيراً بعدما تأكد من أن عينيها لمحت وفصلت وصورت كل
عضلة عارية منه سألها ساخراً:

- يا أهلاً بالعروسة.. خير.. سايبة الزمالك وجاية توسخي
هدومك في ورشة العبد لله!..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي ترمش بعينها محاولة استيعاب
تلك الطريقة التي يحدثها بها، يرمقها وكأنه يتلمسها بنظراته..
لتقول أخيراً بصوت خافت وحروف مبعثرة:

- أنا.. أنا جيت اطمن عليك.. أنت ما جيتش عزومة امبارح!..

هز كتفيه بلامبالاة:

- كنت مشغول!

رددت بحزن:

- بس.. بس أنا عزمتك.. وكنت مستنياك..

اقترب منها فجأة ليجذب مرفقها بشدة ويقربها منه:

- مستنياني!.. هي مش العزومة دي كانت لما جد!

أومأت برأسها مرددة:

- أيوه.. طبعًا.. العزومة ل ماجد.. وللعيلة كلها..

ثم رمشت بعينها:

- وأنت من العيلة.. و..

امتدت يده لتتمسك بذراعها الآخر فالتصقت به تقريبا مما

جعل تلهث بشدة وهي تشعر بصدرة العضلي يضغط على

جسدها الغض وسمعت صوته يهمس بها:

- أنتِ عرفتِ مكاني منين؟...

همست بحلق جاف وبداخلها تتعجب من الوجه الجديد

والذي تراه للمرة الأولى منه:

- سألت ماما آمنة..

دفعها بعيداً عنه للحظات وقد نسي الدور الذي يتقمصه:

- أه.. دلوقتِ فهمت.. العزومة كانت حجة.. مجرد عذر عشان

توصلي للي أنتِ عايزاه.. أنك تعرفي مكاني..

هتفت باندفاع وهي تستند بظاهريدها:

- ما هو أنت ما سيبتش لي أي طريق تاني.. رافض مكالماتي

ومش بترد على الرسائل..

زفر بغضب.. يكره ذلك الدور الذي ألصقته به.. ولكنه

سيتمصه.. من أجلها.. بل من أجلهما معاً..

اقترب منها وبعينيه تلتمع نظرة غريبة، نظرته كانت تتنقل على

كل شبر بجسدها وعلى شفثيه ارتسمت ابتسامة متسلية...

أحاطها بذراعيه رغم أنه لم يلمسها فقط استند بهما على

الحائط من خلفها.. وسألها بهمس عابث ونظرته الغريبة

تسبب هلعاً لدقات قلبها:

- ليا.. أنتِ جاية ليه؟.. والمطاردة المستمرة دي نهايتها إيه؟..

كل كلامنا اللي فات ما أثرش فيكي ولسه نفسك في المغامرة..
صح!.. عايزة تجربي حظك مع المسجل الخطر اللي في العيلة..

تلعثمت حروفها ورمشت عيونها بشدة وهي تشعر به يقترب
منها أكثر فلم يعد هناك مسافة شعرة تفصل بينهما:

- أنا.. أنا..

قاطعها:

- أنتِ إيه.. عايزة تجربي الخطر.. الخوف.. الحب الحقيقي..
مش عاجبك الشعر وكلام الأغاني اللي أخويا بيقولهولك..
زهقت من وصف جمال عيونك ونعومة شعرك وعايزة تسمعي
غزل في...

صمت للحظات وترك نظراته التي تتجول على مفاتها تخبرها

بما يريد قوله..

وابتسم بخبث:

- ولا تحبي نعي الكلام الي مالوش لازمة.. ونبتدي بالفعل

دوغري..

اتسعت عيناها بذهول مستنكر.. لم تعرف لم التعجب ولم

الاستنكار.. فهو يفعل ما أرادته تماماً.. يستجيب لاغوائها..

يبيدي رغبته بها.. ولكنها لا تشعر بأي ذرة سعادة..

فقط بأحمال لا حصر لها من الحقارة...

هزت رأسها فتناثرت خصلاتها الشقراء حولها:

- لا.. أنت بتقول..

عاد لمقاطعتها:

- إيه الصراحة بتوجع قوي كده.. متوقعة إيه يكون بينا غير

مغامرة..

اقترب منها حتى تلاعبت أنفاسه بخصلاتها:

- مغامرة سرية.. صح!.. السرية هتزود اللذة.. ما هو مش
معقول هترافقي راجل وتتجوزي أخوه!..

عادت تهز رأسها برفض هامسة:

- أنت إيه اللي جرى لك.. إيه اللي بتقوله ده!.. ليه بتعاملني
كده؟!..

اقترب وجهه من وجهها بخطورة حتى ظنت أنه على وشك
تقبيلها ولكنه في اللحظة الأخيرة غير اتجاهه نحو أذنها:

- عشان أنتِ عايزاني أعاملك كده..

ثم اقترب أكثر وأكثر وهو يهمس:

- بسفالة..

شهقتها المستنكرة قطعها ابتعاده المفاجئ عنها باحثاً عن
قميصه حتى وجده فارتداه سريعاً والتفت لها وقد التمعت
عيناه بنظرات قاسية..

ولكنها لم تكن أقسى من كلماته:

- شوفتِ بقى أن اللي بتدوري عليه شيء ما يشرفش..

أنه لو حصل هتكريه نفسك.. أن الموضوع كله مجرد
أدرينالين زايد عندك.. أو خيال مريض عايزة تنفذه.. عرفتِ
أنه سهل جداً أن الواحد يكون ندل وحقير وسافل.. لكن
مستحيل أنه يعرف يتعايش مع نفسه أو ضميره بعد كده..

عصرت دموعها بقوة تمنعها من السقوط وهي تستمع لقسوة
تأنيبه وكأنه قرر منحها الدرس عملياً بعدما يأس من تفهمها
لكلماته مرة تلو الأخرى..

ارتعشت شفتمها وهي تكرر ما تخبره به كل مرة وكأنه صك
منحها الأمان:

- بس أنا بحبك..

دفع بأحد الآلات أمامه بقوة فأصدر صوتاً مدوياً جعلها
تنتفض بمكانها.. وقبل أن يبدأ في محاضرة قاسية أخرى ارتفع
صوت فجر من مدخل الورشة هاتفة:

- سي ياسين.. الغدا على المكتب و..

قاطعها خروج ياسين المندفع يجذب وراءه ليا بعيونها الباكية
ليلقي بها بعنف نحو فجر:

- فجر من فضلك وصلي الأنسة ليا لعريبتها..

حاولت ليا الاعتراض على تصرفه البدائي ولكن فجر لم تترك
لها المجال فقد تناولت يدها تجرها خلفها هي الأخرى
وتغمغم:

- ليلية.. ده إيه الأشكال اللي بتتحدف علينا دي يا ربي..

ولم تكذ تكمل كلماتها حتى وصلها صوت ياسين المحذر:

- فجر.. الأنسة ليا تبقى خطيبة أخويا.. خدي بالك منها..

التفتت فجر له وهي ترمق ليا بنظرة مستنكرة وتعود بنظراتها

لياسين وهي تبرم شفيتها بعدم تصديق:

- خطيبة أخوك، خطيبة أخوك.. أنا مالي.. هو أنا سألت ولا

فتحت الشفة دي عن دي..

لم تدعها ليا تكمل كلماتها المتهمكة لتقاطعها بوعد صريح

تلقيه لياسين:

- هكلمك بالليل تاني يا ياسين.. عشان.. نتفاهم..

اتسعت عينا ياسين لكلماتها فهي لم ترتدع.. لم تهرب باكية

كما أراد.. بل ازدادت تمسكاً به..

أوصلت فجر ليا إلى سيارتها سامحة لها بتقدمها بخطوة حتى

يمكنها تأملها ومراقبتها كما تريد.. تشعر أن تلك الشقراء أكثر

من مجرد خطيبة لشقيقه.. فقد كانت لهفتها عليه واضحة..

ثم غيابهما معه بداخل الورشة وخروجها شبه باكية...

وصلا للسيارة ودلفت ليا إلى مقعد السائق بصمت..

ثم رفعت عينها لفجر هامة:

- ممكن أطلب منك طلب؟..

رفعت فجر إحدى حاجبيها:

- تحت أمرك يا أنسة..

- خدي نمرتي وهبقي أكلمك اطمئن على ياسين و..

قاطعتها فجر بحزم:

- أنا ما بشيلش محمول.. ولو عايزة تطمني على سي ياسين..

ابقي اسألي عليه سي الأوستاذ أخوه.. خطيبك..

شحبت معالم ليا وهي تستمع لذلك التقريع ومن فتاة بنصف
طولها وبالتأكيد عشر ثقافتها وتعليمها..

فأغلقت باب السيارة بقوة وأدارتها لتنتقل مبتعدة..

تحركت فجر وقد انتابها العجب من تصرفات الفاتنة الشقراء
فقررت الذهاب إلى غرفتها.. وكما كانت تنتوي قبل أن تتعثر
بفتاة ياسين..

هزت رأسها برفض للفكرة التي تناوشها..

"استغفر الله العظيم.. لا سي ياسين مش كده.. طب ده حتى
لسه ناجدني من إيد عديم الشرف.. لو كان له في المشي
البطال كان بان عليه"

وقفت أمام المرأة تمط شفيتها بحسرة وهي تطالع صورتها..
"هو إيه اللي بان عليه!.. أنتِ فاهمة اللي زي ياسين ده يبصلك
ولا حتى يعبرك!"

وضعت يديها بخصرها تضم ملابسها وتحرك أردافها بحركة
متناغمة..

"وما يبصليش ليه!.. ناقصة ايد ولا ناقصة رجل!!"

فتجيبها صورتها ساخرة..

"لا ناقصة ست يا ختي" ..

امتعضت ملامحها بغیظ وامتدت يدها لتزيح لفات الوشاح
الضخم ليظهر وجهها الصغير بشكل القلب وقد أحاطته
خصل بنية ناعمة بلون القهوة التركية تماماً كعينها التي
أخذت لون حب البن المطحون وكأنها إشارة لطاحونة الحياة
التي تهلكها بين شقيها...

داعبت بأناملها خصلاتها القصيرة والتي تصل لكتفها بالكاد..

فهي تعلمت درس الحياة العملية مبكراً..

فتاة بمثل ظروفها لا تتحمل رفاهية الشعر الطويل.. لذا
فالقصير أكثر عملية وأقل كلفة..

شفتها رقيقتان لم تعرفا نكهة طلاء الشفاه أبداً حتى ولو
على سبيل العبث البرئ.. فقط تلتزم بنصيحة جدتها لها
وترطبها دائماً بـ "الفازلين".. لا تعرف لم.. ولكنها تفعل على
أي حال..

تحسست أنفها بهيام.. نعم هي تحب أنفها.. تلك الصغيرة
الرائعة الجمال..

لقد وجدت منبع جمالها الخفي.. أنه أنفها!!..

همست لنفسها..

"طب والله عسل"...

خلعت عبائها السوداء الفضفاضة وألحقت بها اثنان آخرين
لتبدو معالم جسدها البارزة..

فرمقتها صورتها المنعكسة باستنكار واستهجان وكأنها تتساءل
عن الجمال الذي تراه بنفسها..

مطت شفيتها بحسرة.. حسناً هي لا تمتلك رشاقة تلك ال
"الليية" على الاطلاق..

هي قصيرة بطريقة مبكية تكاد تصل للمائة والخمسين
سنتيمتراً بمجاملة واضحة من شريط القياس، جسدها يكاد
يكون ممتلئاً.. فهي ليست نحيفة أبداً بذلك الصدر العامر،
وتلك الأرداف المستديرة.. حتى لو كان خصرها أقل امتلائاً..
فهي مقارنة بالشقراء تعد عجوز سمينه رغم أنها لم تتعد
السابعة والعشرين من عمرها..

اهتز جسدها فجأة باهتزاز الهاتف الذي تحشره بصدرها..
فأخرجته لتجد زوجة الحاج الصالح تستعجل حضورها..

فهي تحتاجها لتساعدتها بخبز الفطائر التي يعشقها زوجها
وأورث أحفاده إدمان الفطائر بالسمن البلدي..

"الفطير المشلتت" ..

ولم يحرم الحاج صالح أحفاده شيئاً فأقام لهم فرناً أعده
خصيصاً لخبز تلك الفطائر فوق سطح منزله ..

عاد الهاتف للاهتزاز .. فأسرعت فجر بوضع عباءتها المتعددة
ووشاحها كذلك وهي تلعن "ليا" بكل ما تعرفه من لعنات فهي
من دفعتها للخضوع لسلطان الأنثى لتعقد مقارنة تدرك أنها
الخاسرة بها .. فأين لها رشاقة "الليبية" ..

مصممت شفيتها بغیظ ..

"بقى عود القصب دي يسموها ليبة .. ايشحال لو كانت تحتكم
على حنة لحمة كانوا سموها إيه .. عجائب" ..

"حرام عليك يا مفتري يا ظالم" ..

"منك لله .. منك لله" ..

"اروح فين أنا دلوقت"

"يا معلم ما يصحش.. دي وحدانية".. "طيب اديها مهلة"..

"دي مش أصول ولا تصرفات ولاد البلد يا معلم أنور"..

صيحات مختلطة ومتعددة ضربت أذني ياسين وهو منهمك

بعمله بعد خروج ليا المتوعد له بمعاودة التفاهم..

أي تفاهم ذاك الذي تبتغيه المجنونة المتهورة.. لا يمكن أن

تكون صدقت تمثيليته الرديئة.. هي تعلم أنه كان يلقتها درساً..

درساً كلفه الكثير من الصبر والتحكم بالنفس.. ومقاومة

أهوائه التي كانت تغريه بالاستجابة القبول بما تعرضه..

لينال قليلاً من السعادة حتى لو كانت لحظات مسروقة

ومحرمة..

همس بعزم..

"الصبر يا رب.. الصبر" ..

"آه يا راجل يا عديم الشرف يا عديم النخوة.. مهما عملت

مش هتطول اللي في بالك" ..

صوت صفعة واضحة تبعه هتاف حازم من الحاج صالح ..

"ايدك يا أنور.. ما تلمسهاش" ..

"مش هسيب حقي يا أنور الكلب" ..

أنور!.. ذلك الصوت.. تلك البحة!.. ودعواتها التي يحفظها عن

ظهر قلب ..

الصفعة!.. الحقير صفعها ..

ذلك الوغد المتصابي لن يفلت من بين يديه ..

انطلق ياسين خارج ورشته ليفاجئ بجمع من الناس بمنتصف

الحارة تقريباً ..

تتوسطهم فجر التي تحتمي بالمعلم صالح قابضة على جلبابه
بيد والأخرى تتحسس بها وجنتها وقد ارتسمت نظرة قهر
بعينها فجمدت دموعها ومنعتها من الهطول..

وأمام الحاج صالح كان أنور ذلك المتصابي يهدد ويتوعد
وبعينيه نظرة ظفر واضحة وهو يرمق تلك المختفية خلف
طبقات الملابس..

اقرب أكثر محاولاً الاستفسار عما حدث.. فأخبره العم فاضل
العتار بكلمات معدودة..

"المعلم أنور طرد فجر من الأوضة.. جاب اتنين عساكر وأمين
شرطة ورموا لها عفشها في الشارع.. باينهم كمان كسروه..
بيقول معاه حكم بالطرد من أيام جدتها.. وكان سايبها شفقة..
بس دلوقت محتاج الأوضة.. وأنه حاول يتفاهم مع فجر
بالذوق بس هي قلت أدها عليه"..

ثم هز الرجل رأسه بأسى..

- مسكينة.. هتروح فين دلوقتِ؟

استفسر ياسين بقلق:

- يعني هي مالهاش أي حد؟..

هز الرجل رأسه نفيماً:

- ولا الهوا.. ما فيش غير جدتها الله يرحمها.. أكيد الألعوبان

اللي اسمه أنور خلى جدتها تبصم على إنذرات المحكمة من

غير ما تعرف.. منه لله.. منه لله..

أوما ياسين برأسه متفهماً.. وعقله لا يتوقف عن التفكير..

لقد طلب من هاشم الاستقصاء عن حكم الطرد وأخبره

هاشم أنه نهائي.. وأنه صدر منذ سنة ضد جدة فجر..

إذاً ذلك الرجل المتصابي يخطط على مهل لينالها..

يحيك من حولها شبكة متقنة كبيت عنكبوت سام فتتخبط
وتعافر لتسقط في النهاية بين يديه.. فهي لا سند لها ولا حامٍ..

جذب انتباهه صوت المعلم صالح وهو يهتف بمن حوله
ليذهبوا ويتابعوا أعمالهم..

- خلاص يا اخوانا.. كل واحد يروح يشوف شغله.. وفجر
هتكون ضيفة معززة مكرمة في بيتي..

انتفض أنور زاعقاً:

-بقى ده اسمه كلام يا حاج صالح.. أنت نازل فيا من الصبح
لوم وعتاب.. وما سمعتنيش.. أنا صحيح محتاج الأوضة اللي
قاعدة فيها فجر عشان هقلها مخزن.. ما هو أصل ما يرضيش
ربنا أي أأجر مخزن بالوفات وأنا عندي أوضة لا بتجيب لي
أبيض ولا أسود.. ولا إيه يا حاج صالح؟..

رمقه صالح ببرود بينما التمعت عينا فجر بالتوجس والقلق
وهي تستمع لباقي كلمات أنور:

-إنما فجردي في عينيا أنا والحاجة.. تنزل معززة مكرمة

عند أم ولادي.. ولا في أيتها مخلوق هيضايقها.. وهو أنا

برضوه يرضيني ست البنات تخرج من بيتها..

دعكت فجر وجنتها بألم وهي مستمرة بمراقبته بصمت

وعيناها ترسم لوحة صارخة من القهر والاحتياج والانكسار..

فقد وصلها ما فهمه ياسين؛ فالفاجر لم يعد حتى يعرض

ورقة زواج كورقة توت تستر عورة رغبتة الفجة..

بل هو يخطط لاستباحتها وانتهاكها والمسمى

"معروف يقدم لها به مأوى وسقف تستظل به" ..

هتف صالح بعنف:

-خلاص يا حاج أنور.. أنا قلت فجر ضيفتي..

اعترض أنور بعنف مماثل يظهر حمية خادعة وهو بالأصل
يحاول الحفاظ على خطته.. فعودة صالح المفاجئة قبل
موعدده أفسدت عليه المخطط بأكمله:

-طب يمين طلاق من نسواني الجوز لتكون فجر ضيفتي
الليلة دي ولحد ما تدبر أمرها..

صرخ صالح بغضب:

- إيه الكلام ده يا أنور.. حد يعلق يمين طلاق على حاجة زي
دي!..

برم أنور شاربه الكث وهو يقرر:

- الأصول يا صالح يا أخويا وأنت سيد من يعرف الأصول..

ده فجر متربية وسط ولادي..

هتفت فجر بوجع:

-ولما أنا زي ولادك كنت بتضربني ليه!.. بترميني في الشارع

لكلاب السكك ليه؟.. ليه!!

برقت عينا أنور بشراسة وهو يقترب من الحصول على

جائزته:

- معلش يا فجر يا بنتي ما هو الأب لازم يربي بنته أما ما

تسمعش كلامه.. وأنتِ يا فجر مش بتسمعي الكلام..

شهقت فجر بعنف وهي تخبط يديها الاثنين فوق رأسها

وتسقط على الأرض وتنوح بصمت..

"أصرخ وافضحه الشايب العايب وافضح نفسي ولا أسكت و..

وايه يا فجر وايه؟؟"

ظلت تخبط يديها فوق رأسه بحركة رتيبة وهي محنية على

ركبتها وقد تلطخت عباءتها السوداء بتراب الشارع فبدت

بمظهر بائس ومزِرٍ حد أن دفع ب "حسنين" عامل المقهى
البيسط لهتف بتردد:

-ممکن.. اتجوزها.. واهي تيجي تقعد مع أمي وأخواتي
البنات..

رمقه صالح بدهشة.. فهو يعلم ظروفه الصعبة بل المستحيلة،
مسئوليته عن تعليم وزواج أربع فتيات بأعمار مختلفة..

ليست هيئة لتضاف إليها مسؤولية زوجة حتى لو كانت بقوة
وأصالة فجر.. أين ستنام الفتاة؟.. ف "حسنين" نفسه ينام
بالمقهى في ليالٍ كثيرة..

وقبل أن يجيب صالح أو حتى فجر..

اندفع "داود" العامل بمتاجر الحاج أنور بتحريض منه
ليعرض عرض زواج مماثل ولكنه لم ينسَ أن يضيف:

- وهتكون فجرست الستات في شقة مطرحين وصالة فضلة

خير الحاج أنور..

نكست فجر رأسها بالأرض.. تحركها يمنا ويسرى بلا فائدة..

تريد أن تستفيق لتجد كل ما يدور كابوس مظلّم أو حتى مزحة

سيئة..

ليتها رضت بالزواج من المتصابي.. حتى وإن كان سريراً فهو

زواج.. أما ما تتعرض له الآن فهو أشبه بحلقة في سوق

الجواري ولكنها هي الجارية الوحيدة..

همست لنفسها بوجع..

"آه يا فجر.. آه على الحرة أما يتلم عليها ديابة البشر.. آه على

الحوجة وكسرة النفس"

كان ياسين يراقب كل ما يحدث وصراع من نوع آخر يدور

بأعماقه..

بين عهد أخذه على نفسه بعدم التدخل ثانية بحياة أحدهم،
والركون لحياة هادئة خالية من المشاكل كما يحلو لوالده أن
يردد دائماً، وبين فطرته وشهامته الطبيعية التي تدفعه لإنقاذ
الفتاة من ذئب متدثر بثوب الفضيلة؛ رسم وخطط لينالها
حتى لو كانت ضيفة ببيته وتحت حماه، حتى لو تنمر على زوج
ضعيف تعصره الحاجة كحسنيين صبي المقهى الذي لو تزوج
بها فلن يحتمل ضغط أنور طويلاً وسيتركها لقمة سائغة
وضائعة بعرض الطريق.. وآخر ذلك الذي يسمى داود والذي
يبدو بكل وضوح أنه ارتضى دور الديوث مقابل شقة أو
غيرها.. وينوي بكل وضوح المتاجرة بها ليربح أكثر..

كانت رجولته، كلا بل إنسانيته.. لا يدري من ألصق الشهامة
والمروءة بصفة الرجولة.. إنها صفات إنسانية بالمقام الأول ولا
صلة لها بجنس أو نوع أو لون..

نعم إن إنسانيته تملئ عليه التدخل الفوري وإنقاذ زائفة
النظرات تلك المكومة بالأرض أشبه بالفرخ الذبيح الذي ينعي

حياته، بينما هي بالأصل تنعي شرفها وسمعتها وإنسانيتها
نفسها التي سيسحقها ذلك الذي يرغب بها تحت أي مسمى..

ولكن كيف سيتدخل؟..

أيعرض اصطحابها لتعيش مع آمنة؟!.. ليسخر منه صوت
خافت بداخله

"وهل تضمن موافقة الحاج حافظ!.. لقد نبذك وأنت لحمه
ودمه فهل سيوافق على ضم كسيرة الجناح تلك!!"..

ولو وافق، كيف سينتزعها من بين أنياب ذلك المتصابي ويمين
الطلاق معلق بينهما، وما المبرر الذي يسوقه ولا يدفع
بالشكوك لتحوم حول غرض الحقير!!.. فكشف الشكوك حل
ذو حدين.. وفي كل الأحوال ستدفع المسكينة سمعتها أو ما هو
أكثر ثمناً لكشف الحقيقة..

هتف ضميره بحنق..

"عادات مقرفة وأفكار وضيعة، الكل فاهم أنور عايز إيه من
فجر بس عاملين نفسهم سدج أو مش واخدين بالهم عشان ما
يتحملوش العواقب" ..

"الحل واضح يا ياسين.. ما فيش غير الجواز.. وأنت لا حسنين
هتخاف من أنور ولا داود هتبيعها له.. هتحافظ عليها وتحافظ
على الباقي منك..

و.. أكمل لنفسه بتردد.. وهتبعد "ليا" نهائي.. حل جذري
وواضح لكل الأمور" ..

هاجس خبيث بداخله تردد بقوة..

"بياعة كبده!.. اللي هتتجوزها بعد ده كله بياعة كبده والله
أعلم متعلمة ولا لا.. وإيه أصلها وفصلها!.. يعني أخوك يبقى
خاطب واحدة أمريكانية.. وأختك متجوزة دكتور.. وأنت مراتك
بياعة كبده!"

قهقه ضميره بقوة حتى كاد أن يبكي وجعاً وهو يهمس بخجل..

"وبياعة الكبده اللي مش عجبك دي هترضى تتجوز رد
سجون وصاحب سوابق.. فووق يا ياسين واعرف مقامك
دلوقتِ إيه.. وبعدين إيه يضمن لك أن أهل حتتها يرضوا
بيك؟.. افرض قالوا القريب أولى من الغريب"

عاد الهاجس الخبيث يتردد..

"مهما كان أنت برضوه ياسين ابن الحاج حافظ برهام.. ليه
مستقل بنفسك!.. دور على حل تاني"..

بدأت الناس تنفض من حول فجروهي جالسة على الأرض
تضع رأسها بين كفيها وتنتحب بصمت.. لا تعرف مصيرها ولا
حتى أين ستبيت ليلتها.. وياسين متجمد بوقفته يبحث عن
ذلك الحل الآخر ولا يجد له سبيلاً.. حتى كانت لحظة فاصلة
رفعت فيها عينين تستغيثان للسماء.. لرب البشر.. وتهتف من
أعماق قلبها..

"يا خالق الخلق ما تحوجنيش ولا تكسرنيش لحد من
خلقك" ..

وهنا انطلق الحل على لسان ياسين قبل أن يفكر به:

-إيه يا حاج صالح.. أنت نسيت أنني طلبت ايد فجر منك
قبل سفرك ووعدتني نكتب لما ترجع..

صمت صالح لحظة تبادل بها نظرات متفاهمة مع ياسين ..
وأسرع بمجاراته:

- أنا كنت مستني موافقة صاحبة الأمر..

والتفت لفجر:

- موافقة تتجوزي ياسين يا فجر؟..

رفعت فجر عينها للسماء ثانية ومعهما رفعت يديها تحمد

ربها بصمت ثم ارتفع صوتها:

- نقرى الفاتحة..

اعترض أنور بشراسة:

- هو إيه ده اللي نقرى الفاتحة.. ومين قال أننا هنجوز بنت

حتتنا لحتة واد مخستع ما نعرفلوش أصل من فصل..

اندفع ياسين بسرعة قبل أن يجيب صالح واتجه نحو

فجر المفترشة الأرض ليرفعها بقوة هامساً:

- قومي من الأرض ما عادتش ينفع قعدتك دي..

أخفاها خلفه وهو يتوجه نحو أنور بكلمات بطيئة واضحة

وحازمة:

- سيبك أنا مين وابن مين.. اللي لازم تعرفه أن فجر هتبقى

مراتي.. وأنا بقى أعرف أحمي اللي يخصوني كويس قوي..

ومش بالقول، لا بالدم.. فاهمني يا معلم.. بالدم..

والتفت إلى الحاج صالح:

- أظن يا حاج صالح فجر وافقت خلاص.. بعد إذنك تبعت
تجيب المأذون.. هكتب عليها دلوقتٍ.. وفجر هتنام الليلة في
بيتها.. بيت جوزها.. ياسين برهام..

انتهى الفصل

الفصل العاشر

تتزاحم بالأعماق كلمات اللوم.. تتراص معاني العتاب وتصطف
 مفاهيم الغضب والإنكار.. والناج.. صرخات وصرخات ولكنها
 صرخات بصمت.. صمت مطبق تحيا به وفيه.. صمت يلفها
 وهو معها فهي لا تدري إن أطلقت لنفسها العنان ما الذي قد
 تفعله..

تراعي، تطعم، تناوله أدويته وتتفانى في خدمته كأى زوجة
 مخلصه.. فقط لا تتبادل معه النظرات ولا حتى الكلمات إلا
 للضرورة..

هتف بغيظ وهي تعدل الوسادة خلفه:

- رقية.. مش هنعيش حالة السكوت دي كثير..

لم تجبه وانتهت من ترتيب وسادته وقبل أن تعادل جذبها
لتهبط بين أحضانها هامساً بغيظ:

- اتكلمي..

صارعت لتبعد ذراعيه عنها ولكنه أحكم وثاقها وهو يهمس
بجوار أذنها:

- وحشتيني.. لو مش عايزة تتكلمي نتفاهم بطريقة تانية..

أعقب كلماته بسلسلة من القبلات الناعمة على وجنتها
وعنقها ولكنها دفعته بقوة صارخة:

- لا.. لا..

ابتعدت عنه وقد تناثرت خصلاتها والتمعت عيناها بغضب
شديد:

- لا يا حاتم.. مش هيخلص الموضوع بحضن وبوسة
ومصالحة في السرير..

اعتدل بفراشه وهو يجيب بهدوء:

- اهدي يا رقية.. ما فيش داعي للانفعال الزايد ده..

صرخت بعنف:

- زايد!.. انفعالي زايد.. أنت كنت بتموت.. لا.. بتموت إيه!..

أنت مُت فعلاً..

حذرها بصوت خفيض:

- صوتك يا رقية..

جلست على الأريكة خلفها وهي تخفض رأسها بين كفيها:

- صوتي.. كل اللي يمهلك صوتي ما يطلعش.. الناس ما

تعرفش..

وتهدج صوتها:

- أنت مُت.. مُت..

ثم انتفضت فجأة:

- ودي مش أول مرة.. هتفضل كده لإمتي.. تدمر في نفسك

وفيا وفي كل حاجة..

أخفض عينيه بألم.. يوجعه ألمها، بل يمزقه.. عندما غاب في

ملكوت غيبوبته لم ير غير وجهها.. لم توجهه سوى دموعها..

لم يرجعه من لاوعيه سوى أحضانها..

لا يريد إيذائها ولكنها عاجز عن منع نفسه.. وكأنه قدر أسود

خط فوق جبينها...

مد لها يده بتوسل:

- رقية.. اقربي عشان خاطري...

هزت رأسها بعنف ودموعها تتطاير لتصطدم بوجهه:

- لا يا حاتم.. لا.. أنا خلاص.. رقية خلاص خلصت.. حكايتنا

خلصت..

هتف بعنف:

- اوعي تقولي كده..

توجهت نحو الباب وهي تهمس:

- أنا هرجع شقة بابا.. وإذا بابا أصر إنى أرجعلك زي كل مرة..

هدور على ياسين وأروح له..

نزع حاتم الأسلاك الطبية التي تحيط به ومعها نزع الكانيولا

الطبية ليقفز من الفراش متجهاً نحوها وتمسكاً بكتفها

هامساً بشراسة:

-مش هاسمح أنك تسيبيني يا رقية.. أنا أموت من غيرك..

أموت..

التفتت لتواجهه بهمس مطحون:

- أنت ميت يا حاتم.. ميت ومش باقي إلا أنهم يعلنوا موتك

ويكتبوا شهادة الوفاة..

قبضتها كانتا تتناوبان الهبوط على صدره بضربات واهية
وهي تردد بلا توقف:

- أنت ميت.. ميت.. وما حدش سامع ولا راضي يصدق..

وكانت محقة بهتافها فمن المفارقات الساخرة والتي لا يمكنها
فهمها أو تجاوزها بسهولة؛ موقف عائلتها نحو مصيبة حاتم،
فبرغم استعداد والدها وعمها التام للوقوف بجانبها عندما
أعلنت عن علاقاته المتعددة، ورغم الجلسات المطولة والتي
كانت خلاصتها رفض تام لتصرفاته وتهديده بحرمانه منها ومن
أطفاله، إلا أنهما رفضا رفضاً باتاً الاستماع إليها حينما فاض
بها الأمر وقررت مصارحة كبار العائلة عليهم يمنعوه عن تدمير
ذاته..

وكان الاستماع لما تقوله يحوله من ادعاء زوجة متشككة
لواقع يجب عليهم مواجهته..

واقع يصفعهم بأن الطبيب الشاب ينهي مستقبله بل حياته
 وهم عاجزون عن ردعه، واقع يصمهم بوصمة عار لا يبغون
 الوقوع تحت قبضتها، وكأن علاقاته النسائية يعرفهم لا
 تعيبه.. فهي رمز للرجولة والعنفوان..

ولكن عند مواجهة الكارثة الحقيقية فوجئت بالرؤس تنغمس
 بالرمال بل تغرق بها حتى انعدام الأنفاس، والكل يناظرها
 بإتهم أنها الجانية والمتعدية على زوجها الطبيب الناجح الذي
 برر وجود العقاقير الطبية المتواجدة بخزانته الخاصة بمنزله..
 بأنها من صميم عمله ولكن زوجته لا تتفهم ذلك..

هو يعرفون.. وهي تعرف أنهم يعرفون.. ولكن الجميع يدور
 بدائرة مغلقة من المعرفة والإنكار..

طرقات خافتة على الباب دلف بعدها ماجد للغرفة.. وبنظرة
 واحدة لرقية المنهارة بين ذراعي حاتم، أدرك الإنهيار الذي تعاني
 منه شقيقته..

اقترب مهدوء لينتزعها من بين ذراعي زوجها وأشار له ليعود الى
فراشه..

بينما حمل رقية إلى الفراش المقابل وهو يهمس لها:

- اهدي يا رقية.. هتضيعي نفسك.. ولادك محتاجينك..

دفعته بكتفه بعنف:

- وما بتقولش الكلام ده لصاحبك ليه؟.. ليه أنا اللي لازم

أكون أقوى .. ليه أكون أنا السند.. أنا ضعيفة ومحتاجاه..

محتاجاه قوي..

ضرب حاتم رأسه بظهر الفراش بعنف وهو يهتف:

- رقية.. أبوس إيدك كفاية..

التفت له ماجد بحزم:

- ركب الكانيولا.. وإلكتروود رسم القلب.. بلاش جنان..

والتفت إلى رقية يمسح على خصلاتها برقة.. وقد دفع بمهدى
خفيف بأوردتها:

- نامي شوية يا رقية.. وأنا هنفذك كل اللي أنت عايزاه..

همهمت رقية بين نعاسها ووعمها:

-حالاتم..

همس حاتم بوجع وهو يشيح بوجهه للناحية الأخرى:

- آسف.. آسف يا وجمي..

التفت ماجد للفراش الآخر وتفقد مؤشرات حاتم بإحترافية
تامة وردد بغضب مكتوم:

- وجعك!.. أنت بتضحك على نفسك ولا عليها.. هي خلاص
كبرت ما عادتش البنات المفتونة أم ضفاير.. وأنت لازم تفوق
لنفسك.. لازم تلاقي حل..

تجاهل حاتم الاجابة عليه وسأله بخفوت:

- أمبولات البيثيدين الي استخدمتمها.. كانوا..

قاطعها ماجد بعنف:

- عشرة.. عشرة يا حاتم!.. أنت اتجننت أو بتنتحر..

رفع حاتم عينين لائمتين:

- عادي.. ممكن عايز أهرب..

حرك ماجد سبابته برفض:

- لا يا حاتم.. خلاص.. الحجة القديمة ما عادتش تمشي..

مش هتشيلني الشيلة.. وتحملني الذنب.. ياسين اتسجن وخرج

والدنيا بتدور.. هو نفسه اختار يبعد ويبدأ من جديد.. كل

واحد مسئول عن تصرفاته واختيارته..

أشاح حاتم بيده وحول الموضوع بسرعة:

- الأمبولات؟..

هتف ماجد بغضب:

- اطمئن.. سمر هتعوّضهم على الأرانيك.. بس مش كل مرة

هخليها تغطي على مصايبك..

ارتفع جانب وجه حاتم بسخرية:

- ربنا يخلي لنا ميس سمر وجمال ميس سمر.. واللي

بتجاهله ميس سمر

برقت عينا ماجد بشراسة:

- حاتم.. بقولك إيه مش هتقلب التراييزة عليا..

سخر حاتم بضحكة خافتة.. فتجاهله ماجد ليخبره بهدوء:

- أنا سألت في كذا مصححة كويسين.. في اتنين منهم سمعتم

فوق مستوى الشبهات.. كمان في زمايل ليا..

أغمض حاتم عينيه بسأم:

- قفل على الموضوع ده.. أنا مش محتاج مصحة ولا كلام
فارغ.. الموضوع تحت السيطرة..

صرخ به ماجد:

- سيطرة!.. عشر أمبولات وتقولي سيطرة!!.. المرة الجاية...

هتف به حاتم بسأم:

- ماجد.. أنا صدعت وعايز انام..

وأكمل بلهجة عابثة وغمزة عين:

- وبلغ شكري ل سمر...

فتح ياسين باب منزله بصمت ومن خلفه تخطو فجر خطوات

مترددة ووجها يصفاح الأرض لا تجد القدرة على رفعه

وتفحص منزلها الجديد حتى بعد ما أضاء ياسين الأنوار
وتوضحت معالم الشقة الواسعة..

التفت لها ياسين بهدوء فوجد رأسها ما زال مطأطئاً
للأسفل فهتف بها:

- اتفضلي يا فجر.. البيت يعني أنا ما جهزتوش كله..
ارتفع رأسها بخجل وهي تلمح المنزل سريعاً..

بهو واسع امتدت به مائدة كبيرة للطعام حولها عدة مقاعد،
أريكة واسعة يواجهها مقعدان كبيران، ردهة صغيرة بعدها
انتشرت عدة أبواب مغلقة وبدأ أنه لم يحاول فتحها
أو حتى الاقتراب منها..

سمعت صوته يردد بارتباك:

-أنا يا دوب نضفت الصالة ونقلت فيها السفارة وسيبت
الأوض مقفولة ووضبت أوضة واحدة..

قاطعته بخفوت:

- وماله يا سي ياسين.. مش مشكلة.. أنا هبقى أوضب وأرتب
بأقي الشقة.. ده بعد إذناك يعني..

أشار بيده للشقة:

- الشقة تحت أمرك.. اعلمي ما بدالك..

تنحج حرجاً وهو يشير لغرفته؛ الغرفة الوحيدة ذات الباب
المفتوح:

- دي الأوضة اللي باستخدامها.. هبقى أساعدك نفتح ونوضب
أوضة تانية ليكي.. ممكن تستخدمي الكنبه دي للنوم مؤقتاً..

اتسعت عينها حيرة وارتباكاً ولم تخلُ نظراتها من غضب
مكتوم، ولكنه اختار تجاهل كل ذلك وهو يدلها على المطبخ
ويليه دورة المياه ويلقي إليها بتحذير شديد اللهجة ألا تقرب
من غرفته إلا بإذنه..

ظلت تطارده بعينها تتساءل بحيرة عما يعنيه!..

هل تزوجها ليلقي بها على الأريكة وينفرد هو بغرفته مانعاً
اياها من الاقتراب!!..

لم تزوجها اذاً؟!..

لتصفع نفسها بالحقيقة..

"اتجوزك لأنه راجل.. لأنك صعبت عليه وقال ياخذ فيكي
ثواب.. لمي نفسك بقى وشوفي هو فين وأنت فين.. حتى لو ما
تعرفيش عنه حاجة كفاية تشوفي بيته.. تعرفي أنه حفيد
الحاج مهدي _ الله يرحمه _ سيد الحتة دي كلها من سنين
السنين وأنت تعرفي أنك يا دوب مقامك الكنبه.. حتى كثير
عليك، كتر خيره أنه أواك في بيته"..

صوته وهو يغلق باب حجرته أفاقها من شرودها:

-تصبحي على خير يا فجر.. ما تقلقيش لو صحيت لقتيني

مش موجود.. أنا لازم أزور أمي بكره..

أومات برأسها بصمت.. وعاد يخبرها بنبرة حازمة:

- رجلك ما تعبتش الحارة لوحدك..

رفعت رأسها لتصيح بتمرد:

- إيه!!.. إيه الكلام ده..

أشار بسبابته بحزم:

- هي كلمة واحدة يا فجر.. خروج من البيت ما فيش..

قال كلمته ودخل غرفته تاركاً اياها تحملق بالبواب المغلق

بينها وبين الرجل الذي أصبح زوجها منذ ساعات قليلة..

دقائق مرت تأكدت بعدها أنه لن يخرج من غرفته ثانية..

للتوجه إلى الأريكة العريضة تتأملها بحزن وغضب..

"ليلة دخلتك يا فجر.. على الكنبة لوحدي حتى ما فكرش
يجيب لك بطانية ولا لحاف.. فقرية طول عمرك.. إيه اللي
هيتغير يعني" ..

اضجعت على الأريكة الواسعة وهي تعاود الهمس..

"حضن الكنبة ولا حضن المعلم أنور.. الحمد والشكر لك
يارب.. قدرني أني أرد له جميله.. حتى لو نومني على الكنبة" ..
وخلف الباب كان ياسين مستلقي على فراشه يتأمل سقف
غرفته يتساءل بحيرة..

"إيه اللي أنت عملته في نفسك ده يا ياسين.. اتجوزت!!
ومن غير آمنة!!.. من غير ما تبلغ الحاج حافظ.. أه.. الحاج
حافظ.. يا ترى هيكون رايه إيه في فجر؟" ..
هز رأسه بغضب..

"مالها فجر!.. عشان غلبانة يعني.. بس بنت طيبة وأصيلة

وشريفة"

هاجمه ضميره..

"ونيمتها على الكنبه.. لا راجل بجد"..

ضرب الفراش بغضب.. وهو يعرف جيداً ما يدور بذهنها.. قد

يكون أهان مشاعرها.. ولكنه غير مستعد للزواج بمعناه

الأشمل في تلك اللحظة..

ما قام به لم يتعد تصرف تلقائي لحماية فتاة ألقى بها بعرض

الطريق..

هو لا يفكر بها كأثى.. كامرأة وزوجة يمكنه التقرب منها..

هي فقط فجر..

كرة الشراب متعددة الطبقات ذات الأصل الطيب والقلب

الكبير..

يعزها كشقيقة.. أو رفيقة ولا يستطيع التفكير بها كزوجة..

تمسكت أمانة بالهاتف وهي تهتف بغضب:

- إيه الكلام ده يا حاج صالح!!..

على الطرف الآخر حاول صالح تهدئتها:

- يا حاجة أمانة.. زي ما حكيت لك.. ياسين الله يكرمه
اتصرف بكل رجولة وشهامة.. والبنت طيبة وهادية وعايذة
تعيش..

ضح صوت أمانة بالألم:

- رد على سؤالي يا صالح.. ياسين اتجوز؟.. ابني اتجوز من
ورايا؟.. من غير ما يبلغني!..

تنهد صالح:

- يا حاجة.. هو ما يقصدش أنه يخبي عليك.. وأكيد هيبغك
أول..

قاطعته بقوة:

- خلاص يا صالح.. خلاص.. مع السلامة دلوقت..

أغلقت الخط وهي تهالك على أقرب مقعد تهتف بألم..

"كده برضوه يا ياسين!.. دي آخرتها يا ابن بطني.. تتجوز من
ورا ضهيري.. تموتني بالحيا يا ياسين" ..

تهالكت على أقرب مقعد بالغرفة لتسمع طرقات على بابها
أعقبه دخول ياسين الذي وصل لتوه، صدمته ملامح وجهها
الغاضبة ودموعها التي تسيل على وجنتيها بغزارة..

فانطلق بسرعة ليركع بجوارها هاتفاً بقلق:

- خيرا أومي.. أنتِ تعبانة؟..

هزت رأسها بنفي وبداخلها تتصارع المشاعريين فرحة لرؤيته
وغضب عليه..

عاد يكرر:

- حد زعلك؟.. حد ضايقتك؟..

عادت تهز رأسها نفيًا وأجابته بخفوت:

- ما فيش حاجة يا ياسين.. كنت لسه بفكر فيك.. وحشتني

يا بني..

رفع ذراعيه ليضم رأسها لصدره:

- وقعتِ قلبي في رجليها..

قبل رأسها بحب:

- يا أمون أنا كنت هنا من كام يوم..

زجرته بلطف:

- بتيجي ساعتين سرقة يا ياسين.. مش عايز حد يشوفك ولا
تشوف حد..

ارتد ليجلس على المقعد المجاور:

- اللي عايز يشوفني هيدور عليا يا حاجة..

سألته بتوقع:

- أخبارك إيه يا ياسين وأخبار الورشة؟..

همس بخفوت:

- تمام.. كل حاجة تمام.. أنا حتى كنت جاي أقولك على خبر
حلو..

رفعت عينها تحملان نظرات عتب ولوم حزين:

-خير يا حبيبي؟..

ارتبكت الكلمات بداخله وتعلقت غصة بحلقه..

لا يعلم كيف يخبرها.. وأخيراً همس:

- أنا كتبت كتابي إمبارح يا امي..

شهقة حزينة انطلقت منها.. وكأنها كانت ترغب أن ينفي الخبر..

ألا يكون الخبر صحيحاً وصالح اختلط عليه الأمر..

ولكنه يؤكد ما حدث.. بكرها وأول فرحتها جالساَ أمامها

يخبرها بهدوء أنه تزوج.. بدونها..

لم يكلف حتى خاطره ليحضر عروسه لتتعرف عليها.. وكأنه

يريد شطر عالمه لاثنين..

"ولكن ما بقي له بعالمك يا أمانة؟.. لا شيء.. هي ستكون

الزوجة والحضن والدفء وأيضاً المستقبل.."

دفعت يده التي اقتربت لتربت على ركبتيها هاتفة ببرود:

- مبروك..

اقترب ليركع ثانية على ركبتيه أمامها:

- يا حاجة اديني فرصة اتكلم..

أشاحت بوجهها بعيداً عنه:

- وهو باقي كلام يتقال!.. خلاص شورك بقى من راسك ولا

أكن ليك أهل ولا ناس.. زعلان من أبوك وأخواتك ما قولتش

حاجة.. وساعدتك لأخر رمق..

قبضت كفها لتضرب كتفه لغضب:

-يبقى جزاتي يا ياسين أنك تحرمني من فرحتي بيك..

بتعاقبني وتعاقب أبوك وتتجاوز من غير شورنا ولا رأينا!.. ده أنا

قلت سرك هدي ولقيت طريقك وهترجع لحضني.. تقوم تنفر

وتبعد وتدورلك على حضن تاني.. يعني خلاص بقى لك بيت

وحياة بعيد عني..

رفع كفيه يحيط بهما وجهها هاتفاً بتوسل:

- يا أمي اسمعيني.. فجر بنت طيبة وأصيلة.. ساعدتني
كثير..

هتفت بغضب وهي تزح يده:

-والي طيبة وبنت أصل تتجوز واحد من غير ما يكون
حواليه أهله وناسه..

ضرب الأرض بقبضته غاضباً.. لا يستطيع أن يقص عليها
قصة فجر.. لا يمكنه كشفها وتعريفها بتلك الطريقة..
هي زوجته مهما كان ولا يرضى بإهانتها والتقليل منها حتى
بعيني أمه..

همس بحزن:

- يا أمي.. أنا عايش لوحدي.. بكلم الحيطان.. لو تعبت مش
هلاقي اللي يناولني كوباية الميه.. لو رجعت تعبان من الورشة
في يوم بكسل أعمل حته لقمة بجبنة.. كثير إني آلاقي حد

جنبي.. ياخذ بإيدي.. يطبطب عليا لما أتعب ولا الدنيا تقفل

بيبانها في وشي...

سقطت دموعها تجرح وجنتها بدون أن تدري وبقلبها جرحتها

كلماته كأنصال من فولاذ تطعنه بلا رحمة ولا هوادة..

ولكنها مجروحة.. قُتِلت فرحتها به مرة تلو الأخرى.. سُرِق منها

مرة بعد مرة ولم يبقَ لها إلا فرحتها باختيار عروسه، بحضور

زفافه.. تتباهي بكونها أم العريس وتقبل جهته داعية له

بالسكينة وراحة البال والذرية الصالحة..

تحتضنها وتوصيها به وتحكي لها عن ذكرياته؛ ما يحب وما

يكره.. ما يسعده وما يُخيفه.. حتى تلك الفرحة البسيطة

سُلبت منها.. أبسط حقوقها وأكبر أحلامها كأَم أضاعه بغمضة

عين..

أمسك بكفها يقبلهما بحنان:

- يا أمي الله يرضى عليك.. أنا قلت أنتِ اللي هتفهميني
وتقدري ظروفِي..

نظرت لرأسه بين يديها وقلبيها يذوب رحمة به وجزعاً عليه..
وعقلها يغلي من الأفكار يمس لها بغيظ..

"ما قالش ولا حكي اللي حصل بالتفصيل.. بيعزها ويغالها
قدامي.. خلاص بقى يبدي خاطرها هي".

ويعود قلبها ليحن له..

"ابنك وشهامته أنتِ تايهة عنه ولا جديد عليك.. بدل ما
تفرحي به وتدعي له ربنا يهدي سره".

مرت بيدها على رأسه بحنان ولكن كلماتها كانت حزينة
غاضبة:

- أنت وجعت قلبي قوي يا ياسين.. كسرت فرحة قلبي بيك..

رفع رأسه بحزن:

- يا أمي والله دي بنت طيبة قوي.. لو عرفتها هتحبها..

سألته هي بفضول:

- وأنت حبيتها يا ياسين؟..

أجاب بصدق:

- محتاج لوجودها جني..

عادت تسأله:

- والحب؟.

رفع عينيه إليها:

- الحب هو أمانة..

جذبت شعره بغيظ:

- مش هتضحك عليا يا ابن حافظ..

ابتسم بحزن ليمس:

- حب إيه يا أمي.. واحد بظروفي.. بالماضي اللي بيطاردني في
كل لحظة هيدور على حب!..

هتفت بغضب:

- ليه بتقول على نفسك كده؟..

- الحقيقة يا أمي.. الحب رفاهية مش متاحة للجميع..

أمسكته بكتفيه لتحقق بعينه:

- هي بتحبك؟..

ارتسمت بعينه ذكرى غامضة لعدة أطباق اصطفت على
مائدته صباحاً وقد غطتهم بمفرش كبير، اكتشف بعدما

رفعه أن ذلك هو طعام افطاره.. ليبتسم برقّة:

- هي عايزة تعيش..

لم يعرف ما الذي أتى به لقسم الشرطة.. هام على وجهه عدة ساعات ليجد نفسه أخيراً داخل القسم جالساً بمواجهة هاشم الذي صاح به هاتفاً:

- اتجوزت!.. اتجوزت.. اتجوزت!!..

رفع ياسين نظراته إليه:

- أيوه.. أيوه.. أيوووه

ارتد هاشم بمقعده للخلف وهو يسأله بتقرير:

- بياعة الكبده صح؟..

ظهرت المفاجأة بعيني ياسين ليكمل هاشم:

- ما تستغربش قوي كده.. كان واضح اهتمامك بيها من وقت

ما سألتني عن حكم الطرد..

هزي ياسين رأسه بعجز.. فهاشم يظن أنها قصة رومانسية..

أو تحمل نوعاً من اهتمام رجل بأنثى.. كيف يشرح له
الحقيقة؟..

هو لم يعتد فضح أسرارهِ، فما بال أسرار المرأة التي آمنته
على نفسها ورضيت به زوجاً بلا سؤال واحد عن ماضيه..
حسناً.. هي لم تكن بوضع يسمح لها بالسؤال والاعتراض..
وهو قام بالتصرف الوحيد الممكن والذي دفعه إليه ضميره
ولكنه لم ينل القبول من آمنة، ولا داعي لذكر الحاج
الحافظ فبال تأكيد سيقم له المشانق..

فقط هو بحاجة إلى الراحة.. للإحساس بأنه قام بالتصرف
الصائب.. لنيل القبول ولا يدري من من!!..

صاح به هاشم:

- روحت فين!.. أنا بكلمك من ساعة..

ابتسم ياسين بمرارة وهمس:

- الحاجة آمنة زعلانة..

تساءل هاشم:

- زعلانة؟..

أوماً ياسين:

- أيوه.. زعلانة لأنها ما اختارتش العروسة ولا حضرت الفرح..

أدرك هاشم ببديته أن ياسين يحتاج ليخرج ما بداخله..

فسأل بهمس:

- ليه ما حضرتش الفرح؟..

هب ياسين واقفاً وهو يهتف بعنف:

-لأنه ما فيش فرح.. الحكاية كلها كتب كتاب وكمان كان لازم

يتكتب بسرعة ما فيش وقت ل..

قاطعہ ہاشم بقلق:

- ليه كان لازم تكتبوا بسرعة!.. هو أنتوا..

التفت له ياسين بسرعة واسمه يخرج كطلقة محذرة:

- هاشم!!..

أدرك هاشم غضب ياسين الجامح من لفظه لاسمه بلا

ألقاب.. فابتسم مهدئاً:

- اهدى يا ابني.. فهمني بس.. ليه ما قلتش لوالدتك؟.. ما هو

طبيعي أنها تغضب وتاخذ على خاطرها..

عاد ياسين يجلس بإنهاك ليخبر هاشم بوضوح:

- الموضوع مش متحمل شرح.. وهقولك لسبب واحد.. لأنني

عارف أنك هتتعرف هتتعرف.. يبقى تاخذ الكلام مني أنا

أحسن..

أوماً هاشم برأسه ليدعه يكمل:

- أنت عارف حكاية حكم الطرد طبعاً.. الراجل الندل طردها
ورماها في الشارع.. الخلاصة أنها مالهاش حد.. فقررت
أتجوزها و..

قاطع كلماته ضحكات هاشم المتواصلة:

- اتجوزت شهامة يا ياسين... شهامة!!... أنا قولت شهامتك
دي هتوديك في داهية في يوم من الأيام.. لكن أنك تتجوز
شهامة ده اللي ما أتخيلتوش أبداً..

كتف ياسين ذراعيه وهو يهمس بغیظ:

- خلاص.. خلصت تريقة وضحك!..

ربت هاشم على كتفه بمودة:

- أنت ناوي تكمل في الجوازة؟..

ارتبك ياسين للحظات:

- أنا ما فكرتش.. مش عارف..

عاد هاشم يسأله:

- أنت ما حكيتش للحاجة الحكاية كلها ليه؟..

هدر به ياسين:

- أحكي إيه بس!.. أنت عايزني أكسر مراتي قدام أهلي!!..

ابتسم هاشم بإدراك فقد أجاب ياسين بنفسه على ما يؤرقه
من تساؤلات..

وتحرك ليفتح أحد الأدراج ويدفع بملف أمام ياسين التائه
بأروقة إجابته السابقة يحاول استيعاب ما خلف الكلمات..
فالإسئلة التي تؤرقه والتي إجابها بكلمة واحدة

"مراتي" ..

لم يعد هناك ما يقال.. هو يعتبرها زوجة حتى وإن لم يعاملها
كواحدة..

دفعه هاشم بكتفه وهو يقدم له الملف والذي خط عليه
بحروف واضحة

"فجر ابراهيم عبد المقصود"

- دي كل المعلومات اللي تخص العروسة و..

أعاد له ياسين الملف وهو يهز رأسه رافضاً:

- أنا مش هتعرف على مراتي من معلومات في ملف يا هاشم
بيه..

هز هاشم رأسه بتفهم وبداخله يزداد تقديراً لياسين:

- خلي الحاجة تتعرف عليها وهما هيتفاهموا.. الستات لهم
طريقتهم مع بعض...

- يا ريت يكون الموضوع بالبساطة دي..

- اسمع الكلام.. زعل الحاجة كله هيروح اما تشوفك

مرتاح.. واحساسي بيقول أنك لقيت راحتك.. دي حتى فرصة

إن الغزو الأمريكي يحل من على أكتافك..

خبط ياسين راحة يده بجهته:

- ما فيش حاجة تستخبي عليك أبدأ..

ربت هاشم على كتفه بامتنان:

- ما فيش حاجة تخصك تستخبي عليا..

اوما ياسين برأسه متفهماً فهاشم يرفض نسيان ذلك الدين

القديم ومُصر على رده بكل لحظة وكل طريقة ممكنة..

تحرك ناحية الباب بعدما ودع هاشم بكلمات مختصرة ولكنه

توقف للحظة قبل أن يهمس بتساؤل:

- مدام ريهام كويسة؟..

لمعت عينا هاشم بنظرات متألمة وأجابه بهمس:

- بتحاول تكون كويسة..

هز ياسين رأسه وتساءل بصوت أقل خفوتاً:

- وشريف الصغير؟..

ابتسم هاشم بفخر:

- صغير إيه بقى.. خلاص ده قرب يبقى طويلى.. ما شاء الله

تسع سنين صحيح بس طالع طويل..

غمغم ياسين بغصة:

- زي أبوه الله يرحمه..

كرر هاشم بألم:

- الله يرحمه..

ظل ياسين ممسكاً بمقبض الباب عدة لحظات فسأله هاشم:

- في إيه تاني محيرك؟..

سأله ياسين بخفوت:

- تفتكر أحيي لها على الماضي ولا أكتفي قدامها بصورة

ياسين الشهم المنقذ؟!..

- أنت الوحيد اللي تقدر تجاوب على السؤال ده.. بس كل

اللي أقدر أقولهولك أنك هتعرف إمتي تحكي لما يجي الوقت

المناسب..

خرج ياسين من القسم وبرأسه تدور مئات الأفكار..

وعقله يلقي العديد من الأسئلة..

حديثه مع هاشم أراحه قليلاً.. ولكنه ما زال يتخبط في حيرته

بين حياته الجديدة بالحارة، مهنته وأخيراً زوجته.. وبين حياة

أخرى وسط أهله..

عودة يتوق لها وقد رفع رأسه وحقق ذاته بعيداً عن

مساعدهم..

كان غارقاً بأفكاره عندما انتبه لخطوات تطارده بإصرار
ومثابرة..

أسرع في خطواته ثم عاد يبطأ ليجد تلك الخطوات تتبعه
بالفعل..

ابتسم ساخراً فقد ذكره الموقف بأول ليلة له بالحارة عندما
تدخلت فجر بينه وبين مهاجميه..

هل كُتب عليه أن يكون عرضة لكل بلطجي بالمنطقة!..
حسناً فليهم ياسين الآخر عليهم يرتدعون..

التفت فجأة ليوواجه مهاجميه وييده تتلاعب مديته بمهارة
وهتف بغضب:

- هاااه.. مش هتوروني نفسكوا كده..

برز له ظلان من العتمة تعرف بهما على مهاجميه السابقين
وخاصة عندما ردد أحدهما:

- المرة دي مش هتلاقي اللي ينجدك من تحت إيدينا..

هزياسين كتفيه بلامبالاة:

- هنشوف!!..

سخر منه أحدهما وهو يقرب حركة يده التي تتلاعب بالمديّة

بالمهارة:

- مش خايف اللعبة اللي في إيدك دي تعورك يا شاطر..

أعقب قوله إنقضاضة مباغته من الآخر تركت جرحاً واضحاً

بوجنة ياسين الذي أدرك جديتهما تلك المرة، كما أدرك شيئاً

آخر؛ أنهما لا يبحثان عن المال وإنما خلفهما شيء آخر،

شيء تأكد منه عندما عاد صوت الأول ساخراً:

- ما هو احنا لو سيبنا واد سيكي ميكي زيك يدخل ويكوش

على بنات الحتة يبقى نلبس طرح أحسن لنا!..

تحسس ياسين وجنته ليستشعر السائل اللزج الذي بدأ
 بالانتشار على صدغه ورقبته، ورمقهما ساخراً للحظات قبل
 أن ينحني متفادياً طعنة أخرى، ثم اعتدل سريعاً ليركل
 السكين من يد مهاجمه ويلتف حوله مكبلاً حركته ودافعاً
 بمديته نحو عنقه بشدة..

ودوى صوته غاضباً:

- تصدق أنكوا تستحقوا الطرح يا آريال منك له..

هتف المواجه له وهو يرقب مدى ياسين تزيد من ضغطها على
 عنق زميله حتى أنه لمح على الضوء الشاحب بضعة قطرات
 من الدماء بدأت تتكون بالفعل:

- آريال إيه ياض ما..

قاطعها ياسين بسخرية:

- أو مال عايزني اسميك إيه بروح أمك..

زاد من ضغط ذراعه على أسيره وهو يردف غاضباً:

- الكلب اللي اسمه أنور رمى لكوا قرشين عشان الطلعة دي،

ولا أنا غلطان!

وقبل أن يجيب أي منهما، ألقى ياسين بأسيره أرضاً بعنف

وفتح ذراعيه أمام الآخر:

- يلا.. وريني نفسك كده وأنت أوجري عند كلب طمعان في

حريم غيره.. يلا أما نشوف مين هيلبس الثاني الطرحة..

تأوه الرجل الملقى أرضاً وهو يتبادل نظرات مترددة مع الآخر

الذي يراقب ياسين وهو يعبث بأظافره مستخدماً مديته..

ورغم ذلك يرمقهما بنظرات متحفزة..

بدا أنه لم يكن ذلك الغر الذي يمكن هزيمته بل والعبث

معه والجرح بعنق زميله دليل حي على مهاراته، فهو ينفذ ولا

يرواغ..

لقد خدعهما أنور.. بداية بتصويره بأنه فتى ثري مدلل يجب
تأديبه، ونهاية بكذبه عليهما حول السبب الحقيقي لمعاداة ذو
الأذن الواحدة..

هتف ياسين بملل:

- هأقف أشاهد طلعتكوا الهية كثير!-

تحامل الرجل الملقى أرضا على نفسه وهو يحاول عدم
الارتكاز على ذراعه الذي يبدو أن ياسين سبب شرخ بأحد
عظامه على الأقل وهتف الآخر وهو يتحرك ليساعده:

- طريقك أخضريا معلم.. وامسح الغلطة دي فينا.. إحنا
فهمنا الموضوع غلط.. وحسابنا مع الي غمى علينا..

أخفى ياسين تهيدة راحة كادت أن تنطلق من صدره وحياهما
منطلقاً لمنزله:

- ليلتكوا بيضا يا رجالة...-

فتح ياسين باب شقته بحذرو وهو يلوح الظلام التام بصالة
المنزل..

بحثت عيناه عن فجر بسرعة ليلمحمها متكومة على الأريكة
وقد التفت بالأغطية..

تنهد براحة فهي نائمة ولن تعرضه لاستجواب حول تأخر
عودته والأهم حول جرح وجنته..

غسل وجهه سريعاً ووضع بعض المطهرات على جرحه ثم
دخل غرفته وأغلقها خلفه ليسقط بنوم عميق بلا أي أفكار
وكان مواجهته الأخيرة استنفذت كل طاقته..

فعودته ولو لحظات لصورة ياسين السوداء كانت أكثر من
مهلكة...

حل الصباح سريعاً على المنزل وتستيقظ فجر بذعر وكأنها
تتذكر سقوطها بالنوم قبل عودته من الخارج..

إلتفتت حولها لتلمح باب غرفته مغلقاً لتتنهد براحة، إذاً فقد عاد..

قطبت حاجبها فجأة وهي تتساءل..

أين كان؟.. ولم تأخر إذاً!..

تحركت بنشاط ترتب موضع نومها على الأريكة..

وتعد الافطار بنشاط كأبي زوجة أصيلة حتى لو كان زواج مع إيقاف التنفيذ...

أنهت أعمالها جميعاً لتدرك أنه لم يستيقظ بعد...

احتارت ماذا تفعل؛ هل تتركه نائماً تنفيذاً لأوامره بعدم الاقتراب من غرفته، أم تتجاهل تلك الأوامر وتبدأ بايقاظه حتى يذهب لعمله..

حسنت أمرها وفتحت باب الغرفة المغلقة بتردد وخطت عدة خطوات بطيئة وهي تحاول اعتياد الضوء الخافت بها..

اقتربت من الفراش وهمست بصوت مسموع:

- سي ياسين.. سي ياسين..

لم يجب.. ولم يتحرك حتى..

زادت من اقترابها فأصبح بإمكانها تمييز ما ترى بوضوح؛

وما رأته جعل عينها تتوسعان بشهقة مكتومة..

فمشهد ظهره العاري وقد انتشرت فيه آثار لجروح وندب

غائرة جمدها بأرضها وهي تتساءل بقلق عما تعرض له

ياسين قبل وصوله لقلب الحارة..

من ذلك الذي تزوجته في لحظة شهامة منه ويأس منها؟!..

يا الهي!.. هي لا تعلم عنه مثقال ذرة.. لا شيء سوى اسمه وأنه

يريد البدء من جديد بينهم..

البدء من جديد!..

وماذا عن القديم إذًا؟!.. ألم تكن له حياة، مهنة، أهل؟!..

نعم.. هو له أهل.. لقد أخبرها عن زيارته لوالدته..

لم ابتعد عنها؟.. وهل هناك المزيد؟..

توسعت عيناها وقد تذكرت الشقراء المهرجة.. لقد عرفها

بأنها خطيبة لشقيقه..

همست بذعر..

"يا ربي!.. أم.. وأخ وخطيبة أخوه شبه بنات الفيديو كليب"

هل سيقبلون بها؟.. بل السؤال الأوقع.. هل سيعرفون

بوجودها يوماً..

هل سيخبر أهله أنه تزوج من بائعة الكبده!..

هل تملك الجرأة لتسأله!.. بل هل تملك الحق!!

تهتدت بصوت عالٍ ليقطع تهديدتها صوت تململه وكأنه

يرى ما يزعجه بمنامه.. فلم تجد بد من لمسه..

وتحرك كتفه بخفة:

- سي يا سين.. ياسين..

تحرك مزعجاً لينقلب على ظهره فبدا صدره العضلي العاري

أمامها وآثار الجروح تغطيه هو الآخر لتزيد من قلقها

وتساؤلاتها بشأن زوجها.. وما أثار هلعها أثر جرح حديث بل

يكاد يكون حياً بوجنته..

ابتعلت ريقها بصعوبة وهي تحركه مرة ثانية هاتفة بنزق:

- ياالسين..

لتفاجئ به يفتح عينيه فجأة ويرمقها بحدة جاذباً إياها فوق

الفرش بعنف وقد أحاطت أنامله بعنقها تضغط عليه بقوة

بينما توسعت عيناها برعب وهي تلمح نصل مدية لامع

يقترّب من وجهها بسرعة وعيني ياسين تلتمعان بنظرة عنف
مجنونة..

وسؤال متأخر يتردد بعنف داخلها..

"تُرى من مَن تزوجت"

وصرخة أخرى فلتت منها بدون أن تدري..

"يا ميلة بختك يا فجر"

انتهى الفصل

الفصل الحادي عشر

أنهت آمنة إعداد مائدة الإفطار كعادتها بكل يوم.. ولكن ذلك الصباح كان شرودها ملحوظاً حتى أن صباح نيتها أكثر من مرة بأنها تصب الشاي بالمغسلة وليس بالأقداح..

وهي معذورة بشرودها.. هم لا يعلمون.. لا أحد يعلم..

ولا تعرف كيف تخبرهم بالأمر!..

"ياسين تزوج!"..

هل تطلقها بالوجوه وترحل؟.. أم تمهد لها؟..

هم لا يعلمون حتى بوجوده في البيت القديم..

يعتقدون أنه سافر، فكيف تخبرهم بوجوده على بعد ساعة

أو أكثر بأحد أحياء القاهرة القديمة وشديدة الشعبية!!..

ولكنه هو يعرف.. أبوه ونابذه.. ولا يمنعه شيء عن السؤال

عنه إلا عناد أو كبرياء لعين..

تردد بعقلها تلك اللحظة جملة ياسين..

"اللي عايز يشوفني هيدور عليا يا حاجة"..

قررت بحسم.. هي تريده.. تريد رؤيته..

وهاجس مشروع يهتف

"ورؤية عروسه"..

سترمي الخبر بوجوههم جميعاً.. وليكن ما يكون.. لا خوف من

التوأمتين.. حتى بلسم شديدة الغيرة عليه ستتفهم حاجته

لزوجة.. ويأسر صغير لن يتدخل..

ولكنها قلقة من تعليق ماجد.. ومرعوبة من ردة فعل حافظ..

حاولت الليلة الماضية إخباره أكثر من مرة..

ولكن بكل مرة كان ينعقد لسانها وتتوقف الكلمات بحلقها..

وأخيراً قررت أن تخبره معهم جميعاً في الصباح..

هي ليست جبانة.. ولكنها قررت استخدام مكر النساء..

فحافظ مهما بلغت درجة غضبه لن يقلل منها أمام أطفالها..

والأهم..

أنه لن يتمكن من نبذ ياسين أمام إخوته..

اتخذت مقعدها على المائدة ليبادرها حافظ:

- صباح الخير يا حاجة.. مش عادتك يعني تتأخري!

غمغمت آمنة بإرتباك:

- حصل خير يا حاج.. كنت بخلص شوية شغل في المطبخ..

قطب حافظ حاجبيه:

- غريبة!.. وده ما يستناش لبعد الفطار.. أنتِ عارفة بحب

نفطر كلنا سوا..

تلجلجت أمانة:

- أصل أنا كنت عايضة استأذذك أني أخرج أعمل مشوار كده
بعد الفطار..

إزداد عجب حافظ:

- تخرجي فين يا أمانة!!.. أنتِ بقي لك سنين ما عتبتيش بره
باب البيت!..

قررت إلقاء القنبلة:

- عايضة أروح لياسين.. بعد إذذك يعني يا حاج.. مش هتأخر
هرجع على الغدا

صمت خانق خيم على الجميع وحافظ يرمق أمانة وقد بدأت
شرارات الغضب تندلع بعينه..

بينما أمانة تفرك أناملها بمفرش المائدة بتوتر كالتالبة المذنبه
التي تنتظر عقابها..

أخيراً قطع ماجد الصمت وهو يسأل بصوت حاول إخفاء
اللهفة به على قدر استطاعته:

- تروحي لياسين!.. مش هتسافري له يعني؟!.. هو فين يا
حاجة؟..

وجاء صوت سعاد تتساءل بواقعية:

- هو ما سافرش صح؟.. راح فين يا ماما؟..

بينما بلسم تردد بصوت غريب:

- يعني هو ما سابناش وبعد ونسينا.. بس نقل لمكان تاني..

قاطع حافظ تساؤلات الجميع:

- ياسين عايش في بيت جد أمكم القديم..

وأكملت آمنة بسرعة:

- فتح ورشة نجارة واتجوز..

"ايبيه!!"

"اتجوز!!"

"ورشة!"

"آمنة!!"

صرخات متعددة اختلفت كلماتها ولكن المضمون واحد..

الجميع في حالة ذهول.. وأضف الاستنكار لحافظ..

أكملت آمنة كلماتها بسرعة:

- كان هنا امبارح.. وحكى لي على موضوع الجواز.. هو قالي قبل

كده على الورشة..

عاد حافظ يهتف:

- آمنة!!..

التفتت له آمنة بقلق:

- أيوه يا حاج..

لم يلتفت لها حافظ وظل محافظاً على اتجاه نظراته الثابت:

- عارفة من إمبراح يا حاجة؟..

رددت بإرتباك:

- أيوه يا حاج..

هبط حافظ بيده على مائدة الطعام بقوة فتراقصت أدوات

المائدة وصرخ بغضب:

- ابني الكبير بيتجوز.. وأنا باعرف زي الأغراب.. وكمان بعدها

بيوم!!.. خلاص عياره فلت للدرجة دي.. ولا عشان عايش

لوحدته فاهم أنه مالوش كبير..

اغتاظت آمنة بشدة.. فهي مع ياسين بالذات كأنثى النسر

تهاجم كل من يقترب من صغيرها..

تكلمت بهدوء:

- هو خرج من البيت ده بمعرفتك يا حاج.. وهو اتجوز.. لا
 غِلَط ولا ارتكب معصية.. ده راجل اللي زيه عندهم عيل
 واتنين.. هو محتاج ونس في وحدته واختار شرع الله..

هتف بها بغضب:

- ما حدش قاله يبعد ويعيش لوحده!

تردد صوت ياسر الذي تدخل بالحديث لأول مرة..

ولأول مرة أيضًا يتدخل بأحاديث الأكبر سنًا ولكنه لم يستطع

إلتزام الصمت:

- كلنا يا بابا قلنا له يمشي.. يمكن مش بالكلام.. بس بكل

تصرفاتنا.. اتصرفنا معاه على أنه مجرم.. مش أخونا.. دمنا

ولحمننا.. وهو حس بده ومشي..

ثم رمق ماجد بنظرة لوم خالصة:

- وما حدش فيكوا..

صمت للحظة ثم عدل كلماته:

- ما حدث فينا حاول يدور عليه ويفهم منه.. ويرجعه ثاني..

يبقى من حقه يدور على اللي يريحه ويفهمه..

سقطت كلماته على الجميع كصفعات إفاقة لهم تفتح

عيونهم عنوة على ما يعرفونه ويرفضون الإقرار به..

هم من دفعوه للرحيل.. هجره ونبذوه..

ابتعدوا، فابتعد..

لم اللوم الآن!.. لأنه وجد بديلاً يقدره عنهم..

هل هم بتلك السادية حقاً يرغبون ربطه بساقية أحكامهم

الجائرة ليظل أسيراً لجحودهم للأبد وعند أول بادرة منه

للبحث عن دفاء الأهل بعيداً عنهم يصبح هو الملام والمذنب..

راقب ياسر انسحاب اللون من وجوه الجميع فغمغم معتذراً:

- أنا آسف.. ما اقصدتش..

ترك حافظ المائدة بصمت وقد طأطأ رأسه خجلاً من كلمات
أصغر أولاده..

وقبل أن يفتح باب المنزل متوجهاً لعمله هتف بياسر:

- ياسر.. خليك مع ماما وهي رايحة مشوارها..

تهدت أمانة براحة بينما هتفت بلسم بتوسل:

- ممكن أروح أنا كمان؟..

وصاحت سعاد بحماس:

- وأنا.. وأنا..

هز حافظ رأسه:

- براحتكوا..

ثم التفت مرة أخيرة:

- مراته كويسة يا أمنة؟..

أجابت أمنة بخفوت:

- بنت مقطوعة من شجرة وطيبة وهتشيله..

عاد لمهز رأسه مرة أخرى والتفت لبلم:

- تعزميه على كتب كتابك.. هو ومراته..

هزت بلم رأسها بصمت وهي تلمح خطوات والدها والذي

بدا أن صفقة الإفاقة التي نالها من صغيره كانت مؤلمة

للغاية..

ولكنها بطريقة ما كانت ذات تأثير عميق..

بينما أثر ماجد الصمت كعادته يقلب بعقله كل المعلومات

والمستجدات التي سمعها الآن..

فزوج ياسين كان مفاجأة غير متوقعة على الاطلاق..

ولكنه لا ينكر أنها مفاجأة سعيدة بغض النظر عما يحيطها
من غموض..

راقبت فجر من موقعها ممددة فوق الفراش عيني ياسين وهي
تتألق بنظرة إجرام قاسية.. وقبضته تزداد قوة على عنقها
وانعكاس النصل المعدني للمدية يتألق على جدار الغرفة..
بينما هو تجمد تماماً وكأنه لا يراها هي بل شياطين ماضيه
تتقافز أمامه برقصة دموية.. وكأن الماضي البعيد يعرض
أمامه بصور مجسمة، وقتما كان النوم رغبة عزيزة بل رفاهية
يعجز عن الفوز بها.. فأغماض عينيه كان يوازي قتله على
الفور..

تلك الأيام شديدة القسوة حينما نبذه أبوه وتعرض هو للعديد
من محاولات القتل والتي انتهت إحداها به نزيراً بمستشفى
السجن وجسده مثخن بالجراح.. ولحسن حظه أو ربما هي

دعوة مستجابة لأمنة.. خرج من المستشفى ليوضع بسجن
مشدد لحين محاكمته.. وكان ذلك بتدخل مباشر وقوي من
هاشم..

وبرغم مرور تلك الأيام إلا أن تأثيرها لم يُمَحَ بداخله..

فالمدية لم تعد تفارقه حتى أثناء نومه..

كما أصبح لا يمكنه النوم بمكان مفتوح أبداً.. يحتاج لغلق
الباب وكل النوافذ بالغرفة.. يحولها لزنزانة حبس انفرادي
كتلك التي قضى بها عدة سنوات للحفاظ على حياته..

أفاقه من الإستغراق بماضيه همسة فجر المرتعبة:

- سي ياسين!..

دقق النظر إليها وكأنه يتذكر سبب وجودها..

ثم نهض قافزاً من الفراش ومتوجهاً للخزانة وهو يخبرها
ببرود لا تعرف كيف تملكه بتلك السرعة فقد كان يشتعل
غضباً منذ لحظات:

- ممكن كوباية شاي يا فجر..

رمشت فجر عدة مرات وهي تتحسس عنقها لتتأكد أنه ما زال
سليماً ورأسها بمكانه فوق ذاك العنق الذي كان على بعد
خطوة من الكسر..

عاد ياسين يصيح وقد ارتدى سترة منامته:

- فجر!!!..

رفعت له عينين مذهولتين وهي تعتدل جالسة:

- فجر!.. فجر مين!!.. فجر راحت في شربة ميه..

وغمغمت بخفوت..

"قطعت لي خلفي يا بعيد.. ده أنا لسه ما دخلتش دنيا"..

صرخ بها:

- فجر.. بطلي برطمة وروحي إعملي شاي..

ركضت من الغرفة هاتفة:

- حالاً.. شاي.. حالاً..

أوقفها على باب الغرفة:

- استني..

التفتت له بخوف:

- أنتِ إيه اللي دخلك الأوضة؟..

ردت بإرتباك:

-الساعة بقيت عشرة يا سي ياسين.. والورشة مقفولة

إمبارح طول اليوم.. ده مش حلو عشان أكل العيش..

صمتت لحظة:

- بس لو دخولي زعلك.. أبدأ ما عدت أكررها تاني أنا كان

قصدي أصحيك بس..

اقترب منها فتراجعت خطوتين للخلف.. فابتسم بحزن:

- ما تخافيش مني يا فجر.. وما تقلقيش من اللي حصل، أنا

بس اتفاجئت بوجودك..

انتشت فجر بسعادة.. هو يطمئنها.. يراضيها..

ماذا لو كان سيكسر عنقها بين يديه منذ لحظات!..

لا يهم..

ما يهم حقاً أنه يقدر خوفها.. ويهتم لحزنها..

واختتم قوله:

- أنتِ مراتي يعني أنا حمايتك وأمانك..

ابتسمت فجر بإنشدها وأعماقها تتراقص..

يبدو أن الزهر لعب يا فجر!..

وعلى مائدة إفطار كان حجمها ضعفي حجم مائدة أمنة ولكن
روادها كانا فقط هو وفجر زوجته العتيدة.. والتي يبدو أنها
أعدت له مائدة متعددة الأصناف وأخذت تمزج له الشاي
بالحليب مخبرة إياه بحكمة:

-الشاي على الريق ينشف الدم.. خذك كوباية شاي باللبن
وافطر وابقى أحبس بالشاي..

كان جائعاً بالفعل فلم يعارضها بينما هي استمرت بثرتها:

- سي ياسين؟..

رفع نظراته إليها:

- خير يا فجر..

أشارت لوجنته بقلق:

- الجرح اللي في خدك ده من إيه؟..

تحسس الجرح الحي بوجنته والذي بدأ يشعر ببضعة آلام

خفيفة حوله:

- خناقة وعدت..

عاندته بتصميم:

- بس أنت مش بتاع خناقات..

رمقها بتعجب وهو يتحسس أذنه المقطوعة ونظرة عينيه

تخبرها بسخرية

"ألم تري المديّة يا امرأة"..

لم تهتم لنظرته وبادرت ناصحة اياه:

- الجرح ده خطر تسببه كده.. وأنت نازل الشغل في الورشة

وتراب ونشارة خشب.. روح للصيدلية.. بلاش تروح للقريبة..

الي في الشارع الرئيسي أحسن فيها دكتورة شاطرة هتديك

لازقة كويسة عشان الجرح ما يسبش أثر..

ابتسم ياسين لها بمودة:

- بالراحة يا فجر أبلعي ريقك..

هتفت به:

- ما هو بصراحة أنا عقلي بيودي ويجيب.. حد أتعرضلك..

بسبب... بسببي؟..

أدرك ما تفكر به ولم يرد إزعاجها بتفاهات أنور.. فمن

إستأجرهما لمهاجمته، هما من سيتكفلان بأمره..

هو يعرف تلك النوعية.. ربما تدفعهما الحاجة والفقير للجريمة

ولكنهما لا يقبلان أن يكونا لعبة بأيدي أحد يستغلها لهدف

برأسه..

هدف أدركا أنه أكثر دناءة مما يتحمل شرفهما الإجرامي..

ربت على كتفها باطمئنان:

- قلت لك خناقة وعدت.. ما تشغليش بالك..

شبكت أصابعها سوياً وعكصتهما لتخبره بإستسلام:

-الي تشوفه يا سي ياسين..

هز رأسه لينهي الموضوع وتوجه للباب ليذهب لورشته عندما

هتفت به:

- سي ياسين..

التفت لها وبعينيه نظرة وماذا بعد..

فسألته بقلق:

- هو أنت مش هتسيبني أنزل للعربية بجد؟..

خطوة واحدة واسعة كان أمامها يتمسك بذراعها ونظراته

عادت تتألق بالإجرام:

- إحنا مش قفلنا الموضوع ده إمبارح.. خيالك ما اشفوش في

الشارع..

سارعت بالرد:

- أيوه بس...

قاطعها وعيناه تلمعان بذلك اللون الغريب الذي لا تعرف له
اسماً.. ولكنه كان مربعاً:

- فجر.. أنتِ رضيتِ تكوني مراتي.. يبقى تعرفي أني مش بحب
أكرر كلامي..

هزت رأسها عدة مرات وهي تخفضها للأسفل هامسة:
- حاضر.. حاضر..

كانت مرتعبة من تلك النظرة ولا تعرف لو فقد سيطرته على
ذلك الغضب بعينه ماذا سيكون مصيرها ولكن ذلك لم
يمنعها من الهتاف به وهو على درجات السلم:
- ما تنساش تروح الصيدلية..

كاد يصيح بها ولكن نظرات الوداعة الممزوجة بخوف وشيء
من القلق جعلته يشير لها بالموافقة...

لم يصدق ياسين عينيه وهو يلمح أمانة تتقدم بخطوات
متثاقلة نحو ورشته يرافقها ياسر والتوأمتين..
هل حقاً أتت لرؤيته بمنفاه الإختياري!!.. هل تحركت الحاجة
أمانة من منزلها!!.. مطبخها وغرفتها ونافذتها المفضلة!!..
يعلم أن قدمها لم تطأ الشارع منذ سنوات.. حتى بولادة رقية
لطفلها الأخيرة لم تستطع مرافقتها للمشفى وتركت المهمة
لزوجة عمها وعمتها..
هي أصبحت امرأة شديدة الإلتصاق ببيتها.. كما أن حالتها
الصحية لم تعد تساعدنا وخاصة بعد الولادة المتعثرة
لشقيقه الصغير..

شقيقه الذي يلوح له مهلاً الآن.. ويشير له بأن يتقدم
لاستقبالهم..

تحرك بخطوات سريعة وكأن هتاف شقيقه الأخير باسمه
أفاهه من جموده المؤقت ليتقدم ملاقياً والدته ومتلقفاً ثقلها
على ذراعه يدعمها بل يكاد يحملها لداخل الورشة..

ولكنها فاجئته برفض قاطع:

- أنا جاية أشوف بيتك يا ياسين... ومراتك..

تجمدت ملامحه للحظات قبل أن يقول:

- طيب ارتاحي شوية في الورشة و..

رمقته بنظرة لائمة:

- إيه يا ياسين مش عايز تضايفنا في بيتك ولا إيه؟!..

جذب مقعداً ليجلسها هاتفاً بحسم:

- يا أمي خُدي راحتك الأول وأنا كمان أسلم على أخواتي..

جلست آمنة على مضض.. بينما فتح ياسين ذراعيه ليقفز
ياسر بينهما مباشرة هاتفاً بسعادة:

- وحشتني قوي.. المرتين اللي جيت فيهم كنت أنا في المدرسة..
ليه ما استنتش تشوفني؟..

داعب ياسين خصلاته بحنان:

- معلىش بقى يا ياسر.. أنت شايف أهو؛ ورشة وشغل
ودوشة..

ضحك ياسر بسعادة وأجابه بنضج:

- أنت قدها وقدود.. ربنا معاك..

عاد ياسين يربت على كتفه بحنان بينما نظراته تتجه نحو
التوأمتين ليهمس متسائلاً بقلق:

- مش عايزين تسلموا عليا ولا إيه؟

تبادلت سعاد وبلسم نظرات حائرة.. قبل أن تحسم سعاد

أمرها وتتحرك نحو ياسين هامسة:

- وحشتنا.. إرجع بقى.. محتاجينك بجد..

داعب ياسين خصلاتها البنية الناعمة متسائلاً:

- مالك يا سعاد!.. فين الشقاوة والعفرتة!

همست بشجن:

- موجودين.. مستنينك تيجي عشان يظهروا..

ابتسم لها برقة بينما هي تشاكس بلسم كعادتها:

-عارفة لو ما اترمتيش في حضنه أنا هعمل فيكي إيه!.. بس

فألحة عياط ليل ونهار.. ياسين وحشني.. ياسين وحشني..

ابتعد ياسين عن حضن أخويه وتحرك نحو بلسم مدركاً

صعوبة إتخاذها الخطوة الأولى نحوه..

وخاصة الآن بعد علمها بزواجه، فهي تظن أنه هجرها ثانية..

تخلى عنها مرة أخرى من أجل امرأة..

امرأة تزوجها بالفعل..

مدلته تشعر بالهجران.. الفقدان.. والغيرة..

اقترب منها ليرفع ذقنها فتواجه عينها عينيه:

- ياسين وحشك بجد يا بلسم؟..

رمقته بلسم بنظرة طويلة معاتبة.. وأعماقها تحثها للارتقاء

بين ذراعيه كما صاحت بها سعاد، ولكن ذلك الخوف

المجهول الذي يتحكم بكل تصرفاتها أحكم قيده عليها لتتجمد

ملامحها ببرود كما تجمدت أعماقها هلعاً من فكرة فقدانه

ثانية..

وتلك المرة ستفقدته بلا عودة..

سيضيع منها لتربحه زوجة لا يعرفون عنها شيئاً..

أبعدت وجهها عن أنامله لتتمتم ببرود:

- مبروك الجواز..

وقبل أن يجيبها بكلمة ارتفع صوت آمنة بقلق:

- إيه اللي في وشك ده يا ياسين؟.. إمبراح كنت سليم..

هزياسين رأسه ليطمئنها:

- جرح بسيط يا أمي ما تقلقيش..

همست بتبرم:

- وأنا هعلق عليك ليه!.. أنت مش اتجوزت اللي هتعلق

مكاني..

اقترب ليجلس على ركبة واحدة:

- مكانك ما حدش يقدر يقرب له يا أمون..

أجابته بهدوء متجاهلة كلماته:

- أديني قعدت وأخذت راحتي.. يلا نطلع الشقة..

هي غاضبة.. يمكنه الإحساس بغضبها بل ولمسه أيضاً،

يبدو إن غضبها لم يهدأ..

وقررت تفريره بمن تظن أنها سرقة منهم..

مسكينة أنتِ يا فجر وقعتِ بين مطرقة آمنة وسندان بلسم..

لم يجد بدأً من اصطحابهم لشقته وبداخله يبتهل أن تكون

فجر بوضع لائق يسمح لها استقبال ضيوفها فأخر ما لمح

منها صباحاً عندما عاد ليأخذ مفاتيح الورشة التي نسيها

بخضم نقاشهما الصباحي، حملها لمقاعد مائدة الطعام لتقلبها

وتركنها بوضع متعامد فوق المائدة استعداداً للإنقضاض على

أرض الغرفة بنوبة نظافة فورية..

أخرج مفتاحه وتحت أعين أمنة المذهولة لم يستخدمه مباشرة، بل نقر بأصابعه بخفة على الباب ينبه فجر لقدمه ويرجو أن تضع بعض العقل برأسها فترتدي ما هو مناسب لتفتح الباب وتستقبل أمه وإخوته..

وبالداخل كانت فجر تنهي اللمسات الأخيرة على طعام الغذاء وتخرج "عامود الطعام" الشهير والذي عثرت عليه بإحدى خزائن المطبخ.. وعرضته لنوبة تعذيب قوية عاد بعدها نظيفاً ومعدنه الفضي يبرق لمعاناً..

وبدأت ترص به أصناف الطعام التي أعدتها له..

صحيح أنه منعها من الخروج ولكنها تمكنت من صنع "سبت" بدائي ستحاول إرسال الطعام عبره..

سمعت طرقات خفيفة على الباب فعدلت وضع عباءاتها السوداء ووشاحها..

واتجهت للباب لتفاجئ بياسين واقفاً بمنتصف الهو وقد
غطت وجنته ضمادة بشعة المظهر..

صاحت به في غيظ:

- مش قلت لك تروح الصيدلية اللي على الرئيسي.. عايز
الجرح يتلهب..

برقت عيناه بتلك النظرة التي أرعبتها ثم أخبرها بنبرة تحذير
استشعرتها بكلماته وهو يشير خلفه:

- والدتي وإخواتي جاينين يباركوا لنا.. ويتعرفوا عليك..

كاد سؤال بديهي يفلت من بين شفتيها

"يباركوا على إيه؟!!"..

ولكن الصدمة جمدها بأرضها وهي ترى والدته تدخل للمنزل
تتكأ على عصا ذات مقبض من ناحية وكتف فتاة ناعمة
الملامح من ناحية أخرى..

كانت امرأة ذات ملامح رائعة تنبعث الطيبة والرقّة من وجهها
ولكن كان بنظراتها شيء غامض وكأنها تقيم الموقف ككل..

اقتربت فجر منها بعدما وكزها ياسين بقوة..

لتقف بمواجهتها تلتقط يدها وتقبل ظاهرها ببساطة هامسة:

- نورت بيتك يا خالتي أم ياسين..

تدخل ياسين:

-اسمها الحاجة أمنة..

لتخبره فجر بتقرير:

- ما فيش أغلى من اسم البكري تنادي بيه على الأم..

ثم قطبت حاجبها وهي تسأله:

- مش أنت البكري برضوه؟

سيقتلها.. ويعود للسجن بضمير مرتاح..

كان يفكر بالفعل بقبض روحها عندما لاحظ أن ملامح

والدته رقت قليلاً وهي تستمع لمناوشتهمما..

بينما صاحت فجر:

- اتفضلي يا خالتي أم ياسين.. ارتاحي.. معقولة واقفة لحد

دلوقت..

نظرة سريعة راقبت بها أمانة ردهة المنزل ومهوه لتدرك أن

الفتاة قامت بمعجزة فعلية بجعله لائق للاقامة..

لا تنكر أنها دخلت قلبها بسرعة الصاروخ..

حتى أنها تحاول جاهدة أن تتذكر لما كانت معترضة على هذا

الزواج..

ولكن لا بد أن تلقن الدرس كامل لابنها.. فمهما كانت الظروف

القاسية والتي يرفض حتى الإشارة إليها إلا أن مكالمة هاتفية لم

تكن تكلفه الكثير..

إلا إذا!!!..

إلا إذا ماذا يا أمنة؟!..

إلا إذا كان يخشى أن أحاول إثناؤه عن الزيجة، وهو لن

يرفض طلبي ولن يغلق بابه بوجه من استجارت به..

لقد أراد الزواج منها..

تلك هي الحقيقة حتى لو لم يقر بها..

كانت آمنة شاردة تحلل الموقف بعقلها.. وأراحتها النتيجة

التي وصلت إليها..

ولكنها بحاجة لتعرف المزيد عن كنتها المستقبلية..

أثار انتباهها الحوار الدائر بين توأمتهما وفجر.. وكانت سعاد

التي تتكلم كالعادة:

- أنا بقى سعاد.. ودي أختي بلسم توأمتي..

ابتسمت فجر بحبور:

- سعااااا.. اسمك حلوقووي.. على اسم والدتي الله يرحمها..

أخيراً لقيت حد اسمه سعاد..

برمت سعاد شفيتها بغیظ:

- ومش هتلاقي غيري.. كل اللي اسمهم سعاد مراحيم..

ضحكت فجر براحة فالفتاة لا تبدو مرعبة كوالدتها:

- اسمك جميل.. بيخلي الواحد يفرح..

والتفت فجر لبلم وسألتها:

- اسمك جديد؟..

برقت عينا بلسم وهي تتوقع من تلك الفتاة القصيرة القامة

التي تثرت بلا انقطاع أن تتحفها بمزحة سمجة عن اسمها

ولكنها فاجأتها:

- سعاد وبلسم.. الفرحة والراحة.. ربنا يهنيكوا يا رب..

لم تكن بلسم الوحيدة المتفاجئة..

كان ياسين بنفس الدرجة من الدهول.. من تلك الفتاة العاقلة

أين ذهبت زوجته ذات الأربع ألسن!..

يبدو أن تأثير آمنة خارق..

تحركت فجر للمطبخ وعادت تحمل عدة أقداح من الشاي

عندما دلف ياسر من باب الشقة يحمل بضعة علب متعددة

الأحجام..

وآمنة تقول ببساطة:

-دي هدية صغيرة بمناسبة الجواز.. تعالى يا ياسر سلم على

مرات أخوك..

حيته فجر بحرارة فقد بدا نسخة مصغرة عن ياسين الذي

جلس يراقب ما يحدث حوله بذهول..

لا يدري إذا كان حقيقة أم خيال!!..

هو ياسين الصعلوك المنبوذ.. يستضيف أمه وأشقائه
بمنزله!!..

وزوجته تصر بشدة أن يتناولوا الغذاء جميعاً وتشكرهم
بحرارة على الهدايا المتعددة!..

فجر، مَن خشي عليها من هجوم أمنة وبرود بلسم..
تجلس بينهما بمودة وهي لا تكف عن الثثرة معهما..
وسعاد تشاغب لتبادلها الحوار..

هل أصبح زوج قلق الآن يراقب تقبل عائلته للفتاة التي إقترن
بها!!..

لحظات ظن أنه لن يمر بها أو يعرفها أبداً..
وها هو يختبرها بفضل تلك الثثرة التي ربحت قلوبهم

جميعاً برغم محاولات أمه المستميتة للحفاظ على ملامح
باردة..

إلا أنه يرى فرحتها بفجر بعينها.. راحة خفية وكأنها تشعر
باطمئنان غريب..

ماذا لو علمت أن ابنها الشهم ترك العروس على الأريكة
لليلتين متتاليتين..

حمداً لله أن ثرثرة فجر لم تصل لتلك النقطة...
سمع والدته تأمره بحزم:

- روح شغلك أنت يا ياسين وإحنا قاعدين مع فجر شوية..

تدلى فكه ببلاهة.. وظهرت نظرة مرعوبة بعينيه وهو يسأل:

- اييه!!..

لتدخل ذات الألسن الأربعة:

- أيوه يا سي ياسين.. أنت قفلت امبارح طول اليوم.. ما
ينفعش تقفل النهارده.. عندك شغل ومواعيد تسليم..

غمغم بحزم:

- هي آمنة هتنورني كل يوم..

ابتسمت آمنة بمودة:

- أنتوا هتبقوا تنورونا.. ولا مش ناوي ترد الزيارة يا ياسين
وتعرف مراتك على بيت عيلتك؟!..

ابتسم ياسين بتوتر.. لتتدخل بلسم هامسة برقة وخجل:

- تبقوا تنورونا آخر الشهر.. كتب كتابي.. إن شاء الله..

قفزت فجر لتعانقها بفرحة حقيقة.. فقد كانت تشعر بالنشوى
والسعادة والأمان..

هي أصبحت تملك أسرة حقيقية كبيرة..

فتاتان مثل قطع السكر وأخ صغير تلتمع عيناه بذكاء..

وأمر رائعة.. هي لم تعرفها بما يكفي ولكنها تراقب بجذلة نظراتها
نحو ياسين.. وتكاد تهتف بل تتوسل..

"أحبيني ولو بمقدار ذرة من حبك له فهو يكفي لي لنهاية
عمري" ..

التفتت بلسم لياسين بعدما فلتت من عناق فجر الودي وهي
تسأله:

- هتيجي يا ياسين؟.. عايزاك تشهد على العقد..

سألها بذهول:

- أنا أشهد!!.. ماجد أحسن.. يبقى الشاهد بتاعك حد

يشرف..

همست بصوت مختنق:

- ما هو أنا لو كنت عايزة الشاهد بتاعي يبقى ماجد كنت
كتبت الكتاب قبل ما تخر..

قطعت كلماتها فهي لا تعرف إذا كانت فجر تعلم بسجنه أم لا
وعدلت آخر كلمة:

- قبل ما ترجع..

أخيراً سمحت له بضمها بين ذراعيه لتتعلق بعنقه متشبثة به
بقوة خانقة حتى كادت أن تكتم أنفاسه بالفعل..

لا ترغب بالمغادرة كم تتمنى لو استطاعت البقاء معه هنا
خاصة وأن زوجته لم تكن كما تتوقع..

هي لم تسامحها على زواجها منه بعد.. ولكنها تبدو طيبة
وترمقه بإجلال وتلقبه "بسي ياسين"..

فتاة لطيفة وبسيطة وقريبة من القلب..

داعب ياسن خصلاتها برقة هامساً بأذنها بكلمات لم يسمعها

سواها:

- أنا خرجت النهارده بس..

انفجرت فجر بيبكاء لم تعرف له سبباً.. فصاح بها ياسين

مشاكساً:

- أنتِ بتجيبى كمية العياط دي منين!!.. يا حاجة فجر!!..

توقف بكائها بغتة.. وبرقت عينها بغضب فهي لا تستطيع

مبادلته المشاكسة ب "ننوس عين الحاجة"..

أمام والدته.. لتقفز متوجهة للمطبخ جالبة "عامود الطعام"

وتعلقه بيده هاتفه بسخط:

- غداك يا سي ياسين.. إحنا هنتغدى هنا سوا..

ابتسمت سعاد بشقاوة وهي تهتف:

- ده عقاب ده ولا إيه!

اقترب ياسين منها:

- خليني هنا أحسن عشان ما تحصلش مشاكل..

رفعت رأسها بشموخ وهي تهتف بغیظ:

- مشاكل إيه!.. هو أنا هاكلهم!..

لم تستطع آمنة كبح ضحكاتهما فالفتاة ممتعة..

صحيح أنها تمننت فتاة مختلفة كزوجة له.. عائلة وأصل

وجمال.. ولكن تلك التي تراعي وتحتوي كافة تفاصيله لا بديل

عنها..

جاء صوت آمنة رقيقاً:

- تعالي يا فجر..

وأخرجت من حقيبتها علبة مخملية لتفتحها قائلة:

- تعالي يا بنتي.. أنتِ عروسة ولازم تلبسي شبكتك!..

شهقت فجر برهبة وهي تنظر لياسين تنتظر منه الإذن..

فجذبها من يدها ليجلسها بجوار والدته:

- أنتِ بتسبقي يا أمون.. المفروض أنا اللي أجيب الشبكة..

ربتت أمانة على شعره:

- بس فجر تستاهل إني أجيب لها أنا الشبكة بنفسي..

وهنا انفجرت فجر بالبكاء ثانية وقبل ياسين كفي أمانة فقد

نال مباركتها..

وانطلقت سعاد بزغرودة طويلة مليئة بالفرحة...

انتهى الفصل

الفصل الثاني عشر

قيل أن الفضول قتل الهرة.. ولكنه كان يذبح فجر تلهفأ..

آلاف من الأسئلة بداخلها غير قادرة على توجيهها له..

وعاجزة عن التزام الصمت.. وبين التزام الأدب ونبذ الفضول،

أو الراحة بتوجيه أسئلة قد لا تجد لها إجابات والأسوأ

قد تكون الإجابات أكثر ازعاجاً مما تظن، علقت فجر مشتتة

بحيرتها..

تتحرك بألية وتنفذ أوامره بلا نقاش وعقلها يسبح بدوامات

بعيدة..

أفكار حاولت جاهدة الابتعاد عنها إلا أنها لم تستطع..

يعاد بذنها لقاءها مع والدته وأختيه التوأم..

ويزداد بداخلها الفضول ويرتفع منسوب الحيرة؛ لقد عشقت

السيدة..

وأكثر ما عشقته بها هو حبها الجليّ لياسين.. تلك الأمومة
 الفطرية التي تنبعث منها لتضم جميع من حولها تحت
 رداء عاطفتها الصادقة، ولو أرادت الحقيقة لقد لمست
 حب التوأمتين له وانهار شقيقه الأصغر به وإصراره على
 مصاحبته ليرى الورشة عن قرب..

كل ما رأته كان إشارات واضحة لعلاقة رائعة تجمعهم به..
 إذأ لم ابتعد عنهم؟.. ولم تركوه يبتعد؟!..

هل ما حدث خلاف مع والده حول شئون العمل كما سمعت
 من الحاج صالح يوماً؟..
 أم أن الأمر يتعدى ذلك؟..

وتلك الشقراء التي أتت بحثاً عنه متلهفة ثم ودعته باكية..
 ما قصتها؟..

شردت بأفكارها حول الشقراء بالذات لا تعرف لما يصيها
ذكرها بالغضب!..

سخرت من غضبها..

"شكك بتغيري يا فجر!.."

ليتردد صوتاً بأعماقها متسائلاً..

"تغيري ليه وبأي صفة؟!.."

هتفت تزجرها جسها الساخر..

"أنا مراته.. أيوه مراته"

كانت ترددها عدة مرات وكأنها تؤكد لها لنفسها قبل كل شيء..

لقد ظلت تتأمل اللعبة المخملية التي تحتوي على عدة قطع

ذهبية وتتجسسها بهيام، ليس عشقاً بالمصوغات الذهبية،

ولكنها فقط إثبات حي وحقيقي على تلك الزيجة..

على حب والدته لها ومنحها صك القبول..

قاطع شرودها هتافه:

- انجزي يا فجر.. عايز أخلص عشان أنام..

التفتت له تنفذ ما طلبه بلا نقاش..

وهل تجرؤ على معارضته وقد قرر رغم إرهاقه الجلي أن

يعد لها غرفتها الخاصة..

فبعد انتهاء زيارة والدته، انهمكت هي بتنظيف وترتيب المطبخ

هرباً من أفكارها العاصفة بشأنه لتتنفض مع ندائه

باسمها هاتفة برعب:

- بسم الله الرحمن الرحيم!!..

هز رأسه بعجب منها:

- في إيه!!.. شوفتِ عفريت قدامك!!

نفت كلماته بسرعة:

- لا أبدأ يا سي ياسين.. أنا بس ما سمعتكش وأنت داخل..
ولسه ما حضرتش العشا..

أشار لها بيده:

- لا مش وقت عشا.. تعالي حصليني على الأوضة..
تدلى فمها زهولاً وهي تسأله باستنكار:

- هاااه..

اقترب منها متسائلاً:

- في إيه يا فجر!.. أنتِ التنضيف أتر على دماغك!.. تعالي يلا
ساعديني..

ذهبت خلفه وعقلها ينسج آلاف الأفكار عن نوعية تلك
المساعدة..

وصلا إلى إحدى الغرف المجاورة لغرفته فوجدته فتحها

وأخرج ما بداخلها..

كادت أن تصرخ به حول نظافة الأرض التي كُسر من أجلها
ظهرها ولكنه وجدته يهتف بها أن تساعده في تركيب أعمدة
فراش نحاسي ضخمة!..

هتفت به برهبة:

- هو أنا هنا هنا؟..

رفع عينيه اليها:

- عجبك نومة الكنية؟..

ضغطت لسانها بعنف كي لا يظهر تبرمها.. ولكنه لم يجب

سؤالها..

هي لن تنام في غرفة يفترض أنها تخص جديه كما هو واضح
من فخامة الأعمدة النحاسية التي يبدو أنها كانت محفوظة
بشكل جيد جداً بعيداً عن الأتربة..

بأعماقها لهفة خفية أن يخبرها أنها ستكون لهما معاً..
تود لو تسأله عن زواجهما.. وهل سيستمر به أم هو فقط
يأويها بمنزله كما يأوي هر شاردر..

قطع أفكارها بقوله:

- دي أوضة أمون.. هي اللي قالت لي عليها وهي نازلة.. يظهر
أنها حبتك قوي.. وأنت إيه رأيك في حماتك؟

ولم يخبرها بالطبع أن والدته كانت تقترح الغرفة لهما معاً..
ما زال هناك بداخله شيء يمنعه من معاملتها كزوجة..
ربما سرعة اتمام الزواج.. أو الظروف المحيطة به..

أو فقط ذلك الجزء الصغير جداً بداخله والذي يفكر بها
كفجر بائعة الكبد بينما هو ياسين ابن الحاج حافظ برهام...

التفت إليها ليجدها تجبه على سؤاله الذي نسي فجأة فحواه
وكانت تتكلم بعفوية بريئة كعادتها:

- وأنا والله حبيتها قوي يا سي ياسين.. ربنا يخليها لك ويبارك
لك في عمرها..

عاد يسألها:

- والبنات حبتهم برضوه؟..

أومات برأسها بسرعة وابتسمت ابتسامة واسعة وانحلت
عقدة لسانها لتثرثر حول اللقاء وما دار به وكأنه لم يكن
حاضراً..

وهو تركها تنطلق بكلماتها وكأنه يرغب بالتأكد أن ما حدث
حقيقة واقعة وأنه لم يكن يعيش أحد أحلام اليقظة..

ولكن فجر برغم سعادتها بتقبل أمنة لها كان يؤرقها سؤالاً

لم تستطع كبجحه:

- أنت مالكش إخوات غير بلسم وسعاد وياسر؟..

أخبرها بهدوء عن رقية وزواجها بحاتم ابن عمهما وأولادهما

الثلاثة وهي تتابعه مبتسمة ليخبرها عن ماجد وعمله

فقاطعته بلهفة وقد وصلت إلى هدفها:

- الدكتور ماجد ده الي خطيبته جت هنا تسأل عليك؟..

رمقها بنظرة غامضة ثم أشاح ببصره بعيداً:

- أيوه هي..

لم تعجبها طريقته في الإشاحة بعينيه بعيداً فسألته مباشرة:

- كانت جاية لك ليه؟..

كتف ذراعيه وهو يسألها بحزم:

- تحقيق ده ولا إيه يا فجر؟..

استشعرت في نبرته تحذير مبطن.. وكأنه يمنعها من الاستمرار
بتوجيه الأسئلة..

ولكنها تجاهلت تحذيره.. فالفضول.. كلاً ليس فضولاً فحسب..
هو فضول ممزوج ببدايات غير مشروعة وحيرة قاتلة..

- هو السؤال حُرْم؟.. أصلها ما جاتش تاني من يومها ولا حتى
النهارده مع الحاجة أمنة!

رمقها بقوة وكأنه يرغب بإخافتها فإسكاتها لينهي الموضوع
ولكنها بدت في انتظار اجابة..

ماذا يخبرها؟!.. قد لا يكون زواجهما حقيقياً ومفعلاً للآن
ولكنها تملك كل الحق بالسؤال..

هو فقط لا يعرف بم يجيها..

لابد أن يحسب حساب كل كلمة يخبرها بها فسمعة شقيقه
على المحك..

وإن أكملت "ليا" مشروع زواجها بشقيقه فيجب أن يظل
الاختلاط بحدود.. وحدود صارمة..

أخيراً وبعد فترة صمت أجاب بمراوغة:

- كان في مشكلة بسيطة بينها وبين ماجد وكانت عايزاني
أدخل..

رفعت فجر حاجبها حتى كادا أن يلتصقا ببداية وشاحها وهي
تبرم شفيتها بعدم تصديق:

- مشكلة إيه دي إن شاء الله!

زجرها بعنف راغباً بشدة في إنهاء الموقف:

- خلاص يا فجر.. موضوع وانتهى واتقفل.. و..

قاطع كلماته رنين هاتفه فأخرجه بسرعة ليجبه ظناً منه أنه
أنقذ بالجرس!..

ولكن ما أن وصله صوت "ليا" المنهار حتى أدرك أنه تورط، بل
يكاد أن يغرق..

- ياسين.. أنت اتجوزت!.. فعلاً اتجوزت!!

جاءت صرختها باكية في الهاتف ليجها بحزم وهو يلمح

الفضول يشكل ملامح فجر:

- أيوه..

عادت تبكي هاتفية:

- إمتى؟.. وازاي؟.. وليه؟.. أنت فاهم إن ده حل!.. أنت بتهرب

مني ولا من نفسك؟!..

عاد يرمق فجر التي تركت ترتيب الفراش ووقفت تكتف
ذراعها أمامه وكأن حدسها أخبرها أن المكالمة ليست بريئة
أبدأ..

كالفأر بالمصيدة..

ذلك تماماً ما يشعر به و"ليا" تصرخ به على الهاتف من جهة
وأمامه تقف فجر عيناها تتسألان عما يحدث..

تباً هو ليس بخائن..

لقد قضى على بدايات أي شعور نما بداخله للشقاء حتى
لا يتحول لخائن، فلم نظرات فجر المتفجرة تخبره بأنه أسوأ
زوج على وجه الأرض!..

لم يجد حلاً لإسكات الصارخة على الهاتف إلا همسه الحانق:

- خلاص.. بكره نتكلم..

وكانه أهداها ماء المحياه فهتفت:

- نفس المكان الساعة خمسة..

هز رأسه نفيماً:

- لا الظهر.. الساعة اتناشر..

أغلق الهاتف وعينا فجر تتابع ملامحه المذنبه وهو يخبرها

بخفوت:

- ده اتفاق شغل..

برقت عيناها بغيظ وكادت أن تصرخ به

"على ماما برضوه"..

ولكن ارتفع جرس الهاتف مرة أخرى ليلتقطه ياسين هاتفاً

بعنف:

- قلنا بكره.. في إيه تاني؟!..

ليأته صوت أمانة المذهول:

- في إيه يا ياسين!! إيه ده اللي بكره يا ابني؟..

يا الهي الآن سيعيد الكذبة ثانية!..

وعلى مسامع أمنة..

فلتحترق الشقراء وهرموناتها الثائرة بأعماق الجحيم..

كرر الكلمات حول العمل ثانية مراقباً ملامح فجر الذي رفعت

حاجباً واحداً بمهارة تحسد عليها خاصة إذا أرفقت ذلك

بحركة غريبة من شففتها وهي تحركهما يمناً ويسرى..

عاد صوت أمنة يتردد بحزم:

- ياسين.. رأيك إيه؟.. موافق!

هتف ياسين الذي استغرق بتأمل تعبيرات فجر ولم ينتبه

لكلمات أمنة:

- موافق على إيه؟..

زفرت أمنة بضيق:

- ركز معايا يا ابني.. بقولك بكره إخواتك البنات هيعدوا على
فجرو وروحوا يشترخوا شوية حاجات..

قطب حاجبيه:

- حاجات إيه مش فاهم؟..

-يووه يا ياسين.. دي عروسة يا ابني ولازم لها جهاز.. تفرح به
وتفرحك كمان!

"تفرح وتفرحه!"

كاد أن يهتف...

"ناس طيبة قوي يا خال"

ولكنه أمسك لسانه بأخر لحظة ليهمس بضيق:

- ليه كده يا حاجة هي اشتكت أنه ناقصها حاجة؟..

هزت فجر المتابعة من البداية للمكاملة رأسها بنفي تام وهي

تهمس..

"أبدأ والله ما حصل" ..

لتؤكد له أمنة نفس كلماتها وهي تفهمه بهدوء:

- أنت بتقول يتيمة ومالهش حد.. أكيد هي ما جهزتش

نفسها..

عاد يكرر وهو يرمق فجر بحزم:

- لو هي محتاجة حاجة تطلبها وأنا كفييل بها..

هتفت به:

- ولد.. أنت عايز تحرمني إني أجهز بنتي ولا إيه!.. ما هي بقيت

بنتي زي ما أنت ابني.. أنا مش باخد رأيك.. أنا ببلغك إن

إخواتك هيعدوا عليها بكره الصبح، مفهوم؟

ابتسم ياسين لكلمات أمه الحازمة.. أمنة لا تلجأ لتلك

الطريقة إلا نادراً.. ولجوؤها لها يعني شيئاً واحداً..

لقد ضمت فجر تحت حمايتها..

منحها موافقته أخيراً لتهمس له:

- إبقى اسأل على ابن عمك كان تعبان..

هتف بدهشة:

- حاتم!.. تعبان ماله؟!..

ترددت قليلاً:

- أهوه بيقولوا كان مرهق من الشغل.. هو لسه خارج من

المستشفى إمبراح.. عشان كده رقية ما جاتش معنا النهارده..

هزرأسه بحزن:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. أكيد هعدي عليه وأزوره..

أغلق الهاتف لتسأله فجر بفضول:

- هو في إيه؟..

رفع حاجبه بغیظ:

- هي ودانك مش كانت جوه التليفون!

خبطت على صدرها بحزن:

- أنا!.. أبدأ.. ده..

قبل أن تكمل قاطعها بإرهاق:

- زي ما سمعت.. إخواني هيعدوا عليك بكره وهتخرجوا

تشتروا شوية حاجات..

وتحرك نحو غرفته:

- بكره نكمل تركيب الدولاب.. أنا تعبت قوي.. تصبجي على

خير..

تركها واقفة وسط غرفتها الجديدة تتساءل بجنون عن

فحوى مكالمته الهاتفية..

تلك التي سبقت اتصال أمنة.. حتى أنها نسيت بخضم حيرتها
إعداد عشائه..

لتفاجئها عودته مرة أخرى وهو يشير لرأسها:

-ابقي اخلي الطرحة اللي على راسك دي طالما إحنا في البيت
قال كلمته واختفى ليتركها غارقة في حيرتها من تصرفاته الغير
متوقعة

دخلت بلسم بخجل إلى غرفة الاستقبال وهي تحمل قدحاً من
الشاي فوق صينية تقديم ذهبية.. لتهتف بها أمنة:

- تعالي يا بلسم.. ده فاروق طالع يسلم عليك ويتفق معاك
على ميعاد مناسب تنزلوا تجيبوا الشبكة..

جلست بلسم بخجل على مقعد بعيداً عن الأريكة التي اضعج

عليها فاروق براحة.. بينما تحركت آمنة لتخرج وهي تخبر

فاروق بمودة:

-أنا هطلع أقعد في الصالة جنبكوا أهوه يا فاروق.. هتفرج

على البرنامج ده اللي بيعي فيه الدكتور مبروك عطيه.. لو

احتاجت حاجة نادي عليا بس..

ما أن خرجت آمنة حتى تحرك فاروق ليجلس على المقعد

المجاور لبلسم.. ولكنها همست به بتحذير:

- وبعدين يا فاروق.. ماما قاعدة بره..

أمسك بيدها برقة محاولاً تقبيل أناملها إلا أنها جذبتها بعنف

وهي تبتعد عنه:

-هانت.. كتب الكتاب كمان شهر

غمزها بعث:

- هو إحنا اما نكتب الكتاب هبوس إيدك برضو!..

هتفت به بغضب:

- فاروق.. هقوم والله..

هتف مهدئاً:

- خلاص.. خلاص.. ما تزعليش..

أزاحت بلسم شعرها خلف أذنها وهي تهمس له بفرحة:

- ياسين وافق أنه يشهد على العقد..

ابتعد وهو يرمقها بغیظ:

- أنتوا عرفتوا مكانه؟

أومأت بلسم بسعادة غافلة عن الحقد الذي غلف ملامح

فاروق وهي تخبره عن زيارتهم لياسين بالحارة والورشة

وأخيراً ختمت بخبر زواجه وشراء والدتها شبكة ذهبية
للعروس..

نهض وهو يحاول كبت غضبه وتساءل بغیظ:

- يعني هي الحاجة آمنة كتبت له بيت وورشة وكمان جابت له
شبكة ذهب.. ده إيه ده كله.. ده زي ما يكون كان في إعاره مش
سجن..

هبت بلسم غاضبة وكأنها قطة تدافع عن صغيرها:

- إيه الكلام ده يا فاروق.. مش كل ما نتكلم هتقولي كان في
السجن..

أشار بيده بلامبالاة:

- مش مشكلة.. المهم.. أمك كتبت له البيت والورشة باسمه
بيع وشرا؟..

انقبضت ملامح بلسم الناعمة ومعها شعرت بغصّة بقلها

وهي تهتف باستنكار:

- إيه الطريقة دي يا فاروق!.. وبعدين ماما حرة في أملاكها..
إذا كان بابا نفسه ما سألش سؤال زي ده.. بتسأله أنت ليه؟..

أدرك فاروق أنه أفلت زمام غضبه وعليه أن يلجأ لتراجع
استراتيجي سريع..

مصلحته تتطلب تقمص دور القلق الملهوف على مصلحة
السجين صاحب السوابق الذي قُدر له أن يكون شاهداً على
عقد زواجه، بل وخال أولاده أيضاً..

ورغم غيظه لإمكانية امتلاك ياسين لمنزل وورشة خاصة به..
إلا أن عقله وبعملية حسابية سريعة.. أدرك أن الطريق مُهد
أمامه لاستلام زمام التجارة؛ فحاتم وماجد كلاهما لاهِ بعمله..
وبلسم تتحرك بإشارة من إصبغه..

لم يبقَ سوى المشاكسة سعاد وتلك يمكن السيطرة على
جنونها بتحكمه التام بتوأمتها الوديعة..

فهو لم يختر بلسم لوقوعه بغرامها بل لليونة طباعها وسهولة
السيطرة عليها وبالتالي على تجارة الأسرة..

كان ياسين هو العقبة الوحيدة أمامه وها هو انزاح مبتعداً
وممتهناً مهنة مختلفة وبعيدة عن العطارة تماماً..

عليه فقط أن يكون حذراً بكل ما يتفوه به عن ياسين أمام
بلسم.. فهي وإن كانت وديعة هادئة كقطة سيامية ناعمة إلا
أنها تنقلب كنمرة شرسة عند أول بادرة منه للانتقاص من
شأن ياسين..

اقترب من بلسم وهو يخبرها بمداهنة:

- سمسمة حبيبتي.. أنتِ فهمتِ إيه من كلامي.. أنا كل
قصدي أني اظمن على ياسين.. وإن ما حدش هيضايقه من
أهل ماما الحاجة آمنة..

رمقته بعدم تصديق.. ليكمل وهو يدعي سعادة زائفة:

- طيب أنا فرحتي ما تتقدرش أنه هيكون شاهد على جوازنا..

سألته هامية:

- بجد يا فاروق!

اقترب منها وهو يتمسك بأناملها برقعة:

- بجد يا عيون فاروق..

جلس ياسين وليا الباكية حول أحد الموائد بمقهى ستاربكس،

نفس المقهى الذي إلتقاها به سابقاً..

ولكن الفارق تلك المرة كانت الدبلة الفضية التي حرص على

ارتدائها صباحاً قبل أن ينطلق لموعده معها..

رمقت ليا خاتمه الفضي بضيق:

-اتجوزت ليه يا ياسين؟..

هز كتفيه بهدوء:

- سُنّة الحياة..

مسحت دموعها بظاهريدها وهي تهتف بعنف:

- بلاش كلام سُنّة الحياة.. أكمل نص ديني.. والأكلشيمات

المكررة دي..

اقترب منها هامساً بحزم:

-أولاً: صوتك يوطى.. ثانياً: أنا مش بتاع أكلشيمات وما

عنديش حاجة أخبياها.. ثالثاً بقى وده الأهم: أساساً أنا مش

مجبر أني أقعد قدامك أبرر لك تصرفاتي..

همست بضياع:

- مش مجبر تبرر تصرفاتك!..

هتف بعنف:

- أيوه.. الوحيدة اللي من حقها تسألني عن أي شيء هي

الست اللي وافقت تكون مراتي.

اقتربت به وهي تصيح:

-أنا طلبت إني أكون مراتك..

عاد بظهره للخلف وهو يكتف ذراعيه:

- بس أنا ما طلبتتش.. وده اللي أنتِ دائماً بتنسيه..

قبل أن تتفوه بكلمة أجاها بصراحة قاتلة.. فمحاولة اللف
حول الهدف أصبحت عقيمة.. وكل طريقة استخدمها سابقاً
محاولاً عدم المساس بمشاعرها وكرامتها باءت بفشل تام..

وحان أوان المصارحة الجارحة:

- إحنا اتكلمنا كتير في الموضوع.. وحاولت كتير ما يكونش
كلامي جارح.. لكن أنتِ مش سايبة لي اختيار.. الموضوع لازم
يتقفل ونهائياً.. أنتِ لو لسه بتفكري بارتباطك بماجد، أنا

الموضوع بالنسبة لي منتهي.. ماجد أخويا ومستحيل هتعدى
على حدوده..

هتفت به:

- حدوده!!.. تقصد أملاكه بقى!!..

أشار بيده وكأنه لا يهتم بالمسميات وأكمل:

- حدوده.. أملاكه.. حطي المسمى اللي يريحك.. إنما المهم
دلوقتِ إني راجل متجاوز..

سالت دمعة حارقة من عينيها وهي تهمس:

- بس.. كفاية..

قاطعها:

- لا مش كفاية.. أنا اختارت الزوجة اللي عايزها.. اللي
محتاجها.. ست مطمئن لوجودها في حياتي..

سكت لحظة ليكمل بحزم:

- في بيتي..

توسعت عيناها وهي تخشى سماع الإجابة:

- يعني إيه؟..

أغمض عينيه وتنهد بقوة ليخبرها بقسوة:

- يعني ست متأكد ميه في الميه إني حتى لو مُت مش هتدور

على غيري.. مش واحدة بتجري ورايا وهي لسه معلقة أخويا

في حبالها.. أظن كلامي واضح..

توسعت عيناها بصدمة عندما استوعبت كلماته وكان الرد

الوحيد منها هو صفعة قوية على وجنته تردد دويها بين رواد

المقهى..

رغم توقع ياسين لردة فعلها إلا أنه تحسس وجنته بغضب

قبل أن تشرق بعينه تلك النظرة الهمجية ومد يده ليمسك

كفها وهو يرتفع مرة أخرى مجهضاً مشروع الصفعة الثانية
وهامساً بغضب كاد أن ينفلت:

- لازم تفهمي إن ارتباطك بماجد مش السبب الوحيد.. حتى
لو لاغينا ماجد من المعادلة.. برضورأيي مش هيتغير.. مش
أنتِ الست اللي اختارها أم لأولادي..

هتفت به بألم ويده تضغط على معصمها:

- عشان أنت متخلف.. ومصداق في عادات مجتمع متخلف..
أنا متأكدة أنك عايز تكون معايا.. بس تقاليدك الغبية..

ترك يدها وهو يقاطعها ببساطة:

- يمكن معاكِ حق.. مجتمع متخلف.. بس اللي مش معاكِ
حق فيه إني لو عايز فعلاً أكون معاكِ كنت هحارب بكل قوتي
عشان أغير التقاليد الغبية دي..

أشاحت برأسها بعدم تصديق ليكمل هو:

- دي الحقيقة اللي أنتِ مصرة تتجاهلها.. وفاهمة إن ثورة
مشاعر بدون رابط هو ده الحب السامي والعشق المقدس..
ليا.. أنتِ مشتتة.. مقسومة نصين.. ضايعة بين فكرتك الغربية
عن الحب المطلق وشوية تقاليد غبية زي ما بتقولي جواك..
يمكن أنا قاسي عليكِ.. بس أتمنى أنه يجي يوم وتشكريني

على القسوة دي..

أهداها أخيراً نظرة مشفقة قبل أن ينهي كلماته:

- أتمنى أنك تلاقني نفسك الأول يا أنسة ليا قبل ما تدوري
على الحب.. سلام..

نهض بخفة متوجهاً لباب المقهى وهي تودعه بنظراتها..
لا تعرف إن كانت كلماته الأخيرة وعداً.. أم وداعاً..

عاشت فجر يوماً لم تعرف مثله أبداً.. بداية بحضور
التوأمتين صباحاً ترافقهما شقيقتهما الكبرى التي حيت فجر
برسمية

في البداية؛ فرقية كانت أفكارها كلها تتمحور حول فشل فكرة
هروبها لياسين..

بعدما أخبرتها والدتها الليلة الماضية عن زواجه الحديث،
أيقنت إستحالة الهرب بأولادها لتحتمي به، فبعد كل شيء
هو ما زال يتحسس خطواته في حياته الجديدة ومن الظلم
تحمله لمسئوليتها هي وأطفالها..
هتفت لنفسها بسخرية حزينة..

"أعذار جديدة يا رقية عشان تفضلي جنبه.. لسه مش قادرة
تقسي قلبك وتبعدي" ..

كانت مشاعرها نحو فجر حيادية فلا تستطيع تحميلها ذنب
فشل خطة هربها..

فهي من البداية لم تكن جادة بتهديدها بتركه..

وهو يدرك ذلك جيداً فلا يبذل أي جهد ليقاوم شياطينه..

ردعت نفسها بقوة عن الاسترسال في ذكريات حياتها المرتبكة..

وحرصت بشدة على منح شقيقتها يوماً مميّزاً.. ومعهما فجر..

زوجة الشقيق التي تعرفت عليها منذ بضعة ساعات وتحاول

جاهدة التأقلم مع عفويتها المغيظة..

ولكنها لم تتمكن من التزام الرسمية لفترة أطول..

فالفتاة كانت مبهجة بطريقة لم تتوقعها..

أخبرتها والدتها أن الفتاة هادئة ولا تملك بالدنيا سوى ياسين..

وقرأت رقية بعينيّ والدتها الإعجاب بالفتاة وقرار حمايتها..

ولم تنسَ توصيتها..

"رقية البنت حلوة ما شاء الله.. بس لا هي ولا حتى أخوكِ واخذ

باله من الجمال ده.. لو سيبتها للبنتين الصغيرين هيشترخوا

لها جينزو ما اعرفش إيه.. أنتِ ست وفاهمة.."

تضرجت وجنتي رقية لحظتها بالحُمرَة لتضحك آمنة..

"يا بنتي مش قصدي.. أنتِ أما تشوفها هتعرفي معنى كلامي.."

وبالفعل وضحت معاني كلمات الحاجة آمنة الغامضة فور

رؤيتها لفجر وتعاملها معها..

هي تتمتع بعفوية وشخصية جذابة للغاية.. ولكنها تخفي

نفسها تماماً خلف أكوام من الملابس..

ملابس أصرت رقية على التخلص منها فور إنتهائهن من مهمة

التسوق الجبارة..

فأجبرت فجر على ارتداء ثوب قمحي اللون طويل ورقيق أخفى

معالم أنوثتها بما يكفي..

ولكنه لم يُمحها تماماً كما كانت تفعل ثيابها السابقة..
 وأقسمت أن تحرق أي وشاح أسود تلمحه فوق رأسها ثانية
 مستبدلة إياهم بمجموعة رائعة من الأوشحة الملونة
 والمزركشة..

مجموعة هائلة من الملابس والاحتياجات النسائية المختلفة
 أصرت رقية بشدة على شرائها رغم ممانعة فجر المستميتة..
 ولكن رقية استطاعت التغلب على رفضها بنظرة غضب
 ورفعة حاجب أمة..

"كلام الحاجة أمانة.. أوامر"

لحظتها شهقت فجر بذهول..

"أنتِ شبهه إزاي كده!.."

قطبت رقية حاجبها بتساؤل..

"شبه مين؟"..

إجابتها فجر على الفور..

"سي ياسين" ..

انطلقت رقية بضحكات عالية ولم تتمكن شقيقتها من

السيطرة عليها..

فقد كانت تخرج كل مشاعرها خلال ضحكاتهما..

توتر.. خوف.. قلق.. حب.. رعب من فقدان حبيب..

وجبن عن اتخاذ قرار حاسم..

أخيراً وكزتها بلسم بغضب..

"وبعدين يا رقية.. فجر هتزل" ..

اقتربت رقية من فجروهي تمسك بيدها بمودة وقد انزاحت

كثير من الرسمية..

"فجر مش هتزعل مني.. وإلا هبلغ سي ياسين.. وأنا اللي كنت

فاهمة أنك خايفة مني أنا!"

بعد ذلك الموقف اختفى التوتر تماماً وانطلقت الفتيات للقيام

بأمتع المهام على الإطلاق؛ التسوق..

وها هي فجر جالسة بفراشها النحاسي الضخم الذي أقامه

لها ياسين الليلة الماضية محاطة بأكوام من الملابس المتنوعة

وأشياء أخرى لم تحلم حتى بمجرد رؤيتها بنوافذ العرض..

كانت غارقة بين ملابسها ووسط دموعها عندما دلف ياسين

إلى الغرفة فيفاجئ برأسها المنكس بين كفيها وإن ظهر صوت

شبهاتها واضحاً فلم يكن بحاجة لرؤية الدموع لهتف بقلق:

- فجر.. بتعيطي ليه؟.. حد من إخواني زعلك؟..

هزت رأسها بنفي وهي تهتف:

- أبداً والله يا سي ياسين.. دول زي السكر.. كان نفسي يكون
عندي إخوات زيهم..

اقترب منها ليجلس وسط أكوام الملابس:

- ما هما بقوا إخواتك خلاص..

رفعت عينها تسأله بلهفة:

- والنبي صحيح؟!

أوماً برأسه موافقاً وقد هزه بشده انهمار دموعها التي لم
يعرف لها سبباً إلى الآن:

- أكيد يا فجر.. ما قولتليش بتعيطي ليه؟.. حد اتعرضلك؟..

هزت رأسها نفيماً فصاح وقد وصل حنقه مبلغه فلقائه مع ليا
كان قاسياً بما يكفي ليعود ويجد تلك المناحة في انتظاره:

-أومال بتعيطي ليه؟.. فهميني أنا ما عنديش دماغ أحل

ألغاز..

انهمرت دموعها بصمت خوفاً من نوبة غضبه التي انطلقت
بغثة وهمست:

- البنات اشتروا لي حاجات كتير قوي.. حاجات حلوة قوي..
ضرب كفيه ببعض:

- وترجعوا تزعلوا أما نقول الستات غاوية نكد!.. يعني
اشتريت هدموم جديدة.. المفروض تفرحي.. مش تقلبها مناخة!..
رفعت عيونها الدامعة نحوه:

- أول مرة أحس أني مسئولة من حد.. طول عمري أنا اللي
براعي ما حدش بيراعيني.. خايفة أتعود على الراحة الآقيني
كنت بحلم..

كلماتها على قدر بساطتها إلا أنها وجدت صدى مختلف
بأعماقه.. كأنها تتكلم بلسان حاله.. فلقد كان تائهاً ضائعاً
منبوذاً هو أيضاً ولم يشعر باستقراره إلا في وجودها..

سمعها تهتف به من وسط دموعها:

-أحلفك بأغلى ما عندك يا سي ياسين.. لو ما كنتش ناوي

تكمل، ما تسينيش أعود على الدنيا الحلوة دي..

لقد فعلتها.. ألقى السؤال، بل الكرة بملعبه..

بدأت بالفعل وانتظرت ردة فعله والتي جاءت مهمة وغامضة

مثل كل شيء حوله..

فقد اقترب منها بهدوء ليمسح دموعها برقة.. هامساً:

-كفاية دموع.. وقومي رتي هدومك في الدولاب.. أنا ضبطته

قبل ما أنزل الصبح..

أنهى كلماته بربته رقيقة على وجنتها وقبلة أخوية على جبينها

واختفى بحجرته..

نهاية الفصل

الفصل الثالث عشر

"أحلفك بأغلى ما عندك يا سي ياسين.. لو ما كنتش ناوي
تكمل، ما تسينيش أتعود على الدنيا الحلوة دي"..
مستلقياً على فراشه وأنامله تتلاعب بمديته كما اعتاد..
عيناه مفتوحتان تجوبان الغرفة محكمة الغلق سواء نافذتها
أو الباب..
تلك العادة التي يعجز عن التخلص منها؛ أمان الغرفة
المغلقة..
وجملتها تتردد بلا انقطاع في أذنيه..

لقد تهرب من الاجابة عليها.. فهو لا يملك أن يقدم لها وعوداً..

ارتبط بها بلحظة شهامة.. أو لنقل بلحظة أراد استرجاع
عنقوان ياسين ما قبل السجن، وليس ذاك المنبوذ صاحب
صحيفة السوابق..

لا ينكر أنه بدأ يستعيد ولو نذراً يسيراً من نفسه القديمة،
ليس ياسين اليافع المندفع صاحب الروح المتمردة، ولكن
ياسين آخر.. يستمتع بدور الزوج الحامي ورب الأسرة المسئول
وصاحب العمل الذي يتفانى لانجاح عمله..

ولكنه في النهاية نسخة منقحة عن ذاك الصعلوك المنفي عن
أهله..

معها لا يشعر بحاجته إلى قناع ياسين القاسي أو اللامبالي..
فقط هو ياسين.. وهي.. كرة الشراب متعددة الطبقات..
بسمة غامضة ارتسمت على شفثيه وهو يكرر..

"كرة الشراب متعددة الطبقات ذات خصلات بنية قصيرة
بلون القهوة الفاتحة" ..

ربما لم يركز تماماً بثوبها الجديد ولكنه بالتأكيد لم يغفل
عن خصلاتها البنية الناعمة وأنامله تشتبك بها طابعاً قبلته
على جبينها ..

استرجع كلماته ل "ليا" .. وهو يخبرها باحتياجه لزوجته
واطمئنانه لوجودها ببيته .. لم يكن ينوي قول تلك الكلمات
لها ..

لكن ذهنه استعاد مشهد فجر وهي تصر على الاهتمام بجرح
وجنته قبل ذهابها مع شقيقاته صباحاً؛ قلقها عليه ..
اهتمامها به وإصرارها على إعداد غذائه قبل رحيلها ..
عودتها السريعة له جالبة معها بعض الأقراص المسكنة
ولاصقة طبية وعدة كريمات متفرقة لعلاج جرحه ..

تلك التصرفات البسيطة تشعره بإحساس غريب.. لا يعرف
له مسمى.. فقط هو يشعر بارتياح..

وجودها حوله يمنحه شيء مما يشعر به بين أحضان آمنة
وهذا يكفيه..

"يكفيك أنت.. وهي ما فكرتش فيها؟!!"

يعلم أنها تستحق إجابة على سؤالها..

"هل سيرغب بإكمال حياته معها؟!!"

اشتدت قبضته على نصل المدية ولم يهتم بالألم وأفكاره
تفاجئه بسؤال يخشى الإجابة عليه..

"وهل سترغب هي بإكمال حياتها مع سجين سابق؟.. هل

يمكنه مصارحتها بماضيه وتحمل قرارها بالبقاء أو الرحيل؟!"

بأعماقه أدرك اجابة سؤاله.. فاتصاله السريع بوالدته صباحًا

ليطلب منها بخجل لم يستطع تفسيره عدم ذكر أي تفصيلا

عن ماضيه أمام فجر..

كان يمثل له الإجابة الواضحة..

"هو يخشى أن ترفضه إذا علمت بماضيه.. إذا هو يريدنا

للنهاية"..

"أنا اختارت الزوجة الي عايزها.. الي محتاجها.. ست مطمئن

لوجودها في حياتي.."

"مش أنتِ الست الي اختارها أم لأولادي"..

ترددت الكلمات بعقلها كقطعناات مؤلمة تمزق كبرياتها وأنوثتها

معًا، الرجل الوحيد الذي قررت التنازل عن نفسها لأجله..

رفضها بمنتهى القسوة.. وبسهولة تامة.. لم تشعر به يعاني

ليرفضها.. بل كان أشبه بمن يركل حصاة صغيرة اعترضت

طريقه ولكنه ألقى بها بعيداً بسلاسة يحسد عليها..

صوت ضعيف بأعماقها همس بها..

"هو ما وعدش بأي حاجة قبل كده" ..

لتصرخ به بغضب..

"كان عارف أنني بحبه.. كان متأكد.. بس اختار الطريق السهل

زي أي شرقي متخلف" ..

عاد الصوت يهمس..

"ولما هو متخلف زعلانة عليه ليه!!" ..

همست ودمعة تتساقط..

"عشان بحبه" ..

سخر الصوت الهمس متسائلاً..

"وماجد؟!.."

وضعت وجهها بين كفيها وهي تهمس بحيرة..

"مش عارفة.. مش عارفة" ..

عاجزة عن فهم ما تمر به.. عن ترجمة مشاعرها..

هي تشعر بانجذاب هائل لياسين.. تريد أن تكون في حياته

تحت أي صفة.. ولكن هذا لا ينفي وجود مشاعر لماجد لا

يمكنها تسميتها..

حتى لو لم تكن بنفس قوة مشاعرها لياسين إلا أنها من القوة

لتجعلها تشتاق له وتتلهف لرؤيته..

وتعجز عن إنهاء الأمر معه..

"ماذا دهالك ليا؟!!"

كانت تصرخها بعنف.. هل أصبحت عاشقة لرجلين؟!.. أم

ببساطة لا تعشقين أيهما!..

أمسكت هاتفها للحظات تقلب في ذاكرته.. تتأمل لقطات لها
مع ماجد.. نظراتها نحوه.. تلهفها القديم له.. والدلال الذي
كان يخصها به..

هي تشتاق لمعاملته لها.. لكونها أثيرة لديه.. ولكن.. وآه من تلك
ال لكن.. هي أيضاً تريد الاستحواذ على إعجاب ياسين
واهتماه..

هتف الصوت الساخر بداخلها..

"بس أنتِ فقدتِ احترامه للأبد"..

أوقفتها تلك الهمسة الساخرة عن إكمال مكالمة هاتفية كانت
شرعت بها بالفعل.. فقد كانت تحاول الاتصال به لتطلب رؤية
زوجته!..

بدلاً من الاتصال به، أجرت اتصال بشركة الطيران.. وآخر
لوالدها لتخبرها باقتضاب

"I'm coming tomorrow, at 4pm flight"

بدأت تعد حقيبة بسيطة لسفرها..

هي ستبتعد.. ستهرب لا يهم..

أوربما هي ستبحث عن "ليا" أو بالأحرى "ليان" ..

بالظلام تتضح الأفكار حد إبهار ضوء الشمس بظهيرة حارة،
بالظلام يصفى الذهن ويتوقد الخيال.. بالظلام ترى أعماقك
على حقيقتها.. بلا رتوش ضوئية خادعة.. بالظلام تتخذ أهم
القرارات.. وترتكب أبشع الخطايا..

وبالظلام أغرق حاتم نفسه، جالساً بسكون على مقعد عريض
بغرفة نومه.. رأسه ترتاح على مسند مقعده وأنامله متشابكة
وكانه بوضع توسل أو دعاء.. تنفسه هادئ بصورة ملحوظة..
عيناه مغلقتان.. وعقله يتقد بقوة غضب ملتهبة..

بذهنه تمر أحداث يومه؛ بدء من عودته صباحاً لعمله، ليتلقى
تأنيب مريم من مدير المشفى مع توضيح جليّ بأن زلته تلك هي
الأخيرة ولن يقبل منه المزيد..

عندها هتف حاتم بسخرية..

"مش أنا لوحدي اللي باخد.. وسيادتك عارف كده كويس"..

وكان رد الرجل حازماً واضحاً..

"بس أنت مش عارف تسيطر.. وأنا مش هستنى أما تحصل
مصيبة في المستشفى.. بره المستشفى أنت حر.. إن شالله تبات
كل ليلة في غرزة.. لكن جوه المستشفى مش هسمح بأي تجاوز
تاني.. وإذا كنا غطيناها المرة دي.. فدي آخر مرة.. وده آخر
تحذير وإلا الشئون القانونية ولجنة تأديب و.."..

قاطعه حاتم بغضب..

"يعني إيه!.. ناوي تخليني كبش فدا!.. وأي غلطة أو عجز

هيبقى حاتم السبب!!" ..

رمقه مدير المستشفى بنظرة غاضبة وأشاح بنظره بعيداً..

فصاح حاتم..

"أنا مش هكون كبش فدا لحد... أكثر من ٦٠% من طقم

الدكاترة والتمريض بيتعاطوا واللي مش بيتعاطى بيدييل..

بلاش أكلشيميات التجاوز والمستشفى أشرف من الشرف" ..

صرخ الرجل به..

"حاتم!.. ما تزودهاش" ..

رمقه حاتم بنظرة قوية ثابتة اضطرت الرجل لخفض بصره..

فهو يعلم صحة كلام حاتم.. يدرك مدى تفشي الفساد

بمؤسسته، ليس مشفاه فقط.. بل العديد من المشافي سواء

حكومية أو خاصة..

بداية من الاستغلال التجاري للأدوية والمرضى مروراً بنظام العمل ونهاية باستهلاك قدرة الأطقم الطبية بدون عائد مادي ملموس مما يدفع بالكثير منهم إلى استهلاك منشطات دوائية أو عقاقير مهدئة في محاولة لدفع طاقتهم وقدرتهم لأقصى حد لتحمل أوقات العمل التي تتخطى حدود البشر ومعها أطنان وأطنان من الأبحاث والدراسات المطلوب إنهاؤها بأوقات محددة..

نظام وروتين كفيل بتدمير طاقة الإبداع الخلاقة عند أكثر البشر تفاعلاً..

حمل يدفع الكثيرون للإنسحاب.. أو الفساد..

إلا قلة قليلة تناضل.. ولكن إلى متى.. فذلك الروتين يساهم بقوة بانتشار..

فقر.. جهل.. مرض..

آفات الضياع الثلاث..

وجيل مدمر بلا عقل أو هدف..

أخيراً غمغم الرجل بخفوت..

"تقدر ترجع لشغلك من بكره.. هكلم دكتور نبوي وهيئزل

اسمك في الجدول" ..

بسمة ساخرة ارتسمت على وجه حاتم وهو يدير مقبض

الباب استعداداً لترك الغرفة عندما وصله صوت الرجل..

"خسارة يا حاتم.. خسارة" ..

وها هي الكلمة تتردد بذهنه وهو جالس وحيداً بغرفته بظلامها

الحالك الذي يحاكي ظلمة حياته..

حياته التي يبدو أنه سيكملها وحيداً.. فعند عودته التي جاءت

بوقت أبكر عن المعتاد وجد الشقة تسبح في ظلام تام..

وسكون مميت..

أوشك على الجنون.. حين تذكر هاتفه المغلق_ فقد أغلقه قبل

اجتماعه مع مدير المشفى_ ولم يفتحه بعدها..

فتح الهاتف بلهفة يبحث عن مكالمة من رقية ولكنه لم يجد

أي مكالمة فائتة.. فقط وجد رسالة..

"أنا هروح لياسين" ..

كاد أن يحطم الهاتف بين يديه.. وهو يستشعر غضب جامع

لم يعرفه قبل اليوم.. غضب ممزوج بشعور هائل بالرعب..

نعم هو مرتعب من فكرة فقدانها.. من بعدها..

لا يمكنه الحياة بدونها.. تباً لقد أخبرها ذلك، وهي تعلم..

تعلم أن لا حياة له بعيداً عنها..

لم فعلت ذلك!.. لم تخلت عنه؟!..!

هل هجرته بالفعل تلك المرة؟!.. هل كانت تعنيها بالفعل وهو

لشدة ثقته بحبها لم يلتفت لجديتها!..

نعم هددته من قبل بالهجر.. ونعم أخرى نفذت التهديد،
ولكنها فقط كانت تهجره لتمكث بشقة والدها بالطابق
الأسفل، ليستردها بعد أن يقطع عدة وعود يحاول جاهداً
الالتزام بها.. ولكنه دائماً ما يفشل..

وهي تسامح.. وتحتوي.. وتبكي.. ويراضيها.. وتستمر الحياة..

كيف فاته تلك المرة جديتها!.. كيف؟..

يحفظ تفاصيلها كما تسكن هي أعماقه..

اللعنة.. لقد كبرت على يديه.. ونضح حينها له مع سنين

حياتهما المشتركة..

كيف طاوعها قلبها على تركه؟!.. كيف وافقتها روحها على

هجره؟!..

لجونها لياسين يوازي هجراً.. فهو يعلم يقيناً أن ياسين لن يتركها له.. لن يدفن رأسه برمال مجتمع عفن ويترك شقيقته ببیت رجل لن يأتمنه عليهما..

عليه الآن أن يختار بينها هي من تحتل كيانه.. وبين ذلك الوجود الخيالي الذي يعيشه بين ضباب دخانه الملوث وأسنة محاقنه المخدرة..

تناول هاتفه بصمت لهاتف ماجد، ولكن قاطعه صوت الباب الخارجي للشقة ومعه اقتحمت أنفه رائحة عطرقية الخاص وصوتها الهامس وهي تجيب محدثها على الهاتف برقة..

"ربنا يخليك يا ياسين.. إحنا مالناش إلا بعض يا حبيبي" صمت لحظات استمعت بها لكلمات ياسين وأجابت بهدوء..

"أكيد طبعاً هبلغه.. مع السلامة يا ياسين"..

أغلقت الهاتف وأعادته لحقيبتها ودلفت لغرفتها لتفاجئ بحاتم
جالساً على المقعد وعيناه تشتعل غضباً وهو يهمس بألم:

- رجعت تاني ليه!!.. نسيت حاجة جاية تاخديها?!..

فاجأها جلوسه وسط الظلام وأوجعها نبرته المتألّمة فسألته
بقلق:

- حاتم!!.. قاعد ليه في الضلّمة!!..

هب من جلسته مرة واحدة ليمسك ذراعها بقوة هامساً
بغضب حارق:

- قدرت تعملها يا رقية!!.. قدرت تبعدني!

ألتمها قبضته بشدة ولكن الوجع المختفي خلف نبرته الغاضبة
لمس قلبها فرفعت عينين حائرتين له:

- أعمل إيه!!.. أنا مش..

قاطع كلماتها وهو يبعدها عنه بجفاء ويصرخ:

- فاهمة أني مش هقدر أعيش من غيرك!.. بتلوي دراعي بيكي
يا رقية.. ب..حُبك!!..

هزت رأسها بحيرة وهي عاجزة عن فهم ثورته بينما هو مستمر
بهتافه الغاضب:

- مش حاتم اللي يتغصب يعمل حاجة مش على هواه.. وأظن
أنتِ عارفة كده كويس..

بدأت دموعها تتساقط وقد عجزت عن استيعاب غضبه،
وجعه، وثورته التي تلمسها للمرة الأولى..

فهو على مدار سنين زواجهما لم يمر بمثل نوبة الغضب تلك..
رغم ما يتعاطاه من سموم.. فهو بشكل ما يتجنب اظهار أي
ملامح غاضبة وثائرة أمامها..

لكن تلك اللحظة كانت ترى حاتم آخر.. رجلا يختلف تمام
الاختلاف عن زوجها العاشق.. الضاحك.. الأسر لقلبيها..

لقد كان غاضباً.. مروعاً.. قلقاً.. يائساً..

عاد صراخه يتعالى:

- فاهمة أنه ياسين هيمنعك عني.. فاهمة أنك أما تستخي

عنده مش هعرف أوصلك..

اتسعت عيناها خلف سحابة الدموع لتستوعب معنى كلماته..

لقد فهم رسالتها التي أرسلتها له على استعجال بصورة خاطئة

تماماً..

فوالدتها لم تخبرها بأمر رحلة الشراء ومهمة إعداد فجر

كزوجة لياسين إلا بعد نزول حاتم لعمله..

ومع إلحاح التوأمتين للخروج باكراً، لم يكن أمامها إلا إرسال

رسالة سريعة على هاتفه الذي كان مغلقاً..

مسحت دموعها بظهير يدها وقد قررت استغلال الفرصة التي

جاءتها على طبق من ذهب:

- أنت عارف كويس أن ياسين مش هيسمح برجوعي.. حتى
ماجد هيقف جنبي..

كانت تعلم نقطة ضعفه، وهي نقطة ضعفها أيضاً؛ حهما
الذي أثبت قوته رغم ما تعرض له من محن ونكبات..

تعلم أن غضبه خوفاً من فقدانها وليس غضبا عليها..

تلمس رأسه وقلقه المرعب خلف كل هتاف وصرخة عالية..
تدرك بسهولة أن ملامح غضبه ما هي إلا قناع يخفي خلفه
مشاعره الحقيقية..

قناع لم يتحملة لفترة طويلة ليتقدم منها معتصراً اياها بين
ذراعيه وكأنه يخفيها بصدره عنهم جميعاً فلا يتمكن أحداً من
إبعادها عنه..

أخفض رأسه ليخفيها بخصلاتها وهو يهمس بتوسل مزق نياط
قلبيها:

- ما تسببنيش يا رقية..

ويمرغ رأسه بكتفها هاتفاً بلوعة:

- ما تبعديش عني..

ويرفع رأسه ليحتوي وجهها بين كفيه مقاوماً غصبة تملكته:

- هموت من غيرك.. يا رقية.. هموت..

تساقطت دمعاتها وهي تشهد انهياره:

- ما تصدقيش الزعيق والكلام الفارغ اللي كنت بقوله.. أنا

من غيرك ولا حاجة.. ولا حاجة..

حررت وجهها من بين كفيه وهي تهتف بوجع:

- وأنا يا حاتم.. أنا.. وجعي.. رعي.. القلق والخوف اللي

عايشة فيه ليل ونهار بسببك..

ابتعدت عنه وهي تشير بحسم ألا يقترب وتهمس من بين

دموعها:

- أنا عايشة تحت حد السيف يا حاتم.. وأنت بعيد عني ومع
كل رنة تليفوني قلبي بيوقف.. خايفة ليكون قلبك أنت اللي
وقف.. وأنت جنبي مش بنام بفضل صاحبة أراقب أنفاسك..
أنا عايشة في رعب.. فاهم يعني إيه رعب.. رعب عليك.. ورعب
منك..

اقترب ليضمها بقوة متغلباً على مقاومتها لتنتفض بعنف بين

ذراعيه صارخة:

- مرعوبة من اللحظة اللي ولادنا هيكبروا ويسألوني ليه!!
ليه كملت معاه؟.. ومرعوبة أبعد ويجوا يسألوني بعدت ليه
ولحظتها مش هقدر أقولهم..

مد يده بضعف نحوها لتنفضها بقوة صارخة:

- خايفة تروح مننا في لحظة ووقتها برضوه مش هقدر أقول
لولادك.. بابا.. كان مدمن..

سقطت على ركبتيها ووجها بين كفيها وقد انهار كل أثر لتماسك
واهٍ كانت تتشبث به..

ليقترب منها ويهبط أرضا بجوارها هامساً بعجز:

- أنا هعمل كل اللي أنتِ عايزاه.. بس ما تسيبينيش..

رفعت عينيها الدامعة وهي تتمسك بأمل واه أشبه بخيط
دخان:

- هتدخل مصحة؟!..

أغمض عينيها للحظات ثم أوماً موافقاً:

- هكلم ماجد عشان المصحة بتاعة صاحبه.. بس..

سألته بلهفة:

- بس إيه؟..

أمسك يديها بتوسل:

- ما حدش يعرف يا رقية..

استفسرت بحيرة:

- هقولهم إيه!..

أجابها:

- أي حاجة.. أي حاجة يا رقية.. قولي دورة دراسية في أي

حثة.. جوه مصر أو بره..

هزت رأسها موافقة وهي تراقبه يلتقط هاتفه ويحدث ماجد..

وبداخلها شعاع أمل أشبه بضوء شمعة خافت..

خافت جداً..

راقبها تتحرك بعصبية على غير عاداتها، تضع أمامه قرح من
 الشاي وتجاوره بآخر من اللبن ليخلطهما كما يشاء..
 ترص عدة أطباق على المائدة بصمت تام.. وهو يبادلها صمتها..

وبين صمتيها تنتقل شرارة توتر غير مرئي.. ولكن مبرر..
 هي تحاول جاهدة تجاهل رفضه منحها إجابة تريح بالها..
 تتجاهل تجاهله لتعريف وضعها بحياته..

وتتبنى الصمت خوفاً من إنفلات لسانها بأي كلمة تمنحها
 إخراجاً آخر بعد اختفائه من أمامها البارحة..

حتى أنه لم يلاحظ ثوبها الجديد!..

عند تذكرها لتلك النقطة بالذات اشتعل غضبها لتضع آخر
 الأطباق على المائدة بعنف مصدراً صوتاً عالياً أخرج ياسين
 من شروده الصامت..

فعيناه كانت تتابع تحركاتها بإلحاح وقد عُقد لسانه..

فكرة الشراب اختفت.. الطبقات المتعددة أُزيلت.. ولكنها
لسببٍ ما عادت تلتف بالوشاح؛ وشاح رغم صغر حجمه
وتعدد ألوانه عن سابقه إلا أنه لا يتناسب مع ثوبها البيتي
الخفيف الذي أظهر لعينيّه أن كرة الشراب ما هي إلا أنثى
ذات معالم أنثوية واضحة.. واضحة لدرجة تعلق عيناه بها
حتى أنه غفل عن رد تحيتها الصباحية المقتضبة له..

جلست بجواره إلى مائدة الطعام تراقب تأمله اللحوح لها
بتعجب وقلق..

تخشى أن يكون صمته ذاك حرجاً من مواجهتها بعدم رغبته
لوجودها بحياته..

أخيراً قررت إنهاء لعبة الصمت تلك فهمست بقلق:

- في إيه يا سي ياسين؟. أنت ساكت ليه كده؟..

ارتفعت عيناه لملاحمها الهادئة وهو يستعيد بعضاً من
سيطرته ومحاولاً تجرع القليل من الشاي الساخن ليخبرها

بهدوء:

- مبروك على اللبس الجديد..

اتبع كلماته بغمزة لم يستطع منعها..

ملست أناملها على ثوبها الجديد بمحبة وتضرجت وجنتاها

بحمرة خفيفة وهي تهمس:

- كله من خيرك يا سي ياسين.. ربنا يوسعها عليك.. ويرزقك

برزقنا..

ابتسم لخلجها اللذيذ.. وكأنها خلعت جراتها مع أثوابها

العديدة..

أراد أن يشاكسها بتلك الحقيقة ولكنه وجد وجنتها تزدادان

تضرجاً تحت نظراته المتفحصة..

فقرر تغيير الموضوع ليخبرها بعفوية:

-إمبارح جالي اتفاق شغل أوضتيني نوم وأربعة سفرة.. ناس
من طرف المعلم صالح..

ارتسمت بسمة سعادة على شفتمها وهي تهتف:

- الحمد لله.. ربنا هيكرمك آخر كرم والله..

قطب حاجبيه وهو يفكر:

- بس كده هحتاج حد يساعدني.. الشغل كتير عليا لوحدي..

هتفت بعفوية:

- أنزل أشتغل معاك!

ابتسم لاندفاعها ولم يقاوم مشاكستها:

-بهدومك الجديدة دي!.. أنت عايزاني كل يوم أصور قتيل

على باب الورشة!..

عادت وجنتها تتضرجان بجنون فتعالت ضحكاته بدون إرادة
منه..

وظل يحدق بها للحظات ولكنها أخفت عيونها تحت ساتر
أهدابها الكثيفة.. ليفاجئها بهتافه المتسائل:

- ليه لابسة الطرحة دي!.. أنتِ مش كنتِ قلعتيها إمبراح!..

رفعت نظرها إليه لتبرم شفيتها بضيق هامسة بصوت خافت:

- يا حسرة!.. وهو أنتِ كنتِ أخذتِ بالك!!..

أجابها بصوت متسلٍ جعلها تشهق بخجل:

-أيوه أخذتِ بالي.. بس أنتِ كنتِ بتعيطي.. وما كانش ينفع

أتكلم..

لم تعرف بم تجبه وهو لم يكف عن رشقها بتلك النظرة
المشاكسة والتي تخفي شيئاً لم تفهمه، فنهضت بغتة مخبرة

إياه أنها ستعد له قدح من القهوة لتفاجئ به يجذب يدها

ليعيدها لمقعدها هاتفاً بها:

- استني يا فجر.. أنا مش عايز قهوة..

همست بارتباك وهي تنهض ثانية:

-هعمل شاي ثاني..

أعادها لمقعدها وهو يخبرها بنبرة حازمة:

-ولا قهوة ولا شاي.. تعالي اقعدي وكلميني عن نفسك

شوية..

رمقته بتساؤل:

- أتكلم عن نفسي إزاي يعني!..

هز كتفيه وهو يخبرها:

- أنتِ قابلتِ والدتي وإخواني.. إحكي لي عن عيلتك..

أخفضت نظرها بحزن:

- ما فيش حاجة تتقال يا سي ياسين.. أنا ماليش حد..

ضغط على يدها التي احتفظ بها في كفه:

- ما تقوليش كده يا فجر.. الحاجة آمنة خلاص اعتبرتك

بنتها وفرضت حمايتها عليك.. وإخواتي صدعوني إمبارح

تليفونات.. فجر قالت.. فجر عملت..

ابتسمت ولم تجبه فلو تحرك لسانها لطالب به هو..

رغم فرحتها بحب والدته وتقبل أخواته..

ولكنها لأول مرة تختبر الأنانية بذاتها لتطالب به هو..

بزوجها.. لو اعتبرت تلك أنانية!..

عاد يسألها:

- أنت كنت عايشة مع جدتك، صح؟..

أومات برأسها وهي تخبره بحزن:

-أبويا كان موظف صغير.. مات قبل حتى ما يوصل لعمر
يسمح أنه يكون له معاش.. يا دوب مكافأة نهاية الخدمة
وكانت ملاليم.. أنا كنت صغيرة تقريباً ٥ سنين..

دمعة صغيرة سقطت من عينها فمسحتها بسرعة لتسمعه
يحثها:

- وبعدين؟..

هزت كتفها:

- أمي كانت ست بسيطة.. وما كانش لنا حد غير جدتي..
أخذت الفلوس وباعت كام حطة الذهب اللي حيلتها وعملت
مشروع صغير.. كانت بتعمل أكالات بيتي وبتبيعها..

ابتسم بتشجيع:

- وأنا بقول أكلك بريمو.. دي وراثه بقى!..

سألته بلهفة:

- جد يا سي ياسين!.. أكلي حلو؟

رفع حاجبه يشاكسها وهو يرمقها بنظرة عابثة:

- حلو قوي..

تجمدت ملامحها أمامه عاجزة عن استيعاب مغالته لها..

فضغط يدها برقة:

- فجر.. كمالي وبعدين!..

همست بشرود:

- هااه!.. أه.. حياتنا استقرت كام سنة.. وبعدين أمي ماتت

فجأة..

قطب حاجبيه متسائلاً:

- فجأة!

ارتجفت شفتاها واهتز جسدها بغصبة بكاء مكتوم لتهمس:

- أيوه.. دخلت تنام.. وما صحيتش تاني..

ربت على يدها بمواساة:

- أنا آسف يا فجر.. ما كنتش أعرف.. خلاص مش لازم

تكلمي..

مسحت عدة دمعات بسرعة هامسة:

- هي كانت عايشة ميتة بعد ما أبويا مات.. ارتاحت لما ماتت..

يمكن يكونوا مع بعض دلوقت..

سألها برقة:

- كانت بتحبه قوي كده؟..

أجابته بابتسامة خفيفة:

- كان أمانها وعزوتها.. دائماً كانت تقولي كده..

همس بخفوت:

- الله يرحمهم..

أمنت على كلماته وأكملت بسرعة لتنتهي قصتها:

- بعدها فضلت عايشة مع جدتي.. بس كان صعب أكمل في مشروع أمي.. بدلته بعربية الكبده.. كانت جدتي توقف عليها الصبح.. وأنا أستلم منها بعد ما أرجع من المدرسة..

ردد خلفها:

- مدرسة!

أجابته بلوم:

- أيوه.. أنت فاهم إني جاهلة ولا إيه!

اتسعت عيناه ليخبرها بصدق:

- لا أبداً.. أنا ما فكرتش في الموضوع قبل كده..

أخبرته بوضوح:

-أنا خرجت من المدرسة من تانية ثانوي.. هو كان ثانوي

زخرفي صحيح..

قاطعها:

- فجر.. أنا ما قصدتش.. وبعدين الحال من بعضه.. أنا كمان

ما كملتش الكلية.. بلاش الحساسة دي..

ابتسمت لكلماته الموسية وأكملت بهدوء:

- جدتي كانت تعبت وكان لازم أستلم أنا الشغل لوحدي

وكمان عشان مصاريف علاجها..

خيم الصمت للحظات لتكمل هي بعد أن أخرجت نفسها من

عالم ذكرياتها الحزينة:

- والباقي بقى أنت عارفه.. بعد ما جدتي ماتت.. فضلت
أشغل على العربية لحد ما ربنا أكرمني بأحسن راجل في
الدنيا.. اتجوزني وستتني في بيته..

رمقته بنظرة تقدير عالية وهي تهمس بكلماتها الأخيرة..

ليتبادلا النظرات عدة لحظات بصمت متوتر قبل أن يقطعه
ياسين بابتسامة رقيقة سعيداً بكلماتها المادحة له ونهض من
خلف المائدة هامساً بتوتر لم يختفِ تماماً:

- وأنتِ هتأخري أحسن راجل في الدنيا عن شغله برغيك

اللي ما بيخلصش ده!

شهقت بعجب:

- أنا يا سي ياسين!.. مش أنت اللي سألت عن أهلي.. وأنا قلت
ماليش حد.. وأنت..

قاطعها وهو يتوجه نحو باب المنزل طابعاً قبلة طويلة على
جبهتها ليمس بعدها:

- مش قلت ما تقوليش ماليش حد.. أنتِ نسيتِ إني جوزك..
أمانك وعزوتك..

قال كلماته المخدرة وخرج بسرعة متوجهاً لعمله تاركاً فجر
تلمس جبهتها بشرود وعلى شفيتها ابتسامة بلهاء سعيدة
وتهمس..

"قالي أمانك وعزوتك" ..

راكعة على ركبتيها فوق فراشها ملتفة بشرشف أبيض اللون،
تنتحب بصمت بعدما أنهت دورها بمسرحيته القذرة..
قذارة أصبحت تغرق بها للأعمق ولا تعرف سبيلاً لهروب..
كانت تأمل إنقاذاً من ياسين ولكن كيف تخبره!..

أين لها تلك الجرأة لتحكي له ما أوقعت نفسها به!..

لا تضمن رد فعله.. قد يقتل أمير.. وبالتأكيد سيقتلها، ليس
أنها تهتم بحياتها.. ولكن هل يجب أن يدفع الباقي من عمره
ثمناً لخلاصها!..

كيف تكون بتلك الأنانية لتورطه بمصيبتها!.. كيف تحرمه
تلك السعادة البسيطة التي يتذوقها لوجود بيت وزوجة
وعائلة.. تهتم له بالفعل..

كلا.. لن تفعلها.. لتحتمل مصيرها الذي اختارته بصبر..

لقد خطت خطوة واحدة تعميها مشاعرها الساذجة لتكتشف
أن تلك الخطوة ما هي إلا بداية لسقوط مدوٍ نحو هاوية لا
قرار لها..

ظنت أن الحقير سيمل تلك اللعبة في النهاية ويعتق جاريته
المبتاعة بلا ثمن..

كلا.. هي الجارية وهي من دفعت ثمن بيعها ويالسخرية تدفعه
من جسدها وكرامتها وأمانها واسم عائلتها..

دفعت بصمت منتظرة تلك اللحظة التي سيبتعد عنها بحثاً
عن ضحية أخرى وما أكثرهن..

ولكنه فاجئها الليلة بطلب.. كلا ليس طلب. بل أمر.. أمراً
جدال فيه؛ هو يريد رؤيتها.. يريد لها أن تذهب له بشقته
الخاصة.. فهو سأم لعبة الشاشة والحاسوب..

ويريد أن يختبر جاريته على أرض الواقع..

كلماته جعلتها تلطم خديها بانتحاب خاصة عندما أرفق بطلبه
رسالة أخرى فتحتها لتقابلها صفحة من صفحات موقع
التواصل الاجتماعي "الفيسبوك"..

وتطالعها صورتها على الشاشة.. أو صورة تماثلها تماماً ولكنها
ليست هي..

كانت الصفحة الشخصية لتوأمتها..

"بلسم حافظ برهام"

"صيدلة عين شمس"

انتهى الفصل

الفصل الرابع عشر

سعيدة.. هي سعيدة.. برغم الإجهاد.. برغم الإرهاق..

كل عضلة بجسدها تؤلمها، كل حركة توجعها..

ولكنها سعيدة..

تدور بالمنزل كطفلة غرقت ببحر من حلواها الوردية المفضلة..

وأي حلوى، بل أي سعادة.. وأمان أكثر من منزلها الخاص..

أمنها وأمانها.. واحتها الخاصة ومملكتها الأولى على الاطلاق..

اليوم فقط أنهت تنظيف جميع غرف المنزل..

فقد خصصت يوم لكل غرفة.. وعلى مدى خمسة أيام أصبح

المنزل.. بيت..

هي لم تحب أبداً لفظة "منزل" .. أو "شقة" ..

هي تريد بيتاً.. وستبني واحداً..

أغمضت عينها بسعادة وهي تهمس..

"هنبني بيت" ..

بدأت بإعداد الغذاء وهي تعود بذاكرتها لعدة أيام مضت حين

أبلغها ألا ترسل له طعام الغذاء وأنه سيصعد ليتناولاه معاً..

لتفاجئ_ بعد الغذاء وأثناء جلوسها شاردة بركن الأريكة وهي

تظنه دخل ليعتكف بصومعته المغلقة_ برأسه تسقط على
ركبتيها وهو يمدد ما يمكنه من جسده على الأريكة تاركاً ساقيه
لتتدلى أرضاً..

وقبل أن تهتف معترضة أو مذهولة فوجئت بيده تمتد لتمسك
بكفها وتضعه على رأسه وهو يهمس مغمض العينين:

- أنا مصدع قوي..

غمغمت ببلاهة:

- أعملك شاي!..

رفض بلطف:

-شاي تاني.. لا.. كفاية..

همست بحيرة ويدها ثابتة على رأسه:

- أو مال عايز إيه؟..

فتح عين واحدة ومعها رفع حاجبه للحظة واحدة قبل أن
يغلقها:

- دلكي دماغى.. مساج يعنى.. تعرفى..

أومأت برأسها وهي مدركة أنه لن يراها ولن يرى وجنتها
اللاتين أصبحتا بلون عصير الطماطم الذي علمت أنه يعشقه
وأصبحت تعده له يومياً..

تلك المعلومات البسيطة التي تمررها لها آمنة في اتصالها
اليومي بها؛ ياسين يفضل البيض بالبسطرمة، ياسين لا يحب
الأسماك.. ياسين يعشق البط والحمام..

كانت المكالمات تسير بتلك الوتيرة؛ الإطمئنان على الأمور العامة
يلها عدة ملحوظات عما يفضله ياسين أو ما يكرهه..

وبكل مرة تمسك فجر لسانها بأعجوبة عن سؤالها عن ياسين
نفسه؛ طفولته، صباه، مراهقته، شبابه وحياته التي تمثل
أمامها أكبر الألغاز..

لكن شيء ما يمنعها عن السؤال.. إحساس أوريما هو حدس
المرأة يخبرها أنها ستعرف منه كل ما تريد..

فقط عندما يكون مستعداً..

انتهت على صوته الهامس:

- فجر!..

خفضت بصرها نحوه لتكتشف أنها توقفت عن تدليك رأسه
لتبدأ العبث بخصلاته!..

أصبح وجهها بأكمله بلون الطماطم الطازجة وكادت تخر
ساجدة شكراً وحمداً لأنه ما زال مغمض العينين..

ولكنه لم يكن نائماً بل طالها بالحاح:

- فجر.. إرغي في أي حاجة!..

إختفى خجلها بل تبخروهي تسأله بعجب:

- أرغي!!.. مش بتقول مصدع!!..

عاد يفتح عين واحدة ويتأملها بتمعن للحظات ثم فتح عينيه
الاثنين متسائلاً:

- كنتِ بتكلمي نفسك الصبح تقولي إيه؟..

ما الذي يحدث لها يوم!..

تشعر بأنها كالدمية، بكلمة منه يصبغ وجهها باللون القرمزي..
وبأخرى يربكها فتجف دماؤها!..

فمرة يغازلها لتتفتح كجورية حمراء.. وأخرى يستجوبها
فتشحب كمصاصي الدماء..

وهي الآن بطور مصاصي الدماء.. عفواً.. الإحراج والإرتباك..
فهو لم ينسَ ما حدث صباحاً عندما مر أمام غرفتها ليجدها
واقفة أمام المرأة تغازل أنفها كما اعتادت!..

وها هو يتساءل ثانية وتلك المرة مصحوبة بوكزة من رأسها

لمعدتها:

- اعترفي.. كنتِ بتقولي إيه لنفسك قدام المرايا!..

هزت كتفها:

- كنت بكلم نفسي..

رفع حاجبيه بغیظ:

- ما أنا عارف.. كنتِ بتقوليلها إيه؟.. أكيد بتشتكي مني!..

شهقت بقوة وهي تخبط صدرها بقوة:

-أنا أشتكي منك!.. أنا برضوه أعمل كده!!..

أخفى ابتسامته بسرعة فهو نجح في إخراجها من حالة الخجل

الغريبة التي أصبحت تغرقها كلما اقترب منها..

وهو يريد الإقتراب.. بل يتوق إليه.. ولكنه يمنحها.. بل يمنح
كليهما الوقت الكافي..

ما يشعر به ليست رغبة يريد إشباعها.. بل احتياج يريده
متبادلاً.. حياة يكملها معها.. سكن وانتماء..

حزن دافئ يغرق به همومه آخريومه فتمحها بابتسامة
متفهمة ومسامحة..

وهمسة رقيقة من شفتمها.. "سي ياسين" ..

أصبح يعشق اسمه بطريقة لفظها له..

فاجئته بقولها الذي لم يتوقعه:

- هقولك بس إحلف ما تضحكش عليا!..

قطب حاجبيه بارتياب.. هو لا يستطيع قطع ذلك الوعد..

فهي تتفنن في فعل وقول الغير المتوقع..

حثها بالحاح:

- قولي بس.. يا خوفي تكوني بتكلمي أشباح ولا عفاريت

هتفت بثقة:

- أنا أكلم عفاريت.. ليه مجنونة!.. أنا كنت بكلم مناخيري..

توسعت عيناه بشدة مما جذب نظرات فجر بدون إرادة منها..

لم تنتبه من قبل لتفاصيل ملامحه تلك..

ماذا أصابك يا فجر لم أصبحتِ تبحثين عن تفاصيله،

تدرسينها بل تكادين تحفظينها حفظاً..

صوت ضحكاته المرتفع جذب انتباهها عن عينيه لتقطب

حاجبها بغضب وهي تهتف بطفولية:

- أنت قلت مش هتضحك!..

- لا ما قولتش.. كملي.. كملي.. كنتِ بتقوليلها إيه؟..

رغبة حارقة بداخلها تحثها على إلقاء رأسه من فوق ركبتيها
 وإخراج لسانها له وبعدها تتحرك بكل ما تملكه من شموخ
 لتوصد غرفتها عليها..

وذلك ما كانت تنوي فعله بالضبط ولكنها وجدت لسانها
 يتحرك بلا إرادة منها لتقص عليه إحدى ذكرياتها القديمة:
 - هي مش حكاية مهمة ولا حاجة يا سي ياسين.. هي حاجة
 بتفكرني بأمي.. ذكرى حلوة لنا.. والذكريات الحلوة مش كثير..
 أخفضت رأسها لتظهر دمعة خائنة لم تعرف من أين أتت فمد
 يده ليمسحها برفق ويعدل من خصلة قصيرة سقطت أمام
 عينيها، فهي أصبحت تطلق خصلاتها بناء على رغبته..
 بعدما أنذرها ألا تقرب المقص منها فهو يريد لها طويلا..

مر على وجنتها بإصبعه برقة:

-إحكي ومش هضحك..

أومأت برأسها وهي تقص عليه من ذكرياتها:

- أمي كانت دائماً تقولي.. "عارفة يا فجر أحلى حاجة فيكي
مناخيرك.. صغيرة وزى النبقة.. الممثلات بييموتوا ويمهروا
نفسهم عمليات تجميل عشان يوصلوا للشكل ده"..
ابتسم ابتسامة واسعة فمدت يدها لتكلم فمه هاتفة:

- قلت مش هتضحك..

أوماً بصمت فأكملت:

- في يوم وأنا في المدرسة كنت بلعب عادي.. جه واحد زميلي
زقني ووقعت على وشي.. ما أقولكش بقى يا سي ياسين على
العياط اللي عيطته.. اتفحمت عياط.. والمدرسين وزمايلي
مسكوا الولد ضرب وبستفة فاهمين إني اتعورت ولا هو
آذاني.. وأنا كل الحكاية كنت بعيط على مناخيري خايفة
تكون باظت..

شعرت بابتسامته تتسع تحت يدها وضحكاته تنطلق مكتومة

ولكنها ضغطت بيدها بقوة هاتفة:

- ما تضحكش عليا.. ما تضحكش..

أزاح يدها وهو يخبرها وسط ضحكاته:

- حرام عليك يا فجر.. أنا ما ضحككش كده من سنين..

ابتسمت برقة:

- ربنا يسعد أيامك يا سي ياسين.. مش هتقولي إيه الي شاغل

بالك؟.. أنت فيك حاجة متغيرة..

خفتت ضحكاته وهو ينتبه لكلماتها.. ليدرك أنها شعرت بقلقه

رغم محاولته إخفائه وإلهائها بالحديث عن ذكرياتها..

متى بدأت تتغلغل بأعماقه بتلك الطريقة ليصلها تغير مزاجه

وقلعه وانشغال عقله..

وصله صوتها:

- سي ياسين!..

رفع نظراته لها ليخبرها باقتضاب:

- شوية مشاكل في الشغل..

ليردد عقله بسخرية..

"مشاكل!.."

هو لا يعاني من مشاكل.. فقط يحتاج لسيولة مالية.. ولا

يعرف من أين يمكنه توفيرها..

لا يريد اللجوء لوالده.. بل ذلك سيكون آخر حل أمامه..

قد يفكر ببيع دراجته النارية الأثيرة رغم أنه يحتاجها بشدة

للتنقل تلك الفترة..

لن يذهب لأمنة.. كبرياءه يمنعه أن يمد يده مطالباً بالمزيد

من الأموال.. فهي منحة ما يكفي عند تركه المنزل..

هل يلجأ لحاتم؟.. أو ربما هاشم!..

لا يستسيغ ذلك ولكن ما الحل!.. سيكون قرض بسيط يرده
بعد فترة وجيزة.. فهو تعاقد بالفعل على صنع عدة غرف..
ولكن المقدمات لا تكفي لشراء الأخشاب المطلوبة..

وهو يتفهم ذلك.. فالعميل عادة لا يجازف بمبلغ كبير عند
تعاquه مع مبتدئ.. فاحتمال ألا يعجبه المنتج الأخير وارد
دائماً.. لذلك لم يطلب زيادة المقدمات.. معتمداً أن عمله
سيعلن عن مهاراته..

نعم هو بحاجة للأموال.. وليس من أجل توفير الأخشاب فقط،
بل ليدفع مرتبات عامليه الجديدين؛ جاد ومعتصم..

فالحاج صالح لم يتأخر لحظة عندما طلب مساعدته بإيجاد
عامل كفاء يساعده بالورشة بعد زيادة العمل عليه..

وفي اليوم التالي زاره بالورشة ومعه جاد وهو شاب صغير
بالعشرين من عمره.. في السنة الثالثة بكلية خدمة

اجتماعية.. والديه متوسطي الحال.. يبدو أنه لا يحتاج للمال
بشدة.. ولكنه أخبر ياسين بحزم..

"أنا بشتغل من خمس سنين.. بس الورشة اللي كنت شغال
فيها صاحبها نقل دمياط.. وبقي صعب عليا أكمل شغل"..

وعندما سأله ياسين عن سبب احتياجه للعمل أجاب
بغموض...

"ظروف"..

أما معتصم فكان أكبر سنًا؛ حوالي خمس وعشرون عاماً..

تلمع عيناه بنظرة شرسة ولكنها للغرابة تخفي معها رقي لا
ينتمي للطبقة التي يحاول تقمص سلوكياتها.. فأثناء حوارهِ مع
ياسين ورغم تزامم كلماته بمفردات بيئية سمجة إلا أن لسانه
كان ينفلت مرة أو اثنتين بما يوحي بحياة راقية سابقة..

كان ياسين بحاجة لمساعد واحد.. إمكانياته لا تمكنه بدفع
راتب الاثنين.. على الأقل في الفترة الحالية..

إلا أنه لم يستطع خذلان نظرة الاحتياج الغامضة بعينيّ جاد
ولا مقاومة فضوله الشخصي بشأن معتصم..

وانتهى الأمر بتوظيف الاثنين لمساعدته.. وإحقاقاً للحق،
كلاهما يمتلك مهارة وخبرة لم تجعله يندم لحظة لتوظيفهما..
على الأقل هو يستمتع بفترة قيلولة مريحة على ركبي فجر
الآن..

رفاهية لم تكن متاحة قبل وجود عامله الغامضين..
أفاق على هزة كتف بسيطة من فجروهي تسأله بقلق:
- سي ياسين.. سرحت في إيه؟.. طمني الله يخليك مشاكل إيه
دي؟..

مسح وجهه بكفه:

- ما تاخديش في بالك يا فجر.. هتتحل إن شاء الله..

مدت يدها لتحرك وجهه نحوها ولم تسمح له بالتهرب من
مواجهتها:

-إن شاء الله ربنا هيقف معاك.. بس قولي وطمني.. يمكن
أقدر آلاقي لك حل.. مش بيقولوا يوضع سره في أضعف
خلقه!..

تنهد بقوة:

-محتاج سيولة اليومين دول.. أنت عارفة المقدمات اللي
أخذتها ما كانتش كبيرة..

سألته بلهفة:

- يعني المشكلة كلها في الفلوس!..

ابتسم لها ساخراً:

- بسيطة، صح!!

برمت شفتمها بغیظ:

- خلیك كدهون اتریق علیا وبس.. بس هی بسیطة وسهله
كمان.. والحل عندي..

كتم ابتسامته وهو یسألها:

- فین الحل السحري ده!.. اشجینی..

نهضت فجر بغتة لتسقط رأسه بقوة علی الأریكة فهتف
متأوهاً:

- آآآآه.. یا فجریا مفترية هیجیلی صداع بجد!

كانت فجر انطلقت بالفعل نحو غرفتها عندما وصلها هتافه
فتوقفت وهي ترمقه بعجب:

- لهو أنت ما كنتش مصدع حقیقی!!..

رفع حاجبه بشقاوة مستمتعة فيدخل وجهها بمرحلة الجورية
القرمزية وتهرب من أمامه سريعاً، لتعود بعد لحظات وبيدها
العلبة المخملية التي أهدتها لها آمنة وتدفعها بيده:

- اتفضل الحل أهويا سيدي..

رمق العلبة بنظرة واحدة وأخبرها بحزم:

- رجعي شبكتك مكانها يا فجر..

هزت رأسها بعناد:

- دي حاجتك أنت يا سي ياسين.. وأنت محتاج سيولة

دلوقتٍ.. خُدها اتصرف فيها..

نهض مقترباً منها بغضب وأعاد العلبة إليها:

- كلمة واحدة مش هكررها.. رجعي حاجتك يا فجر..

تخصرت بإحدى يديها وهي تهتف:

- شوف بقى.. إذا كانت دماغك ناشفة، أنا راسي حجر..

والعلبة دي حقك وهتاخدها تفك بيها زنقتك..

مسح وجهه بكفه وهو يهتف بنفاذ صبر:

- دي هدية الحاجة آمنة ليكي.. ما ينفعش تفرطي فيها.. ده

غير أنها أمان ليكي من الزمن..

رفعت حاجبها بدهشة:

- أمان!.. هو الأمان في كام حطة ذهب!!.. أنت قلت لي قبل كده

أنك أمانى وعزوتي.. ولا نسيت!.. هحتاج أنا بقى الذهب في إيه

وأنت معايا!..

تنهد بقوة:

- لا ما نسيتهش.. ولسه بقولك أمانك معايا يا فجر..

قاطعته بسرعة:

- ولو على هدية الحاجة أمانة.. أكيد هي مش هتزعل مني.. ده
غير إن دي هديتها لعروستك يا سي ياسين مش لفجر!..

سألها مرتبكاً:

- تقصدي إيه يا فجر؟..

ارتبكت بدورها وهي تدرك أن كلماتها تحتل أكثر من معني..
فهتفت بسرعة:

- ما أقصدش حاجة وحشة.. قصدي أنها ما كانتش تعرف
فجر قبل كده، فالهدية ليك أنت يا سي ياسين.. هي جايهاها
ليك.. يعني حاجتك..

أشاح بوجهه بعيداً والحيرة تمزقه؛ هو بحاجة للسيولة..
وفجر تقدم له حلاً لا يُنزل من كرامته وعنفوانه أمام حاتم أو
هاشم..

ولكن هل يمد يده لزوجته مستولياً على مصوغاتها ليحل
مشاكله!..

هل بفعلته تلك يسقط نفسه من عليائه الذي أسكنته به
كفارسها المنقذ!..

اقتربت فجر منه تمنحه العلبة ثانية وهي تربت على وجنته التي
تحمل أثر إصابته بسببها:

- بالله عليك يا سي ياسين ما تحسسي إني قليلة وما أقدرش
أسد وأقف جنب راجلي.. دي حاجتك أنت قبل ما تكون لي..

تناول منها العلبة وبداخله يشعر بارتياح لقربه منها..

لتلك القبلة الممتنة التي طبعها على جبينها.. لفكرة غامضة
تتكون بعقله..

أنه يفضل أن يكون مديناً لها هي بدلاً من مطالبته بحق
مستحق من والد نبذه بكل الطرق الممكنة..

أبعد شفتيه عن جبينها وهو يهمس بوعد:

- ده دين عليا يا فجر.. وأما أرجعهم هتكون هديتك مني..
هدية لفجر.. مش لعروسة ياسين..

شقة صغيرة بحي راقٍ نوعاً ما، أثاث ينم عن ذوق رفيع وسيدة
شابة تجلس أمام شاشة حاسوب وهي تعمل بإنهماك وتبدو
على ملامحها معالم الإرهاق الشديد.. ملامحها المرهقة لم
تستطع إخفاء جمالها المنفرد؛ بشرة برونزية لامعة وخصلات
حمراء ذهبية مع جوهرتين بلون الزمرد تلمعان بحزن خفي..
حزن حي لم يمت رغم موت صاحبه..

اقترب منها هاشم بهدوء ليزيل نظارتها بهدوء.. ويطلع قبلة
خفيفة على خصلاتها الطويلة المتماوجة:

- مش كفاية شغل بقى يا ريهام!.. أنتِ ما ارتاحتيش من
ساعة ما جيت..

ربتت على يده التي تستريح على كتفها:

- معلش يا هاشم.. باقي كام صفحة بس واخلص ترجمة
الكتاب عشان أسلمه بكره..

جلس بجوارها على أحد المقاعد وهو يعود برأسه للخلف
ويمسد جسر أنفه بإرهاق:

- أنا خلصت مذاكرة الماث مع شريف.. وهو استأذن مني
يلعب شوية ب الآي باد.. ووافقت..

أومات ريهام موافقة:

- نتيجة الكويز بتاع الماث كانت ممتازة.. ربنا يخليك لنا يا
حبيبي..

ابتسم بصمت.. فرفعت ريهام رأسها وهي تسأله بتوجس:

- في على وشك كلام يا هاشم خير؟..

رقت معالم وجهه لتفهمها له.. دوماً بينهما ذلك الخط الرفيع
من التفاهم..

ربما ذلك ما مكنهما من تخطي حزن جثم على صدورهما
لسنوات..

غمغم هاشم بخفوت وهو يعلم حجم الخبر الذي يحمله لها:

- "معاطي القط" مات إمبراح في مستشفى السجن..

ارتجف جسد ريمام بعنف مصاحب لشهقة قوية انطلقت
من حلقها وهي تلتفت لهاشم بلهفة، ترتعد شفثها بلا توقف
وتجاهد لإلتقاط أنفاسها ليندفع هاشم بسرعة نحو أحد
الأدراج مخرجاً بخاخة خاصة لمرضى الأزمات الربوية
ويدفعها بفمها ضاغطاً ضغطتين سريعتين..
بعدهما بدأت تلتقط أنفاسها وهدئ لهاثها قليلاً..

لتهمس بتنهيدة طويلة:

- أخيراً.. دلوقت شريف هيرتاح.. أخيراً هيرتاح..

ضاعت كلماتها الأخيرة وسط نوبة بكاء عاصفة انفجرت بها
ولم يمكنها السيطرة عليها..

ضمها هاشم بين ذراعيه لترتاح رأسها على صدره وهي تهتف
بوجع:

- أنا أسفة يا هاشم.. أسفة.. عارفة أنه المفروض أكون
أقوى.. بس النهارده حسيت أنني أخيراً هدفن شريف.. أنني
النهارده هاخذ عزاه.. أن..

قاطعها هاشم بحزم:

- ريهام.. أنا لو مش عارف أنك قوية فعلاً ما كنتش بلغتك..
وبعدين هو مرمي في مستشفى السجن من سنين.. بعد ياسين
ما..

قاطعته ريهام بلهفة:

- هتبلغ ياسين؟..

أجابها بحيرة:

- مش عارف.. لسه بفكر.. خبرزي ده ممكن يريحه وممكن

يقلب كيانه..

صمتت ودموعها لا تتوقف على صدره وأنامله تملس

خصلاتها بروتينية ليسمعها أخيراً:

- هاشم.. ممكن بكره نروح نزور شريف..

صمتت لحظة لتشهق بقوة هامسة:

- أقصد قبر شريف..

ضمها بقوة وهو يؤكد:

-هنروح نزور شريف بكره..

وبداخله يهمس بتأكيد..

"ربنا يرحمك يا شريف.. كنت أحن أخ وأجدع صاحب"

دلفت سمر إلى الغرفة التي يقطنها ماجد مع زملائه بسكن
الأطباء بسرعة، لينتفض ماجد بعنف من فوق فراشه:

- سمر!.. أنتِ اتجننتِ!!.. إزاي تدخليني هنا؟..

هتفت بغیظ:

- أعمل إيه!.. أنا مش عارفة أتلّم عليك..

أمسكها من ذراعها بعنف وهو يتوجه للباب:

- اخرجي يا سمر دلوقتٍ.. ما ينفعش حد يشوفك هنا!..

كتفت ذراعها وهي ترفع حاجباً مغتاظاً:

- لوحد دخل هقول أني جاية استدعيك عشان حالة...

هتف بها بغیظ:

- حالة إيه اللي هتستدعيني عشائها.. هو أنتِ شغالة هنا في
القسم أصلاً.. امشي دلوقتِ يا سمر.. أنتِ مش خايفة على
سمعتك!..

اقتريت منه وهي توكره بإصبعها في صدره:

- قلت لي بقى.. السمعة!.. سيادة الجراح العظيم قلقان على
سمعته..

دفع قبضته للحائط بعنف كاد أن يؤذيها وهو يهتف بها:

- أنتِ اتجنتِ.. أكيد اتجنتِ.. جاية سكن الأطباء برجليكِ..
وبتتهميني أني خايف على سمعتي أنا..

صمت للحظة قبل أن يزفر بعنف:

- خير!.. إيه الحاجة الرهيبة اللي خلتك تتجني وتعملي
كده؟..

برقت عيناها بلحظة:

- صحيح أنت خاطب بنت الدكتور طاهر برهام صاحب

المستشفى الخاص اللي بتشتغل فيها؟..

كتف ذراعيه وهو يضيق عينيه متسائلاً:

- مين قال الكلام ده؟..

أشارت بيدها:

- أصل دكتور ناجي...

قاطعها غاضباً:

- ناجي!!.. ناجي تاني يا سمر؟..

ربتت على صدره بتهدة:

- اسمعني بس..

عاد لمقاطعها:

- أسمع إيه!.. الطلب الوحيد اللي طلبته منك؛ أنك تمنعي أي

صلة بناجي.. يا دوب شغل وبس..

غمغمت بتخاذل:

- ما هو أصله طلب يتجوزني تاني!

رمقها للحظة قبل أن يطلق ضحكة ساخرة:

- يتجوزك!.. ومراته اللي سابك عشانها قبل كده!!..

هتفت به بغیظ:

- ده كل اللي همك!.. مراته!!.. أنت حتى ما أضايقتش أنه

عمل كده.. وبعدين.. استنى هنا.. أنت أخذتني في الكلام وما

جاوبتتش على السؤال.. أنت خاطب فعلاً؟..

جلس على حافة الفراش مخبراً إياها بلامبالاة:

- كان في مشروع وفشكلنا..

تحركت لتواجهه بالغرفة الضيقة:

- كان في مشروع!.. وأنا؟..

مد يده تحت الوسادة ليجذب علبة السجائر ويشعل واحدة

نافثاً دخانها بهواء الغرفة المكتوم:

- أنتِ إيه يا سمر!.. عايزة تفهميني أنك قاعدة حاطة إيدك

على خدك ومستنياني.. يعني ما قعدتيش تشاغلي في ناجي

لحد ما رجع لك تاني زي الكلب وبيقدم عرض الجواز ولا همه

مراته ولا ابنه اللي جاي.. ولا همك أنتِ كمان!.. ولا فاكراني ما

أخدتش بالي من جريك ورا حاتم.. أهو أي بالطو أبيض يسد

وخلص.. عيب يا بنتي.. مش أنا اللي هتعملهم عليا!

زأرت بوجهه بعنف:

- ماجد.. احترم نفسك..

ابتسم بسماجة:

- سمر.. مش هقولك أنا محترم غصب عنك ولا محترم قبل
 ما أعرفك وشوية كلام مالوش معنى.. من الآخر أنا عارف
 وفاهم الدوشة دي كلها عشان إيه.. الإعارة اللي جت لك
 وشرط أبوك أنك تسافري وأنتِ على ذمة راجل لا إما ما فيش
 سفر..

امتقع وجهها بشدة:

- وأنتِ عرفت ده كله إزاي.. وبعدين افرض!.. إيه اللي يمنع
 نتجوز ونسافر.. حد يكره الخير!!

قاطعها بغضب وهو يتذكر رغبتة بالزواج من "ليا" ليصل
 إلى والدها ومشفاه.. ليجد أن سمر.. تلك الفتاة الرقيقة
 التي دق لها قلبه ولأول مرة يكتشف أن للقلب وظيفة أخرى
 بخلاف إبقائه حياً كانت عندما لمح نظرتها المحبة له..

يتذكر سعادته البالغة عندما نجح في رسم ابتسامة ناعمة
على شفثيها بعد أسابيع من الحزن لهجر ناجي لها واقتارانه
بأخرى.. حيرته لشهور بين "ليا" بكل البريق حولها وكل ما
ستوفره له من امتيازات.. وبين دقة قلب خافتة تهمس باسم
سمر.. ليكتشف بالأمس فقط وبعد قراره الأخير بالانفصال
عن "ليا" والتي حتى لم تمكنه من أن يكون صاحب السبق
فقط أرسلت له عن طريق "واتس أب".. قرارها بعدم إكمال
الخطبة..

ويتلقى الصفحة الثانية والتي أكدتها سمر لتوها.. بعودة
العلاقة بينها وبين ناجي حبيبها السابق..

- إيه اللي يمنع!.. اللي يمنع أن الدنيا صغيرة قوي.. لدرجة أن
القلم اللي ممكن توجهه لحد من غير ما تقصد بتلاقيه يرن
على خدك أنت.. لا ومش خدك.. ممكن قفاك كمان!..

قطبت حاجبها بعدم فهم:

- يعني إيه!..

حرك رأسه بسخرية وهو يتمدد بالفراش ويستمر بنفث دخان
سجائره:

- تعرفي قبل ما "ليا" تبعت لي أنها قررت تفركش.. كنت أنا
قررت أنه خلاص ما ينفعش.. وأني لو سيبتها ممكن أكون برد
جزء من الدين اللي عليا.. بس برضوه طلع هو الأحسن..
هو الأرجل والأكبر لآخر لحظة!..

هتفت سمر بغيظ:

- ماجد.. أنت ضارب حاجة زي ابن عمك!

رمقها بنظرة قاتلة قبل أن يردف:

- اللي يضحك بقى.. أي كنت مقرر أكلم أبويا الليلة عشان
يوافق أخطبك!..

لانت ملامحها بسرعة خاطفة:

- بجد يا ماجد!.. يعني نستناكم..

قاطع كلماتها:

- بقولك كنت.. كان فعل ماضي ما تسببه في حاله..

ثم أشار لها بالإنصراف:

- وسيبيني أنا كمان في حالي.. عندك عرض جواز من ناجي..

اتجوزي وسافري وألف ألف مبروك...

رمقته بغیظ.. لیطفئ سيجارته ويخفي وجهه تحت الوسادة:

- وألف سلامة.. اقفلي الباب وراك..

ممدداً نصف جسده على الأريكة ومريحاً رأسه على ركبتيها كما

اعتاد في الايام الماضية..

ومستمعاً إلى ثرثرتها الممتعة لمهتف بغيظ عندما بدأت تثرثر
عن أخبار الحارة:

- مش أنا قلت بلاش كلام الشبابيك!..

مصمصت شفيتها بغيظ:

- يعني ما انزلش.. وكمان ما أتكلمش من الشباك!..

حرك رأسه لتواجهها عيناه التي أصبحت تشرد بلونهما كثيراً:

- اللي عايزك يحيي يزورك.. يا ألف أهلاً وسهلاً..

خبطت جبهتها بيدها متذكرة:

-أيوه صحيح.. بلسم وسعاد هيعدوا عليا النهارده عشان

نروح نجيب فستان بلسم..

وافقها قائلاً:

- أيوه عارف.. أمون قالت لي في التلفزيون..

ابتسمت ويدها تمتد بعفوية لتعبث بخصلاته:

- أيوه يا سي ياسين ما أنا فاهمة.. هو أنا يعني كنت هاديهم
ميعاد من غير إذنك.. بس خالتي أم ياسين قالت لي أنك عارف
وموافق..

غمغم بغموض:

- أممممم...

سألته بتوجس:

- طيب أقوم بقي.. يا دوب أستعد للمشوار.. زمانهم على
وصول..

زاد من ضغط رأسه على فخذها يمنعها من الحركة:

- لسه بدري.. وبعدين أنا مرتاح كده..

عادت تبرم شفيتها بغیظ.. لا تعلم سر تمسكه بتلك الحركة..
 فكل يوم يتناولوا الغذاء معاً ثم يسحبها من يدها لتجلس بركن
 الأريكة ويلقي هو برأسه على ركبتيها مستمعاً لثرثرتها..
 أحياناً يبادلها الحوارات وأحياناً أخرى يغط بالنوم..
 تذكر أول مرة نام بها على ركبتيها فأيقظته رحمةً به من وضعه
 الغير مريح اطلاقاً.. فأكثر من نصف جسده ملقى خارج
 الأريكة.. فنفض بصمت.. ليسحب أحد المقاعد ويلصقه بحافة
 الأريكة ويعود لوضعه الاول..

رأسه على ركبتيها وقدماه ممددة على المقعد وذراعاها تطوق
 خصرها بحميمية وهو غارق بنوم عميق..

لاحظت سكونه المفاجئ ولم تعرف إذا كان مستيقظاً أم لا..
 فهو يغطي عينيه بذراعه.. همست:

- سي ياسين.. أنت نمت ولا إيه؟..

حرك إصبعه نافياً.. فعادت تسأله:

- أخبار الصبيان اللي عندك إيه؟..

أزاح ذراعه من فوق عينيه هاتفاً بغیظ:

- ما تقوليش صبيان دي..

عوجت شفيتها بتعجب:

- يوه.. أو مال أقول إيه يعني.. ولا تزعل.. أخبار الشباب إيه؟..

فتح عينيه ليرمقها بنظرة لائمة ثم أخبرها:

- كل واحد فيهم دماغ لوحده.. جاد هادي وبتاع شغل

وبيسمع الكلام.. معتصم بقى.. اللي محيرني.. أوقات أقول ده

ابن ناس قوي.. وأوقات تانية آلاقيه...

سكت ولم يكمل.. كلماته لتحتة فجر:

- تلاقيه إيه؟..

عاد يغمض عينيه هامساً:

- مش عارف.. مش عارف يا فجر.. الاتنين مش عليهم أي غبار
ولا بيعملوا مشاكل.. أنا اتأكدت بنفسي.. بس معتصم..

حاسس أنه مخبي حاجات كتيير.. ربنا يستر..

وضعت فجر قبضتها تحت ذقنها لتخبره بعد تفكير عدة
لحظات:

-طيب وأنت كده يا أخويا مش عليك أذى؟.. اللي اسمه
معتصم ده ممكن يعمل حاجة غلط وأنت تروح في الرجلين..

أجابها بثقة:

- الله هو الستار.. ومش هقفل بابي في وش حد طلب
المساعدة طالما.. أقدر اساعده..

هتفت به وقد زاد تقديرها له أضعاف:

- إن شاء الله ربنا هيجازيك خيرا سي ياسين.. طالما نيتك

خير.. أنت أصيل وما بتردش محتاج..

فتح عيناه فجأة ليسألها:

- أنتِ عندك حاجة مناسبة لفرح بلسم؟..

قطبت حاجبها:

- يوه.. إحنا في إيه ولا في إيه!..

أخبرها بحسم:

- أنتِ نازلة مع البنات دلوقتِ.. هاتي اللي أنتِ محتاجاه..

معاكِ فلوس المصروف.. ما تتكسفيش وهاتي اللي يعجبك..

وأنا هوصي البنات.. عارف أنك هتتسفي تشتري..

أخفضت بصرها بخجل وإحراج:

- حاضر يا سي ياسين.. هجيب حاجة تشرفك..

توسعت عيناه وهو يهتف بها:

- هاتي حاجة تفرحك يا فجر.. أنتِ وجودك جنبي هو اللي
بيشرفني..

ارتسمت البسمة على شفתיها:

- اللهم يخليك ليا.. كلامك الحلو ده بينسيني أني فجر بتاعة
الكبده..

وكزها برأسه مشاكساً:

- المهم ينسيكِ ننوس عين الحاجة!..

كادت أن تهمس له.. أنه أصبح بالفعل قرّة عين لها..

لا تعرف مسمى لما تشعر به وهي معه.. وهو مستلقي هكذا على
ركبتها وكأنه يستمد راحته من التصاقه بها..

وكان وجودها أصبح امتداد لوجوده.. أو كيانه لا يكتمل إلا

بها..

همست بخفوت..

"ربنا يزرع حبي في قلبك.. زي ما أنت بقيت كل حياتي يا سي
ياسين" ..

ارتفع حاجبيه وهو يتساءل:

- بتقولي حاجة يا فجر؟.

انتهت من شرودها وهي تتأمله:

- لا يا سيد الناس.. ده أنا بادعيلك..

ثم أردفت:

- مش هقوم أغير بقى.. البنات أكيد على وصول..

حرك رأسه ليحيط خصرها بذراعيه كما اعتاد في الأيام

السابقة:

- لا خليك.. أنا أصلاً غلطان إني وافقت يجوا في ميعاد

راحتي..

ضحكت وهي تحاول النهوض:

- معلىش بقى.. متعوضة..

رفع رأسه فجأة ليواجهها متسائلاً بعبث:

- هتعوضيني ازاي!

أرجعت رأسها للخلف:

- يوه.. يا سي ياسين.. خضتيني..

ابتسم مشاكساً وهو يزيد من اقترابه:

- والله!..

أرادت أن تومئ موافقة ولكنه لم يتح لها الفرصة وهو يهمس

بين شففتيها:

- أنا هعوض نفسي بمعرفتي..

تماست شفاههما للحظات وقبل أن يتمكن ياسين من شفتهما
كما أراد فوجئ بهما بتبسمان بين شفتيه ثم تطلق هي ضحكة
خجولة هامسة بعجب:

- إحنا هنعمل زي الممثلين اللي في الأفلام ولا إيه!..

نهض مبتعداً عنها هاتفاً بغیظ:

- أنتِ كارثة يا فجر.. فصلتيني يا مجنونة.. ضيعتِ اللحظة..
منك لله..

كانت تراقب غيظه الذي بدأ يتطور لغضب خفيف وهي تسب
نفسها بكل ما تعرفه من شتائم.. ولكن ماذا تفعل بنفسها..
"طول عمرك فقرية يا فجر!"..

قطع جرس الباب لحظات غيظه ليندفع يفتح الباب بعنف..
فتواجهه عيني سعاد وبلسم المتفاجئتين بنظراته الغاضبة..

وبين تبادل السلام والتحيات.. ومحاولة خافطة من سعاد
لتخفيف التوتر الذي لم تعلم له سبباً..

هتفت بلسم بسرعة وكأنها تلقيهما ثقيلاً من على كتفها:

- ياسين.. ماجد مستنيك في الورشة تحت..

نهاية الفصل

الخامس عشر

هرول ياسين على درجات السلم وحوله انتشرت شرارات
غضبه وإحباطه..

يتذكر تلك اللحظة.. تلك اللمسة الخاطفة لشفتهما.. ليقترّب

منها كما لم يفعل مع سواها..

ليبدأ بمد جسور مودة وقرب بينهما.. فهي بحاجة لأن تعتاد

لمسته قبل أن تأخذ حياتهما مسارها الطبيعي كأبي زوجين..

هتف بحنق..

"فصيلة" ..

توقف للحظات لهدئ من انفعاله.. وعلى شفثيه ترتسم شبه
ابتسامة وهو يهمس بخبث..

"صبرك عليّ فجر.. إن ما عرفتك بيعملوا إيه في الأفلام.. حتى
اللي ما بتشوفيهوش كمان" ..

وصل لباب ورشته ليلمح ماجد جالساً على المقعد المواجه
لمكتبه؛ وجهه يختفي بين كفيه.. ورأسه للأسفل..
وبدا من انحناء كتفيه.. أنه يحمل هموماً حطمت ما كان
يتمسك به من صمودٍ واهٍ..

تجمدت خطوات ياسين للحظات.. وقد غرق بحيرته.. فمظهر
ماجد المهزوم فاجئه بشدة..

ظن في البداية أن حضوره ليفتعل مشاجرة ما معه بسبب
مجنونته الشقراء.. فاحتمال مصارحتها لماجد بكل ما تموج به

نفسها وخاصة إنجازاتها المتهور لشقيقه السجين السابق لهو
أمر وارد حدوثه بشدة..

تقدم عدة خطوات قبل أن يتوقف منادياً باسم ماجد الذي
ارتفعت رأسه بعنف ليقابل حيرة نظرات ياسين.. حيرة نابغة
من عجزه عن معاملة ماجد بنفس الصلف والكبر اللذان
عامله بهما..

فهو يراه الآن.. ضائعاً.. هائماً.. ومشتتاً..

"يا الله هل كان يعشقها لتلك الدرجة!"..

لم يعلم ياسين إن كان تفوه بأفكاره أم أن ماجد قرأها في
عينيه بوضوح.. فقط أجابه ماجد بكلمات حاسمة وحزينة:

- لا.. لا ما حبتهاش لدرجة أنهار بعد سفرها..

رمقه ياسين بصمت.. ليكمل ماجد:

- ليا بعنت لي رسالة على الواتس.. وقالت أنها تفضل أننا
نكون أصحاب وبس.

لم يتفوه ياسين بكلمة وإن ظهر في عينيه تساؤله عن مغزى
ما يحدث ليستمر ماجد:

- يمكن هي ما صارحتنيش.. بس من جوايا حسيت إن
مشاعرها اتحركت ناحيتك.. وأنا..

قاطعها ياسين بحزم:

- بس.. ولا كلمة زيادة..

هتف ماجد بدفاع:

- أنا مش باتهمك بحاجة يا ياسين.. ما تفهمنيش غلط.. أنا..

التفت ياسين بغتة نحو مساعديه اللذين برزا من داخل
الورشة لهتف بهما بصرامة:

- معتصم، جاد.. تقدرروا تروحوا تتغدوا دلوقت..

استغرق خروج الشايين لحظات تمكن ياسين فيما من التحكم
بغضب يتولد بأعماقه بعنف..

والتفت لماجد بغتة:

- أنت جاي تقولي أنك ممكن تتنازل عن خطيبتك لو أنا
عايزها..

حاول ماجد مقاطعته ليكمل ياسين بغضب:

- وبكده تبقى واحدة بواحدة..

برقت عينا ماجد بغضب:

- أنا جاي عشان نتكلم يا ياسين..

هتف به ياسين:

- يبقى تبدأ كلامك صح.. مش جاي تقدم لي حاجة أنا..

قاطعته ماجد بغضب:

- أنا مش جاي أقدم لك ليا.. لأنه ببساطة أنا ما أملكهاش..
وحتى لو أملك أتنازل.. أنا فاهم كويس إن ده ما يساويش اللي
أنت قدمته.. فاهم.. من أول لحظة فاهم وعارف..

غمغم ياسين بخفوت:

- كويس أنك عارف..

زفر ماجد بألم وهو يمرر أنامله بخصلاته بجنون:

- أنا مش عارف أعتذريا ياسين..

همس ياسين بذهول:

- شايف إني ما أستحقش حتى إعتذار.. خلاص اقتنعت
بوجهة نظر الحاج حافظ إني بقيت مجرم.. أو إني كان جوايا
مجرم والسجن خرجه..

همس ماجد بدوره:

- الحاج حافظ..

انتبه ياسين لنبرة ماجد المتوجعة.. ولكن ماجد كان يردد
كلماته بلا انقطاع:

- الحاج حافظ كان كل ليلة.. لا.. ليلة إيه!.. كل ما عينه
تيجي عليا.. يفكرني بلحظة تهوري اللي أخويا دفع تمنها..
غلطتي اللي بسببها أخويا الكبير اتبدل حاله واستحل دم غيره..

ضرب ماجد بقبضته سطح مكتب ياسين وهو يهتف:

- هو قاطعك أنت ووجه كل غضبه ليّ أنا.. عارف لما اختارت
تخصص جراحة كان رده إيه؟!.. "طبعاً.. ما أنت إيديك
اتعودت على الدم"..

قاطعه ياسين بغضب:

- طبعه وحافظينه كلنا.. يوم ما جالي السجن وقالي أنت بره حساباتي.. كنت عارف أنها النهاية.. هيتابع ويراقب.. لكن مش هيتدخل..

التفت له ماجد بغضب:

- كل يوم يا ياسين.. كل يوم اتحبسته أنت.. أنا كنت بدفع تمنه..

اقترب منه ياسين بغتة ليتمسك بقبة قميصه:

- دفعت إيه!.. شوفت إيه؟.. زعل أبوك!.. دبحه لك بالكلام.. ده كله يجي إيه..

دفع ماجد بعيداً بقوة وهو يصرخ:

- إيه..

توقف للحظات ليلتقط أنفاساً متقطعة ويعود هاتفاً بحنق:

- صدقني ده كله ولا حاجة قصاد ساعة حبس.. قصاد
 حرمانك من نور النهار.. لأسابيع.. شهور.. سنين.. أنا عشت
 سنين في الحبس الإنفرادي.. ما بخرجش إلا لورشة النجارة..
 سنين وأنا ما بيغمضليش جفن إلا وأنا في الأوضة الضلمة
 المقفولة.. المساجين يهربوا من الإنفرادي وأنا كنت بدفع
 للحراس عشان أبات فيه.. لحد ما هاشم..

قاطععه ماجد بذهول:

- أنا.. أنت بتقول إيه!.. ليه عايز حبس انفرادي؟.. ليه أوضة
 مقفولة وضلمة كنت خايف من إيه يا ياسين؟..

أطلق ياسين ضحكة ساخرة:

- خايف من إيه!.. قصدك إيه اللي ما يتخافش منه..

ثم خبط كفيه ببعضهما هاتفاً:

- ما حدش عارف حاجة.. ولا حاسس بحاجة..

اقترب منه ماجد يسأله بعنف:

- فهمني.. ده حصل إمتي؟.. أنت بتقول سنين!.. أنا كنت بزورك كل شهر.. كل موسم وعيد.. هما آخر سنتين اللي ما كنتش بأجي كثير..

لم يجبه ياسين على سؤاله.. بل سأله بدوره:
- جاي ليه يا ماجد؟.. طالما مش عايز تعتذر..

قاطعاه ماجد بقوة:

- مش قادر يا ياسين.. تفرق كثير مش قادر عن مش عايز..
هز رأسه بيأس:

- مش قادر أعتذر.. هتساوي إيه كلمة اعتذار قدام عمر راح!..
غمغم ياسين بوجع:

- على الأقل أعرف أنه ما راحش بلاش..

مسح ماجد وجهه وهو يهمس:

- عارف يعني إيه تكون مديون بعمرك.. بمستقبلك..
 بمهنتك!.. عارف يعني إيه في كل مرة بمسك المشروط بفتكر
 لحظة ما ضربت زهير وحسيت بعينه وهي بتتصفي.. عارف
 يعني إيه تقعد تجهز في حوارات واعتذارات وفي الآخر تلاقي ده
 كله ما يساويش نقطة في بحر قصاد اللي راح.. عارف يعني إيه
 تكون حاسس طوال عمرك أنك صغير قوي.. قوي..

همس ياسين بذهول:

- أنت عاملتني المعاملة الزبالة دي عشان مش عارف تعتذر..
 مش قادر تواجهه!!..

همس ماجد بإرتباك:

- كان لازم أقنع نفسي أنك غلطان عشان أعرف أعيش..
 أتنفس.. أنجح..

اتهمه ياسين بعنف:

- دي أنانية..

لتتردد جملة ماجد:

- بس مش ندالة.. أنا مش ندل يا ياسين.. أنا مش عارف
أتعامل مع تضحيتك.. مع اللي أنت قدمته.. بس مش ب أنكره..

عاد ياسين يسأله:

-وجاي النهارده تقولي اتفضل ليا.. دي تعويض بسيط!..

أنكر ماجد بعنف:

- لا.. لا.. أنت مش فاهم.. ليا كانت بالنسبة مش حب.. كانت
مجرد فرصة.. هي بنت حلوة ومشاعرها عملية.. وأنا كنت
محتاج فرصة أقرب من أبوها..

اتسعت عينا ياسين بغضب:

- أنت مين؟.. أنت إزاي بقيت كده!..

هز ماجد كتفه بسخرية:

- أسأل أبوك..

لم يجبه ياسين لم يملك إجابة تصف ما بداخله..

أراد قول الكثير والكثير ولكن حضور هاشم قطع حوارهما

المبتور وهو يتوجه لياسين هاتفاً بسرعة:

- ياسين.. ممكن كلمتين على السريع؟..

ربت ماجد على كتف ياسين وهو يتحرك نحو باب الخروج

هامساً:

- عمري ما فكرت إنها واحدة بواحدة.. كان كل تفكيري إني

أوفر لك ولو واحد في المية من راحة أنت محتاجها.. هستنى

أشوفك في كتب كتاب بلسم..

ألقى كلماته وخرج مسرعاً ترافقه نظرات ياسين الحائرة..

وإن كانت زيارة ماجد بعثرت ما يحاول ياسين جاهداً ملمته من
واجهه هادئة..

فكلمات هاشم المترددة قضت على البقية من تماسك ياسين
الهش...

الأنى ذلك المخلوق الهش برقة.. الضعيف باحتواء.. العاطفي
ليكتمل به كيان الرجل..

تلك التي يطالب الجميع بإحاطتها بسياج تلو الآخر من الكبت
والمنع والحرمان من أبسط الحقوق بداع حمايتها من نفسها،
من عاطفتها التي تتحكم بها وتودي بها للضياع..

وهنا السؤال لم لا تكون تلك الأسيجة من الحب والاهتمام
والرعاية بدلاً من الكبت والمنع والإتهام الغير مبرر وتوقع
ارتكاب الخطيئة؟!..

لم لا يقدم الآباء الحب اللامشروط لبناتهم بدلاً من
استنزافهن عاطفياً؟..

دائمًا.. يحثونهن باستمرار لإثبات أنهن أجدى وأنفع من ولد قد
يحمل اللقب ومعه يجلب العار.. العار المتوقع دائماً من
الأنثى..

فبعقل مجتمعها ولدت الأنثى ناقصة ويجب عليها دائماً السعي
للاكمال.. بتحقيق سبق في تعليمها أو عملها..

وإن لم تستطع تثبت جدارتها بالحياة العملية، فلتنجب الابن..
لرجل آخر..

فكأنما كلمة أنثى لا تكفي.. فيجب إلحاقها بشيء يدعمها..

أنثى وطبيبة... أنثى ومهندسة.. أنثى ومعلمة..

أنثى وأم فلان..

ذلك هو مفهوم مجتمع بأكمله أو نسبة كبيرة منه عن المرأة..
مجتمع والدها هو جزء لا يتجزأ منه.. وسعاد بنظر والدها
فشلت.. فشلت أن تكون أنثى و..

فبقيت أنثى فقط.. حمل وعِباء هو يجب أن يتحملة حتى
يجد من يرفعه عن كاهله..

فالصغيرة لم تكن لها رغبة بدراسة الطب كأخيها ولا الصيدلة
كشقيقتها.. بل هي تعشق اللغات.. تتقنها بسرعة وبراعة تحسد
عليها..

مهاراتها باللغات الإنجليزية والفرنسية.. واستعدادها النهم
لتعلم الألمانية والإيطالية دفع مدرستها في أولى سنواتها
بالمرحلة الثانوية لتوجيها لدراسة تلك اللغات..

وكأنما فتحت لها بابًا من نور.. فسعاد كانت هائمة لا تعلم
لها توجه أو هواية.. وقررت الصغيرة الاكتفاء من دراسة
الأحياء والفيزياء المملة ووجهت اهتمامها للمواد الأدبية ولم

يرضَ والدها برغبتها، بل وأجبرها على دراسة المواد العلمية
التي تكرهها بشدة..

فأنهت دراستها الثانوية بمجموع يسد الرمق بالكاد والتحقت
بكلية الآداب قسم اللغة الفرنسية محملة بنظرات الخيبة من
والدها، والتي تتحول نظراته بسرعة الضوء للفخر والاهتمام

بـ بلسم.. فهي حققت رغبته بدخول كلية الصيدلة..

بل وتقدم لها ابن عمته طالبًا لإقتران بها..

بالنهاية وفي عرف والدها أثبتت بلسم أنها أنثى و.. صيدلانية
وبطريقها للزواج والإنجاب لتصبح أم فلان..

ولكن سعاد ما هي إلا خيبة أمل.. فهي أنثى فقط..

وبوسط صراع سعاد المستميت لتصبح في عيني والدها
مخلوق كامل متكامل؛ فهي أنهت سنتها الأولى بكلية بتقدير
جيد جداً ومعه المركز الأول على دفعتها..

إلا أن ذلك لم يشفع لها.. فهي لم تحقق له بعد هدفه.. لقب
يلحق باسمها يعلن به فخره ومباهاته بها..

وظهر لها أمير.. فارس الأحلام.. من أبدى لها تقديراً.. اهتماماً..
سرعان ما أعلنه حباً..

كان يملأ فراغاً ما بداخلها.. يشعرها أنها يكفي أن تكون معه
سعاد فقط ليمنحها حبه واهتمامه..

وهي منحت بدورها.. منحت ومنحت.. حتى استنفذت..
استهلكت..

والآن هو يطالب بالمزيد.. المزيد الذي لا يمكنها منحه..
فخضوعها لا يعني نهايتها فقط.. بل دمار شقيقتها فالأحمق
يظنها وبلسم واحد..

يعتقد أنها كانت تتلاعب به من البداية متخفية خلف
الشخصية التي عرفها بها..

"Bless de ana"

فكانت تدعو نفسها بليس.. وهو بعد محاولاته المستميتة

للكشف عن هويتها.. ربط أخيراً بينها وبين بلسم..

يظن أن الحساب الشخصي باسم بلسم حافظ برهام هو

حسابها الذي تظهر به أمام عائلتها وأصدقائها..

والآخر ما هو إلا طعم تصطاد به الأصدقاء من شاكلته..

بينما هو لا يعلم أنها ساذجة حد الغباء لتتورط معه بحسابها

الشخصي والشخصي جداً..

فهي كانت تبحث بإنهاك عن تقدير ومشاعر إنسانية..

عن حالة حب تجعلها أنثى وحبيبة.. كخطوة لتكون أنثى

وزوجة.. فتنال الرضى من والدها..

والآن بعد أن زالت غشاوة اندفاعها نحو فارسها المزيف..

الآن بعدما أدركت أنها أصبحت أنثى ومنتهكة.. أنثى وخاضعة..

الآن وهي تعلم أنها ستدفع ثمن ما أرادته من اكتمال بنظر

الجميع لتتحول لشبه كائن..

مخلوق نقص منه كرامته وكبريائه..

الآن تبتهل بشدة أن يرضى الحقير ببضعة آلاف من الجنيات

حصلت عليها من بيع مصوغاتها.. ولا تعلم كيف ستبرر

اختفائهم..

ولكنها لن تفكر الآن بذلك.. فكل ما يهمها هو موافقته وابتعاده

عنها..

موافقة سرعان ما جاءتها برسالة على "الواتس أب"..

مرفقة برقم حساب لتضع به الأموال..

تلك كانت موافقته على تأجيل حضورها لشقته..

ذلك ما أخبرها به بتشفٍ على شاشة الحاسوب وهو يأمرها
بصلف أن تخلع ملابسها.. له.. ولأصدقائه..

وتلك كانت وسيلته لإخبارها أنها أصبحت دمية العرض
خاصته.. ورفاقه..

وما زالت تدفع الثمن..

دلف لمنزله بهدوء.. خطواته متثاقلة..

أنفاسه تتعثر بين جنبات صدره.. رعشة بيده لم يمر بها إلا
مرة واحدة بحياته..

تقدم عدة خطوات بطيئة ليجد طعامه مغطى بمفرش أبيض
فوق المائدة..

وبلمحة تأملية بسيطة أدرك أن فجر تغلق عليها بابها؛ خائفة
أو غاضبة لا يعلم!..

هو غير قادر على التعامل معها بتلك اللحظة..

تجاهل الطعام وأغلق عليه باب غرفته، ممدداً على فراشه
وأنامله تتلاعب كالعادة بمديته،

يشق بها هواء الغرفة من حوله.. وكلمات هاشم تتردد بعقله..
فاتحة نافذة واسعة على ماضي يهرب منه بكل لحظة ليفاجئه
باللحظة التالية بصفحة إفاقة مدوية تخبره ألا مهرب ولا
مفر..

"القط مات إمبارح يا ياسين"..

بضعة كلمات ألقاها هاشم متردداً، عالماً بتأثيرها المزلزل على
ياسين..

بضعة كلمات لم يتعدَ لفظها ثوانٍ ولكنها حفرت عميقاً بـماضٍ
أراد دفنه ولسذاجته المفرطة ظن أنه نجح..
بعمل جديد.. بيت جديد.. زوجة متفانية..

ولكنه أدرك مخادعته نفسه.. فقد كان ما سبق فقط فترة
خارج الزمن.. راحة.. أو وقت بدل ضائع.. لكنها أبداً لم تكن
النهاية..

فجئة الماضي المدفون لفظتها أرض الواقع تصرخ بقوة..
"يداك لوثت بدمائه حتى لو ظل حيًا.. فهو كان ميت/ حي.."
ويصرخ قلبه مرددًا..

"كان ثأراً.. ولم أستطع هدر دماء شريف.. يكفي أنه كان
الضحية ولكنه من دفع الثمن.."
شريف!..

عاد بذكرياته لأحداث تبدو الآن وكأنها على بعد سنوات
ضوئية، لكنها تضوي لامعة أمام عينيه..
تدفع عقله للغرق بها مستعيداً كل تفصيلا موجعة..

كان قد مر على وجوده بالسجن عام وبضعة أشهر عندما ظهر شريف بعنبر المحكومين؛ محامٍ شاب بمقتبل حياته يعمل في مكتب محامٍ كبير عُرف عنه قدرته على التلاعب بالخصم في قاعة المحكمة. وفي الخلفية دومًا أجاد تلاعبات أخرى، لذا عندما اختفت عدة شيكات تخص إحدى قضايا رجال الأعمال واتهم شريف ببيع الشيكات للخصم كان معروفًا للجميع من المتهم الحقيقي، ولكن القانون لا يعرف إلا الأدلة والبراهين.. وكلها تشير في النهاية إلى شريف..

وصل شريف للسجن بصبيحة يوم ما طروكأن دش الترحيب لا يكفي، لتشارك السحب أيضًا بما تحويه..

تقدم داخل العنبر بخطوات مترددة ذاهلة وكأنه لا يصدق تبدل موقعه من هاتفٍ مطالبٍ ببراءة هذا أو ذاك إلى مجرد سجين يحتاج بشدة لمن يصدق فقط براءته..

نظرات مستغيثة ضائعة تلك أول ما لاحظته ياسين، تشتت شريف بين عالمين؛ عالمه كرجل قانون سابق وواقعه الحالي كسجين يحمل على خلفية قميصه لقب "نزير" ..

نفس التشتت الذي عانى منه ياسين لأشهر حتى استطاع التأقلم على واقع كونه مسجوناً.. حبيس زنزانة وخاضع لأحكام القوة بتلك الزنزانة، وكانت القوة بيد "القط" ورجاله.. مجموعة رجال تحمل من الشراسة والقسوة ما يمكنها من التحكم والسطوة وفرض السيطرة على الجميع، وكان ياسين وقتها ملتزماً بنصيحة والده بالابتعاد عن المشاكل فخضع كما الجميع ملقياً للقط ببضعة مئات من الجنيهات شهرياً مُريحاً باله ومشترياً سلامته..

وقتها رأى ياسين بشريف رفيق، أو ربما صديق نقي داخل عالم العنبر الملوث والمدنس أحياناً بجرائم خفية لا تقال ولا تمر بالخيال حتى..

توطدت علاقتهما وعرف كلا منهما قصة الآخر واستمع ياسين لشهور طويلة لقصص شريف عن طفله القادم..

وإصرار زوجته على إطلاق اسم "شريف" على المولود لتعلنها قوية للجميع..

"أنا على يقين وثقة من براءة زوجي.. فهو شريف الاسم والطبع وسيكون ولدنا مثله طبعًا واسمًا"..

تأثر ياسين الشاب العاطفي وقتها كثيرًا بالعلاقة الرائعة بين الاثنين..

والتقى بزوجة شريف بإحدى الزيارات.. وازداد تقديره لتلك الزوجة الوفية الصابرة والمثابرة على حق زوجها..

وبينما كان ياسين يرى بـ شريف الصديق الشهم الوفي، كان للقط ورجاله رأيًا آخرًا؛ فشريف بوسامته اللافتة وملامحه التي تميل للملامح الأوروبية الناعمة؛ كان بنظر القط وسيلة متعة منحرفة اعتاد عليها هو وأمثاله..

وأوضح رغبته بصراحة فجة؛ هو لا يريد منه أموالاً مقابل الحماية، هو يريد ه هو وسيكون "تحت جناحه" كما أخبره بابتسامة صفراء لزجة..

وبسذاجة رفض شريف ما يُعرض عليه.. موضحاً بأنه "غير مهم" .. معتقداً أن تلك نهاية الموضوع.. متجاهلاً بحماقة ما سمعه وعرفه عن حياة السجون.. وعندما نهبه ياسين ليتوخي الحذر أخبره أن ما يراه على شاشة السينما هو محض خيال مؤلفينها..

ضرب ياسين فراشه بقبضة غاضبة، أراد الصراخ بل والبكاء.. لم لم يستمع إليه!.. لم كان بهذا الحمق، الغفلة ولم ينتبه للقادم!..

أخبر ياسين ببساطة مبكية أن القط أخذ منه الأموال ولم يعقب..

وبرغم تعرض شريف لعدة حوادث متتالية بعدها.. لم يهتم..
 وبرغم المضايقات والمناوشات لم يفكر بأن ما يحدث هو عقاب
 لرفضه إلا بعدما تعرضت يده لجرح نافذ كاد يؤدي بها تمامًا
 ومعه جاء التحذير أو لنقل التهديد..

"القط ما يتقالوش لا"..

وقتها تدخل ياسين بقوة.. ونفض عن روحه تخاذل اكتسبه
 بغية قضاء أيامه بسلام.. وانتفضت بداخله قوة متمردة
 ترفض التخلي عن صديق بمحنة..

وما لم يعرفه ياسين وقتها هو خشية "القط" منه، فقد كان
 يراه يتمتع بقوة جسدية وشخصية غامضة..

وظن بالبداية أنه قد يصارعه على السلطة ولكن بعد مضي
 الوقت أدرك بخبرته أن ياسين يسعى لتجنب المشاكل ولكنه
 أيضًا يمتلك لحظات غضب مجنونة قد تؤدي في لحظات
 بسمعة وسلطة اكتسبها "القط" على مدى سنوات..

تدخل ياسين منع الأذى عن شريف لفترة بسيطة، بعدها
تعددت المواجهات.. والشجارات..

وبدأت المناوشات تأخذ طابع الحدة والعنف..

وتحولت رغبة "القط" الشاذة بشريف إلى قضية سطوة
وسيطرة بينه وبين ياسين..

ليقرر بحسم أنه سينال من شريف بأي طريقة.. فقط إثباتاً
لسلطته على سائر المساجين..

وبعد عدة مواجهات أخرى صرح بها "القط" بفجاجة..

"هوصله يعني هوصله ومش هيمنعني عنه حتة واد طري
وواخد في نفسه قلم عشان متعلم وبتاع كليات"..

ولم يستطع القط التغلب على حماية ياسين لشريف إلا
بالحيلة، فدبر إحدى المشاجرات العنيفة واشتبك رجاله مع
ياسين وبعض من انضم له من المساجين وكان ذلك تحت

مرأى من حراس السجن، والنتيجة المتوقعة والتي خطط لها
 "معاطي القط" ببراعة هي إبعاد ياسين بحبس انفرادي لمدة
 أسبوعين..

وباليوم الأول لغياب ياسين اقتنص "القط" شريف بسهولة،
 فهو كان ضعيف البنية ولا خبرة له بخبايا الدفاع
 عن النفس..

وبرغم مقاومته المستميتة إلا أنه لم يملك أمام جبروت
 "القط" ورجاله إلا الخضوع..

خضوع مهين كسربه مقومات إنسانيته قبل رجولته التي
 أهينت وامتهنت عشرات المرات فقد حوله "القط" إلى مجرد
 أداة متعة يرضي بها رغباته المنحرفة..

وكأنه ينتقم لكل مرة واجهه بها ياسين دفاعاً عن شريف، لكل
 لكمة أو جرح أصيب به هو أو رجاله في حرب كان ظاهرها
 إرضاء رغبة شاذة وباطنها فرض سيطرة وقوة..

مر الأسبوعان ليخرج ياسين ويفاجأ بشريف وكأنه تحول
 لشبح.. طيف مشوه.. وجثة متحركة يحركها "القط" بإشارة
 من إصبعه..

نظراته الكسيرة لم يستطع ياسين نسيانها وهو يراه يتبع
 الحقير كعبد ذليل.. وكأن القط يتباهى بانتصاره على ياسين
 باستعراض تملكه لعبد جديد..

ثار ياسين بجنون.. غضبه طال الجميع وأولهم شريف الذي
 رمقه بنظرة جامدة.. تحمل الكثير.. انعدام الحيلة.. الضعف..
 القهر وكره النفس..

حاول ياسين بشتى الطرق دفع روح العزيمة والمقاومة بدماء
 شريف فكانت النتيجة ضرب مبرح تعرض له المسكين وعاد
 للخضوع بعدها وهو يرمق ياسين بنظرات يأس موجعة..
 مر شهر وأخر.. وغضب ياسين يتفاقم.. ومع غضبه تزداد
 محاولاته لإنقاذ صديقه من براثن "القط".. ولكن مع معرفة

شريف بخبر الشطب النهائي من نقابة المحامين زاد استسلامه للضعف.. ورفض كل محاولات زوجته لرؤيته.. سواء بالزيارات الشهرية أو حتى في زيارة خاصة..

عاش شريف تلك الأيام كخيال بلا روح.. أنفاسه فقط هي ما تدل على استمراره بالحياة.. هزل جسده.. وضعفت صحته وتحولت ملامحه الهادئة الوسيمة لأخرى متهالكة.. مجهدة.. وأحياناً مشوهة بفعل ضربات "القط" ورجاله..

ابتعد عن ياسين.. بل عن الجميع.. واكتفى باحتلال ركن صغير بالعنبر ينزوي به دائماً عن الكل.. وكأنه ينسحب ببطء من الحياة..

لم تفلح كل محاولات ياسين معه.. ولم يستطع اختراق الحاجز الصلد الذي احتمى شريف به عن الجميع..

كان يتصرف كألة نزعت منها أدوات تحكمها لتصبح بيد سيد
العنبر كما كان يلقب نفسه.. لا يبدي أي انفعال أو مشاركة
فيما يحدث حوله..

فقط يتبع "القط" عندما يرمقه بنظرة أصبح يميزها تمامًا..
يختفي عدة دقائق ويعود لركنه منزويًا بملكوته وضائعاً بعقله
عما يحيط به..

فقد رغبته بالطعام.. ولولا بضع لقيمات يجبره ياسين على
ابتلاعها لمات جوعًا..

فقد رغبته بالحياة.. فكان يلمحه ياسين كثيرًا وعلى وجهه تلك
النظرة الفارغة.. وكأن تم تفرغته من نكهة الوجود..

ظل شريف غائبًا متباعدًا ممتنعًا عن التفاعل مع الجميع..
حتى جاءت اللحظة القاصمة لشريف والتي قضت على بقاياها
ببشاعة.. وذلك حين بدأ رجال "القط" بتأنيث اسمه..

لحظتها ارتجف جفناه بانفعال مكتوم.. وعلت وجهه ملامح غير

مفهومة.. انتفاضة.. أو ارتجافة.. لم يفهم ياسين..

ولكن خواء نظرات شريف أربه..

وفي موعد الزيارة التالية.. التقى شريف بزوجه والتي كانت

اصطحبت طفلهما الصغير_بعمره الذي لم يتجاوز عدة

أشهر_ رغبة منها في دفع شريف للموافقة على رؤيتها..

ولم تكن تعلم أن شريف كان قرر بالفعل مقابلتها..

أو بمعنى أدق توديعها..

تلك النظرة التي رمقها بها.. ثم انتقل بعدها ليتأمل صغيره..

رافضاً بقوة أن يحمله بين ذراعيه.. وكأنه يخشى أن يدنسه..

نظرة وداعه زوجته طاردت ياسين بقسوة ل تمنعه من الراحة ..

من النوم.. فقد كان يجب أن يدرك.. أن يستوعب كنه نظرة

شريف وما تخفيه..

فكأنه أراد بنظراته تلك استيعاب كل ملمح وتفصيلا بوجه
زوجته..

تلك الدمعة التي برقت سريعاً بعينيه وهو يرمق صغيره كأنه
يعتذر منه لغيابه الأبدي..

اتسعت وقتها عينا شريف لتستوعبا النظر لحبيبيه؛ الزوجة
والابن وكأنه يحاول رؤيتهما بالمستقبل..
وحدهما.. بدونه..

لم يكمل شريف وقت الزيارة وانتفض فجأة طالباً من الحارس
إعادته للعنبر تحت نظرات زوجته المذهولة..

ونظرات ياسين القلقة.. ليته استجاب لحدسه ولحق بشريف
ذلك اليوم.. ليته فعل.. لربما أقنعه بالعدول عن الرحيل..

نعم.. رحل شريف.. للأبد.. فبعد انتهاء وقت الزيارة عاد ياسين
للعنبر.. ولم يجد شريف به..

وقتها ظن بغضب أنه بصحبة ذلك المأفون.. ولكن ما هي إلا

دقائق.. لينتشر الخبر..

لقد انتحر شريف..

ودع زوجته وابنه وعاد ليزهق روحه متعلقًا بحبل لم يدرِ

ياسين من أين حصل عليه..

رحل جسده بعدما قتلت روحه مئات المرات..

رحل شريف ومعه رحل ياسين ابن الحاج برهام..

ليظهر ياسين نزيل عنابر السجن..

رحل شريف ومعه رحلت براءة ياسين..

انتهى الفصل

الفصل السادس عشر

يومان مرا والثالث كاد أن يرافقهما وهو يتبنى حالة من
الصمت والانعزال التام؛ يرحل لعمله من بكرة الصباح ولا
يعود إلا قرب منتصف الليل..

يقضي نهاره بأكمله في الورشة.. وبالمنزل يعتزل الحياة داخل
صومعته المغلقة..

ملامحه مغلقة كغرفته لا تنبئ عما يدور بداخله..

فقط تلك النظرة الغامضة التي تلتصق في عينيه بين الحين
والآخر وتسبب لها الهلع..

تشعر وكأنه يتلاشى من بين يديها وهي لا تعلم سبباً لتغييره،
بالبداية ظننته غاضباً منها ويسعى لعقابها.. ولكن مع استمرار
فترة انعزاله أدركت ببساطة أن الأمر أكبر من مجرد قبلة غير
مكتملة..

"زيارة أخوه" ..

همستها لنفسها وهي تذكر نفسها أن ذلك الانقلاب بأحواله
كان عقب تلك الزيارة..

فهما كانا بأحسن حال حتى ظهور ذلك الأخ الذي اقترن ذكره
في عقلها بصورة الشقراء المبهرجة والتي خرجت من ورشته
باكية..

برمت شفقتها وهي تهمس..

"ما فيش حاجة تيجي من الغرب وتسر القلب"..

أنهت إعداد العشاء والذي تعده كل ليلة لتكتشف بصباح

اليوم التالي أنه لم يقربه..

حسناً.. انتهى وقت ادعائها الغضب منه، وحان وقت

التصرف.. لن تختفي بغرفتها كالليلتين السابقتين، بل

ستنتظره.. ستواجهه.. أو على الأقل ستحاول..

وعند منتصف الليل دلف لداخل المنزل ليفاجئ بها جالسة في

انتظاره..

وبدا على ملامحها معالم القلق الممزج بغضب مكتوم..

حياها بهمس:

- مساء الخير يا فجر..

ولم ينتظرردها بل توجه لغرفته مباشرة، ليجدها تعترض
طريقه وتمنعه من دخول غرفته متسائلة:

- مش هتتعشى يا سي ياسين؟..

هز رأسه نافياً:

- لا.. أنا هنام على طول..

حاول أن يتخطاها ولكنها التصقت بباب غرفته المغلق..

تفرد ذراعها على إطاري الباب وهي تهتف بتردد:

- بس العشا جاهز..

مسح وجهه بإرهاق:

- ماليش نفس يا فجر.. بس..

قاطعته وهي تضغط بكفيها على إطاري الباب وتهتف بقوة

وكأنها تخشى أن تنتظر لحظة فتجبن عن المواجهة:

- قولي فيك إيه.. أنت مش طبيعي بقى لك يومين..

صاح بها بقوة:

- فجر!!..

أراد اسكاتها فهو لا يحتمل مزيدًا من الجدل..

ولكنها بالمثل لم تعد تحتمل الصمت والانعزال..

ليس بعد تلك الأيام التي زاد بها تقاربهما ليشعرها بالفعل

أنها زوجة ذات كيان

وأهمية بحياته..

تركت إطاري الباب لتحط يداها على صدره تتمسك به

بقوة هاتفة:

- مش هسيبك ومش هبعد إلا لما تقولي فيك إيه..

أولاها ظهره وهو يبتعد عنها هاتفًا بعذاب:

- تعبان شوية ومحتاج أكون لوحدى..

دارت من حوله لتواجهه:

-الوحدة عذاب يا سي ياسين.. خليني جانبك..

أغمض عينيه بألم:

- همي ثقيل وأنت مالكيش ذنب..

هتفت بسرعة:

- هشيله معاك.. بس ما تعملش في نفسك كده..

همس بحزن وضمير مثقل:

- يا ريت كان ينفع يا فجر.. في هموم ما نفعلش تتقسم على

اتنين..

لم تعرف ماذا تفعل.. هو يتسرب من بين أصابعها وكأنه
سرابًا.. ترى الألم يطحن أعماقه وتعجز عن مد يد المساعدة..
فقط لو تعرف ما به.. لو تجد وسيلة لمنحه راحة البال..

يخبرها أنه بحاجة للنوم..

وهي لا تكذبه فهو يبدو كمن هجره النوم للأبد..

همست تتساءل:

- لسه محتاج فلوس؟.. ممكن نبيع عربية الكبد..

هز رأسه بتقدير:

- أنتِ أصيلة قوي يا فجر..

انفجرت بالبكاء وهي تندفع نحوه لتفاجئه بضمه قوية

وتهتف وسط دموعها:

- أنا خايفة عليك قوي يا سي ياسين..

تجمد متفاجئاً من حركتها المباغثة ليسمع همسها المتوسل:

- قولي أساعدك إزاي؟.. أعمل إيه يريحك؟..

شعر بيديها تزداد تمسكاً بميصه ودموعها تنهمر على صدره

وصوتها يتوسله السماح لتسكن أعماقه..

وهو كان بحاجة إلى حنانها وفطرتها البريئة.. إلى لمسة إنسانية

بسيطة تخرجه من ظلمة سجنه..

رفعها بين ذراعيه ليستقرا على الأريكة ملقياً برأسه على

حجرها ومنكمشاً بوضع الجنين وذراعيه تعتقل خصرها

بشدة..

ومن وسط ذهولها سمعت همسه:

- اتكلمي يا فجر.. عايز أسمع صوتك..

شهقت بقوة تبتلع دموعها وتثرثر بكل ما يمر بذهنها..

يخبرها حدسها أنه بحاجة لراحة يجليها صوتها..

بحاجة لنوم بلا كوابيس.. لاطمئنان لا تعلم أين ومتى افتقده..

وكم كانت على حق.. فهو أغمض عينيه ليستغرق بنوم هادئ

لم يعرفه منذ زيارة هاشم..

راحة اكتشفها ورأسه يستوطن حجرها فلا يحتاج لوجود

مديته ليغمض عينيه بلا خوف..

تعقلت عيناه لا إرادياً بوجه جاد وهو يعمل بجدية شديدة؛

تعاهد حاجبيه وتساقطت قطرات عرقه ليمسحها بظهر يده

بلامبالاة ويكمل عمله بمنتهى الجدية والنشاط...

جاد شاب طيب.. هذا حكمه المبدئي عليه ولم يغيره،

واضح ومستقيم ولا غبار على خلقه أو ضميره..

تساؤلاته حول سبب احتياجه للعمل أجابها فجر بإحدى
الأمسيات وهي تقص عليه آخر تحرياتها حول الشاب وما
عرفته عنه؛

والداه موظفان أبسط من البساطة ويمتلك عدة أشقاء..
يدرس ويعمل بنفس الوقت منذ عدة سنوات..

ليس بهدف توفير مصاريف دراسته، ولكن ليحقق حلمه..
وحلمه يتمثل ب"آية".. فتاة صغيرة رقيقة الملامح وتصغره
بسنتين كاملتين.. جارته وصديقة شقيقته ورفيقة الطفولة..
ليكبرا وتتحول الرفيقة لحبيبة.. ويقرر الصبي السعي بقوة
لتكون له.. وبداية طريقه كان العمل.. والمزيد من العمل..
لا يدري لم أصابته قصة جاد بغصّة مريرة..

وكانه عاد سنوات بالزمن ليرى ياسين الشاب اليافع وهو
يتعمد إهدار عام من حياته ليظل بجوار فتاة أحلامه كما كان
يعتقد..

ظل يراقب جاد لعدة دقائق أخرى وبعدها استدعاه عند
مكتبه بمقدمة الورشة..

لم يعرف بم سيخبره.. لكنه قرر إسدائه النصح بأي طريقة..

- تعالى اقعد يا جاد..

ارتبك الشاب قليلاً وهو يردد:

- خيرا يا بوص.. شغلي في مشكلة؟..

هز ياسين رأسه نفيًا:

- لا بالعكس.. شغلك زي الفل..

ازداد ارتباك جاد ليكمل ياسين:

- أنا ملاحظ أنك شاب مجتهد وجد جدًا وطموح.. وعائز

الطموح ده يكون لك أنت مش لحد تاني.. فاهمني؟..

توسعت عينا جاد للحظات وهو يستوعب نصيحة ياسين
المسترة..

ثم قرر أن أقصر الطرق هو المستقيم.. فسأل ياسين مباشرة:

- حضرتك تقصد موضوع خطوبتي؟..

رفع ياسين حاجبه تعجبًا:

- أنت خاطب فعلاً؟..

جذب الحوار انتباه معتصم ليتقدم منهما مرهفًا سمعه..

بينما أجاب جاد بثقة:

- قرينا فاتحة أول السنة.. والحمد لله معايا تمن الشبكة..

سأله ياسين:

-مش شايف أنه سنك صغير عشان تقرر قرار خطير زي ده؟..

بينما تردد صوت معتصم ساخرًا:

- هتضيع شقى عمرك عشان واحدة!..

التفت جاد بغضب نحو معتصم وهو يهتف بعنف:

- معتصم!.. ما اسمحلكش..

ثم التفت لياسين:

- ممكن حضرتك تشوف أن سني صغير، لكن قرار ارتباطي

ب "آية" قرار نهائي ومصيري.. ليه أضيع يوم واحد بعيد عنها..

لما ممكن أقضيه معاها!..

همس معتصم بصوت مكتوم:

- Idiot

ارتفع صوت ياسين تلك المرة:

- بتقول حاجة يا معتصم!..

رفع معتصم حاجبيه وهو يقول بجرأة:

- بقوله يبقى غبي اللي يثق في مخلوقات قدرة زي دي!

شهو جاد بعجب بينما رمقه ياسين بترقب..

لم يغفل عن لفظه لكلمة "أبله" .. بالإنجليزية، بل وبلكنة

أمريكية تشبه لكنة "ليا" ..

كما لم يغفل عن الكره والإزدراء بصوته والموجه كلياً للنساء..

أم هو لامرأة بعينها؟..

صرفهما لعملهما وهو يزداد حيرة حول معتصم ذلك اللغز

الذي اقتحم حياته.. ويثير فضوله يوماً بعد يوم.. ولا يدري هل

يرى بغموضه وخلفيته الراقية ظل لياسين القديم..

أم هو فقط يهرب من ذكريات ماضيه الموجعة..

كل ما يدركه أن جاد يعيش أحلامه.. ومعتصم يحيي ماضيه..

قبل أن يبتعد معتصم أوقفه ياسين متسائلاً عن مكان إقامته
ليجبه الشاب ببساطة أن المعلم صالح يسمح له بالمبيت
بالمقهى..

أوماً ياسين بصمت ثم حذر معتصم بشدة ألا يزعج جاد
بكلمات تهين حبيبته أو تزعجه..

جلست فجر بين سعاد وبلسم تستمع لثرثرتهما بينما تنعم
ياسين بأحضان آمنة تنصت لأخباره وتحاول جاهدة كشف
سبب حزنه الخفي، تشعر به يحاول إخفاء ألمه عنها ولكنه لا
يعلم أنها تفهمه من نظرة واحدة..

أخبرها أن توتره يرجع لقلقه حول لقاء فجر الأول بوالده..
ولكنها تشعر بالأمر أكبر من ذلك..

وقررت أن تنتظر حتى يخبرها بنفسه فهي تعرفه خير معرفة،
لن يتفوه بكلمة إلا برغبته وحين يكون مستعداً..

راقب ياسين انسجام فجر مع شقيقاته..

لا ينكر نجاحها في كسر أي حواجز نشأت نتيجة زواجهما
السريع، حتى بلسم تعجز عن تبني دور الأخت الغيورة..

ولا تملك أمام عفويتها إلا الاندماج معها..

فقط يتمنى أن يمر لقاءها بوالده على خير..

دخلت رقية الغرفة تحمل بسنت على كتفها وخلفها ابنتها

ياسمين..

وبعد تبادل التحية والسلام سألتها ياسين بتعجب:

- أومال حاتم فين؟..

أجابته بارتباك:

-حاتم مش هيقدر يحضر.. عنده دورة تدريبية بره مصر

وما عرفش ينزل..

وقبل أن يعاود السؤال قفزت وهي تسحب فجر:

- تعالي فرجيني فستانك.. البنات هيجننوني عليه..

قفزت الفتيات وبلسم تردد:

- أيوه.. يا دوب نبداً نستعد للحنة..

صفقت سعاد بجذل:

- هتبقى ليلة وaaaaاو...

- احمممم.. السلام عليكم..

تجمد المشهد تمامًا عندما دلف الحاج حافظ إلى المنزل

بهدوء ملقيًا التحية على الجميع ونظراته معلقة بياسين

الذي قفز ما إن سمع صوته ليجذب فجر نحوه ويحيط كتفها

بذراعه في إشارة حماية واضحة لم تخف عن والده..

تأملها حافظ بصمت.. سمراء، عادية، قصيرة للغاية.. تلف
رأسها بوشاح كريمي يتناسب مع ثوب شبيه لأثواب بسلم..

عاد يكرر بصمت "عادية".. إلا ربما من تلك النظرة التي

ترمق بها ياسين بين الحين والآخر..

وكأنها تخبره أن العالم يبدأ وينتهي عنده..

حسنًا.. هذا مطمئن بعض الشيء..

هز رأسه في تحية صامتة قبل أن يتركهم متوجهًا لغرفته

تحت أنظار آمنة الغاضبة وفجر الذاهلة والتي رفعت عينها

لياسين لتلمح نظرات توقع حزيمة أغلق عليها جفناه

وهو يزيد من ضغط كفه على كتفها..

التفت فجأة لرقية:

- معلش يا رقية.. فجر تفرجك الفستان بعدين.. أنا هدخل

ارتاح شوية..

اصطحب فجر للغرفته القديمة.. ووصل لأسماعه همس

رقية المتذمر:

- هو بابا هيفضل يتعامل معاه بالطريقة دي على طول؟..

زجرتها آمنة بحزم:

- رقية!.. مش وقته الكلام ده..

ثم التفتت لتوأميها:

- يلا.. شوفوا إيه اللي ناقصكوا.. العصر قرب يادن.. وأنتِ يا

رقية حصليني على المطبخ..

تمدد ياسين على فراشه وأمامه على الأريكة الصغيرة تربعت
فجرت تأمل ملامحه المنقبضة بحزن..

كعادته يغطي عينيه بذراعه.. يحاول كبت انفعالاته

والتحكم بغضبه كما تعلم في سنواته السابقة..

يتحسس جيب بنطاله بحثاً عن مديته، ليتذكر طلب أمانة

الحازم بالأيدخل مديته لمنزلها أبدأ..

تباً كيف سيتمكن من النوم ليلتين كاملتين!..

انتبه على صوت فجر الهامس:

- سي ياسين؟..

رفع ذراعه من فوق عينيه ليرمقها بتساؤل..

فسألته بنفس الصوت الهامس:

- والدك..

قالت الكلمة لتغرق بالصمت.. وفهم هو ما تحاول قوله:

- موقف والدي مالوش علاقة بجوازنا.. خلافي معاه عمره
سنين..

هزت رأسها بعدم تصديق:

- سنين!.. بقى لكوا سنين مقاطعين بعض!..

زفر بحنق وهو يهتف منهياً النقاش:

- ده موضوع قديم.. أنا هنام شوية.. ابقى صحيني على
المغرب..

قطبت حاجبها غاضبة من حالة الإنغلاق التي يغرق بها كلما

حاولت الاستفسار عن ماضيه أو عائلته..

ظلت ساكنة للحظات..

ثم قفزت من فوق الأريكة تخبره بسرعة:

- أنا هروح أساعد خالتي أم ياسين..

وفي مطبخ أمنة قضت فجر أسعد لحظاتها منذ وطأت

قدمها منزل حافظ برهام..

فرضت سيطرتها بسرعة وسهولة.. وخضع الجميع لخبرتها

ومهاراتها الواضحة..

وزعت المهام بدقة وحزم على رقية وصباح وابنة شقيقتها التي

جاءت خصيصاً للمساعدة..

طلبت من أمنة برقة الجلوس ومتابعة الجميع..

كانت تتحرك في المطبخ كمايسترو محترف وجد قاعة المسرح

المفضلة وأمنة ترمقها بفرحة وفخروهي ترى كنتها سيدة شابة

يعتمد عليها..

دلفت للمطبخ "هادية" عمة ياسين بتلك اللحظة ووقفت
للحظات تتأمل فجر التي انهمكت بالعمل والثثرة مع رقية
وصباح..

ألقت هادية تحية عابرة وهي توجه سؤالها لآمنة:

- جهزتوا كل حاجة؟.. الرجالة وصلوا كلهم تحت.. والمأذون
هيجي بعد العشا..

تبرمت رقية بغیظ:

- مش فاهمة إيه لازمة نكتب الليلة.. ونعمل الإشهار بكره!..
الناس كلها فاهمة أن النهارده الحنة وبكره كتب الكتاب..

أجابتها فجر بعفوية:

-كده أحسن يا رقية.. عشان العين والحسد.. ربنا يحميمهم
ويتمم لهم بخير..

صاحت هادية بصلف موجبة كلماتها لفجر:

- وأنتِ مالكِ تدخلِي في اللي مالكيش فيه ليه!

هتفتِ أمانة:

- هادية.. فجر تبقى مرات ياسين..

عادت هادية تحرك عينها على فجر باستهانة:

- مراته!.. طيب مش تنهيني يا أمانة وأنا اللي افكرتها

خدامة جديدة..

التفتت فجر نحوها بسرعة لتلمح كراهيتها واضحة بعينها..

ارتعد جسدها بنفور فوري وهي تفكر..

"الست دي بتكره سي ياسين" ..

وتعجبت كيف ستعامل بلسم مع تلك المرأة!..

بل كيف تنجب ولداً يكون جديراً برقيقة كبلسم!!..

انتهت فجر على صيحة أمانة الغاضبة:

- هادية!!..

هتفت فجر بنبرة حانية:

- ما تاخديش في بالك يا خالتي.. اللي ما يعرفك يجهلك..

هتفت هادية بسماجة:

- إيه خالتي دي!..

والتفتت لأمنة تكمل سماجتها:

- هو جاها منين دي يا أمنة!.. صحيح هنتظر إيه من رد

السجون!!..

تجمد الموقف تمامًا؛ رقية تشعر بحق متزايد لم ترغب أن

تعلم فجر ماضي ياسين بتلك الطريقة،

وأمنة عصف بها غضب شديد حاولت التحكم به؛ تعلم مركز

هادية المميز بقلب حافظ..

ولا تريد افتعال شجار معها فستكون الخاسرة لا محالة

والآن هناك بلسم لتفكر بها أيضاً..

أما هادية فابتسمت بشماتة وهي تراقب انفعالات الجميع
وأخروهم فجر التي لم تستطع كبح ذهولها ولكنها لم تكن لتمنح
تلك المرأة فرصة لتشمت بها وبزوجها فابتلعت المعلومة التي
اخترقت أذنيها كطلقات الرصاص..

تلك المعلومة تفسر الكثير والكثير من غموضه وغموض
ماضيه..

سألت نفسها بقلق..

"تفرق معاك يا فجر؟"

لتجيب بسرعة..

"لا.. ما أعرفش"

حقًا هي لا تعلم كيف ستؤثر تلك المعلومة عليها أو على علاقتها
 بياسين ولكنها تثق بشيء واحد لن تدع تلك الحيزبون
 تنتشي بفعاليتها..

لذا هتفت بذهول لم تبذل الكثير لتفتعله فهي ما زالت غارقة
 به:

-الي يسمع كلامك يا خالتي أم فاروق ما يقولش إن
 حضرتك أم العريس.. هيفكر والعياذ بالله.. أنك واحدة
 قاصدة تخربي الليلة..

ومع شهقة هادية المذهولة وضحكات رقية وصباح المكتومة..
 مسحت فجر يديها وهي تخبرهم برزانة:

- بالإذن يا خالتي عشان أصحي.. سي ياسين..

خيم الصمت على الجميع ما عدا سعاد التي استمعت لكلمات
 هادية الشامته ورد فجر الصاعق..

لتهتف بتسليية:

- واتكي على السين!.

"بارك الله لهما وبارك عليهما وجمع بينهما في الخير"

تعالت الزغاريد مع آخر كلمات المأذون الذي أنهى عمله

وألقى التحية على حافظ بمودة وهو يؤكد على موعد الإشهار

في المسجد باليوم التالي..

بينما كان ياسين يرقب فاروق بإحساس مجهول، مرتبك..

ينتابه عدم ارتياح مزعج وإحساس سيئ نحو تلك الزيجة،

ولكن الجميع يشعر بالفرحة..

بلسم فرحتها وخجلها ترافقا جنبًا إلى جنب وهو يأخذ منها

الوكالة،

والدته تطفو في سعادتها الخاصة،

والده يرمق فاروق بفخر وتقدير..

يبدو أنه الوحيد المتشائم هنا.. وبعد جولة بصرية سريعة..

لمح ماجد وهو يئنّ فاروق.. لتتسع ابتسامته..

كلا.. هو ليس الوحيد.. فيبدو أن الجراح البارع يمارس

تقنيات الجراحة على يد فاروق..

ظل منزويًا بجلسته بعيداً عن الجميع.. يراقب محاولات أبيه

الخفية لتجنب إلتقاء النظرات..

ومحاولات زوج عمته الواضحة لتهميشه.. محاولات وصلت

للإعترض على كونه أحد الشهود ليحسم والده الأمر بأن تلك

رغبة العروس وهو لن يرد لها طلباً..

لم يعقب ولم يتجاوب مع أي مضايقات أو حتى ترحيبات

زائفة..

لم يرغب بأي تفاعل أياً كان نوعه.. يكفيه الصداع الذي
يفتك برأسه بلا رحمة..

فهو لم يستطع النوم بعيداً عن مديته.. وبديل راحته الآخر
كانت تمارس هوايتها في مطبخ والدته..

حسناً.. تحمل يا ياسين.. فقط ليلتين من أجل عيون بلسم..
جلس ماجد بجانبه وهو يرمقه بقلق:

- ياسين!..

أدرك ياسين كم التساؤلات التي تموج بأعماق شقيقه
وخرجت كلها بلفظه لاسمه فقط..

فربت على ركبته بهدوء:

- كل حاجة هتاخذ وقتها يا ماجد.. الزمن هيعالج حاجات
كثير..

همس ماجد:

- نورت بيتك يا ياسين..

ليجبه ياسين بواقعية:

- بيتي هناك في الحارة..

انتهت ليلة الحنة الصاخبة وودعت بلسم صديقاتها على وعد

بالعودة في اليوم التالي لحضور حفل عقد القران..

وأخذت تتأمل نقوش الحنة على يديها بإعجاب وهي تهتف

بسعاد:

- الست بتاعة الحنة فنانة بجد..

قطبت فجر حاجبها بغیظ لتتعالى ضحكة رقية وتغمزها:

- مكشرة ليه يا فجر!..

أشارت لنقش الحنة أعلى كتفها الأيسر من الخلف وهي

تصيح بغضب:

- أنا أصلاً غلطانة اللي طاواعتكم..

فتحت بلسم حاسوبها المحمول وبدأت تعبث بأزراره وتقول

لفجر بحالمية:

- حد يزعل أن اسم حبيبه يتنقش على جلده!

برمت فجر شفيتها بغیظ:

- أنتِ فايقة ورايقة يا بلسم!..

وتعود رقية لتشاغها:

- أنا لازم أسأل ياسين على رأيه في التاتو بتاعك بكره..

انطلقت ضحكات الفتيات بينما قفزت فجر من بينهم

غاضبة:

-أنا هروح أنام.. ورانا الصبح شغل كثير

ليصاحبها تعليق رقية الوقح:

- لا بكره هندسيك تاخدي راحتك..

برمت شفيتها بغيظ هامسة..

"صحيح اللي ما يعرفش يقول عدس" ..

التفت سعاد لبلم تشاغيها:

- آه هنبدأ حكايات الشات مع زوجك العزيز!

وكزتها بلسم في كتفها بغيظ:

- هو أصلاً خرج مع أصحابه بيحتفلوا به..

قطبت سعاد حاجبها متسائلة:

- أومال بتعملي إيه على الزفت ده!..

وحشرت رأسها بين يد بلسم وشاشة الحاسوب لترى ما قامت
به بلسم للتو..

لقد عدلت من حالتها الاجتماعية..

Engaged to: فاروق برهام

دلفت فجر جهدوء لغرفة ياسين بعد أن تمكنت من ارتداء
منامتها في دوره المياه حيث تمكنت من إخفائها بها قبل حضور
أصدقاء بلسم وسعاد..

تسللت على رؤوس أصابعها وهي تتأمل جسده الملتف
بالغطاء على الفراش..

رمقت الأريكة بحزن.. وهي تهمس..

"منها وإليها نعود"..

لتنفض فجأة على همسته الحانقة وهو يعتدل بالفراش:

- كنت فين كل ده!..

ارتدت للخلف خطوة واحدة مع الإضاءة الخافتة التي احتلت

الغرفة لتلمح نظرتة السريعة على منامتها المحتشمة للغاية

حتى أنه لم يستطع كبت تعليقه:

- أنتِ أخذتِ قميص الحاجة آمنة ولا إيه!..

هزت رأسها بصمت وهي تفرق بحيرة مرتبكة.. فمن ناحية

لم تمتلك الوقت لتفكر في كلمات عمته الحيزبون..

وتأثير معرفتها لماضيه على مستقبلها معه، ومن ناحية أخرى..

هي معه وحدهما.. وبملايس النوم..

ووحدهما.. تباً.. وحدهما بغرفة مغلقة!..

اتجهت للأريكة بألية لتفترشها حين أوقفها ندائه:

- أنا هنام على الكنبه.. تعالي أنتِ على السرير..

التفت له رافعة حاجب متعجب فأجاب بسرعة وقد فهم

ما يجول بذهنها:

- طالما في باب مقفول، أنا ممكن أنام في أي حته.. إن شالله

على الحيطه..

قطبت جبينها بعدم فهم، فأشاح بيده ليصرفها عن الموضوع:

- ما تاخديش في بالك!..

هزت كتفها وهي تخبره:

- الكنبه صغيرة عليك يا سي ياسين.. وأنا متعودة عليها..

هز رأسه رافضاً وهو ينهض من الفراش:

- لا.. أنتِ تعبانة طول النهار وبكره يوم طويل..

قاطعته بغیظ تريده أن يعود ليلتف بالأغطية ثانية:

- ما تطولهاش وهي قصيرة.. أنا هنام على الكنبه وخلص..

رفع حاجبيه بعدم فهم.. فزفرت بغیظ:

- روح نام يا سي ياسين وسيبني أنام..

واستلقت على الأريكة وهي توليه ظهرها وتحاول جاهدة التحكم بأنفاسها حتى لا تطلق تنهيدة ارتياح وهي تسمعه يستلقي على الفراش ثم يطفئ المصباح بجانبه فيعم الظلام التام.. ومهمس:

- تصبجي على خير يا فجر..

مرت خمس دقائق.. تلتها خمس أخرى.. وأخرى..

لتمر ساعة كاملة وهو يحاول النوم بلا فائدة..

الصداع يقتله أماً.. وجسده بحاجة للنوم والراحة..

وهو عاجز عن إغماض عينيه.. يحتاج لأمانه.. لمديته..

حاول استدعاء النوم بكل السبل بلا فائدة..

وأخيراً نفض عنه غطاءه وتوجه نحو أريكة فجر التي
استيقظت بفرح وهو يحملها إلى فراشه ويمددها مفترشاً
حجرها كما اعتاد وهامساً لها بصوت متلهف:
- إرغي يا فجر.. عايز أسمع صوتك..

انتهى الفصل

الفصل السابع عشر

شاردة.. حاملة.. هائمة وحائرة..

تسبح بذكريات ليلتها الماضية، على شفقتها ترتسم ابتسامة
خجول يبرزها احمرار وجنتها الملفت..

تغمض عينيها لثوانٍ تتسع فيهم ابتسامتها ثم تفتحهما ثانية
لتمثل بهما معاني السعادة والتي ربما لم تعرف مثلها من
قبل..

وبذهنها تتردد جملته..

"صوتك يريحني يا فجر فيه دفا غريب" ..

أخبرها بذلك ليلة أمس ورأسه تستريح على بطنها بأمان..

وقبل أن تفكر بمعاني جملته فاجأها بابتسامة شقية ونظرة
عابثة توازي كلمات ألقاها ببراءة مزيفة..

"يا سلام بس لو كنا في بيتنا!" ..

رفعت حاجبها بعجب وهي عاجزة عن مجارة تقلباته
المزاجية..

فعند دخولها الغرفة بدا حانقًا ومنغلقًا على ذاته كحالها في
الأيام الأخيرة ثم فوجئت به يمددها بفراشه طالباً منها
محاورته ليهداً مزاجه وتسترخي عضلاته المنقبضة وينقلب
الارتياح لدفاء يعقبه مزاج عابث وغير برئ بالمرّة..

قد تكون معدومة الخبرة ولكنها تستطيع تمييز الحميمية
الممتزجة بالعبث في صوته والتي رافقها اشتداد ذراعيه حول
خصرها معاودًا طلبه..

"احكي في أي حاجة يلا"..

كادت الكلمات تتدافع على لسانها تسأله عن صحة كلمات
عمته ولكن لمحة بسيطة لملاحه المستكينة وعينيها المغلقة
بارتياح، حركته البسيطة بتقريب رأسه منها لجمت لسانها على
الفور وهي تعيد على نفسها سؤال مكرر

"هتفرق معاكِ يا فجر؟.."

لتأتيها الاجابة مرة ثانية ومؤكدة وتلك المرة كانت نابعة من

العقل

"لا مش هتفرق أبداً" ..

فياسين زوجها؛ الرجل المهذب المراعي لها والمحافظ على

كرامتها حتى أمام أقرب أقربائه، ليس بمجرم..

ياسين من حافظ عليها وأدخلها منزله ومنحها اسمه وحمائته

بلا تردد ليس بقاتل أو مغتصب..

قد يكون دخل السجن عن طريق الخطأ.. ألم يقولوا دائماً..

"ياما في الحبس مظالم" ..

لابد أنه واحد من أولئك المظلومين..

هي أصبحت تعرفه جيداً، تدرك الطيبة والرقّة المختفية
بأعماقه رغم مظهره القاسي.. وحتى لو لم يكن بريئاً مظلوماً
وقتها.. قد يكون أخطأ فحوكم وعوقب وانتهى الأمر..

مَن هي لتحاسبه!.. وتضاعف عقوبته.. حتى لو كان جانياً في
زمن ما، فذلك الرجل الذي يتشبث بوجودها.. براحة يمنحها
له صوتها.. بدفء يستشعره باقترابه منها وتوسد حجرها..
ذلك الرجل، بل الطفل القلق بداخله لا يمكن أن يكون
مجرماً..

هي تثق بحدسها.. وهو يخبرها أن تصمت ولا تسأل رغم حُرقة
الفضول إلا أن إشباعه لا يستحق الشرخ الذي سيصدع
علاقتها الوليدة بزوجها..

وهي لن ترغب بجرحه أبداً حتى لو تلوت فضولاً لمعرفة
ماضيه..

هي فقط تثق بأنه سيخبرها بالوقت الذي يناسبه....

قاطع أفكارها همسه باسمها..

"فجر!.."

أخفضت بصرها نحوه لتقابلها عيناه بلونهما الغريب،

شردت بهما ثوانٍ قبل أن تهمس بدورها..

"أيوه يا سي ياسين.. معلش سرحت شوية.. لسه عايزني

أرغي؟" ..

همس بصوت سمعته بالكاد..

"إذا كان عليا أنا عاوز كثير" ..

توسعت عينها بذهول وتدافعت الدماء لوجهها وهي تفسر

كلماته لتدرك أنه ما زال بمزاجه العبيثي..

همست بسرعة لتحول دفة الحوار..

"الحاجة هادية هتبقى حماه صعبة قوي لبلمس.. قلبي بيقتولي

كده"

أغمض عينيه بقوة..

"فاروق عارف إيه اللي ممكن يحصله لوزعل بلسم".

وقبل أن تتفوه بكلمة قاطعها بسرعة..

"بلاش سيرة عمتي على الليل.. أنا مزاجي حلو ومش عايز

أعكره"..

تأكدت فجر من إحساسها السابق بانعدام الود بين ياسين

وعمته.. فسارعت لتغيير الموضوع ثانية..

"أخبار الشباب في الورشة إيه؟"..

رفع حاجبًا واحدًا وهو يتمتم بعبث..

"يعني لوحدنا لأول مرة في أوضة مقفولة وسرير واحد

وبتسألني على الشباب!.. أنت عايزة تنولي الشهادة!!"..

وبرغم وجهها المتورد إلا أن ضحكتها الخجولة انطلقت

بالرغم من محاولتها كتبها وتساءلت بحيرة..

"طيب أعمل إيه!"

ارتفع بجسده مرتكزاً على مرفقه ليقترّب بوجهه من وجهها

يتأمل وجهها هادئ القسمات والمتورد بفتنة، عينها

اللامعتين بحيرة قبل أن تخفيهما بأهداب لم يلحظ طولها

من قبل..

فيميل برأسه ليقبل عينها المغلقتين مستشعراً رجفتها

المصدومة وهامساً بصوت مختنق بالعاطفة..

"أقسم بالله لو اتكلمتِ يا فجر لا كسرلك مناخيرك اللي

بتعشقيها دي" ..

وضاع اعتراضها بين شفتيه...

عادت لواقعها على هتاف رقية المتسلي

وهي تراها تتحسس شفيتها للمرة المائة منذ دخلت عليها
المطبخ لتجدها واقفة أمام الحوض تجلي ما تكوم به من
أطباق تراكمت من الأمس بمنتهى الهمة والنشاط وعلى وجهها
ابتسامة حمقاء..

تتحول شيئاً فشيئاً للبلاهة.. وعندما لاحظت حركتها المتكررة
بمس شفيتها لم تستطع منع نفسها من السؤال بعبث:
- فجر.. يا ااا فجر.. أنتِ روحِ فين؟..

وحركت حاجبيها بشقاوة وفجر تلتفت لها بوجه محتقن
خجلاً:

- واضح أن التاتو عجب سي ياسين امبارح..

شهقت فجر بقوة وهي تضرب صدرها بيدها هاتفة:

- والله ما شافه..

جاء الدور على رقية لتشهق هي بتعجب:

- يا خيبتك يا فجر!..

دخل ياسين بتلك اللحظة ليستمع لجملة رقية الأخيرة
فيتساءل بحيرة:

- في إيه يا رقية؟..

التفت رقية نحوه وهي تهتف بسرعة عندما لمحت نظرة الذعر
على وجه فجر:

- ما فيش يا ياسين.. ده أنا كنت بلوم فجر عشان صحيت
بدري وبتخلص المواعين.. كانت أخذت راحتها وسابتهم لصباح..

رمقها بنظرة متشككة فهربت من عينيه بسرعة متعذرة
بالذهاب لبلسم..

بينما هو خطى ببطء ناحية فجر التي التفتت بسرعة متظاهرة
بانغماسها الكلي بجلي الأطباق ومد ذراعيه حولها مستندًا
بهما إلى جانبي الحوض وملتصقًا بها من الخلف هامسًا

بجوار أذنها:

- كده برضوه.. ما فيش صباح الخير!..

رددت بصوت هامس:

- صباح الخير..

زاد من التصاقه بها وشعرت بأنفاسه تتردد بأذنها وهو يكمل

بعث:

- بس كده..

كاد الطبق أن ينزلق من بين يديها وهي تشعر بمحاصرة

ذراعيه لها..

فما كان منه إلا أن التقط الطبق المسكين من بين أصابعها

ففي غسلته للمرة الخامسة تقريباً وأدارها بين ذراعيه

فأخفضت بصرها أرضاً على الفور هرباً من نظراته المتألقة:

- سبي طبق آمنة في حاله.. هي بتحب أطباقها زي ما أنتِ
بتحي مناخيرك..

ظلت محافظة على مراقبة الأرض بينما هو يرفع ذقنها برقة
مقترباً منها بخطورة:

- صباح الخير يا فجر..

قبلة خفيفة على أنفها جعلتها تنتفض هامسة:

- إحنا في المطبخ يا سي ياسين..

أصقها به بذراع والآخر أمسك به ذقنها المصرة على
الانخفاض:

- كلمهم نايمين لسه وأنا عايز أصبح زي الناس..

حاولت التملص منه هامسة:

- رقية هنا.. و..

قاطع كلماتها بلمسة خفيفة لشفيتها جعلتها تشهق مبتعدة:

- يا لهوي.. أنت بتصبح طول الليل.. هتفضحننا..

قالت كلمتها ثم سارعت بوضع كفها على شفيتها بقوة..

متى أصبحت بتلك الوقاحة!..

رفعت نظراتها نحوه لتلمح ابتسامته العابثة وهو يتأمل خجلها

الامتزج برعب أن يتم ضبطها وزوجها يغازلها بالمطبخ ببیت

العائلة!..

يدرك أنها محقة.. هو يفقد سيطرته بسهولة..

وكيف يمكنه ألا يفعل وقد عرف إحساسه بها مستلقية بين

ذراعيه تتلقى قبلاته وتتعلم كيف تبادله إياها..

إحساس يريد تكراره والتشبع به للأبد..

ليست متعة لحظية فحسب بل هي نشوى السكنى.. حياة

مكتملة يريد لها بشدة..

إدراكه أنه كان يحيطها بذراعيه بينما هي تحتضنه بداخل
قلبيها؛ شعور يعلم عن يقين أنه لن يكتفي منه أبد الدهر..

عادت تهمس وهي تبتعد عن محيط ذراعيه بسرعة:

- هجهز لك الفطار عشان تلحق تروح تطل على الورشة
وترجع بدري..

أوقف هروبها متسائلاً بغیظ:

- بتوزعيني يا فجر؟..

ثم بعناد خالص:

- طيب مش همشي إلا اما أصبح زي ما أنا عايز..

كادت أن تبكي حرجاً وخوفاً من عودة رقية أو استيقاظ أحد
سكان المنزل..

همست بهلع:

- رقية هنا.. وبعدين لو أخوك الدكتور دخل و..

قاطعها:

- ماجد عنده نبطشية وهيرجع على الحفلة.. والحاج حافظ

ما بيجيش ناحية المطبخ.. أنا مش ممكن أعرضك لموقف

مخرج يا فجر..

رفعت عينين تحملان نظرة امتنان وفخر خالصة:

- طيب.. نروح الأوضة..

ضحك بقوة ثم أهداها غمزة وقحة:

- كده يبقى هنتفضح بجد!

أمسكت وجنتها الساختين بقبضتها وهي تسأله بعجز:

- أنت إيه اللي جرى لك!..

اقترب طابعاً قبلة سريعة على شفتها:

- أما نروح بيتنا هقولك..

أخفضت بصرها فعاد ليرفع ذقنها متسائلاً بعبث:

- أما أرجع عايز أفهم موضوع التاتوده إيه..

ورحل تاركاً إياها غارقة بين موجات خجل وخوف وحيرة
وسعادة..

مشاعر مختلطة هائجة تعرفها مجتمعة للمرة الأولى؛ خجل
فتاة نالت قبلتها الأولى،

خوف مشروع من مجهول لا تعلمه ولكنها تستشعره بقوة..

حيرة مبررة تمامًا.. فهو لم يصرح بمشاعره نحوها..

كل هذا لا يمحي سعادتها الوليدة بإحساس رائع لم تعرف به
إلا بقربه..

حدس غامض يخبرها أنها أثيرة وغالية على قلبه.. قد يكون
حدس.. أو ربما هي أمنية..

تترقب مرور الساعات بلهفة امرأة تشتاق لزوجها..
وتنتظر حفل بلسم بشوق طفلة تختبر زيارتها الأولى لمدينة
الألعاب..

فهي للمرة الأولى تكون ذات صلة بالعروس.. لأول مرة
تستشعر جو العائلة ودفئها..

لأول مرة سترتدي ثوبًا ملكًا لها..

رفضت بحسم الذهاب مع شقيقات زوجها إلى خبيرة
التجميل.. واكتفت بطلب مرتبك ومتردد لرقيه أن تساعد
بوضع زينة وجهها.. وهو ما وافقت عليه رقيه بسعادة..

مر النهار سريعًا بين انهماكها بمساعدة صباح وأمنة في المطبخ،
وبين استغراق أفكارها الكلي بتطور علاقتها بياسين الذي عاد
من عمله بالورشة مع غروب الشمس..

ورغم الإرهاق الواضح على ملامحه إلا أنه أبدل ملابسه
سريعاً لقميص أسود وبنطال كلاسيكي من نفس اللون منحه
مظهرًا غامضًا ومختلفًا عما اعتادته فجر والتي تجمدت
ملامحها على نظرة انبهار خالصة لاحظها سريعاً وهو يخضع
لأمنة،

فيجلس أمام المائدة الخشبية بالمطبخ بينما لسان أمنة لا
يكف عن ترديد الدعوات وبضع آيات قرآنية بغرض تحصينه
ضد الحسد..

فهتف بها:

- حسد إيه بس يا حاجة!.. صلي على النبي بس وتعالى ارتاحي..

جلست أمنة بجواره تسعد أمومتها بوجوده أمامها ومشاركته

طعامه كما اعتادت بزمن ولي..

والتفت لفجر تسألها بتعجب:

-إيه يا فجر يا بنتي!.. واقفة عندك وساكتة ليه.. تعالي سلمي

على جوزك وحطي له ياكل..

تورد وجه فجر خجلاً من ملاحظة حماتها.. وانتفضت من

جمودها هاتفة:

-حمد لله على السلامة يا سي ياسين..

غمزته السريعة والتي لم تلاحظها آمنة وكلماته التي أدركت

معناها تماماً ليتحول لونها للقرمزي تحت نظرات آمنة

المتعجبة..

فهو يكرر جملته الصباحية عندما شاكسها مطالباً بقبلة:

- بس كده!..

سألها آمنة بتعجب:

-مالك يا فجر؟.. وشك ماله يا بنتي.. أنتِ أكيد تعبتِ.. روعي

بقى يا دوب تلحقي تجهزي وهبعتك رقية تساعدك..

هزت رأسها موافقة وتحركت بسرعة مرتبكة بسبب مراقبته
الصامتة لها؛ لا تعلم أن صمته ما هو إلا محاولة لاستدعاء
سيطرة، وهو يحاول تفسير ارتباكها وتباعدها عنه لا يدرك أنها
خجلت من اظهار اعجابها واهتمامها أمام والدته...

وفي غرفته القديمة وضعت رقية لمسائها الأخيرة على زينة وجه
فجر.. متعمدة إبراز جمال عينيها ورموشها الطويلة.. فهي
مدركة بأن ظهور فجر الليلة لأول مرة وسط العائلة والأقارب
يجب أن يكون مهراً ولائقاً بها كزوجة للابن الأكبر للعائلة..
وقفت تتأملها بإعجاب بعد ما انتهت من عملها بينما فجر
كانت تنظر لتلك المرأة التي تطالعها بالمرأة بانهاركلي متممة
بذهول:

- دي أنا!!!.. صحيح لبس البوصة تبقى عروسة.

ضحكت رقية وهي تقترب لتضع لمسة أخيرة من طلاء الشفاه:

- أنتِ فظيعة!.. بوصة إيه بس.. أنتِ زي القمر يا بنتي..
ولعلمك أنا مش مزودة الميك أب.. لمسات بسيطة بس.. الأصل
هو الغالب يا مرات اخويا..

ابتسمت فجر بسعادة بينما اغرورقت عيناها بدموع عجزت
عن كبحها فصرخت بها رقية:

- اوعي.. اوعي تعيطي.. يلا قومي هاتي فستانك..

ارتدت فجر ثوبها بسرعة ووقفت تراقب مظهرها بالمرآة بذهول
حينما وصلتها شهقة رقية العالية..

التفتت لها والذنب يطل من عينيها:

- بلسم وسعاد قالوا أنه حلو عليا ومضبوط..

والثوب كان رائعًا بالفعل.. لون نبيذي داكن، حمالة واحدة
تحيط بالعنق يلتحم بجسدها حتى الخصر وينتهي بطبقات
ناعمة من الشيفون تكاد تظهر ساقمها.. ثوب الأحلام.. هذا ما

صاحت به فجر عندما رأته.. لكن ما لم تحسب حساباً له هو
قماش الثوب الناعم والذي التصق بمنحنيات الأثوية مبرزاً
ومفسراً اياها بوضوح..

ومع شهقة رقية المذهولة عادت فجر تردد:

- الفستان له تلبيسة من فوق هتغطي كثير..

ووسط نقاشهما المحتدم دلف ياسين للغرفة غضبه يسبقه،
فهو اضطر للانسحاب من أمام فاروق قبل أن يتهور ويفسد
فرحة شقيقته بلكمة مستحقة على وجه خطيها العزيز..
فبعد تعليقات فاروق المستفزة على عمل ياسين بالنجارة
ومدى أحقيته في بيت آمنة القديم وكيف يستحل حقوق
اشقائه في ذلك البيت.. كاد ياسين أن يفتك به أمام الجميع
ولولا سيطرة فولاذية على أعصابه لكان فعلها.. ولكنه أثر
الانسحاب حفاظاً على فرحة شقيقته وحتى لا يمنح الوغد
فرصة للتفوق عليه..

وإن كان دلف للغرفة غاضباً.. فما إن لمح مظهر فجر حتى

تقافزت أمامه شياطين الأانس والجن..

بل هو نفسه كان يتقافز مشتعلاً بغضب عاصف وصوته

يصدح صارخاً بها:

- إيه اللي هباب الي أنتِ عاملاه ده!..

انتفضت فجر وأسرعت بالاختباء خلف رقية التي حاولت

تهدئة ياسين:

- إيه يا ياسين.. استهدى بالله يا أخي.. لسه الفستان له باقية

و..

قاطعها بغضب وهو يجذب فجر المختفية خلف رقية ويشير

لثوبها الذي أثار جنونه وأخرجه عن عقله..

جرت نظراته على جسدها الذي جسد الثوب معاملة بدقة

وعاد يصرخ بها:

- أنتِ اتجننتِ يا فجر.. فستان ده ولا بدلة رقص..

كاد يقتلع خصلاته غضباً وحنقاً.. لقد خلعت كرة الشراب كل
طبقات الثياب..

جُنت لا شك بهذا!..

تمسك بذراعها صائحاً:

- اشتريتِ ده إزاي.. إزاي!!

ارتجفت شفاتها بضعف وتساقطت دموعها وهي تتلقى غضبه
المنفلت للمرة الأولى..

تشعر بقبضتيه تطحن عظام ذراعها وعيناه تبرقان بجنون
وشفتاه لا تكفان عن الصياح بوجهها..

بينما هو تغلب غضبه على حكمته للمرة الأولى منذ سنوات
وهو يتخيل النظرات التي ستلتهم جسدها وتتمعن بأنوثتها بلا
حق..

تدخلت رقية بينهما لتنتزع فجر من بين ذراعيه:

- ياسين القعدة كلها ستات.. ما فيش..

هتف ياسين مقاطعاً:

- رقية.. من فضلك بلاش تتدخلي..

والتفت لفجر:

- الزفت ده يتغير حالاً..

انتبه لدموعها المختلطة بالكحل الأسود الذي حددت رقية

به عينها ليقترب منها بخطوة جاذباً اياها وماحياً دموعها

بأصابعه:

- امسحي دموعك ونضفي وشك يا فجر.. بلاش الدوشة دي..

هتفت رقية بغضب:

- لا بقى يا ياسين.. فجر عروسة برضوه.. لازم تكون في أحسن
مظهر..

التفت ياسين لها:

-هي مش محتاجة فستان ملزق وألوان مالهاش داعي..

عاندته رقية:

-الناس..

صرخ بها وقد وصل غضبه لنهايته:

- يحرق الناس.. أنا من إمتى بيهمني الناس.. ولا فاكرة أني
هعرض جمال مراتي عليهم عشان أقولهم ياسين أهوه..
الفاشل ال...

قطع كلماته شهقة فجر المكتومة والمتوجعة..

أخفض بصره نحوها ليجد قبضته تضغط على ذراعها

بعنف لم تعد تتحملة، فأبعد يده سريعاً يتأمل آثار أصابعه
على ذراعها العاري، ليلمح علامات حمراء واضحة تعلن عن
قسوة تختبرها منه للمرة الأولى..

تمهد بغضب ولفها لتواجهه قائلاً بحسم:

- الفستان يتغير.. واعملي حسابك ساعة وهنروح.. ومش

عايز مناقشة.

خيم الصمت عليهما بطريق عودتهما؛ حاولت فجر بشدة أن
تتحكم بدموعها فتغلقت بصمت حزين.. بينما كان ياسين
يحاول الخروج من دائرة غضبه.. وقد أزعجه أن تتلقى فجر
ثورته الحانقة..

لم يرغب أن تتعرف على جانبه المظلم وخاصة في ذلك الوقت
وهما يحاولان الاقتراب والتفاهم على حياة طبيعية..

ولكنها استفزت جنونه بذلك الثوب.. كيف فكرت أن ترتديه
بالعلن!.. كيف ظنت أنه سيسمح لها بارتدائه!..

هي لا تعلم أن ثورة غضبه نالت سعاد.. ولولا وجود بلسم
بجوار خطيها السخيف لكان أسمعها أضعاف ما قاله لسعاد
التي بررت شراء الثوب برغبتها بإسعاد فجر التي انهبرت به
كطفلة صغيرة.. وأنه بالفعل كان رائعاً عليها..

وهو لا ينكر روعته.. ولكن تلك الروعة ملكه هو.. حق حصري
لعينيه وفقط..

ما إن وصلا للمنزل حتى اختفت فجر بغرفتها بدون كلمة
واحدة..

وتوجه هو ببطء لصومعته محاولاً ترتيب أفكاره..

هي حزينة.. أيقونة راحتها حزينة بسببه.. ما زالت كلمات

سعاد تتردد بأذنيه..

"فرحتها بالفيستان كانت ما تتقدرش.. حرام عليك يا ياسين..
الفيستان له تلبيسة واسعة كانت هتغطيها.. هي أصرت نشترها
يومها"..

هز رأسه بغضب.. غضب من نفسه تلك المرة..

فقد حرمها من الظهور بمظهر يسعددها كما أرادت..

فبالنهاية خضعت لمشيئته وخلعت الثوب لتمنحها رقية أحد
أثوابها_وكانت اشترته أثناء حملها الأخير_ ولحظها الحسن
ناسبها الثوب، بالطبع لم يكن بروعة الثوب الأصلي ولكنه
أفضل من ثوب نهاري بكل الأحوال..

بعد تردد قصير حسم أمره وقرر مرضتها.. ولن ينتظر
للصباح..

طريقة خفيفة على باب غرفتها فتح الباب بعدها ليجدها توليه
ظهرها ومكومة على فراشها بوضع الجنين ولم يحتج لكثير من
الذكاء ليدرك أنها كانت تبكي..

اقترب ببطء ليجاورها بفراشها.. يحتضنها برفق هامساً:

- أنا آسف..

ارتجف جسدها بقوة وهي تستمع لصوته الهامس وتدرك أنه
أتى معذراً ليسترضيها..

ولكنها كانت حزينة.. حزينة وغاضبة بشدة.. فلقد صرخ بها
أمام شقيقته.. وهذا أوجعها وبشدة..

أهانها بقوة ولن تسامحه أبداً

لم تستدر وظلت على وضعها الغاضب توليه ظهرها وتصدر
شهقات مكتومة فعاود هو همسه:

- زعلانة عشان غيران عليك!..

ولتذهب كل الاعتبارات للجحيم.. هو يصرح بغيرته وهي لا
يمكنها الاستمرار بتجاهله..

بلهاء.. هي لا تنكر ولكن كيف يمكنها التمسك بموقفها
الغاضب أمام همسته المؤكدة:

- أيوه بغير..

التفتت لتواجهه بعيون دامعة وهي تهمس:

- أنا كنت عاملة حسابي.. وعمري ما أعمل حاجة تضايقك

أو تزعلك مني..

قربها منه ليقبل أنفها الحبيبة لها:

- مش عايزك أنت تزعلي مني..

سقطت دموعها بلا إرادة منها فقبل عينها هامساً:

- الفستان حلو وأنا عارف أنك حبيتيه بس كان كاشفك يا
 فجر.. مش قلة ثقة فيكي ولا تقليل منك.. بس أنتِ ما
 تعرفيش النار اللي ولعت جوايا أما لقيت جسمك ظاهر كده..
 حمقاء هي.. تبخر غضبها منه بثلاث ثوان وقبلتين وها هي تبرر
 له موقفها وتراضيه:

- حقك عليا يا سي ياسين..

عاد يقبل عينها ثانية فهو اكتشف شغفه بلمس رموشها
 على شفثيه:

- إحنا ننسى الزعل..

اقترب منها أكثر ليمنح وجنتها قبلاته تلك المرة:

-ننسى الفستان والحفلة والدوشة دي..

تلك المرة كان يمنح شفثها قبلة ناعمة وهو يهمس:

-إحنا نرجع للصبح..

همست وعيناها ترمقه بنظرات ناعسة وكأنه أخضعها

لتنويم مغناطيسي:

-الصبح!..

وتلك المرة تعمقت قبلته أكثر وهو يمس بين شفتيها:

- نرجع نقول صباح الخير..

تعلقت بكتفيه وهي تبادله نظرات مشدوهة تائهة ليعاود
تقبيلها ثانية وقد تجرأت يداه تلك المرة لتشهق هي وتحاول
الابتعاد:

- ص..ص..باح إيه!!.. إحنا بالليل..

لم يجبها سوى بمهمة غير مفهومة جاذباً إياها بين ذراعيه
بلهفة أظهرت رغبته الواضحة لتحويل زواجهما إلى حقيقة..
لهفة ترجمها بهمسة ساخنة متسائلة:

- فجر!..

أدركت أنها لا يهمس باسمها فقط.. بل هو يطلب موافقتها..
يطلبها كزوجة فعلية بكل طريقة ممكنة..

همسته تكررت ثانية بإلحاح:

- فجر؟..

لتجبه نظرة عينها المستسلمة وذراعيها اللذين التفا حول
عنقه مانحة إياه قبلة خجول على وجنته..

ومعها موافقتها الصريحة لتكون له..

زوجته، سكنه.. فجر حياته الجديدة الذي ولد بين يديها..

بها ولها فقط..

ظلت رقية مستلقية بفراشها عدة ساعات.. تسترجع غضب
شقيقها العارم... غضب أخفى غيرة مضنية على زوجته
الغافلة..

تلك الساذجة كانت تبكي وتشهق بين يديها بعد مغادرته وهي
ترثي حالها.. وحرمانها من ثوبها الجديد..

ابتسمت رقية بحنان..

طفلة.. تزوج شقيقها بطفلة ذات أنوثة صارخة.. قد لا تكون
فاتنة أو جميلة بالمعنى المفهوم إلا أنها تمتلك روح دافئة
تمنحها جمال لا يضاهي..

تحولت بسمتها للعبث وهي تكمل.. وحنايا أنثوية تطير بصواب
أي رجل.. وشقيقها رجل ذاق شقاء الحياة ومرها ولم يعرف
حلاوتها بعد..

شدت الغطاء حولها وهي تهمس..

"أكيد شاف التاتو الليلة.. أنا تخطيطي ما يخيدش"..

ابتسامة شوق وحنين.. توق جارف لزوجها الغائب وهي
تسترجع ذكرى زواجها الثالث وكانت هديتها له نقش اسمه
فوق قلبها...

وكما توقعت ليلتها جن بها حتى أنه احتجزها بغرفتها بنهار
اليوم التالي..

تشتاقه بشدة وترغب برؤيته إلا أن نظام المصحة لا يمكنها من
ذلك..

ولولا وجود ماجد كوسيلة اتصال بينهما لفقدت عقلها قلقاً
وشوقاً..

مر اسبوعين فقط وهي تشتاقه بتلك الطريقة المضنية..

كيف ستتحمل الخمسة أشهر المقبلة!..

زوجة عمته لا تكف عن السؤال عنه.. كذلك عمته بدأت
ترمي كلمات مبطنة..

وهي صامدة.. لن تكشف سره.. ستنتظر حتى يعود وقد شفي

تماماً وتواجههم جميعاً..

فقط لتصبر تلك الشهور القادمة..

صوت خافت بالردهة أشعل خوفها فانتفضت بقوة.. ولكنها

حاولت طمأنة نفسها بأنه خارج الشقة..

أوربما واحد من أولادها يرغب بالذهاب إلى دورة المياه...

تكرر الصوت ثانية.. وتلك المرة لم يكن أمامها مفر.. قفزت

من فراشها تبحث عن أي شيء تواجهه بها أيًا من ستجده

بالخارج.. فلم تجد إلا زجاجة عطر فالتقطتها بسرعة عندما

شعرت باقتراب الصوت من غرفتها..

وفي اللحظة التي فتح بها باب الغرفة أفرغت ما تبقى من

العطر بوجه مهاجمها بعدة رشات متتابعة قبل أن تسمع

هتافه الغاضب:

- بس يا رقية.. أنا حاتم..

فتح عيناه ببطء لتطالعة فجر وهي تنام براحة ملقبة برأسها
على صدره وخصلاتها تنتشر حولها وذراعاها تحيط به
وكأنها تمنحه الراحة كما يمنحها الأمان..

تحرك بخفة لا يريد إزعاجها ويرغب بمنحها شيء مميز
بصباحها الأول كعروس..

ربما إفطار سريع بالفراش..

"زي بتوع الأفلام!"

هز رأسه مبتسماً بسعادة..

"بوظت دماغي يا فجر"..

عدل من وضع رأسها على الوسادة وطبع قبلة خفيفة على
شعرها..

أراد أن ينال قبلة من عينيها حبيبتيه..

لم يكف طوال الليل عن تقبيل عيونها ورموشها وهو يهمس
لها بعشقه لما تمنحه له تلك القبلة من إحساس...

ولكنه لم يرغب بإيقاظها قبل أن يقدم لها وجبة إفطارها

كما تستحق عروس شغوفة مثلها..

وقبل أن يخرج من الفراش لمحها..

اسمه المنقوش بالحناء أعلى كتفها..

اسمه المرسوم بحرفية بين شفتين مكتنزتين كأنهما يهمسان به
عند أقل حركة منها..

التصقت نظراته بالنقش الداكن وهو يتذكر همسات رقية
الضاحكة..

لقد نقشت فجر اسمه على جلدها..

لم يدر بنفسه إلا وشفته تعانق النقش أعلى كتفها
فاستيقظت بين ذراعيه وقبل أن تتفوه بكلمة عاجلها بقبلات
صغيرة لعينها ووجنتها وعاد لعينها ثانية هامساً بعث:

- حد يعمل تاتوب "سي ياسين"!!..

همست بعشق:

- ما هو أنت سي ياسين.. وسيد الناس كلها وتاج راسي..

عاد يقبل عينها بشغف تعجبت له.. لِمَ تعجبه عيناها بتلك
الطريقة!!..

لطالما ظنت أن أنفها هي الفاتنة.. ولم تعلم أنها همست
بسؤالها بصوت مسموع ليحيها وهو يداعب خصلاتها:

- عيونك حبايي..

همست بسعادة:

- بجد يا سي ياسين!..

- بجد يا عيون سي ياسين...

تحركت أنامله على ملامحه برقة.. وكأنها تستكشفه..

تتعرف عليه كزوج وحبیب.. وهو تركها تقترب منه بتلك

الطريقة مستمتعاً بلمساتها التي امتدت لجروح صدره

لتهمس بلا وعي:

-الجروح دي حصلت لك في السجن؟..

على الفور شعرت بتجمد جسده بين ذراعيها وعادت ملامحه

تكتسي بذلك القناع المغلق وارتسمت بعينيه نظرة غاضبة

جعلتها تهمس بسرعة:

- أنا.. أنا..

قاطعها وهو يبتعد عنها ويعتدل جالساً:

- أنتِ عرفتِ منين وإمتي؟..

هزت رأسها بياس وهي تعتدل بدورها:

- مش مهم.. الموضوع ده مش مهم..

ابتسم بسخرية:

- مش مهم أن جوزك سوابق؟..

أجابته بصدق:

- يا ريت كل الناس يكونوا سوابق لو كانوا زيك..

ضحك بسخرية وكأنه لا يصدقها فعادت تكرر بتأكيد:

- الحكاية دي ما تفرقش معايا..

تكررت بذهنه كلمات ليا له بأنها لا تهتم لماضيه..

فتولد بداخله غضب لم يعرف سببه ليسألها بعنف:

- إيه الماضي مش مهم عايزة تمحيه وتقنعي نفسك أنه مش

حقيقي

لم تعرف سبب غضبه.. وهو أيضاً..

هو يعلم أنه غاضب.. غاضب لأنها علمت ما يخفيه قبل أن

يخبرها هو..

غاضب بشدة فقد أراد أن يخبرها... ولكن وجودها بين ذراعيه

جعله ينسى ياسين ولم يتواجد إلا سي ياسين كما تراه هي..

بطلها وحارسها ومنقذها الشهم..

التفت على هتافها وهي تقترب تفسر.. وتوضح:

-الماضي واللي حصل فيه حتة منك يا سي ياسين.. ماضيك

واللي عيشته فيك هو اللي خلاني أقابل سي ياسين جوزي

وعزوتي وسندي.. إزاي هأنكره أو أرفضه..

توسعت عيناه بذهول وهو يسمع تفسيرها..

راحة تسري بأعماقه وهو يدرك أنها لا تلوم.. لا تعاتب ولا
تحاسب..

بل هي لا تتجاهل.. هي تقبله بكل ما به.. بكل أخطائه وزلاته..

يا الله.. أين كانت تلك المرأة منذ سنوات حين كاد أن يضيع
روحه بحثاً عن راحة بإنتقام؟..

أين كانت ووالده ينبذه وينكر عليه أبوته؟..

أين كانت وهو غارق بظلمات سجنه وذنبه؟..

اتكأ بظهره للخلف مستنداً على ظهر الفراش وسحبها بين
ذراعيه:

- تعالي يا فجر.. هكي لك على كل حاجة.. كان نفسي أقولك
قبل..

قاطعته بلمسة خفيفة على شفتيه.. فقبل أناملها بخفة
ليسرد عليها حكايته..

متجاهلاً بعض التفاصيل مثل دور ماجد بالقضية وحقيقة
 ما قام به القط نحو شريف مكثفياً بإخبارها أنه تعدى عليه
 مما تسبب بمقتل شريف..

لم يعرف إن كانت صدقته أم أدركت وحدها كنه التعدي
 فقد كانت دموعها تتساقط بلا توقف وجسدها يرتعد تأثراً
 بين ذراعيه..

وعندما بدأ يسرد لها معاناته بعدما أُعلن موت شريف ضمته
 بين ذراعيها وهي تقبض بأناملها على خصلاته تقرب رأسه من
 قلبها وكأنها تواسيه وتخرجه من تلك الذكريات بنفس
 الوقت...

"أعلنوا في السجن موت شريف.. وقتها ما شوفتش قدامي..
 الدنيا قدامي كانت أحمر بلون الدم وأسود بلون قلب الكلب
 معاطي.. اتصرفت بغباء وانفعال كالعادة.. غضبي اتحكم فيا..

وبمنتهى العنصرية روحاً واجهت القط وضربته.. ضربته
بجنون" ..

مدت يدها لتتمسك بقبضته مقبلة إياها ولكنه بدا غائباً
عنها...

"طبعاً رجالته ضربوني بغباوة.. علموا عليا زي ما بيقولوا
عشان أخاف وأبعد.. وانتهيت جسمي كله متدغدغ..

ومرمي في الإنفرادي.. أسبوعين.. أسبوعين كاملين كل ساعة
فيهم كنت بفكر وأخطط فيهم عشان أجيب حق شريف..
خططت ورسمت كل خطوة.. بعد ما عدوا الأسبوعين ومع أول
زيارة لما جد طلبت منه فرشاة أسنان من اللي إيدها بتكون
بلاستيك.. بس اللي شبه الإزاز ده"

حبست أنفاسها وهي تستمع لاعتراقاته..

"أسبوعين تانين عدوا وكنت فيهم براقب القط.. بأحفظ
تحركاته.. وفي نفس الوقت بأظبط إيد فرشاة الأسنان في ورشة
النجارة.. وظبطها بمبرد حتة حتة لحد ما حولتها لمشروط..
وجه وقت الحساب" ..

ارتعد جسده بشده فحاوطته بذراعها تدفن رأسه بعنقها
وتربت على وجنته باطمئنان هامة:

- خلاص يا سي ياسين.. أنا مش عايزة اعرف..

هز رأسه:

- بس أنا عايز أقول..

أكمل كلماته، بل هذيانه..

"كنت حفظت تحركاته زي ما قولتلك.. وحددت اللحظة اللي
بيكون فيها لوحدته بعيد عن عصابته" ..

طرق أصابعه بقوة..

"وكانت لحظة التنفيذ.. كنت عايز أعذبه بكل لحظة عذب شريف فيها.. ما كانتش أعرف أنه بيقلق مني.. هو شاف الوحش اللي جوايا قبل ما أنا أكتشفه.. استفردت به وطلعت السلاح وما حسيتش بنفسي غير وأنا بأضربه وأطعنه بجنون.. عينه.. بطنه.. ظهره.. كنت باضرب وبطعن وأنا مش في الدنيا.. نظرة القهر في عيون شريف هي اللي كانت قدامي.. نظرته وهو بيودع مراته وابنه كانت هي اللي بتحرك إيديا... ضربته.. ضربت ظلمه.. عدوانه.. قهر شريف.. عجزني عن مساعدته.. كنت عايز ابنه يمشي راسه مرفوع.. ضربت وضربت.."

زادت من ضم رأسه لصدرها فقد تحولت رجفة جسده لارتجاجة عنيفة وكأن الغرفة وقعت بحزام زلازل مركزه قلبه المحترق بذنبه..

"مش عارف فوقت إزاي.. لحظة مالهاش وصف كنت خلاص
 هغرز السلاح في قلبه.. أقضي عليه وعلى شره.. لكن ما
 اقدرتش.. ما عرفتش.. الوحش اختفى فجأة ورجع ياسين
 ابن أمنة يتحكم فيا.. يمنعني إني آخذ روحه.. بس بعد إيه..
 مهما عمل ابن أمنة، الوحش له السيادة.. حتى لو ما
 قتلتش.. اللي عملته فيه خلاه يترمي باقي عمره بلا حول ولا
 قوة في المستشفى.. اتحول من معاطي القط.. لمسخ وخيال
 بيتغذى بأنبوبة.. عاجز عن تحريك أي عضو منه إلا عيونه..
 الوحش اللي جوايا..

قطعت كلماته بأناملها وهي تهتف من وسط دموعها:
 - بالله عليك وحش إيه بس.. أنت ما قتلتش.. ياسين في
 لحظة صبحا واتحكم.. الإنسان الطيب والأصيل منعك تاخذ
 روح بني آدم..
 أكمل وكأنه لم يسمعها..

"بعدها طبعاً.. معاطي اتنقل المستشفى والحكاية كبرت
 واتحولت قضية.. بس في الوقت ده.. رجالة معاطي كانوا
 مصريين ينتقموا له.. اتعرضت لضرب ومحاولات قتل.. مش
 عارف عددها.. ربنا كان بيسترها معايا مش عارف إزاي.. لحد
 ما تقريباً حظي خالص أو يمكن آمنة نسيت يومها تدعي لي في
 الفجر.. اتجمعوا عليا كلهم.. في الحمام.. ضرب موت.. كانوا
 بيضربوني بجنون.. وكان معاهم سلاح.. طعنيتين أخذتهم واحدة
 جت غلط.. ضيعت ودني والتانية جت في رقبتى.. وعشان
 يخلصوا عليا من غير ما يتورطوا رموني وسط أكوام إزاز
 مكسور.. كانوا الحراس جايينها عشان تتلذق على سور
 السجن.. رموني وسابوني أنزف لحد ما أموت"

لم تتحمل تصور كلماته.. عجزت عن تخيلها كمشاهد في
 خيالها.. فأغرقت وجهه ورأسه بقبلات حنونة وكأنها تطمئنه
 أنها بجواره، تطمئن نفسها بأنه حي.. يتنفس بين ذراعيها..

أنه خرج من تلك المأساة بعدة جروح شوهت روحه قبل
جسده..

"زي ما بيقولوا عمر الشقي بقي.. قضيت في المستشفى شهر..
وقتها كان هاشم...

قاطعته مستفهمة:

- هاشم!!

-هاشم سيف الدين.. يبقى أخو مرات شريف في الرضاعة
وجدته تبقي أخت والدتها.. علاقته بشريف كانت قوية جداً..
وكان عارف أنه مظلوم.. وقت موت شريف كان لسه متخرج..
وكان عايز يجيب حق صاحبه وجوز أخته.. بس أنا سبقتة..
يوم ما فوقت في المستشفى لقيته في وشي.. وقالي اللي عملته
جميل طوقت به رقبتى لآخر يوم في عمري.. بعدها اتحكم عليا
واتنقلت سجن مشدد وهناك لقيت هاشم واحد من طباط
السجن.. هاشم استغل كل فرصة عشان يكون في نفس

السجن.. وهناك قدر يحميني من انتقام رجالة القط.. ما هي
عصابة كبيرة.. وكله بيقدم خدمة لكله.. بقيت أقضي النهار في
الورشة.. تحت عيونهم والليل كان في زنازة الإنفرادي عشان
ما حدش يغدر بيا.. عشان كده مش بعرف أنام إلا والأوضة
مقفولة عليا وما فيش فيها أي منفذ للضوء..

همست بارتجاف ومشهد أحد رجال ذلك القط يحاول قتله
والإنتقام منه:

- وهما لسه ممكن يأذوك دلوقتٍ؟..

-آخر سنتين.. هاشم اتنقل.. وقتها اتشاهدت وسيبتها على
الله.. في أول زيارة جالي وقالي إني بقيت في أمان.. هو ضامن
ده.. سألته عمل إيه.. ما قالش حاجة.. كل اللي قاله أن في أمر
وصل لرجالة القط من حد أكبر من القط نفسه.. وأني
دلوقت في أمان.. وفعلاً آخر سنتين في السجن ما حدش

اتعرض لي فيهم.. بس برضوه ما بقيتش أعرف أنام إلا في
الأوضة المقفولة..

صمت للحظات.. ثم زحف برأسه ليستقر على بطنها وهمس
باختناق:

- أنا تعبان يا فجر.. عايز أرتاح.. عايز أنام..

أحاطت جسده بذراعيها وبدأت تثرثر على الفور..

تعلم أنه يرتاح لسمع صوتها.. يطمئن بوجوده بين أحضانها
يستشعر سكنه وموطنه..

تكلمت وتكلمت..

عن حياتها.. طفولتها.. عن كل شيء وأي شيء.. فقط تركت
صوتها ينساب بأذنيه.. لتشعر أخيراً بارتخاء جسده وانتظام
أنفاسه...

نام ياسين..

ارتدت بلسم ثيابها بعجل.. فهي تأخرت بالفعل على موعد
محاضرتها الأولى.. اليوم طويل ومزدحم... محاضرات حتى
منتصف النهار.. يعقها عدة سكاشن عملية.. تباً لن تنتهي
قبل الثامنة.

مريومها سريعاً وودعت صديقاتها بعفويتها الطبيعية غافلة
عن عيون تراقبها منذ أسبوع كامل..
بالتحديد.. منذ اليوم التالي لعودتها للكلية بعد حفل عقد
قراستها..

يراقبها ويسجل مواعيدها وتحركاتها.. والليلة قرر أنه حان
الوقت ليضرب ضربته..

"إن ما عرفتك مين أميريا بلسم!.. أنا تلعي بيا وفي الآخر
تروحي تتلزيق بوحد قريبك" ..

همسها لنفسه بحقد وهو يلمحها تشير لسيارة أجرة..
 توقفت السيارة ليشكر حظه الحسن.. فزجاج السيارة كان
 داكناً يخفي من بداخله..
 الحظ يساعده أكثر مما ينبغي.. فقط عليه اختيار التوقيت
 المناسب..

وبالفعل تحرك ببطء وترقب حتى دلفت بلسم للسيارة
 واستقرت بمقعدها الخلفي.. ليشير بدوره للسائق الذي
 استجاب له، اعتلى المقعد الأمامي وما أن تحركت السيارة
 حتى التفت لبلمس بكلمة قوية على جانب فكها أفقدتها
 الوعي على الفور..

وقبل أن يتفوه السائق بكلمة كانت مديته تغرز بجانب الرجل
 وهو يمهمس بصوت مهدد:

- اطلع..

تردد السائق لثوانٍ.. فهتف به أمير بغضب أعمى وهو يزيد
من ضغط مديته حتى شعر الرجل بها تخترق قميصه بالفعل:

- اطلع.. وأما أخلصها هسيبك تدوقها..

تحرك الرجل بالسيارة على الفور.. بينما التفت أمير لبلمس

الغائبة عن الوعي:

- أخيراً اتقابلنا يا حي..

انتهى الفصل

الفصل الثامن عشر

الحيرة.. ذلك الشعور المزعج بالاضطراب، التردد.. عدم القدرة على اتخاذ قرار.. وربما العجز عن التفكير فيصبح الاستقرار على رأي هو محض محال..

ذلك الإزعاج.. الإضطراب يزداد أضعافاً إذا امتزجت الحيرة بالقلق.. فكل إنقباضة للقلب يرافقها ذلك الشعور الموجه بتوقع الأسوأ.. بانعدام الأمان.. بالتذبذب وعدم الاستقرار حتى أنه قد يتحول لألم جسدي قد لا يتحمله البعض.. وأمنة لم تكن لتتحمل ذلك الشعور المقيت باقتراب كارثة؛ ذلك الحدس الأمومي الصائب على مر التاريخ.. يخبرها وبإصرار، أن الأسوأ قادم.. ومع كل همسات فجر المطمئنة.. ودعوات رقية التي تدعي صلابة واهية.. أمنة تغرق بشك يصل ليقين أن ابنتها بخطر.. خطر مفزع.. خطر سينال من أسرتها التي نالت من أزمات الحياة ما يكفي ويزيد..

فمع تأخر بلسم الغير معتاد.. وهاتفها الذي ما لبث أن يردد الرسالة المقيمة بأن الهاتف مغلق أو غير متاح.. ازداد شعور أمنة بالقلق ليتحول بسهولة إلى هلع وهي تقوم بعدة اتصالات لتكتشف اختفاء ابنتها الكلي؛ فهي ليست مع خطيئها، ولم تذهب بزيارة لشقيقها وزوجته، وجميع صديقاتها وزميلاتها يؤكدن أنها ودعتن وكانت بطريقها لمنزلها..

إذاً.. أين بلسم؟.. أين اختفت؟..

والإجابة نظرة عاجزة وملامح منقبضة؛ بل الواقع أن الجميع يتهرب من الإجابة.. يتجنبون الإقرار بالواقع؛ الفتاة تعرضت للأذى..

لم يعد هناك مجال للتخمين.. ويتحول السؤال مع مرور الوقت عن مدى الأذى الذي أصابها ولأي حد وصل..

انهمك الجميع بالبحث.. بين بيوت الصديقات والزميلات..
 للمكتبات حول الجامعة.. حتى محلات بيع الثياب ومستلزمات
 الفتيات لم يتركوها..

هام ياسين بدراجته النارية مطارداً السيارات الأجرة بمختلف
 أنواعها حول الجامعة.. يستوقفها متسائلاً ومتأملاً..
 ودار ماجد بسيارته بين الشوارع والحواري والضيقة..
 والنتيجة واحدة... لا شيء.. ولا حتى طرف خيط يتمسكون
 به...

ويتغير مسار البحث من بيوت أصدقائها للمشافي وأقسام
 الشرطة؛

ماجد يتصل بكل صديق وزميل يعرفه باحثاً عنها بقوائم
 الحوادث..

وياسين يحرق هاتف هاشم اتصالات وتساؤلاته لا تنتهي..

وبالنهاية يصلان معاً للمنزل يحملان نفس الإجابة..

لا شيء..

أمنة تتماسك بمعجزة وهي تلتصق بالنافذة ولولا مساندة

رقية وفجر لها لانهارت ساقاها..

وشفتاها لا تكفان عن الابتهاال والدعاء..

حافظ تهالك بإحدى الزوايا وقد تضاعف عمره سنوات..

فاروق يهتف بغيظ عن منعه لها من الدراسة ولتكتفي

بدورها كزوجة..

وسعاد بغرفتها تكاد تفقد عقلها ذعراً.. عاجزة حتى عن

مواجهة نفسها بما ينبأها به عقلها..

لقد فعلها الحقير.. وأضاع شقيقتها ثمناً لجرمها..

كلا.. بل هي من أضاعتها..

هي الجريمة والمذنبه الأولى..

تتوالى اتصالاتها على هاتفه.. وتقابلها الرسالة الروتينية
القاتلة..

خيالها يصور مشاهد بشعة لبلسم وذلك الوغد ينتهكها
بأرض الواقع كما انتهكها هي مرات عبر الشاشة..

وصل تحملها للنهاية.. هي أضعف من أن تتحمل ذلك العبا
وحدها..

ستخبرهم وليكن ما يكون.. ستعترف بجرمها كاملاً ولو أنها
لا تعرف كيف سيفيد هذا في إنقاذ شقيقتها..

تحركت خارج غرفتها بنفس اللحظة التي تعالي بها جرس
الهاتف الخاص بياسين..

وسمعه يهتف بلهفة:

"أيوه يا هاشم.. عرفت مكانها؟"

وتتحول اللهفة إلى ذعر مكتوم.. وهلع يحاول التحكم به

"هنكون عندك حالاً" ..

يغلق هاتفه محاولاً التحكم بأعصابه.. برعشة يده وانقباض

ملامحه الذي ينبأ بكارثة..

هتاف آمنة لا يهدأ..

ووالده لأول مرة يوجه له كلمات مباشرة متسائلة عن مصير

المتغيبه..

ينعقد لسانه وتغيب الكلمات ويكتفي بهمهمة غامضة..

"حادثة بسيطة" ...

واختفى بلحظة يرافقه ماجد وفاروق..

تراقب العيون اختفائهم بنظرات ذاخرة بالقلق والتساؤلات..
وتوقع الأسوأ..

ولم تصل أسوأ توقعاتهم لذرة من الحقيقة..

استقبل هاشم ياسين لحظة وطأ بقدمه قسم الشرطة
وجذبه لغرفة جانبية.. بينما أشار لأحد الجنود فاصطحب
ماجد وفاروق لغرفة أخرى...

أغلق هاشم باب المكتب بقدر ما استطاع من هدوء وسؤال
ياسين يتقافز حوله:

- بلسم فين؟.. إيه اللي حصل؟..

ارتكز هاشم على الباب بتوتر.. يعلم فداحة ما سيخبره
لياسين.. ويخشى رد فعله..

- بلسم بخير..

قطب ياسين حاجبيه بقلق:

- أشوفها..

أوما هاشم موافقاً:

- هتشوفها.. بس نتكلم الأول..

ضيق ياسين عينيه:

-نتكلم عن إيه؟.. أنت قلت لي واحد ضايقها و..

وقطع كلماته متسائلاً بغضب:

- مين الواطي اللي اتجراً عليها؟..

- اهدى يا ياسين كده خرينا نتفاهم..

قطب ياسين بغضب:

- نتفاهم!.. نتفاهم على إيه؟.. هو ابن ال*** ده اتمسك

ولا هرب؟.. في إيه بالضبط..

هتف هاشم من بين أسنانه:

- مش طريقة تفاهم دي يا ياسين؟

صرخ ياسين بغضب أعمى:

- حصلها إيه.. بلسم فين يا هاشم؟..

يعلم هاشم جيداً أن ياسين عندما يفقد السيطرة يناديه

بلا ألقاب.. لذا لم يحاول المرواغة بل صارحة مباشرة بكل

ما يعرفه؛ بداية من ركوب بلسم السيارة الأجرة وانتهاء

بمحاولة الحقير لخطفها..

لتنمزق صرخة ياسين:

- إيه!.. اتخطفت.. اتخطفت..

ونظراته تتوجه لهاشم متوسلة.. داعية.. ترجوه ألا يكسر ما

تبقى من رجولته..

طمأنه هاشم بسرعة:

- أنا قلت لك أنها بخير.. السواق طلع ابن حلال.. قعد يلف
ويدور في الشوارع بالعربية.. وعند أول فرصة.. ضرب الكلب
اللي خطفها روسية دوخته.. وأخذ منه المطواة وجابههم وجه
على القسم هنا..

ارتفعت تهيدة ياسين براحة سرعان ما انقلبت لقلق غادر:

- أنت مخي عليا إيه؟..

زفر هاشم بضيق:

- اقعد يا ياسين..

صاح ياسين بغضب:

- مش هتزفت أقعد.. قولي في إيه بالضبط؟؟؟

ابتعد هاشم عن الباب بعد أن تأكد أنه موصل جيداً مما

أثار غضب ياسين وريبته فعاد يهتف:

- في إيه؟.. أنت هتجنني!..

توجه هاشم ليجلس خلف المكتب الموجود بصدر الغرفة

وهو يخبر ياسين بتقرير:

- طبعاً أنت عارف أي موجود هنا مجاملة وجدعنة.. ودي

مش منطقتي.. فعايزك تتصرف بعقل و..

قاطعه ياسين وقد وصل غضبه للحلقوم:

-أستغفر الله العظيم.. كفاية أَلغاز وخليني أشوف أختي

أبوس إيدك..

تمهد هاشم بقلق:

- الواد اللي خطف أختك.. بيدعي أن..

عاد ياسين يقاطعه:

- يدعي!.. يدعي إيه الواطي ال...-

ضرب هاشم المكتب بكف يده هاتفاً:

- ياسين.. اسمع للآخر.. الكلب ده بيقول أنه على علاقة

بالأنسة بلسم.. من فترة.. وأنها..

قطع كلماته ليطلق زفرة متوترة:

- أنهم على علاقة من النت..

قطب ياسين حاجبيه وهتف بغضب:

- كلام فارغ.. ده حيوان.. إزاي تصدقوا الحيوان ده!..

مسح هاشم وجهه وهو يستشعر انفلات أعصاب ياسين..

فسأله بغتة:

- مين اللي معاك بره?..

هز ياسين رأسه بحيرة:

- ماجد أخويا وفاروق خطيب بلسم.

قفز هاشم من خلف مكتبه هاتفاً:

- إيه!!.. خطيبها!!.. هي مخطوبة؟..

اقترب ياسين من المكتب وارتكز عليه بكفيه هامساً بفحيح:

- هاشم!!..

أدرك هاشم أن ياسين فقد سيطرته بالفعل وكل معالم التحضر التي حاول تبنيها منذ دخوله بوابة القسم قد تلاشت تماماً..

فتوجه لأحد أدرج المكتب الموصدة وأخرج منها هاتف حديث..

تحرك ناحية ياسين وبدأ يتحدث بسرعة وعملية:

-الولد اللي خطف أختك.. بيدعي بوجود علاقة بينهم.. علاقة

جنسية..

لم يتمالك ياسين نفسه ليتوجه بلكمة خاطفة لهاشم..

وكان هاشم يتوقع ردة فعله فالتقط قبضته بسرعة وبرم
ذراعه خلف ظهره وذراعه الآخر التف حول عنقه ليمس

بحزم:

- هتعقل وتسمع للآخر.. ولا أخليم يحولوا المحضر كله
للنيابة..

حاول ياسين التملص منه بينما زادت قبضة هاشم من
الضغط حول عنقه حتى كاد أن يختنق، فدفعه هاشم بعنف
هاتفاً:

- هتسمع ولا ألبسك الأساور وهتسمع برضوه..

سعل ياسين بغضب وهو ينحني ألماً ويرمق هاشم بلوم:

- أسمع كلام زي ده وأسكت!...

هتف به هاشم:

-العلاقة كلها عن طريق النت.. التكنولوجيا بتحل مشاكل
الشباب..

هتف ياسين وهو يعتدل:

- الواد كداب.. مصدقينه إزاي!!....

قاطععه هاشم برفع الهاتف أمامه:

-ما حدش قال مصدقينه.. بس..

رمقه ياسين متسائلاً ومحاولاً التحكم بأعصابه قدر
استطاعته.. ليكمل هاشم:

- أختك رغم انهيارها إلا أنها بتنفي كلامه كله ومصرّة أنه
كداب وأنها أول مرة تشوفه النهارده..

ضيق ياسين عينيه:

- لكن؟!..

ألقى هاشم بكلماته دفعة واحدة.. فلا مفر من المواجهة:

- التليفون بتاعه عليه فيديوهات وصور بتثبت كلامه..

تحولت عينا ياسين لكرتين من الدماء وهو بالفعل لم يكن

يرى أمامه إلا الدماء فقط..

فسارع هاشم بالتوضيح:

- في احتمال كبير أنها تكون متفبركة.. و..

مد ياسين يده بحزم:

- إديني التليفون..

تردد هاشم للحظات.. فصرخ ياسين:

- أنت جاييني هنا عشان أكّد لك إذا كانت هي ولا لأ.. فهات

التليفون..

وحرك أصابعه بإلحاح.. ليضع هاشم الهاتف براحته ولكنه

لم يتركه له قبل أن يخبره:

- ياسين.. أنا مش بس بخاطر بشغلي واسمي.. لا.. كل اللي

بره دول بيخاطروا معايا.. حاول تمسك أعصابك....

جذب ياسين الهاتف من بين أنامله ليتصفح ما بداخله

من صور ومقاطع تصويرية..

لتمر عدة ثوانٍ قبل أن يلقي بالهاتف على المكتب وكأنه

حشرة سامة حقنته بسم زعاف.. وعيناه متجمدة عليه

بغضب حارق قبل أن يرفعهما ببطء لهاشم هامساً بفحيح:

- إفتح الباب يا هاشم..

عاجله هاشم:

- صور أختك؟

صرخ ياسين وهو يضرب المكتب:

- إفتح الباب بقولك ودخلي على ابن ال*** في الحجز..

هتف هاشم بغضب:

- اعقل يا ياسين.. بقولك الناس بتخاطر بشغلها..

أشار له ياسين بسبابته صارخاً وقد فقد كل ذرة تعقل:

- أنت مديون لي.. أنت مديون لي..

فقد ياسين عقله.. أدرك هاشم ما يحدث له بسهولة:

اختفى تحضره وعينيه برقت ببريق وحشي غاضب..

ما رآه لم يكن سهلاً لتتحمله كرامة أي رجل تجري بعروقه

دماء حارة..

ما بالك بياسين وتاريخه مع معاصرة الإتهام وعجزه عن

منعه..

سمعه يتمم ويزمجر بعصبية..

فوهة بركانه انكشفت وحممه تتناثر بلا هدف وسرعان ما

يضيع بتلك الحالة البدائية من الغضب..

علا صوته وهو يصرخ:

- أنا اللي هأدب الواد ده..

واقترب ليقبض على مقدمة قميص هاشم:

- دخلني عليه دلوقت..

دفعه هاشم بعنف وهتف به محاولاً سحبه من تلك الحالة

التي تمتص آدميته:

- هندخل دايرة القط تاني!..

وكان هاشم ضغط زر التوقف بجهاز تحكم..

فتجمد ياسين كلياً.. كالا لم يتجمد بالكلية..

فقط حرك قبضتيه بعيداً عن هاشم وارتد للخلف خطوتين
وعيناه تجمدت نظراتهما على وجع نابع من معاناة حية..

وكأن مشاهد اعتدائه على القط تعاد أمامه..

مرة بعد مرة.. فيتأمل كفيه بذهول..

يحركهما ويقلمهما وكأنه يتأكد أنهما خاليتان من الدماء..
والوجع الذاهل بعينيه يتحول أكثر وأكثر إلى ألم صامت
جامد..

وهو يهمس بإقرار وكأنه يجيب عن سؤال لم يطرح:

- دي مش صور بلسم..

قطب هاشم بحيرة.. فإن كانت الصور لا تنتمي لشقيقته

فما الداعي لنوبة الهياج تلك..

ليتهالك ياسين على المقعد خلفه وهو يخفي وجهه خلف

كفه وصوته يتهدج بقوة:

- دي صور سعاد.. توأم بلسم..

تساءل هاشم بعجب:

- توأمها!.. أنت متأكد؟..

أوما ياسين بتعب وهو يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة:

- أيوه.. هي.. هي..

كان ياسين يمر بحالة لم يعرفها من قبل.. فأصراره على

رؤية الصور والمقاطع التصويرية كان نابع من إيمانه

المطلق ببلسم..

كان يستمع لكلمات هاشم المستفزة عن اعترفات الفتى

وبرغم الغضب الذي انتابه إلا أنه كان واثقاً من كذب

إدعائه ليفاجئ وهو يقلب بالصور بعيني سعاد المتمردتين

واللاتين تتحولان مع توالي الصور إلى عيون منكسرة

مخدولة ومستغيثة..

الصور.. يا الهي!! كيف استطاعت؟.. كيف؟..

نهض بغتة ليلتقط الهاتف ويقلب بين مقاطع الفيديو..

ومع أول لقطة لم يستطع.. فقط شهق بقوة وكأن الأنفاس

تمزق صدره دخولاً وخروجاً..

وأخذ يضرب صدره بقوة وكأنه يحاول منع قلبه من

الانقباض.. صارخاً:

- لييبه.. ليه تعمل كده!!.. ليه ده يحصل.. ليه..

شعرهاشم بالقلق.. فهو لم يرياسين أبداً بتلك الحالة..

فأخبره بأمل زائف:

-ممكن الصور متفبركة.. ممكن وشها وجسم واحدة تانية..

برقت عينا ياسين بوحشية فعاد هاشم يخبره:

- هو ابتزها.. افهم يا ياسين.. الحكاية دي بقيت تحصل كثير..

حيوان ابتزها وهي خافت.. فخضعت..

"خضعت!.."

كانت الكلمة موجهة لصدر ياسين كطلقة مسمومة وهو

يتخيل ماهية خضوعها وما دفعها ذلك الوغد لفعله...

فقفز بغتة:

- هتسيبني أدخل للواد ده؟..

ضيق هاشم عينيه:

- خمس دقائق بس يا ياسين..

أوما موافقا.. فعاد هاشم يطالبه:

- هات المطواة بتاعتك..

أخرجها ياسين ببساطة من الجيب الخلفي لبنطاله:

- مش هحتاجها أصلاً..

اصطحبه هاشم لخارج الغرفة.. وقبل أن يتوجه نحو

غرفة الحجز همس بأذن هاشم:

- ياريت خطيها ما يعرفش حاجة عن الموضوع..

انطلق ياسين برفقة أحد الجنود لغرفة الحجز بينما جذبت

صرخة حانقة انتباه هاشم فتوجه نحوها ليجد الرجل الذي

عرّفه ياسين بأنه خطيب شقيقته يهتف بصوت مزعج:

- سمعت يا دكتور.. سمعت!.. العسكري يقول كانت

مخطوفة.. هااه مخطوفة.. أنا مش هروح من هنا قبل ما

يتعمل محضرو وتتحول على الطب الشرعي..

تدخل هاشم متعجباً:

-طب شرعي!.. أنا مش فاهم!!.. حضرتك عايز تكمل المحضر

ويتحول طب شرعي?..

زعق فاروق بغضب:

-أيوه.. بالضبط كده.. دي مخطوفة بقى لها كام ساعة.. لازم

كشف عذرية..

انتفض هاشم بذهول بينما لم يشعر ماجد بنفسه إلا

وقبضته تقابل وجه فاروق مرة بعد مرة وهو يصرخ به:

- اخرس.. مين دي اللي يتعملها كشف عذرية.. أنت كنت

تطولها أصلاً..

أبعد هاشم ماجد الغاضب عن فاروق الذي استمر بصراخه:

- أومال عايزني ألبسها أنا وترجعوا تقولوا بنت خالك

وعرضك والكلام الحمضان ده..

أزاح ماجد هاشم عن طريقه وهو يمنح فاروق لكلمة أخرى
صارخاً به وقد نسي كل المظاهر الراقية:

- غور من هنا يا ابن... .. عمتي..

نجح هاشم أخيراً في السيطرة على ماجد الهائج وهو يهتف:

- أنتوا اتجننتوا.. احنا في قسم شرطة..

دفع فاروق يد ماجد المتشبثة بمقدمة قميصه وهو يبتعد
هاتفاً بازدياء:

- أنا ماشي.. وأختك عندك.. قبل ما تخرجوا من القسم..

يكون معمولها كشف العذرية وإلا..

انقض ماجد على عنقه صارخاً بجنون:

- إرمي اليمين.. إرمي اليمين يا ابن أمك.. وديني وما أعبد ما

أنت شايف منها ضفر..

برقت عينا هاشم وهو يحاول تهدئة الوضع ليجد فاروق

يهتف بغضب:

-حقي أنه يتعملها كشف عذرية....

قاطعها ماجد بسرعة:

- ما فيش كشوف هتتعمل.. أخرك إيه؟..

هتف فاروق وكأنه يبصقها:

-أختك طالق..

قالها وانطلق مبتعدًا بأقصى سرعة.. بينما التفت ماجد

لهاشم بجديّة:

-عايز أشوف أختي.. بس قبلها أفهم إيه اللي حصل..

وياسين فين؟...

لم يكن أمير بغرفة الحجز.. بل كان بغرفة تشبه السجن
 الإنفرادي الذي قضى به ياسين معظم أوقاته بالسجن..
 فبدا ياسين وكأنه ببيئته التي اعتاد عليها بينما تكوم أمير
 بأحد أركان الغرفة يرمق ذلك الضخم الذي دخل للغرفة
 بخطوات بطيئة وصوت الحارس بالخارج يخبره بحزم:

- خمس دقائق ما فيش غيرهم..

أغلق الباب عليهما ليتحرك ياسين بسرعة رافعاً أمير من عنقه
 ليدفعه للحائط خلفه بقوة:

- إيه اللي بينك وبين سعاد؟

سمع أمير صوت ارتطام ضلوعه بالجدار فتأوه بقوة متسائلاً:

- سعاد مين!.. أنا ما اعرفش حد اسمه سعاد..

زاد ياسين من ضغط أصابعه وأبعده عن الجدار ليدفعه

نحوه ثانية ويتركه ليتهاك أرضاً..

فيصرخ أمير متوجعاً:

- والله ما أعرف مين سعاد..

رفعه ياسين من عنقه ثانياً وقبضته ألصقت معدته بالجدار

خلفه وسأله:

- اللي خطفتها.. اللي صورها على موبايلك..

وأعقب سؤاله بلكمة أخرى بوجهه فتدفق الدم من أنفه

بغزارة.. مما دفعه للصرخ:

-قصدك بلسم.. بلسم حبيبتي.. عشيقتي..

لم يتحمل ياسين الكلمة فدفق برأسه للجدار صارخاً:

- اخرس يا ابن ال ****

وعاد يهتف به:

- احكي.. قولي كل حاجة.. أنت سمعت ٥ دقائق بس.. لو ما
 عرفتش الحقيقة.. هقتلك.. هقتلك هنا تحت رجليا..
 أنا دخلت السجن مرة من غير سبب.. وما عنديش مانع أرجعله
 تاني..

صرخ أمير:

- اللي بيحصل ده مش قانوني.. أنا هوديكونا في داهية كلكونا..
 أنا..

دفع ياسين قبضته بضلع أمير وأعقب اللكمة بأخرى وأخرى
 لم يكن يميز أين يضربه وكيف.. كان فقط يمحي ما رآه منذ
 لحظات على هاتفه مستخدماً قبضته مرة تلو الأخرى..
 ثم انتقل بلكماته لتغوص بمعدته ووجهه ويعود لضلوعه مرة
 أخرى..

هتف أمير بصوت ممزق من الألم:

- كفاية.. ارحمني..

لم يكن ياسين يستمع له فقط تتوالى أمام عينيه صور سعاد
العارية..

صورة تلو الأخرى وكل واحدة توازي لكمة.. أو دفعة للجدار..
نظراتها الكسيرة تذبحه فأخذ يدفع برأس أمير عدة مرات
للحائط والأخير يصرخ:

- كله كان بمزاجها.. اسألها.. اسألها كانت بتترجاني عشان
أحبها.. عشان أكلمها واهتم بيها.. هي اللي وقعتني.. اسألها
على الفلوس اللي دفعتهالي.. عشان أوافق أنها تطلع لي..

لم يستطع ياسين التحكم بأعصابه والكلمات تتوالى على أذنيه
كالرصاص..

فبدأ يضربه بجنون.. معدته.. ضلوعه.. صدره.. قلبه..

ما تحت الحزام.. حتى انثى أمير متهالكاً ليعاجله ياسين بعدة
ركلات متتالية بصدرة وبطنه صارخاً:

-الكلاب اللي زيك لازم يموتوا.. يختفوا من حياتنا..

وانحنى ليجذبه من عنقه ضاغطاً بكل قوته:

- هقتك يا قط.. هقتك...

اندفع الحراس ليبعدوا ياسين عن أمير الذي سقط مغشياً
عليه.. بينما كان ياسين بثورة غضبه.. عيناه جاحظة..
شاخصة لذكرى بعيدة.. ومكان آخر..

نظرة شريف الكسيرة.. تلك التي صدمته بها سعاد بصورها..

يا الهي.. كيف لم ينتبه؟.. كيف فاتته تلك النظرة؟.. ذلك

الانكسار والقهر..

فلت من الحراس وهو يدفع بيده للجدار وكلمات الحقير

تزلزله.. تتردد بعقله وتربك أفكاره..

"كله كان بمزاجها.. اسألها.. اسألها كانت بتترجاني عشان

احبها.."

صرخ بقهر:

-إزااااي.. إزاااي.. إزااي باعث نفسها رخيص كده.. إزااي!!..

أخرجه هاشم من الغرفة بمعجزة، بل كاد أن يحمله حملاً

وهو يخبره بحزم:

- في كلام مهم لازم يخلص عشان تروح وتاخذ معاك الأنسة

بلسم.

رفع ياسين إليه عينين حراوين.. لم يكن يراه بالفعل..

ولكن كلماته كانت تصله بوضوح..

جاءه أحد الجنود بكوب من الماء يجاوره كوب آخر

من العناب البارد وأمره هاشم بلطف:

- اشرب يا ياسين.. عايز أعرف اتفاهم معاك.

تناول ياسين الكوب ويده ترتعش كما لو كان جالساً فوق

جهاز عالي الذبذبات.. حاول يتحكم برعشته ولكنها كانت

نابعة من داخله..

رعشة القهر أم ربما الغضب الحارق..

أعاد الكوب مرة أخرى فوق سطح المكتب وهو يتساءل بإنهاك:

- محضر الخطف..

قاطعه هاشم:

- اتقطع.

رفع ياسين عينين ممتنيتين لهاشم الذي أكمل:

- بس القضية الثانية هتوصل للمحكمة يا ياسين.

تساءل ياسين بقلق:

- صور سعاد؟

زفر هاشم بغضب:

- أنت مش عايز الحيوان ده واللي زيه يتحاسبوا.. يتعاقبوا!..

تردد ياسين:

- أيوه بس سعاد..

قاطع هاشم:

- شهادتها مهمة.. ومهمة جداً.. التليفون بتاع الواد ده طلعتنا من عليه بلاوي.. بنات عائلات كتير واقعين معاه ومش عارفين يهربوا.. يمكن غضبه أما أعتقد إن بلسم هي سعاد وأنها خدعته ده اللي خلاه يتهور ويغلط.. دي فرصة يا ياسين.. القضية هتترتب هتترتب.. والكلب اللي جوه ده هيعترف..

بس مع شهادة سعاد هتكون قضية قوية..

غمغم ياسين بقلق وهو يتصور رد فعل والده:

- القرار الأخير سيكون لسعاد.

أوما هاشم موافقاً:

- أكيد.. وأنا بنفسى هاجي واتكلم معاها وأقنعها..

نهض ياسين معتذراً من هاشم وممتناً له بنفس الوقت:

- هاشم بيه.. أنا مش عارف أشكرك إزاي.. أنا بجد بقيت

مديون...

قاطع هاشم بود:

- لو على الشكر سهلة.. هعزم نفسى فى بيتك فى اليوم اللي

يناسبك.. وبالمره أبارك لك على الجواز.. ولو على الدين..

فبلاش نفتح الموضوع ده.. أنت عارف أنى مهمما عملت مش

هرد جميلك..

وصمت هاشم لحظات وبدا أنه يجد صعوبة في تكوين
كلماته.. مما دفع ياسين للتساؤل بقلق:

- في حاجة تانية يا هاشم بيه؟..

تنهد هاشم بضيق وهو يخبره عما كان من خطيب شقيقته..

ويختم كلماته..

-أنت عارف يا ياسين..قسم وعساكر وأنت فاهم النظام..
خطيب اختك للأسف عرف كل الحكاية من كلام العساكر.

ومع لمعان الغضب الوحشي بعيني ياسين أكمل هاشم

بأسف:

-أنا آسف يا ياسين.. أنا..

قاطع ياسين كلمات أسفه وهو يخبره بحسم:

-أنت عملت الواجب وزيادة يا هاشم بيه.. أنا دلوقت محتاج

أطمئن على بلسم الأول.. وبعدها...

صمت ياسين ولم يفصح عما يجول بخاطره بشأن سعاد..

فلينته من أهون الضحايا أولاً.. وبعدها يلتفت للضحية

الأساسية..

ضحية!

بل هي المذنبه الأولى..

كلا..

هي الضحية الكبرى..

وبين صراع أفكاره يربت هاشم على كتفه بمؤازرة

ويرافقه إلى الغرفة التي تواجد بها ماجد برفقة بلسم..

ليجد الأخيرة منكمشة على نفسها بين ذراعي ماجد وهي تبكي

بحرقة وهو عاجز عن مواستها..

تلك الصور ومقاطع الفيديو التي أراها له هاشم نُقِشت

بخلايا عقله حتى يظن أنها ستطارده لباقي عمره..

أراد هاشم منه تأكيداً واضحاً أن الفتاة بالصور هي سعاد

كما أخبره ياسين..

هو يثق بياسين ثقة مطلقة.. ولكن عمله لا يحتمل الظن

أو الاعتقاد..

وكان تأكيد ماجد عملياً واقعياً.. حيث تعرف على أثر لجرح

نتج من عملية الزائدة الدودية والتي أجراها بنفسه لسعاد

منذ سنتين..

وكان هذا تأكيداً كافياً لهاشم.. ليبدأ قضية أرادها مُحكمة.

ما أن رأت بلسم ياسين يدلف للغرفة حتى طارت لتميط بين

ذراعيه وبكائها لا ينقطع

ربت على رأسها وطبع قبلة خفيفة على جبهتها:

- حمد لله على سلامتك يا بلسم.. الحمد لله جت سليمة.

والتفت الى ماجد يسأله:

- فاروق مشي من إمتي؟.

غمغم ماجد بغضب:

- الواطي رمى اليمين ومشي.

التمعت نظرات ياسين بالغضب فأشاح ماجد بوجهه بعيداً..
وهو يتساءل بحيرة عن صحة قراره بإجبار فاروق على تطليق
بلسم..

هل تراه أصاب بذلك التصرف؟..

أم أن بلسم ستلقي باللوم فوق رأسه لجعلها مطلقة وهي
ببداية عمرها..

وأخيراً جاءت كلمات ياسين المقدره:

- هاشم حكي لي على كل حاجة.. تسلم إيدك ولسانك يا
ماجد..

ابتسم ماجد براحة.. وتحرك ليضم بلسم هو الآخر هامساً:
- ربنا يستر ويكون ده رأي الحاج حافظ...

تبادل الشقيقان نظرة سوداء وياسين يهمس بعنف:
- سعاد..

التفت إلى ماجد بحزم:

- بلسم هترجع معاك في العربية.. وأنا هاسبق بالمكنة..
وترك بلسم بين ذراعي ماجد وانطلق نحو منزل الحاج حافظ..
فهناك تقبع تلك التي باعت وفرطت بشرفها وشرف والده..
دمرت حياتها وكادت أن تدمر شقيقتها معها..

دلف ياسين لشقة والده بنفس اللحظة التي خطى بها فاروق
خارجاً ليلمح ابتسامته المتشفية تتسع شيئاً فشيء..

أزاحه من أمامه بحركة مزدرية عندما وصله صراخ أبيه

العالي وصوت والدته وهي تحاول تهدئته بلا فائدة..

ليدلف بصمت إلى المنزل متجاهلاً الجميع ويتوجه لغرفة

سعاد ويقف ببابها لحظات..

التفت بعدها لهم هامساً:

- مش عايز أي حد يدخل علينا..

دخل الغرفة وأوصد الباب خلفه ليجد سعاد غارقة بدموعها

وقد تكوم جسدها بأحد الأركان وما أن رآته حتى

أسرعت إليه هاتفة:

- بلسم فين؟..

وكان رده صفقة.. تلتها ثانية، فثالثة ورابعة ألقتهما أرضاً فنزل
إلى مستواها متمسكاً بخصلاتها هامساً بصوت أرحمها:

- عارفة اللي زيك بيسموها إيه؟..

رمقته بتلك العينين البريئتين.. النظرة المنكسرة ذاتها..

نداء الإستغاثة الذي أغفله عدة مرات قرأه الآن بوضوح..

ولكن الألم كان أكبر مما يستطع احتوائه..

صورها المتتالية وهي تتعري من ملابسها قطعة قطعة..

مقاطع الفيديو..

المكالمات التي أسمعها أياها هاشم..

كان الأمر أكبر من تحمله..

أكبر من قدرة أي رجل على التحمل وهو يرى شقيقته

الصغرى تنتهك.. مرة بعد مرة... بعد مرة..

والأدهى أنها تنتهك في منزلها على بعد أمتار من غرفة والدها..
على بعد خطوات من غرفة شقيقها الأكبر والأصغر..

صرخ بها:

- عارفة أنتِ إيه؟.. عارفة بقيتِ إيه!

همست وسط دموعها التي أغرقت وجهها..

لم تكن دموع ألم لعنفه نحوها، بل وجع.. وجع بصورته الخام
لما اقترفته يداها بحق نفسها، شرفها وجسدها:

"عاهرة.."

همستها ومرارة الكلمة تترك طبقة عار لا تمحى..

فعاد ياسين يصفعها مجدداً ومجدداً ومجدداً..

كأنه يرغب بتطهيرها بتلك الصفعات..

يرغب بمحو خلايا جسدها الذي استحلها الوغد الذي

أغواها لتلقي بشرف عائلتها بين يديه..
 لم تصرخ.. لم تطلق صرخة واحدة..
 تعلم أنها تستحق كل ما تناله منه.. كل كلمة وعيد..
 كل سبة.. وكل صفعه..

سقط على ركبتيه بجوارها يتنفس بقوة..
 لقد أذاق الحقير عدة ضربات ولكمات ساحقة ولم يشعر
 بالإرهاك كما يشعر الآن بعدما أذاقها عدة صفعات..
 الأمر مجهد.. منهك لروحه ويستنفذ قواه بشدة..
 زحفت على ركبتيها وأمسكت بكفه تتوسله:

- أنا مظلومة يا ياسين.. والله مظلومة..
 رمقها للحظات.. لحظات تداخل بها الماضي والحاضر..
 الذكرى والواقع..

لمح نظرات شريف اليائسة.. عجزه عن منع القط من
استغلاله..

وعجز ياسين عن مساعدته..

معاناة شريف وهو لم يستسلم بإرادته وصور متتالية بشعة
غاية في القبح لشقيقته وقد سقطت بإرادتها بفخ حقيير
أسقطها بيضعة كلمات معسولة غازلت إفتقادها للاهتمام..

للحظة يائسة تشوش ذهنه فعجز عن فصل الواقع عن
الخيال..

هل هو يصفع سعاد أم ينتقم من عجزه عن الدفاع عنها؟..
عن شريف؟.. عن البراءة المنتهكة؟..

هل تعلم شقيقته قيمة ما تخلت عنه؟.. معنى أن تكشف
جسدها؟.. تعريه وتزيل ستره لأعين ذئب ضاري لن يكتفي
بإنتهاك بل سيسعى لتجارة..

لم يدرك أنه كان يصرخ بأفكاره بصوت عال..

كان يتمسك بكتفها يرحها بلا توقف وهو يصرخ:

"عارفة أنتِ عملتِ إيه!.. مقدرة جريمتك.. ذنبك"

"شرفك.. وشرف أبوكِ بعثيم عشان شوية كلام.. دفعتِ له

فلوس عشان يسمعك اللي أنتِ عايزاه"

همست من وسط شهقات دموعها:

- لا لا يا ياسين..

تركها فجأة فاندفع وجهها نحو الأرض بعنف وسألها بغتة:

- جبتِ الفلوس منين؟..

همست وهي تفترش الأرض وجهها يعانق البساط كأنها تخجل

من مجرد رفع رأسها:

- بعث دهي..

صرخة وجع صدرت من أعماقه وهو يدفع برأسها للأرض

مرة بعد مرة صارخاً بها

"فاجرة"...

تعالت صرختها ألماً وتوجعاً والدم ينبثق من جبهتها يغطي

ملامحها..

وبالخارج كانت آمنة تنوح بذعر صارخة..

"سعااااد"...

"ياالسين"

وفجر تحاول بجنون فتح مقبض الباب الموصد..

بينما رقية وياسر يطرقان الباب بلا توقف..

ومن خلفهما تردد صوت حافظ وهو يشعر بالحياة تنسحب

من ساقيه فيتهالك بأقرب مقعد صارخاً..

"سيبوه يموتها ويخلصنا من عارها الفاجرة"

بينما ياسين يصرخ بإنهاك..

"ما حدش يدخل.. أنا قلت ما حدش يدخل" ..

ثم يلتفت لسعاد المتكومة بجواره وهو يلهث بإجهاد غير

عادي يلتقط خصلاتها رافعاً وجهها نحوه ليسألها بصرامة:

- عارفة عقاب اللي زيك إيه؟..

هزت سعاد رأسها بألم وهو ما زال متمسك بخصلاتها..

ليجها بصوت جامد:

- الموت..

شهقت برعب ليردف:

- موتك على أيدي يا سعاد!

وتتعالى بالخارج صرخات فجر وأمنة..

بينما هرعت رقية لشقتها تحاول إيقاظ حاتم الذي يعتكف
 وسط دخانه الأزرق وجرعاته المخدرة منذ عاد تاركاً علاجه..
 فلا تستطع إفاقته مهما تعالت صرخاتها..

"حاتم.. فووق.. الله يخليك يا حاتم فوق.. ياسين هيقتل
 سعاد"...

يتعالى صراخها ويتشابك مع صرخات أطلقتها سعاد وقد
 تمكن وحش ياسين منه ليجعله يفقد التمييز للحظات..
 لحظات انقض بها على شقيقته يدفع رأسها بعنف بالأرض
 ويسحبها من خصلاتها ساحلاً جسدها بأرض الغرفة وقد
 تواترت صورها العارية، همساتها الفاسقة وهي تثيرها غريزة
 الوغد.. مقاطع الفيديو القاتلة لرجولته.. نظرة شريف
 الضائعة ووداعه لزوجته.. جسده المعلق والمتأرجح وقد فقد
 أنفاس الحياة..

عقله يأبى التوقف للحظة.. لحظة إفاقة واحدة.. لحظة بخل
بها عقله.. ومنحها له شقيقه وهو يندفع بقوة بعد أن كسر
باب الغرفة يبعده عن سعاد بقوة وقد فقدت

وعيا بين يديه..

بينما تلقت فجر جسده المنتفض بين يديها وهي تهمس بأذنه
وتكرر بلا هوادة بعدما صعقتها النظرة المتوحشة بعينيه:

"سي ياسين.. سي ياسين.. أنت هنا في بيتك.. ارجع يا سي
ياسين.. ارجع لفجر.."

رفع لها عينان تتوتر بهما النظرة المتوحشة مع نظرة خوف
واستغاثة جعلتها تضم رأسه لصدرها بقوة ومن خلفها تستمع
لمحاولات ماجد لافاقة سعاد..

بينما تشعر بجسد ياسين ينتفض غضبًا وقلقا بين ذراعيها:

- سعاد!..

وحيثما أطلقت سعاد همسة متأوهة.. تنفست فجر الصعداء
بينما ياسين استعاد بعض تماسكه وعاد قناعه الواجم وكأن

همسة سعاد أعادته من هوته السوداء..

وبداخله يتكون قرار لا رجوع فيه..

سيصطحب سعاد معه للحارة..

انتهى الفصل

الفصل التاسع عشر

ليلة حالكة السواد.. اختفت بها النجوم وتوراى القمر خجلاً
 وخشية.. فلم يكن ليشهد على ظلم الإنسان لنفسه..
 ولآخرين بتلك اللحظة بالذات ومن هنا كان الخجل..
 وللخشية أسباب أخرى فالعذاب والوجع المرسوم بالعيون
 تلك الليلة كان أقسى من أن يتحملة القمر بكل صخوره
 وحجارته..

فالألم كان مهلكاً لجماد الصخور فما بال هشاشة القلوب..
 جلس ياسين برفقة ماجد في شرفة منزل الأول بعدما
 اصطحبوا سعاد معهم وهي غائبة عن الوعي تقريباً..
 راقبا هروب سواد الليل بشرود.. ولفائف السجائر المشتعلة
 تكاد تحرق أناملهما..

صمت متوتر حانق خيم عليهما والمواجهة الأخيرة مع الحاج
حافظ مازالت حية بالأذهان..

فحين خرج ياسين مستنداً على كتفي فجر وكان مواجهته
المهلكة مع سعاد استنفذت كل قواه..

لتقابله عينا رقية المذعورة وبلسم الذاهلة..

وأمنة..

يا الله..

ذلك التعبير بعينها قتله..

لم تكن بأعماقه أي مساحة شاغرة لمزيد من العذاب.. ولكن
نظرة آمنة أصابته بمقتل..

لم يفهم إن كانت خوف أم ذنب!..

رعب أم إقرار بجرم..

ذعر أم إذعان لاتهمام بفشل..

فشلها كأم.. وأي أم تتحمل مشهد كبيرها وهو يفتك بشقيقته
الصغرى حد الموت..

والاثنان ضحايا.. الاثنان مذنبان..

يضيع مفهوم الجرم والبراءة بقلب أم تشهد صغيرتها مدماة
ومحمولة بين ذراعي شقيقها تكاد تغيب عن وعيها وتلمح
نظرتها تكاد تغيب بين جفنين مغلقين..

نظرة خاوية.. ميتة..

وكأن تلك الروح الخفيفة الباسمة بداخل سعاد قد هلكت
للأبد..

قبل وصولهم لباب الشقة دوي صوت حافظ بقوة:

- عندك أنت وهو..

التفت له ماجد الذي يحمل سعاد بين ذراعيه بينما ظل
ياسين متكئاً على كتفي فجر يحيطها بذراعه ويولي والده
ظهره..

عاد صوت حافظ يتردد:

-مين سمح لكوا تخرجوا الخاطية دي بره البيت؟..

غمغم ماجد بتوتر:

- سعاد هتقضي كام يوم في بيت ياسين لحد..

قاطعه والده بغضب:

- عال والله.. يعني المجرمة تفضحنا وسط خلق الله وتتسبب

بفضيحة وطلاق أختها.. وأخواتها الرجالة قررروا يرفهوا عنها

بيومين بره البيت.. يا زين ما خلفت يا حافظ..

ضغط ياسين على كتفي فجر بغضب وهو يحاول جاهداً

السيطرة على براكين الغضب المتوحش بأعماقه..

يمنع نفسه بقوة من الالتفات ومواجهة والده..

مواجهة ستنتهي بكارثة أخرى وذنوب جديد لن يتحمل الحياة معه..

ظل على وضعه مولياً ظهره للجميع يغمض عينيه بألم يده متكورة بقبضة غاضبة تكاد تحطم عظام كفه..

ويده الأخرى مستمرة بالضغط على كتف فجر بلا إرادة..

بينما تحرك ماجد بهدوء ليضع شقيقته برفق على أقرب أريكة ويلتفت مواجهاً والده وهو يشير لجسد سعاد المكدوم:

- يا حاج.. سعاد...

عاد حافظ يقاطعه:

- ما ترددش اسمها تاني.. دي خلاص حسها لازم يتقطع من الدنيا..

ارتعد جسد ياسين وقلبه يضرب بعنف وعيناه تسرقان نظرة

خاطفة لجسد شقيقته المكوم..

رباه!!..

كيف فعل بها ذلك؟.. كيف!..

هتف صوت غاضب بداخله

"هي تستحق العقاب.. تستحق.. القتل.."

رفع قبضته يكمم شفتيه وكأنه يخشى أن تخرج تلك الكلمات

من بينهما.. ينهر شيطانه بقوة هامساً بعذاب..

"هي ضحية.. ضحية خطيئتها"

تردد لحظتها صوت ماجد المندهش:

-إزاي!.. يتقطع إزاي؟.. تقصد إيه يا حاج؟..

رفع حافظ عينيه لابنه وكان مازال جالساً على مقعده لم
يتحرك..

ثم انتقلت عيناه لياسين الذي لم يلتفت لهما بعد
وتردد صوت حافظ جامد كصلب بارد كالموت:

- ياسين يكمل اللي بدأه.. يقتلها ويخلصنا من عارها..
التفت ياسين نحوه بعنف وعيناه تشتعلان بكل معاني
الخذلان وخيبة الأمل..

وهو يرى آخر شعرة في علاقته بوالده تُمزق بقسوة كلماته..
هو بنظره ليس أكثر من مجرم.. قاتل.. فعلها مرة فليكررها
ثانية.. لينهي العمل القذر لآخره..

دمعة حسرة كادت أن تهرب من حصن عينيه حاول التحكم
بها وحين شعر بعجزه.. تركها لتتحرر بعدها توجه لجسد
سعاد المسجي ليحمله بحرص ويوجه كلماته لشقيقه:

- أنا هستناك تحت..

دوت صرخة حافظ:

- مش هتخرج من باب البيت ده إلا على قبرها..

تصلب ياسين للحظات قبل أن يسرع بخطواته حاملاً جسد
سعاد الغائبة عن الوعي وخلفه فجر تكاد تركض لتلاحق
خطواته بينما هتف ماجد بسرعة:

- خلاص يا حاج.. ياسين هيرحك من عارها.. بس مش
بالموت.. مش لازم ننهي كل اللي بنحيم من حياتنا..

ضرب حافظ قبضته بغضبه على المائدة:

- أنتوا بتتحدوني.. بتعصوني وتكسروا كلامي في آخر أيامي..

صرخ ماجد:

- والطاعة من وجهة نظرك أننا نقتل أختنا!

ردد حافظ بجمود:

- لو ماكنتش أنت خلصتها من إيديه كان..

قاطعه ماجد بذهول:

- تاني!! بتكرر اللي حصل من اتناشر سنة تاني!!.. عايز

تعمله كبش فدا تاني.. تحوله المرة دي لقاتل حقيقي.. ومش

أي قاتل.. قاتل لأخته!!.. لحمه..

صرخ حافظ:

- عاره.. عاره اللي لازم يمحيه..

أجابه ماجد بعنف:

- عار من وجهة نظرك أنت.. أنت مش هو..

ردد حافظ بغضب:

- أيوه عاري.. ومش أول عار.. وإذا كان العار الأولاني قدرت
أنفيه بره حياتكوا..

برقتا عينا ماجد بلوم فأكمل حافظ:

- احترم نفسك يا ولد وشوف بتبص لأبوك إزاي..

وافتكر أنا عملت إيه عشانك.. حتى هو..

وأشار باتجاه باب الشقة المفتوح الذي خرج منه ياسين منذ
دقائق.. وأكمل:

- حتى هو.. اتوفرت له فرصة حياة جديدة.. بيت وشغل
وزوجة و..

قاطعه ماجد بقسوة:

- والفضل مش لك..

صرخ حافظ بجنون وعجزه عن التحرك ومواجهة ابنه يقتله:

- احرص يا قليل التربية.. احرص..

لتقاطع أمانة صراخه بنحيب:

- كفيك يا حافظ.. كفيك..

والتفتت لماجد:

- إنزل لأخوك يا ماجد.. إنزل دلوقت يا بني..

عقب والده بغضب بارد:

- إهرب كالعادة..

كان ماجد يتحرك بالفعل للخارج عندما وصلته كلمات والده،

فالتفتت له بغضب:

- أنا ما هربتش قبل كده.. أنتوا سحبتوا مني القرار.. يومها

أنت وياسين اتفقتوا أنه هو اللي

يقدر يشيل الشيلة.. هو اللي يتحاكم في المحكمة.. وأنا من
يومها بتحاكم بره المحكمة.. هو قضى عقوبته وخرج.. وأنا
عايش في دايرة ذنب عمرها ما هتخلص.. جاي دلوقت
وبتقولي هربت!.. أنت عمرك ما سمحت لي بلحظة هروب
واحدة.. لحظة راحة.. ودلوقت عايزه يخلصك من سعاد..
وبعدين؟.. إيه اللي هيحصل؟..

ضرب الحائط بعنف وهو يسيطر على غضبه الذي نادراً ما
يفلت من تحت سيطرته:

- إيه اللي هيحصل يا حاج؟.. هترجعه بإيدك للزنزانة تاني؟..
التمعت نظرة عابرة بعين حافظ ليرتد ماجد للخلف وهو
يكذب ظنه:

- عايز تتخلص من الاتنين في خطوة واحدة!

شہقت آمنة بعنف بينما انكششت بلسم بين يدي رقية
 وكلمات ماجد تقتحم آذنهن ورمقن حافظ برعب زاد من
 هياجه لهتف بهن:

- أنتوا فاهمين أن الكلام ده سهل عليا!.. أنا أب.. وكلكوا
 ولادي.. لازم أفكر فيكوا كلكوا.. ياسين غلط وبغلط وما
 حدش هينسى أنه خريج سجون.. حتى مراته هيحي عليها يوم
 وتقولها له.. والفاجرة الثانية حطت راسنا في التراب.. ضيعت
 مستقبلها ومستقبل أختها معها.. مين اللي هيبص لبلم بعد
 ما ابن عمها رماها وفضيحة أختها هتبقى على كل لسان..
 مين اللي هيفكريحط روحه بين إيدين دكتور أخوه مجرم
 وأخته عاهرة.. أخوكوا الصغير.. أنصف عقل فيكوا هيرفع
 راسه إزاي ويكمل تعليمه.. حتى رقية.. جوزها مش هيحي مرة
 ويعايرها بأختها اللي..

قطع كلماته وهو يستصعب تكملتها.. وابتلع ريقه ليكمل

بحسم:

- موت سعاد بإيد ياسين هو الحل.. هو الصبح.. هو..

صمت قاتل خيم على الجميع وهم يستمعون لكلمات حافظ
الذي حاول جاهداً تحريك ساقيه ولكنه لم يستطع..

وأخيراً غمغم ماجد بخفوت:

- أنا نازل لياسين..

خرج ماجد بخطوات شبه راكضة.. قد تكون هرب مثلما علق
والده.. ولكنه يهرب من مواجهة قد تنتهي باختفاء البقية من
مودة واحترام يكنهما له.. وبصورة الأب المشرقة وقد تحطمت
بعيني شقيقتيه...

وعودة لجلسة الشقيقتين بالشرفة

وقد بدأ نور النهار باكتساح آخر خيط أسود بتلك الليلة..
 وكلاهما مازال غائباً بعالم منفصل لتقتحم فجر خلوتهما
 هامسة بخفوت:

- سعاد فاقت..

أوما ماجد بصمت ودهس لفافته بالطبق الصغير الذي قدمته
 له فجر ببداية الليلة.. ونهض يرمق ياسين بتساؤل..
 نظرات ماجد اللحوحة أخرجت ياسين من شروده فنهض
 بدوره يتقدمه حتى وصلا إلى الغرفة التي ترقد بها سعاد..
 ليدلف ماجد بسرعة بينما ظل ياسين بالخارج..
 غير قادر على الدخول أو الابتعاد..

اقترب ماجد ببطء من فراش سعاد التي حاولت فتح عينها
 ولم تستطع سوى فتح واحدة منهما فقط..

كان وجهها مليء بالكدمات.. ويعلم أن ملابسها تخفي المزيد
والمزيد.. ألم يعالجهم واحدة تلو الأخرى منذ ساعات..

ظل يتأملها للحظات حاول بها السيطرة على عقله حتى لا
يستدعي تلك الصور ومقاطع الفيديو الخاصة بها..

كان من الصعب بل المستحيل تجاهل الصور المتوالية
بعقله.. فأغمض عينيه للحظات يستدعي شخصية الطبيب
الهادئ المحترف.. بينما أدركت سعاد ما يمر به فتخشب
جسدها وانكمشت ملامحها وجعاً وخزياً..

أرادت إخفاء ملامحها عن عينيه.. دفن وجهها بعيداً عن
نظراته.. ولكن الألم المنتشر بجسدها منعها حتى من التنفس
بحرية..

سمعت صوت ماجد يتحدث بعملية وهو يقترب ليجاورها
ويبدأ بتغيير ضماداتها ومنح كدماتها جرعة جديدة من المراهم
والكريمات وفجر برفقته تساعده خطوة بخطوة..

بمرور الوقت أدركت أن ماجد يشرح لفجر كيفية معالجة
جروحها ومراعتها..

انطلق سؤالها بلا إرادة:

- أنت هتسبني لوحدي هنا يا ماجد؟..

أجابت فجر بسرعة:

- لوحديك إزاي يا سعاد!.. ده بيتك.. بيت أخوك.. وإحنا
معاك وجنبك..

رمقتها سعاد بنظرة امتنان بعينها السليمة.. وأعدت السؤال
على ماجد:

- هتمشي يا ماجد؟..

أنهى ماجد تطهير جروحها ثانية وظل محتفظاً بصمته
لدقائق..

التفت بعدها لفجر:

- بعد إذناك يا ست فجر.. ممكن عملي لها كوابية عصير
طازة.. والغدا يكون حاجة خفيفة النهارده..

أومات فجر بهدوء وخرجت من الغرفة لتلمح ياسين يبتعد
عن الباب وكأنه قد اطمأن على شقيقته بسماع صوتها..
ولكنها لم تتركه فجذبت مرفقه بخفة:

- مش هتدخل تظمن عليها يا سي ياسين؟..

رفع ياسين أنامله ليربت على وجنتها بحنان.. ثم تركها وعاد
للشرفة.. لتسقط دموعها على وجنتها وهي تشعر بالعجز..
بالجنون..

كيف يمكنها مساعدته!..

هو لم يتفوه بكلمة واحدة منذ خرجا من منزل عائلته ليلة
أمس..

فقط يحرق صدره بدخان السجائر.. والتي تراها بيده للمرة
الأولى..

لا تعلم هل يلوم نفسه أم يواسيها!

وبداخل الغرفة ظلت سعاد ترمق ماجد الذي أنهى معاينتها
كأي طبيب محترف.. كأني طبيب غريب لا يقربها بصلة..

جمع أشياءه وأغلق حقيبته وتحرك ليخرج من الغرفة عندما
سمع صوتها هامسة:

- أنا آسفة..

تصلب قليلاً ولم يرد.. ولكنها لم تسكت..

عاودت الهمس:

- أنا.. غصب عني.. اللي حصل.. غصب عني.. هو.. أمير..

بتلك اللحظة لم يعد بمقدور ماجد الصمود..

لم يعد يتحمل للحظة واحدة أخرى دور الطبيب الهادئ
البارد..

ظنت أن صمته هو سماح لها بإكمال إعرافتها واعتذراتها..
فماجد يعرفها جيداً.. عاصر طفولتها وتواجد بمراهقتها
وصباها.. ربما ياسين محق بغضبه فهي بالنسبة له غريبة كما
هو لها حتى ولو حاولا الاقتراب.. ففجوة اغتراب اثنا عشر
عاماً تفصلهما..

ولكن ماجد.. ماجد على الأقل كان موجوداً..

عاد صوتها يتردد بتفسير ساذج:

- كنت فاهمة أنه بيحبني.. كن..

صفعته فاجأته قبل أن تفاجئها ولكنه لم يحتمل..

تلك الصور هاجمته مع تفسيرها الغبي ليسلبا منه آخر بواق
تحضره..

رمقها وقد تكومت تأن بوجع..

وجع جروحها وكدماتها ووجع سوء ظنه بها..

ربما هي تستحق تلك الصفحة..

لا.. لا.. بالتأكيد هي تستحقها..

ولكنها فقط أملت أن يحاول الاستماع.. أن يتفهم.. أن..

قاطع صوته أفكارها وهو يهمس بجمود:

-القلم ده مش عقاب.. لأن ما فيش عقاب كفاية..

نشجت بصوت مكتوم ليكمل:

- أنتِ غلطتِ يا سعاد.. غلطتِ غلطة ما تتصلحش.. وإذا

كنتِ فاهمة ندمك ودموعك كفاية.. تبقي غلطانة.. إمبارح..

إمبارح حصلت كوارث.. كوارث ما أعرفش هتتحل إزاي.. أنا..

صمت ولم يعد يعرف كيف يكمل.. هو لم يعتد حل المشاكل..

لم يتعود أن يتواجد كأخ حقيقي..

ربما الصغير يأسر يمكنه التواجد كأخ وحامي أكثر منه..

هو اعتاد الهروب كما أخبره والده.. اعتاده حتى برع به..

والآن سعاد تناشده التفهم.. تحتاج أخوته.. وهو عاجز عن

التصرف.. يحتاج لمن يمسك بيده.. يوجهه.. يخبره كيف

يساعدها.. فبقدر غضبه منها.. بقدر خوفه عليها.. ولكنه غير

قادر على معالجة ما يجيش بأعماقه.. عاجز عن التصرف

وكان بُعد العقلي عن منزل حافظ برهام يكبل قدرته على

التصرف كأخ.. كرجل مسئول..

هز رأسه بصمت وغادر الغرفة تاركاً جسداً مكدوماً وروحاً

كسيرة..

وجد ياسين بالشرفة ينفث دخان سيجارته فبادره باعتذار:

- أنا حاسس بالذنب.. أنت ما كنتش بتدخن.. أنا اللي..

قاطعها ياسين بسرعة:

- هي كويسة؟..

أوما ماجد:

- جروحها هتعالج.. بس..

صمت لحظة وهو يتبادل النظرات مع ياسين وأخيراً قرر

إخراج ما بداخله:

- هي في أمان هنا يا ياسين، صح؟..

ابتسم ياسين بسخرية:

- إيه يا ماجد.. فاهم أني هنفذ الحل السحري بتاع الحاج

حافظ!..

ارتبكت ملامح ماجد وتعثرت الكلمات بلسانه فأردف ياسين:

-أنا غضبان يا ماجد.. غضبان قوي..

ربت ماجد على كتفه ولم يعرف ماذا يقول.. فهو يشاركه
الغضب.. ولكن غضب ياسين مختلف..

غضبه حارق.. مدمر.. قاتل..

أدرك ياسين إتجاه تفكير ماجد فأردف:

- لو كنت ناوي أذيها ما كنتش خرجتها من تحت إيدين الحاج
حافظ.. بس هي لازم تفهم أن السماح مش بالساهل..
وافقه ماجد بهزة رأس قبل أن يحمل حقيبته مستعداً
للرحيل:

-أنا هأقضي الأيام الجاية في المستشفى.. جو البيت لا
يطاق..

هتف ياسين به:

- لا يا ماجد.. لازم تكون في البيت.. بلسم هتحتاج وجودك..
 عمتك وفاروق مش هيسكتوا.. والحاج حافظ ما هيصدق
 ويرجع بلسم لفاروق.. ده غير ياسر.. هيرجع من المعسكر
 بتاعه الليلة.. ما ينفعش تسيبه لوحده.. ما نعرفش إيه اللي
 ممكن يعرفه ولا يسمعه..

زفر ماجد بضيق:

- ياسين.. أنا تعبان وعايز أبعد..

كرر ياسين كلماته بغضب:

- ما ينفعش يا ماجد.. مش وقته.. مش وقت بُعد نهائي.. أنت
 اللي تقدر توقف لفاروق بالعقل.. أنا لو شوفته أقسم بالله
 لأقتله..

وقبل أن يجبه ماجد انطلق رنين هاتفه فالتقطه بسرعة
 ليستمع لصوت والدته الملهوف لثوانٍ قبل أن يجمها بهدوء:

- دقائق وهكون عندك.. وهكلم الإسعاف تسبقني..

أغلق الخط مع صرخة ياسين:

- في إيه؟ إسعاف ليه!..

أجاب ماجد وقد استعاد بروده المعتاد:

- الحاج حافظ مش قادر يحرك رجليه..

قطب ياسين بتساؤل ليكمل ماجد وبداخله مشاعر متضاربة:

- بابا اتشل..

عودة لتلك اللحظة التي غادر بها ماجد منزل والده هرباً من

قسوة كلماته..

- موت سعاد بإيد ياسين هو الحل.. هو الصبح.. هو..

صمت قاتل خيم على الجميع وهم يستمعون لكلمات حافظ
الذي حاول جاهداً تحريك ساقيه ولكنه لم يستطع..

وأخيراً غمغم ماجد بخفوت:

- أنا نازل لياسين..

خرج ماجد بخطوات شبه راكضة.. قد تكون هرب مثلما علق
والده.. ولكنه يهرب من مواجهة قد تنتهي باختفاء البقية من
مودة واحترام يكنهما له.. وبصورة الأب المشرقة وقد تحطمت
بعيني شقيقتيه اللاتين أسرعتا بالدخول لغرفة بلسم وإغلاق
الباب خلفهما وكأنهما تخشيان أن تطاردهما قسوة كلمات
أبيهما...

وتناقلت أمانة بخطوات منهكة وهي تمر بجوار حافظ هامسة:

-الكلام اللي قلته على ولادي ده يا حافظ عمري ما هنساه..

الكلام ده بيبي وبينك ليوم الدين.. ليوم الدين..

تركته ودخلت غرفتها وأغلقتها هي الأخرى خلفها لتخذلها
ساقاها وتتهالك على الأرض وقد انتهت محاولتها الواهية
للتماسك..

لا تصدق ما رأيته وسمعته الليلة.. همست لنفسها بجنون..

"انفرط العقد.. انفرط العقد يا أمانة"

هزت رأسها بقوة.. تخرج منها صرخات سعاد.. جنون ياسين..

قسوة حافظ.. ضياع ماجد..

يا الله.. بمن تبدأ!.. أي وجع تسترجعه أولاً..

"انفرط العقد يا أمانة"..

تساقطت الدموع وبعقلها تتصارع الأفكار.. تتردد الكلمات..

وتهاجمها الهواجس..

سنوات.. وسنوات.. زمن مضى دفنت به أمومتها واحتفظت بها

للغائب..

هل حمى الطاغى لبكرها قصى على باقى الأبناء؟..

هل حرقة قلبها على شبابها ومستقبلها تسبب بضياح البقية!..

كيف تغافلت عما يجرى مع سعاد!.. كيف لم تنتبه؟.. كيف؟..

تهز رأسها وكأنها تبرأ نفسها أمام محاكمة الأمومة...

"وكيف لها أن تعرف!.. لطالما كانت سعاد مكتفية بنفسها..

رغم مرحها الدائم وتقربها من الجميع إلا أنها لم تسمح لأحد

بالاقتراب.."

لهتف الإدعاء بلوم..

"وهل حاول أحدكم الإقتراب بالفعل وهي أبعدته!.."

تنهمر المزيد من الدموع ودفاعها يهتف..

"لم يخطر ببالي أن يُغرر بفتاة وهي وسط أهلها.. لم أعرف أنه

ممکن.. لا أفهم بتلك التكنولوجيا الحديثة.. لم أدرك أن ابنتي

تحبس نفسها بغرفتها كجارية لوغد معتدي.."

وضعت رأسها بين كفيها تهزها بوجع وهي تتألم هاتفة..

"آه يا أمنة.. الزمن بيجري ويسبقك.. بيعدي فوقك ويدهس
ولادك.. الجهل ما بقاش جهل كتابة وقراية والعلام ما بقاش
ورقة وقلم" ..

مدت يدها لأعلى لتلتقط الهاتف المحمول الملقى بوداعة على
مائدة صغيرة.. وأخذت تتأمله بكره.. وكأنه هو السبب بما
حدث.. وكأنه هو من أسقط سعاد بفخ العهر..

ضغطت عليه بغضب قبل أن تلقي به بقوة ليصطدم
بالحائك ويسقط محطماً..

ليتردد سؤال الإدعاء ساخراً..

"وهل أنهيت المشكلة بتلك الطريقة؟.. هل تظنين أنك قضيت

على منبع الفساد!"

لتعود برأسها بين كفيها والحقيقة تتجلى واضحة..

هي مَنْ أهملت.. مَنْ اعتزلت الحياة منتظرة الغائب.. مَنْ
تناست نفسها وأطفالها..

ربطت عودتها للحياة برجوعه بين أحضانها.. لم يكن الهاتف
أو الحاسوب أو أيّاً من تلك الأجهزة هو السبب..

فياسر صغيرها يجيد استخدامها.. ليست إجادة يدوية عملية..
بل إجادة عقلية ثقافية.. فهو يطوع استخدامها لفائدته..
والدليل تواجدّه الآن بأحد تلك المعسكرات العلمية التي لا
تفقه عنها شيئاً..

هزت رأسها بغضب.. كلا.. كلا.. هذا الجهل.. تلك الغيبة عن
الحياة والابتعاد عن مجرى الزمن يجب أن يتوقف في الحال..
عليها أن تعود أمّاً لكل ابنائها.. كلهم بلا استثناء.. فالغائب لم
يعد ياسين فقط.. بل جميعهم.. جميعهم بحاجتها.. بحاجة
أمومتها.. عقلها.. حكمتها.. وإن كانت قسوة حافظ أصدرت
حكم بإعدام سعاد وحبس ياسين.. فمحاكمة أمومتها ستكون

أكثر رحمة.. أكثر رأفة.. من أجل إبنائها قبل أن يكون من أجلها

هي..

ستمح نفسها فرصة للعودة للحياة.. لتمنح صغارها الحياة..

وبغرفة بلسم بعد شروق الشمس..

جاورت رقية بلسم بفراشها وعيناها شاردة.. أفكارها مبعثرة
بكل اتجاه.. بين زوج يغوص برمال المخدر الناعمة كل لحظة..
وبلسم الطفلة الحائرة والتي ترمقها الآن بجوع لضمة حنون..
منحتها لها على الفور.. وهي تملس على خصلاتها البنية
الناعمة وتربت على الكدمة بجانب ذقنها والتي بدأت تظهر
بألوانها الداكنة..

حاولت مقاومة أفكارها العنيدة التي تسبح بعيداً.. نحو
الشقيقة الأخرى.. الضحية المذنبه..

لا تستطيع تحديد مشاعرها نحو فعلة سعاد..

أتلومها وتحاكمها.. أم تضمها وتحميها من قسوة مجتمع..

وَأب أصدر حكمه بإعدامها..

هل سيتمكن ياسين من حمايتها؟.. من احتوائها وتفهمها؟..

ولكن..

هل تحتاج للتفهم أم النفي؟.. للاحتواء أم العقاب؟..

هل هي المخطئة بخضوعها؟..

خضوع مهين مذل لكلمة حب وهمسة اهتمام.. أم هي جانية

بكشفها ستر جسدها.. بهتكها لعرضها هي قبل أي شخص

آخر..

تكاد روحها تتفتت بين عقل يصدر حكمه بالعقاب والمحاكمة

وقلب ينادي بالرحمة والحماية..

وبينما هي تربت على خصلات بلسم فوجئت بدموع الاخيرة

تهطل بلا توقف لتسألها بحيرة:

- بلسم.. أنتِ كويسة؟..

هزت بلسم رأسها بحزن:

- أنا السبب.. أنا اللي بعدت عنها.. فرحت بكليتي الجديدة
وخطوبتي وأصحاب جداد بعيد عن أصحابنا القدام.. حبيت
أخرج من دايرة بلسم وسعاد التوأم اللي ما بيفترقوش.. حبيت
يكون لي كيان وحياة بعيد عنها.. دائماً كانت سعاد هي المرحه
المنطلقة.. دائماً هي الابتسامه والفرحة.. أصحابنا كانوا
بيعرفوني عشانها.. لازم نصاحب بلسم طالما عايزين تكون
سعاد صاحبتنا.. دائماً كنت بسمع الجملة دي..

صمتت وهي تبتلع غصتها لتكمل:

- أما دخلت صيدلة وفي نفس الوقت عرفت أن فاروق اتقدم
لي.. فرحت.. ياه يا بلسم.. أخيراً هتكوني لوحديك وتثبت أن

بلسم ممكن تصاحب وتحب وتتخطب من غير مساعدة
 سعاد.. بعدت عنها.. وهي حاولت تفهم.. صدها وقلتها أنتِ
 بيتيالك.. وهي بعدت.. بعدها بقيت سعاد لوحدها.. وأنا
 لوحدي.. أنا عايزاها.. عايزة سعاد يا رقية.. عايزة نصي
 الثاني.. أنا من غيرها.. من غيرها تايهة..

اختنقت بالبكاء وهي تهذي بجنون:

-هو ياسين ممكن يموتها بجد!.. لا.. لا.. ياسين أخذها
 يحميها.. أنا متأكدة.. ياسين هيحميها من بابا.. ومنهم كلهم..

لتعود تهتف بوجع:

- عايزة سعاد يا رقية.. وديني لسعاد.. خوديني عندها..

زادت رقية من ضمها لبلسم وهي تواسيها ببضعة كلمات تعلم
 أنهم بلا قيمة.. فبلسم تشعر بالأم شقيقتها.. آلام نفسها
 وجسدها.. ولا أحد قادر على تهدئة أوجاعها إلا نصفها الآخر..

ظلت رقية بجوارها حتى اطمئنت أنها غرقت بالنوم..

فتحركت بهدوء لتتوجه لزوجها الغائب

عله يكون قد استفاق من غيبوبته.. ويالها من غيبوبة..

قاتلة..

دلفت لشقتها بصمت.. وذهبت لتطمئن على أطفالها..

عمرو نائم كعادته فوق الغطاء.. أحكمت الغطاء حوله..

وقبلته بجهته وهي تبعثر خصلاته الناعمة.. ثم توجهت لغرفة

ياسمين التي وجدتها مازالت مستيقظة تقرأ أحد أعداد

"ما وراء الطبيعة".. فابتسمت بعتاب وهي تسألها:

- لسه صاحية يا ياسميننا؟..

أومات ياسمين بخفة وهي تخبرها:

- عشر دقائق بس يا ماما هخلص القصة.. وأنام.. بكره أجازه

أصلاً

سألته رقية بتوتر:

- بسنت فين؟.. ليه مش نايمة جنبك؟..

هزت ياسمين كتفها وهي تخبرها:

- كانت نايمة وصحيت وأصرت تروح لبابا..

ازداد توتر رقية وشعرت بقبضة تعتصر قلبها ولم تعرف لم..
فقط تعلم أنها لا تحبذ أن ترى الصغيرة ذات الثلاث سنوات
والدها وهو بحالة الهذيان التي تتلبسه..

ولكن صغيرتها بسنت متعلقة بحاتم بجنون.. وهو بدوره
يعشقها حد التطرف.. حتى أنها نيمته أكثر من مرة أنه يفرق
بمعاملة الصغيرة بمحبة زائدة ودلال أكبر من أخويها.. ولكنه
كان يبرر دائماً أنها الصغرى.. وتستحق الدلال حتى تكبر
مثلها..

توجهت لغرفتها ودقات قلبها تتعالى بلا مبرر منطقي..

تعد كلمات اللوم والعتاب له.. لما يجلبه لحياتهم من ارتباك
وقلق مستمر..

فتحت الباب ليفاجئها الظلام الشامل والهدوء التام..

أضاءت الغرفة وهي تتوقع كارثة لا تعلمها فقط حدس الأم
يخبرها أن تبتعد.. لكنها بأشد كوابيسها قسوة لم تكن لتتخيل
ما رأته عيناها.. فحاتم كان غارقاً بنوم أشبه بغيوبة.. بينما
الصغيرة كانت ممددة بجواره.. وحولها انتشرت عدة أكياس
بلاستيكية صغيرة يبدو أنها كانت تعبث بهم وقد انتشر
مسحوق أبيض ناعم حول فمها.. وأنفها..

كانت عيناها مفتوحتان شاخصتان للأعلى.. ووجها متشنج
بلون أزرق مقبض.. ولم تكن تتنفس.. كانت جثة..
جثة هامة بلا حياة..

انتهى الفصل

الفصل العشرون

الفرصة الثانية ما هي إلا منحة توازي منحة الحياة.. تلك
 المنحة الإلهية.. هبه الخالق لبني آدم جميعهم.. والحياة هنا
 ليس المقصود بها بث الروح في نطفة بقرار مكين..
 ربما المقصود هو امتلاك القرار.. قدرة العقل على تحديد
 الإتجاه..

خير.. أم شر؟..

أبيض.. أم أسود؟..

ملاك.. أم شيطان؟..

أوربما هناك خيار آخر.. فقط لتكون إنساناً.. إنسان له حق
 حياة.. يتحكم بمصيره.. يتصارع بداخله الخير والشر على
 السواء.. ولكنه يمتلك زمام أمره ليُغلب أحدهما على الآخر..

قد ينتصر خيره فهو بذلك يثبت يقظة ضميره وصحة قلبه..

فقد غلب شيطانه وانتصر على نوازع الشر بداخله...

وبأحيان أخرى.. أحيان كثيرة.. يضعف الإنسان أمام جانبه

الأسود.. يُسلم ضميره لشيطانه يتحكم به.. والقلب تتنازعه

الأهواء.. فيسقط.. تزل قدمه بهوة الذنب والإثم.. فيستسلم

حيناً ويقاوم أخرى.. وهنا.. هنا.. تظهر المعجزة الحقة..

هبة الخالق بجلالها.. تلك المنحة الإلهية؛ الفرصة الثانية

والأخيرة.. لتحسن اختيارك.. فلا مجال للعودة أو التعويض..

تتمثل تلك المنحة بتواجد أناس من حولك تتفهم.. تستوعب..

وتساعد بل تسانديك لتحصل على فرصتك الأخيرة.. ولكن

الأهم دائماً وأبداً أن تمتلك بداخلك الرغبة لتلك الفرصة..

ليست الرغبة فحسب.. بل المثابرة لنيل فرصتك.. محاربة

ظروفك وضعفك.. لتحفر بالصخر لتقنع من يهمهم أمرك

باستحقاقك لتلك الفرصة..

أن تبحث بأعماقك عن كنه البراءة.. فطرة البشرية ونقائها..
تزيح سواد الإثم وتنفض غبار الخطيئة بحثاً عن نقطة ضوء
حتى ولو كانت خافتة ولكنها كافية كبداية..

بدايتك الجديدة.. فرصتك الثانية.. ومعجزتك الفعلية...

أنت الفيصل.. أنت مربط الفرس.. أنت البداية...

تلك البداية التي كانت تتخبط سعاد بحثاً عن خيط واحد
يصلها بها..

صفعة ماجد كانت صدمة.. صدمة لم تتوقعها.. ماجد
المتباعد.. المكتفي بحاله والمختفي أغلب الأوقات متذرعاً بعمله
ودراسته يصفعها لتصمت!..

يسكتها عنوة ويرفض الاستماع حتى لاعتذارها المرتجف..
إذا كان هذا رد فعل ماجد.. فما الذي تنتظره من البقية؛
والدتها.. رقية.. ياسين.. بلسم..

ويا ويلها من ذنب بلسم..

لقد اختطفت وكان يمكن ان تتعرض للأسوأ.. والأدهى أن
الأحمق فاروق قام بتطليقها بعد أن دس كلماته السامة بأذن
والدها..

أطلقت زفرة حارة دفعت بموجات من الألم بجميع أنحاء
جسدها وهي تتخيل ردة فعل والدها على كلمات فاروق
السامة..

سيقتلها.. بلا شك وبلا ندم..

فلطالما كانت بالنسبة له حملاً زائداً.. والآن..

أصبحت عاراً يجب التخلص منه...

دلفت فجر بهدوء تحمل بين يديها صينية صغيرة اصطفت
فوقها عدة أطباق وكوب عصير طازج كما أوصى ماجد..
وضعت الصينية برفق على المائدة الجانبية وجاورت سعاد

التائهة بين أفكارها.. حتى أنها لم تشعر بدموعها التي أغرقت
وجنتها إلا بعد أن مدت فجر أناملها لتمسحهم بحنان هامسة:

- الدموع مش هي الحل يا سعاد..

غمغمت سعاد من بين دموعها:

-أنا مش بدور على حل ومش عايزة حل.. أنا بتمنى أني ارتاح

وأريح اللي حواليا..

اقتربت فجر لتضمها بحنان:

- اللي حواليك بيحبوك..

هزت سعاد رأسها برفض:

- لا.. لا.. أنا ما أستحقش.. ما أستحقش.. أنا عاه..

قطعت فجر كلمات سعاد بوضع كفها على شفيتها:

- حيم ليك ما فيهوش شك يا سعاد..

لتجها سعاد:

- والإحترام؟.. أنا مش عارفة إزاي ممكن أواجههم.. ده حتى
ماجد ضربني.. أكيد بابا هيتبرى مني أو يقتلني..

تهدت فجر بحيرة.. هي لا تعلم عن أبعاد المشكلة أكثر مما قاله
ذاك اللزج ابن عمه ياسين..

لم تصدق كلماته السامة بالبداية حين اقتحم الباب مهاجماً
والد ياسين فابنته المصون تعرض جسدها لمن يرغب..
وهو بصفته رجل ذو دماء حارة فلا يشرفه ارتباط اسمه بمن
تلوك الألسن سيرتها هي أو توأماتها.. وتتناقل الشبكة
العنكبوتية صورها..

كذبتة فجر بأعماقها رغم تصديق الحاج حافظ له.. لكن فجر
عجزت عن تصور الفتاة المرحة المشاكسة التي رحبت بها
بأذرع مفتوحة.. أن تكون بأخلاق عاهرة.. ولكن وصول ياسين

وتصرفاته بعدها.. ورد فعل ماجد.. وأخيراً الشلل الذي أصاب

حافظ.. كلها دلائل تؤكد بشدة كلمات المأفون فاروق..

لاحظت سعاد صمت فجر.. فعادت لتغرق ذاتها بنوبة بكاء

مريرة.. وعادت فجر تضمها ثانية.. تربت على خصلاتها

بصمت.. فلا كلمات تكفي للمواساة.. فالجرم عظيم والذنب

أعظم.. وكأن سعاد تقرأ أفكارها فتردد صوتها بأسى:

-موتي هيريحهم كلمهم.. هيخليهم يقدرُوا يرفعوا راسهم ثاني..

ياريتني أقدر أتمنى الموت بس خايفة يا فجر.. خايفة من ذنبي..

خايفة من غضب ربنا..

مدت فجر أناملها لتحرك ذقن سعاد فرفعت نظراتها لها

لتخبرها فجر بحزم:

- باب التوبة مفتوح يا سعاد.. ربنا رحمته واسعة وبتسبق

غضبه.. ادعي ربنا.. واطلبي العفو.. يا حبيبتي ده هو الرحمن

الرحيم..

ازدادت دموع سعاد وهي تهمس:

-أنا مظلومة يا فجر.. كان غضب عني.. كنت خائفة..
مرعوبة.. كنت لوحدي.. خفت منه.. خفت منهم.. وعليهم..
بس غلطت غلطت والذنب كبير..

قاطعتها فجر:

- بصي يا سعاد.. أنتِ أختي الصغيرة.. يمكن أنا ما روحتش
جامعة زيك.. بس عارفة كويس كلام ربنا.. "قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله
يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم"..

اطلبي المغفرة من ربنا الأول يا سعاد.. وبعدها هيكون سهل
تطلبي السماح من إخوانك وأهلك..

ربتت على كتفها بمواساة وتركتها لتفكر بكلماتها..

فقد تمنحها بداية.. أو طرف خيط للفرصة الثانية..

تعلم أن الطريق طويل.. والحمل ثقيل ويزداد بكل خطوة..
ورغم نكد الأب ولوم الأم.. هو لن يتخلى.. لن يرحل مبتعداً
مكتفياً بحياة تم نفيه عنوة لها..

أخذ ياسين يراقب تحركات ماجد الروتينية... يتوجه لغرفة
العناية حيث تم حجز والدهما..

يتابع عدة أجهزة وشاشات تناثرت من حوله..

يراقب ضغط دمه ومعدل نبضاته.. ثم يتوجه بعدها لطبيبه
المعالج ليتبادلا حديثاً قصيراً يعود بعده ماجد لمراقبة
الشاشات..

وأخيراً خرج ليقترّب من ياسين وأمنة الملهوفة بجواره يخبرهما
باحترافية:

- الحمد لله تأثير الجلطة اقتصر على رجليه بس.. احنا لحقناه
 قبل ما التأثير يمتد.. وحالياً بنحاول ندوبها.. هو أخذ مذيّب
 للجلد..

قاطعته آمنة بصوت بالك:

- إيه يا ماجد.. أنت بتتكلم ليه بالطريقة دي!.. زي ما تكون
 بتقضي واجب ده أبوك يا بني..

رشقها ماجد بنظرة حانقة قبل أن يحاول استدعاء بروده مرة
 أخرى:

- ماما.. الحالة مستقرة.. وما فيش داعي لوجودك هنا.. هو
 هيتحجز في العناية المركزة وزي ما أنت شايفة مش هينفع
 تكوني معاه..

انصبت نظرات آمنة بلوم شديد على ابنها:

- مش همشي واسيب أبوك لوحده في المستشفى عيان ووحيد
وسط أغراب..

زفر ماجد بغيظ:

- سامحتيه بسرعة!

تلك المرة جذبه ياسين من مرفقه ليقف سيل كلماته
المعاتبه.. وانتحي به جانباً:

- الكلام ده حقيقي؟.. أبوك حالته مستقرة؟..

هز ماجد كتفيه بيروود:

- أنت بتسأل على إيه بالضبط؟..الحالة في عرف الطب
مستقرة.. لكن لو بتسأل من باب أنه أبوك وعنده جلطة
مممكن تدوب أو لا.. فيبقى من حقك تقلق..

وقبل أن يجيب ياسين بكلمة اقتربت آمنة لتتمسك بذراعه
هامسة بتوسل:

- أبوك هيبقى كويس يا ياسين؟..

راقب ياسين دموعها الخائفة.. بداخله يرغب في التعامل

بذلك البرود الذي يتلبس ماجد وقتما يريد..

يرغب بلومها والصراخ بها لتكف عن تلك الدموع.. فهي

تسكب دموعها على من استحل سنوات عمره السابقة ولا

يمانع في سلب الباقية منه..

وكأن آمنة تستمع لما يدور بعقلي ابنيها:

- بلاش تاخدوا منه قسوته.. يمكن أنتوا شايفينها قسوة..

بس هو فاهم أنه كده بيحميكوا وبيحافظ عليكوا و..

قاطعها ياسين وقد فاض الكيل:

- ربنا يقومه بالسلامة..

وتحرك ليغادر ولكنها عادت تستوقفه.. تتوسله:

- سامحني يا ياسين.. وسامحه.. هو..

هزت رأسها وازدادت دموعها وهي تكرر:

- هو سندي.. جوزي وأبو ولادي.. و...

وسكتت.. فأب الأولاد كاد أن يضيعهم.. وهي تعلم..

وهما يعلمان..

ولكن عشرة السنين.. هل تهون؟.. تلك الروح الأصيلة التي

تجعل منها أمنة فقط.. هل تختفي بليلة وضحاها!!..

ناجت عيناها بكرها ليتفهم.. يسامح ويعفو.. ويساند..

تمهد ياسين بيأس وهو يلتفت لماجد:

-حاول تتصرف يا ماجد.. ماما محتاجة أنها تكون جنبه..

علشانها هي..

بادله ماجد النظرات عدة لحظات قبل أن يتركهما هامساً:

- هتصرف...

لتلتفت أمنة لياسين تعاجله بكلمة واحدة:

- سعاد؟..

ربت ياسين على كتفها وهو يطمئنها:

- هي كويسة.. ماجد اطمئن عليها قبل ما نعرف بالي حصل..

وفجر معاها مش هتسيبها..

تمسكت أمنة بذراعه وعادت دموعها للجريان:

-أنا هموت عليها يا ياسين.. أنا مش عارفة أعمل إيه ولا أروح

فين!.. أقعد مع أبوك اللي بين الحياة والموت ولا أجري على

بنتي.. أخدها في حضني.. أدخلها جوه قلبي.. أحميها.. من

الناس.. من الزمن.. منكوا كلكوا.. بس أبوك..

هزت رأسها بحيرة:

- أسيبه إزاي!.. أعمل إيه؟!..

عاد ياسين يطمئنها:

- سعاد بخير وفي أمان.. ممكن تروحي معايا بالليل أما تطمني
على الوضع هنا..

أومأت برأسها موافقة بينما جذبت صيحة ماجد انتباههما
وهو ينادي على ياسين بلهفة ويخبر والدته على عجل بتدبره
غرفة لإقامتها بالمشفى حتى يستعيد والده صحته..

لتتردد همسة ماجد الموجوعة بأذني ياسين..

"كارثة.. احنا في كارثة"

كارثة!..

أتعبر تلك الكلمة البسيطة عما جرى..

عما صرخت به بلسم في أذن ماجد وهي تبكي بهيستريا غير
قادرة على وصف المشهد أمامها..

كارثة!!!..

أن تتأخري عن موعد عملك بالصباح لهو كارثة..

عجزك عن تحقيق درجة النجاح لترسي بدوي مخزي هو
كارثة..

فشلك بحياتك الوظيفية أو حتى الزوجية والاجتماعية يمكن
أن نطلق عليه كارثة..

ولكن أن تفقدي طفلتك!..

أن تعيشي لتري وتراقبي انطفاء نور الحياة من عينيها..

أن تدري بأعماقك أنكِ تحملين بين ذراعيك.. طفلتك.. قرة
العين ونبضة القلب.. ولكن كجثة بلا حياة.. جسد بارد جامد
وصامت اختفت بسمته وصخبه الطفولي المميز..

جسد ساكن وراكد يحمل بصمة لا تخطئ..

زرقة الموت وشحوبه..

تلك ليست بكارثة..

بل هي حالة لم توجد بعد كلمات كافية لوصفها..

فكل حروف اللغة تعجز عن وصف حالة رقية وهي تحمل
طفلتها بين ذراعيها..

تختطفها من فوق فراش أبيها وكأنها تحاول إنقاذها من
مخالب الموت المتربص..

تركض وتعدو بها في كل إتجاه.. لا تدري ماذا تفعل..

أين الملجأ والملاذ..

فقط تصرخ..

تطالب بإنقاذ صغيرتها وتنعمها بذات الوقت..

تتوسل عودتها وتبكي فراقها..

تهزها بقوة علمها تنال لسعة الأنفاس وسرعان ما تضمها
لصدرها بجنون هاتفة بأشباح مجهولة أمرة إياها بالابتعاد
عن صغيرتها..

تحاول بيأس.. بهذيان.. هيستريا.. بجنون أن تساعدنا لتخرج
للحياة ثانية..

لقد فعلتها مرة وهي رضية.. تحملت آلام جسدها.. شطره
لنصفين لتمنحها فرصتها بشهقة الحياة الأولى..
لما لا تحاول الآن.. أكثر.. وأكثر.. ربما تعود..

ربما يكافئ صبرها.. تحملها..

ربما يجبر القلب الكسير..

ربما تستجاب الدعوة..

كانت بلسم التي صعدت ركضاً إلى شقة رقية بعدما جذبتها
صراختها الفزعة، تراقب جنون حركة شقيقتها وهي تحاول
انعاش طفلتها الصغيرة بكل السبل..

فتارة تمنحها قبلة الحياة وأخرى تدلك قلبها برفق سرعان ما
يتحول لجنون صارخ وهي تناديا..

تتوسلها العودة..

تعدّها بمنحها الدنيا وما تطلب فقط لتفترق جفنيها..
وفجأة تنتفض بحركة عشوائية نحو غرفة الأب الغائب
الحاضر وهي تناديه..

تصرخ به لينتفض فزعاً.. يستفيق من غيبوبته الإرادية..

على صرخة رقية المشروخة:

- بسنت.. فوقتي.. اصحي.. اصحي يا قلب ماما.. فتحي عينيك..
عشان خاطري.. عشان خاطر ماما..

يحاول حاتم جذب الصغيرة من بين يديها وقد تصلب جسده
بأكمله مستوعباً صراختها.. ولكنها تمنعه بقوة.. بقسوة..
تزيد من ضم الصغيرة لصدرها وهي تنهشه بأظافرهما تمنعه
من الوصول لطفلتها..

تركض بها إلى دورة المياه.. تفتح الصنبور.. الدش..

تمسح على وجه الصغيرة بلهفة..

بأمل تدرك بأعماقها أنه ميت.. ميت كجسد صغيرتها الساكنة

بوداعة ملاك بين ذراعيها..

وحاتم متجمد تماماً وقد أدرك مثلها الحقيقة..

الطفلان يبكيان برعب.. وبلسم تصرخ بماجد على الهاتف..

"كارثة يا ماجد.. كارثة بسنت ماتت"..

ونعود للسؤال..

هل تكفي تلك الكلمة.. كارثة!..

حتى ولو تنكرت الحروف لتتحول لمأساة..

هل تكفي؟!..

هل توجد كلمات باللغة كافية لوصف حالة أم..

لُقبِت للتو.. بأَمِ ثكلى...

**

حركة دؤوبة.. وجوه مندهشة.. همسات متعجبة.. أسئلة
فضولية..

تلمحيات خبيثة مؤذية من نساء يتشحن بالسواد..
يتجمعن بمجلس العزاء وكأنه جلسة نميمة صباحية بيت
إحداهن..

يتغافلن عن مصيبة أهل البيت..

أهل المتوفي.. وبالأصح.. المتوفية.. طفلة ذات ثلاث سنوات
بالكاد بدأت تخبر عن اسمها..

لكنها الآن مسجاة بغرفة مغلقة.. ربما تخبر الخالق بجريمة
أبيها نحوها.. بضعف أمها.. بخذلان الجد وتخاذل الجدة..
بتجاهل الجميع وتقاعسهم عن التدخل الجدي الحاسم لإنهاء
وضع أسري كارثي.. انتهى بمأساة..

وأي مأساة..

الأم.. تم حقنها بمهدئ قوي بعدما فشل الجميع في تحرير
جسد الطفلة من بين ذراعها.. لتسقط متكومة بين ذراعي
الشقيق الأكبر.. الذي يحاول بشق الأنفس منع نفسه عن قتل
المجرم الحقيقي والوحيد بنظره.. حاتم.. الأب المكلوم الذي
ضاع عقله وهو يحمل جثة طفلته بين ذراعيه بعدما أفلتتها
أمها..

نظراته تجري على ملامحها وكأنه يراها لأول مرة.. بلحظة دار
شريط ذكرياته مجسداً باسمها الأولى التي منحها له.. وله
فقط..

نطقها المتلعثم لاسمه.. ضحكها البريئة وهي تتعثر بركضها
لتلقي نفسها بين أحضانه.. ليلقها هو بأحضان الموت..
دمها معلق بعنقه.. بين أنامله.. يربض فوق قلبه فيجمد به
الحياة حتى يلقاها..

تلمس أنامله محياها البارد.. ترسم ملامحها.. يمنحها نظرة
 عشق وداعية ودموعه تتراكم لتغرق وجهه ووجهها..
 يضمها لخافقه.. يزرعها بصدرة محاولاً منحها تلك
 الخفقات.. فهو من يستحق ذلك القلب الميت بصدورها..
 هو من قتلها.. قتل ودمر حياته وحياة أسرته ولا قصاص كافٍ
 له..

يهمس لها باعتذرات واهية.. يتلمس مغفرة لا يستحقها..
 جلس بركن قصي بالغرفة التي خصصت لغسل ابنته، يضم
 الجسد الصغير لصدرة.. يغمرها بقبلاته.. توسلاته وأعداره..
 وأخيراً وعوده.. يعدها بالتغيير.. بالشفاء.. بالإنقاذ لموتها..
 سيقتص لها من نفسه.. من ضعفه..
 تواكله وتهوره وجموحه.. سيجعلها تفخر به..

فقط لتمنحه عفوها.. غفرانها.. لتنتظره حتى لقاء قريب
ليلحق بها...

دلفت أمانة للغرفة بخطوات متثاقلة.. لا تدري كيف تواجه
الخطوب التي تلاحقها من كل جهة، لتفاجئ بحاتم جالساً
محتضناً جسد الصغيرة بقوة ودموعه تكاد تفرقه..

تأملته أمانة لدقائق ومشاعرها تتقاذفها بين الصراخ بوجهه
والتربيت على كتفه.. هو أب فقد طفلته.. كيف يمكنها معاقبته
أكثر!..

لكنها تعود لتتذكر جسد رقية المتشنج والمنتفض بكل لحظة
صارخاً باسم ابنتها فيقسو قلبها عليه وترغب بتمزيق عنقه..

خرجت همستها متحشجة ضعيفة:

-خلاص يا بني.. كل حاجة جاهزة.. الستات وصلوا علشان
الغسل..

زاد حاتم من ضم ابنته لصدرة وكأنه يخشى أن

يختطفوها من بين ذراعيه..

فتعود آمنة للهمس:

- وحد الله يا حاتم وبلاش تعذبها أكثر.. كفاية..

وتقطع كلماتها.. تعجز حتى عن تمزيقه بالكلمات.. فهي ترى

تمزق قلبه على صغيرته.. هي أم وتدرك تأجج حشاه بنار لن

تنطفئ..

يتحرك ببطء.. ليضع الجسد الصغير فوق المائدة الكبيرة..

يطبع قبلة طويلة على جبهتها..

يعيد عليها الوعد بلقاء قريب..

يسارع بالخروج ولكن يفاجئ برقية التي تستند على كتفي

فجروهي تدخل الغرفة..

تجرساقمها هامة بحزم يناقض لهجتها الواهنة:

- أنا اللي هغسل بنتي...

وتصمت للحظة لتبتلع مرارة الكلمات وتردف وهي تشير لحاتم:

- وأبوها اللي هيدفنها..

وتتحول لهجتها لصراخات معذبة وهو تواجه حاتم:

- أنت اللي هتشيلها وتنزلها لقبرها.. اللي هتهيل التراب على

وشها.. هتكمل اللي بديته لآخره يا حاتم..

هتدفن بنتك بعد ما موتها..

انتهى الفصل

الفصل الحادي والعشرون

.....

العجز؛ إحساس يكبل الروح ويحطم عزيمتها..

العجز كالعلقة الخبيثة تنخر بكيان الإنسان فتحوله إلى
مسخ.. كائن هش بلا حول ولا قوة.. ولا قدرة على التصرف
ونيل الحقوق..

وحين يكون عمك هو رد الحقوق والدفاع عن الأضعف لتجد
حاجز العجز يكبلك من كل ناحية.. هنا يكون الإحباط واليأس
هما الملجأ والملاذ..

وغرق هاشم بين يأس وإحباط يغذيهما إحساس عميق
بالعجز..

فالقضية التي رتب أوراقها وجمع تحريات ومعلومات كفيلة
بإلقاء المدعو أمير لسنوات وسنوات خلف القضبان، لن تصل
حتى لسراي النيابة..

والسبب!..

بكلمات بسيطة.. نفوذ.. عائلات تحيا بطبقة كريمة وهي أعلى
من المخملية بقدر ما.. بنات عائلات هن بالأصل ضحايا.. ولكن
مع استمرار القضية سيتحولن لنجمات الصحف المشبوهة
والمواقع الصفراء..

تخطيم سمعة.. انتهاك إضافي.. تدمير أسر مستقرة..

والمحصلة..

النتيجة لا تستحق الدمار الذي سيُدفع ثمناً لها..

لا ينكروا جهة السبب.. ولكنه حق يُراد به باطل..

الفتيات هن ضحايا حقيقة لا يختلف معها..

لكهن أيضاً مذنبات.. ذلك واقع يدركه عقله ويرفضه قلبه
وإنسانيته..

القضية غاية في الحساسية كما أخبره رئيسه.. وإن كان
الهدف هو معاقبة الجاني.. فالعقاب سيشمل الضحايا أيضاً..

ولا مجال لحل وسط..

وجملة حاسمة أنهت الأمر..

"ما فيش واحدة فيهم حاولت تستغيث بمباحث الإنترنت.. أو
حتى بأهلها.. أنا فاهم أنه كان بيبتزهم.. بس في قضايا كثير في
مباحث النت وكانت بتتحل بصمت والمجرم بياخذ جزاءه.. وده
لأن البننت بتتكلم وبتطلب المساعدة.. الوضع هنا مختلف.. لو
هو هيتحبس.. هما كمان ممكن ياخدوا حكم.. ده غير
الفضايح.."

هتف هاشم بحنق

"كان يبيتزهم.."

ليقاطعه رئيسه..

"كلمته قدام كلمتهم.. والنهية مش مضمونة" ..

وانتهت القضية قبل أن تبدأ.. وسيفر المجرم من عقابه..

وربما يخرج من محبسه ليكمل سلسلة نشاطاته المشبوهة

التي لن تنتهي إلا بظهور مَنْ تملك الثقة والشجاعة لتطلب

المساعدة...

زفر هاشم بحنق فهو معتكف بمنزل شقيقته منذ أسبوع كامل

يحاول تقبل تلك النهاية..

يصارع عقله الذي يدفعه لرفع القضية لمستوى أعلى.. بينما

تغلبه إنسانيته وهو يتذكر جنون ياسين برؤية صور شقيقته..

هل سيتحمل رؤية خيبة وجنون عشرات الآباء والأمهات؟..

هل الثمن يستحق؟!.. هل..

قاطع أفكاره الدخول العاصف لمخطوبته تصحبها ربهام
هاتفه:

- اتفضلي يا مشيرة.. يمكن تلاقي حل مع البيه اللي مقاطع
الكل وجاي عندي عشان يقعد مع نفسه مش مع أخته
الغليانة..

اتكأت مشيرة بقدها الفارع الممشوق على حافة الباب تداعب
أطراف خصلاتها الداكنة والقصيرة جداً ترسم بسمة رقيقة
على شفثها أعقبها بجملة معاتبة:

-ومطنش خطيبته المسكينة.. لا تليفون بيرد ولا رسالة
بيبعث..

نهمض هاشم من فراشه ليجذب مشيرة خارج الغرفة ويلتفت
لربهام لائماً:

- اتصلتِ تطلي الدعم بسرعة!

هتفت بغیظ:

- بسرعة!.. هاشم أنت مش شايف نفسك؟.. أنا مش عارفة
أكلمك ولا عارفة أتفاهم معاك.. قلت أجيبك اللي
هتستجوبك تمام..

سحبت مشيرة يدها وهي تعدل من وضع سترتها الوردية
القصيرة وأطلقت ضحكة رقيقة وهي تتساءل:

- وده مدح ولا ذم يا ريهام؟..

أخبرها هاشم ببساطة وهو يصطحبها خارج الغرفة نحو بهو
الشقة الواسع:

- ده إقرار واقع يا حبيبيتي.. أنت صحافية شاطرة وبتعرفني
تسألني الأسئلة الصح..

جلست مشيرة بجواره هامسة:

- امممم.. كده أنت بقى ضحكت على عقلي بكلمتين..

والمفروض أنسى بعدك عني أسبوع كامل!..

ابتسم برقة وهو يداعب وجنتها:

- وحشتيني..

كتفت ذراعها بغضب مفتعل:

- والله!..

تأمل ملامحها الغاضبة والفاتنة؛ عينان بلون الفضة تظللها

أهداب غاية في الكثافة..

عينها هي ما جذبه لها في أول لقاء.. حيث كانت تعد سلسلة

مقالات عن السجون بمصر..

ليقع هو تحت سحر جنية ذات خصلات صيبانية وعينان

مكحلتان بطبيعتهما..

ورغم عنفوانها وجديتها بعملها إلا أنها كانت متمسكة بأنوثتها
الرقيقة لأقصى حد.. ليزيده ذلك تعلقاً بها..

يعشق هو الأنثى الرقيقة التي تجيد معاملة أنثوتها والعناية
بها..

وبنهاية سلسلة المقالات.. كان خاتمه يزين خنصرها..

ليكتشف بعدها طباع خطيبته النارية والمندفعة بتهور..

وكان ذلك يجذبه بقوة ويرعبه بقوة أكبر..

أفاق من شروده على وكزة عاتبة منها وهي تسأل بالحاح:

- هاشم.. طمني عليك.. في إيه؟..

تنهد هاشم:

- مشاكل في الشغل.

رفعت مشيرة حاجبها بتعجب:

-ومن إمتى شغلك ما فيهوش مشاكل!..

أجاب بحزن:

- على رأيك.. بس المرة دي مختلفة شوية.. إيديا متكتفة..

اتسعت عينها بتعجب بينما تسمعه يسرد عليها القضية كلها

وكيف انتهى به الأمر بين سندان الإنسانية ومطرقة القانون..

واستمعت مشيرة بكل جوارحها وأمام عينها يرتسم سبق

صحفي جديد.. وناري

أسبوع مر.. سبعة أيام كاملة.. سبع ليالي مظلمة رقدت بهن

بسنت تحت الثرى.. استبدلت عناق والدتها... بلفائف كفنها..

غابت بسمتها وضحكاتهما الطفولية الرقيقة.. وغاب معها وعي

رقية..

تستفيق لدقائق تبحث فيهن عن ابنتها.. ومع إدراكها للواقع
تعود لغيوبتها مرة أخرى..

تارة تسقط فاقدة الوعي.. وتارة عن طريق مهدئ يدفعه ماجد
بأوردتها ليهدأ من حالتها الهستيرية..

واختفى حاتم تماماً.. نفذ ما أمرته به رقية ووارى ابنته الثرى
ولم يعد بعدها للمنزل، بل لم يره أحد بعدها..

واليوم بدأت رقية أخيراً في استعادة بعض من اتزانها..

وتركت فراشها لتخرج لملاقة عمتها وزوجة عمها اللاتين أتيئا
للاطمئنان عليهما..

خطت عدة خطوات متهاككة تستند على ذراع والدتها التي
أجلستها على أقرب مقعد..

بدأت عمتها بإلقاء كلمات العزاء المعتادة والتي غلفتها كعادتها
بكلام مبطن تبغي به إيذاء من حولها:

- ربنا يصبرك يا بنتي.. الناس بتيجي كل يوم عشان ياخدوا
بخاطرك بس كل مرة بيقولولنا أنك واخدة مهدئ ونايمة..

أومات رقية برأسها وهي تجيب بصوت متحشج:

- ربنا يكرمك يا عمتي..

لتجها هادية:

- بس كويس أنك وقفت المهدئات دي.. عيالك محتاجينك..
هيبقى أمهم وأبوهم.. وكفاية رامياهم أسبوع كامل عند أخوك
ومراته.. مش أمان برضوه يا حبيبتي..

قاطعت آمنة كلماتها المسممة:

-فجر شايلة الولاد في عينها.. ومافيش أحن من ياسين على
ولاد أخته..

وقبل أن تجيب هادية بكلمات مستفزة جديدة.. سارعت
سليمة والدة حاتم بالسؤال باللهفة:

- ما تعرفيش حاجة عن حاتم؟.. ما اتصلش بيك يا رقية؟..

شبهت رقية بعنف وكأن ذكر اسمه يسحب الحياة من رئتها
وهزت رأسها بنفي وصوتها يخرج متحسرجاً متقطعاً:

- ما اتصلش ومش هيتصل.. ولو اتصل مش هسمع له..

إحنا خلاص.. انتهينا..

هتفت هادية بنزق:

- كلام إيه ده يا رقية!.. بنت الأصول ما تتخلاش عن جوزها
في شدته..

نهضت رقية تستند على مسند المقعد لتصرخ بعنف:

- شدته ولا جريمته!.. بنتي ماتت.. اتقتلت.. وأنتِ جاية

تقوليلي بنت الأصول!..

نهضت آمنة بدورها لتهدأ رقية فهي تخشى أن تعود لحالة

الهيستيريا ثانية.. بينما تدخلت والدة حاتم لتهدأ الوضع:

-عمتك قصدها أن أنتوا الاتنين في شدة ودي فرصة تقربوا
من بعض.. وتحاجوا على ولادكوا..

اتسعت عينا رقية وهي تستمع لكلمات زوجة عمها وبدأت
ترتعد بشدة وتلهث لتلاحق أنفاسها عندما زادت عمها الطينة
بلة وأردفت:

- اتصلي بجوزك يا رقية.. هو لو عرف أنك سامحتيه هيرجع..
ولاده محتاجينه.. وأنتوا لسه صغيرين.. بكره ربنا يعوضكوا
عن بسنت... و..

صرخت رقية بجنون وكفيها يحيطا برأسها التي تتحرك يمنة
ويدسرة بعنف:

- أسامحه!.. أسامح مين!!.. وإزاي!.. هو اللي عمله ينفع معاه
سماح!.. وولاد مين اللي محتاجينه!.. محتاجينه في إيه؟..
يقتلهم زي ما قتل أختهم.. ولا..

أوقفت أمنة كلمات ابنتها بعدما ضممتها بين أحضانها هامسة:

- كفاية يا رقية.. كفاية يا بنتي..

صرخت رقية بعذاب:

- كفاية إزاي يا ماما!.. دي عايزاني أسامحه!.. هترجعوني تاني

لحد ما ولادي كلهم يضيعوا!..

التفتت آمنة لحماية ابنتها وأخت زوجها لتخبرهما بحسم:

- حاتم هيطلق رقية.. النصيب خلص..

نهضت هادية بعنف تهتف بوجه آمنة:

- من إمتى أنتِ اللي بتحكمي يا آمنة!.. ولا عشان أخويا رقد

كام يوم في المستشفى هتحكمي وتتحكمي..

زادت آمنة من احتضان ابنتها وحاولت التحكم برجفتها التي

تهدد بالخروج عن السيطرة.. حتى اطمأنت لهدوءها

فاصطحبتها لغرفتها..

خطت خطوتين ثم التفتت لهادية:

- ماحدث هيجر بنتي على حاجة بعد كده.. وطالما هي قررت
الطلاق.. يبقى ده اللي هيتم.. حاتم يبعد أو يتعالج.. ده آخر
كلام عندنا.. على الأقل يبقى موت المسكينة كان له تمن..
وابتعدت عن أعينهما لتختفي مع رقية بإحدى الغرف بينما
اشتعلت مراجل الغضب بقلب هادية..

فالأمر تخرج عن مسارها.. وأمنة بدأت تظهر مخالها..

وقد تطالب بعودة ابنها "رد السجون" ليمسك التجارة مرة
أخرى.. فالفرصة مواتية وعلاقاته بإخوته أصبحت أقوى من
قبل..

وحافظ بالمشفى لا يدري حتى عن موت حفيدته.. فالطبيب
رفض أن يخبره بما حدث حرصاً على حياته..

وفاروق الأحقق قطع حبال الوصل مع ابنة عمه البلهاء.. و..

لحظات قليلة.. ارتسمت بعدها ابتسامة شيطانية على شفيتها
 فهي وصلت للحل الذي يعيد كامل السيطرة لابنها مرة أخرى..
 وتعلم كيف تقنع حافظ.. لن تقنعه فحسب.. بل سيكون
 ممتناً لها ولابنها المضحّي والذي سيستر عرض ابنة خاله..
 ويرتبط بها.. رغم مجونها وطيشها...

ولم يخطأ حدسها.. فبعد بضعة محاولات إقناع واهية، وافق
 حافظ على عرض شقيقته.. محاولاً إقناع ضميره أن ذلك هو
 الحل الأمثل ليغطي على الفضيحة التي طالت العائلة..
 وكان مشهد هادية وهي تبتسم بانتصار في وجه أمنة عند
 وصولها إلى غرفة حافظ أصعب من أن تتحملة الأخيرة التي
 هتفت بتعجب:

-هادية!!.. أنت هنا من إمتي؟.. ما قولتيش يعني أنك جاية!!

رفعت هادية حاجبها بخبث:

- هو أنا لازم أخذ الإذن منك عشان آجي أزور أخويا!!..

ارتبكت أمانة من هجوم هادية المباشروغمغت بحرج:

- ما أقصدش طبعاً.. بس..

قاطعتها هادية بمكر:

- ما بسش.. أنا قلت آجي أونس أخويا شوية.. يا حبة عيني
مرمي لوحده في المستشفى طول اليوم.. وأنتِ قاعدة جنب
ولادك.. يادوب تيجي ساعتين الزيارة..

اتسعت عينا أمانة بذهول غاضب.. فهادية تدرك جيداً أنها
تبقى بالمنزل لتلقي عزاء حفيدتها ورعاية رقية الغائبة عن
واقعها منذ أنهت غسل ابنتها..

كما تدرك تمام الإدراك جهل حافظ بتلك المعلومات ..

إذاً لم تنسج لها فخ الإهمال الزوجي!..

وقبل أن تجب أمانة بكلمة واحدة فوجئت بكلمات حافظ

الصادمة:

-فاروق طلب يتجوز سعاد وأنا وافقت.. كتر خير هيستر
عرض بنت خاله.. طالما أخواتها الرجالة ما قدروش ينضفوا
عارهم..

قاطعته أمنة بصرخة:

- فاروق!!.. فاروق الي طلق بنتك في القسم!!.. فاروق الي من
أسبوعين كان بيكتب كتابه على بلسم توأم سعاد!.. فاروق
الي ما عرفش يحفظ سر بنت خاله وكان أول واحد
فضحها!!.. فاروق مين يا حاج؟!

أجابها بغضب منهيًا الحوار:

-أنا وافقت خلاص وما حدش له كلمة بعد كلمتي..

رمقته أمنة بنظرة غامضة.. لم يفهم معناها..

هل هو غضب؟.. أم حزن؟.. أم قهر؟..

لكنه يشعر أنها تحوي قدرًا من الكراهية..

هل تكرهه أمانة؟.. هل تكرهه لأنه يبحث عن الحل الأمثل

لتلك الفضيحة التي تسببت بها ابنتها!..

بينما أمانة كانت أفكارها تتجه اتجاهاً آخر..

هو يبدو بصحة جيدة.. بخلاف عجزه عن السير..

لكن حالته العامة جيدة.. إذاً يمكنها إخباره الآن بأنه فقد

حفيدته الصغيرة.. ربما يفيقه ذلك الخبر من ظلم أفكاره..

ربما يدرك أخيراً أنه بتغافله عن مشكلة حاتم ورقية.. شارك

بقدر ما في ضياع الطفلة..

ربما يفهم.. أنها لن تشاركه مزيداً من الأخطاء بحق أطفالها..

فسعاد أذنبت.. وهي تؤجل مواجهتها لا تنكر..

هي تنتظر أن تمتلك قليل من الشجاعة والقسوة حتى تخرج

بتلك المواجهة إلى بر الأمان..

ولكن كفى.. كفى تأجيلاً.. بل كفى هروباً..

كتفت ذراعها وهي تخبر حافظ بهدوء:

-فاروق مش هيتجوز بنتي يا حافظ.. عايزين نتعلم من
غلطنا مش نكرره..

سألها بتعجب:

- غلط!..

لم تجبه وأردفت بكلمات واضحة قبل أن تخونها شجاعتهما:
-هادية كتر خيرها جاية تونسك وأنت لوحذك.. بس هي
نسيت تقولك عن السبب الحقيقي اللي منعي من زيارتك..

قطب حاجبيه بتساؤل لتصدمه بقولها:

-البقاء لله يا حاج.. بسنت حفيدتك ماتت.. أخذت مخدرات
بتاعة أبوها تلعب بيها.. وماتت بجرعة زائدة.. وهو كان
متخدر.. غايب عن وعيه ونايم جنبها..

ندم شديد انتاب أمانة بعد تصريحها البارد..

فحافظ.. الذي طالما تخيلته كالجبل.. لا يؤثر به شيء...

حتى سجن ولده وطلاق ابنته..

حتى جريمة سعاد..

كل تلك المصائب لم تؤثر بصموده وجبروته.. تراه الآن يرتعد..

كل ما به يرتعد.. جفونه.. عيناه.. شفتاه.. يداه..

كان يرتعد بقوة وكأنه بمركز بركان بدأ ينشط للتو..

وكان البركان يتصاعد بالفعل من داخله.. لقد صدمه خبر

موت الطفلة..

لم يصدمه فحسب بل صفعه بقوة..

هو رجل مر بالكثير.. وعاصر الموت بكل مراحل حياته..

ولكن أن يعيش ليسمع أن حفيدته ذات الثلاث سنوات وُريت

الثرى وهو لم يتمكن حتى من ضمها لصدره ضمة أخيرة..

لم يتمكن من الصلاة عليها أو حتى وداعها بقبرها..

كان يرتعد من داخله..

موت طفل هو جريمة.. وبحالة بسنت الجريمة مضاعفة..

ويداه هو بالذات غارقة بدماء الفتاة..

هو من كان يعيد رقية كل مرة لحاتم..

تارة عن طريق الإقناع.. وأخرى بالإجبار..

هو من أرسل الفتاة لحقتها..

هو من..

كان يرتعد بقسوة وشفته ترددان كلمات بلا معنى مما دفع

هادية للبهتان بأمانة تلقي اللوم عليها:

- إيه يا أمانة!.. اتجننت.. الدكتور قال ما حدش يبلغه و..

قطع كلماتها صرخة حافظ المتقطعة:

- كف.. اااااااااا!..

والتفت لأمنة وعيناه تلمعان بدموع حسرة استوعبتها أمنة
بسرعة فتحركت بجسدها الثقيل لتجلس بجواره وتضمه بين

ذراعها:

- حفيدتنا راحت يا حاج.. وبنتنا هتروح وراها لو ما لحقناش
نفسنا.. يا حافظ الله يخليك سيبي ألم الولاد قبل فوات
الأوان..

ردد بتلعثم وجسده ينتفض محاولاً كتم شهقاته:

- بس الناس...

قاطعته:

- الناس نفعتنا بإيه واحنا بندفن وردة ما كملتش ثلاث
سنين.. كانت رقية كل ما تكلمك تقولها.. الكيف ما بيأذيش
حد.. وطالما مكفي بيته مالناش عنده حاجة..

ظهرت شهقات الرجل واضحة وهو يردد:

- ده اللي اتربيننا عليه.. كنت هقول للناس إيه أبو أحفادي
مدمن عشان كده طلقت بنتي منه!.. أفضحها وأفضحه
وأفضح عيالهم!!..

تمسكت بكتفيه بقبضتها كأنها تريد لكمه بهما:

- تاني يا حافظ!.. الناس تاني!!.. ودلوقت عايز ترمي بنتك
لواحد ما استناش يكلمك قبل ما يطلق أختها!!.. عايزه
ياخدها خدامة عنده!.. ولا مستني أما يقهرها ويتجوز عليها!!..
الله يخليك سيبلي عيالي.. الله يخليك يا حافظ..

قاطعتها هادية بغضب:

-يسيب لك إيه يا أمنة!.. ما هو كان سايبهملك.. وشوفي
النهاية إيه!!.. واحد رد سجون والتانية فاجرة والتالثة مطلقة

..و

قاطعتها أمانة بغضب وهي تبتعد عن حافظ:

- اطلعي بره يا هادية.. أنا بنتي مش هتجوز ابنك.. حتى لو
كان آخر راجل في الدنيا..

تخصرت هادية بغضب وهي تتوجه لحافظ:

- شايف مراتك يا حافظ!.. قولها حاجة..

رمقته أمانة بنظرة متوسلة وهي تضغط كفه باستعطاف..
ليردد بصوت خافت:

- ما عنديش بنات للجوازي هادية..

رفعت هادية حاجبها بغضب وهي تهتف:

- هتمشي ورا مراتك يا أخويا.. دي آخرتها.. هتبقى دلدول
للست!!

تملكت من حافظ روحه الغاضبة ولكنه صب حنقه تلك المرة
فوق رأس شقيقته:

-فاروق يسلم مفاتيح المحلات لماجد..

صرخت هادية:

- أنت اتجننت!!

صرخ بها غاضباً:

- اسكتي يا هادية.. كفيالكِ غلط..

ومع كلمته الأخيرة انهار تماسكه ليبدأ جسده بالارتجاف وتهرع

آمنة لتدق الجرس لاستدعاء الطاقم الطبي..

وقفت فجر بمطبخها تحاول إلهاء نفسها بإعداد الطعام..

وعيناها تتحركان بلا إرادة منها نحو التوأمتين الجالستين بهو

منزلها..

كل واحدة منهما تدعي أنها تجالس طفلي رقية..

سعاد تعيش حالة من الصمت والابتعاد التام عن الجميع..
عاجزة عن التواصل مع توأماتها.. وعاجزة عن تجاهلها..
وبلسم تحيا في حالة من عدم التصديق.. تناظر الجميع بنظرة
مذهولة..

منذ شهدت هذيان رقية ومحاولتها إنعاش ابنتها وهي غارقة
بحالة من الذهول التام..

لم يخرجها منها إلا عناق قوي من ياسين وهو يربت على
خصلاتها يحاول إخراجها من ذهولها مخبراً إياها بواقعية..

"بلسم.. ركزي معايا.. أنتِ هتقعدي مع عمرو وياسمين ولاد
رقية في الشقة عندي.. هتاخدي بالك منهم.. وكمان من أختك
سعاد.. بلسم.. أنا معتمد عليكِ.."

هزت رأسها بموافقة قبل أن تغرق دموعها بقميصه وهي تخبره
بخوفها من القادم.. هامسة بحزن..

"إحنا ليه بيحصل معنا كده!.. رقية.. وسعاد..

وبسنت..بسنت.."

وسرعان ما غابت بنوبة بكاء عنيفة.. وتركها ياسين ترمي بكل

انفعالاتها على صدره حتى هدأت تماماً..

بعدها أعاد كلماته ثانية على مسامعها واصطحبها لمنزله حيث

التقت بتوأمتها للمرة الأولى بعد طلاقها التي كانت سعاد سبباً

رئيسياً به..

أخفضت سعاد عينها أرضاً وهي تفرك كفيها معاً..

لم تستطع مواجهة بلسم..

كيف يعجز الإنسان عن مواجهة نصفه الآخر.. نصفه الآخر

حرفياً؟..

الإجابة عندما يُجرم بحقه..

وهي أجمت بحق توأمتهما.. ولسانها عاجز عن طلب الصفح..
وقدماها متجمدتان ومثبتتان بالأرض.. فلا هي تتحرك نحو
بلسم.. ولا تتمكن من الاختفاء هرباً من أمامها..

لفت نظرها هرولة فجر نحو ياسين الذي دلف من باب
المنزل في تلك اللحظة يحمل بعض الحقائق الصغيرة ومعه
عمرو وياسمين طفلي رقية..

فجر تعلقت بخصر ياسين وهي تهمس له بكلمات لم تفسر منها
سعاد إلا..

"شد حيلك.. البقاء لله" ..

حركت سعاد نظراتها بين شقيقها وزوجته وبين توأمتهما التي
وضح الآن أن سبب احتقان وجهها هو البكاء وليس الغضب
كما ظنت في البداية..

اهتزت شفتاها برعب ولسنها يردد باستفهام مستنكر

"ماما!!!"..

ومع ارتعاد جسدها الملحوظ أدركت بلسم ما يجول بخاطر
نصفها الآخر.. فطارت نحوها تضمها قبل أن تسقط أرضاً
هامسة لها

"ماما بخير يا سعاد.. والله ماما بخير"..

ظلت سعاد ترتعد بين ذراعي بلسم وعيناها تتوجه نحو ياسين
تطالبه باطمئنان مماثل ولكنه حول نظره عنها بصمت بينما
همس لفجر أن تعد لهما بعض قطع الثياب..

والتفت لبلسم هاتفاً..

"أنتِ المسئولة قدامي يا بلسم.. ولاد أختك أمانة عندك.. لو
احتاجت حاجة، كلمي الحاج صالح وهو هيتصرف".."..

أومأت بلسم بصمت بينما ابتعدت سعاد تضم جسدها بين
ذراعيها وهي عاجزة عن فهم ما يحدث..

تخشى السؤال عن والدها.. بل تخجل.. هل يمكن أن يكون

هو من توفي!..

هل تسببت بموت أبيها!!

همست بصوت متردد خشن

"بابا حصله حاجة بسبي يا ياسين؟"

لم يجبها ياسين بل وجه كلماته لبلمس

"أبوك بخير.. ماجد طمنا عليه.. حالته مستقرة بس احتمال

كبير أنه مش هيمشي تاني.."

عادت بلسم تومئ برأسها وقد أدركت أن ياسين يطمئن سعاد

عن طريقها فهي تعلم تلك المعلومات بالفعل.. بينما تهالكت

سعاد أرضاً وهي تضم ركبتيها هاتفة..

"أبويا اتشل بسبي!!"..

وتجاهلها ياسين تلك المرة أيضاً وهو يردف مخاطباً بلسم..

"أنا وفجره نقعد أيام العزى في البيت الكبير.. بس هنرجع على

النوم.. ما تقلقيش مش هتكونوا لوحدكوا.. وبحذرك يا بلسم..

موبايلك في جيبك.. إيدها ما تتمدش عليه.. وكمان موبايلات

ولاد أختك.. عينيك تبقى في وسط راسك.. إوعي.. كمان مرة

اوعي تسيبي موبايل في إيدها.."

استمعت سعاد لكلمات ياسين القاسية ودموعها بدأت تجري

بلا توقف ولسانها يردد باستفهام

"مين مات؟.. مين؟"

نزلت بلسم لمستواها أرضاً لتضمها بحنان هامسة بصوت

مرتجف..

"بسنت.. بسنت بنت رقية ماتت.."

والغياب عن الوعي بتلك اللحظة كان نعمة حسد الجميع
سعاد عليها..

عادت فجر للواقع أمامها وهي تراقب تجاهل التوأمتان كل
منهما للأخرى..

فبعدهما استفاقت سعاد من إغمائها لم تتبادل كلمة واحدة
مع بلسم.. وكأن العناق السابق للاغماءة لم يكن..

وكان بلسم قررت الآن فقط إعلان الغضب على شقيقتها..
وسعاد بدورها تكتفي بدور المشاهد الصامت..

تقوم برعاية الطفلين.. ولكن بدون كلمة واحدة.. وكأنها تعلن
تمرداها الخاص على معاملة أشقائها لها.. فياسين وماجد
الذي أصبح ضيفاً شبه دائم على مائدتها يتجاهلا سعاد
بصورة واضحة.. حتى أنهما يبتعدا بسرعة عن مائدة الطعام
إذا لمحاها قادمة نحوها..

يخرجان من أي غرفة تتواجد بها.. ويمتنعان عن توجيه كلمة
واحدة لها..

والفتاة بدأت تذبل.. بل تكاد تختفي تحت وطأة ذلك
التجاهل.. الجميع يتعامل معها وكأنها طيف غير مرئي..
هي تدرك أن الفتاة أخطأت.. ولكن..

ولكن عندما حاولت تليين قلب ياسين ليرقق من معاملته لها
أجابها بجملة صدمتها..

"مين اللي يستسمح مين يا فجر!.."

أجابته برقة وهي تقترب منه تضع بيده ثمرة يوسف بعدما
قشرتها وأزالت تلك الخيوط البيضاء التي تسبب له الحنق..

"أنت أخوها الكبير وسندها وبرضو.."

قاطعها ياسين..

"وأنا ما قصرتش.. ولا ماجد كمان.. بيتي وفتحته لها.. حماية
وهي تحت حمايتي.. علاج وماجد مش متأخر.. لكن بعد اللي
عملته ده.. إزاي أخذها بالحضن!.. إزاي أطبب وأواسي
واداوي!.. إزاي هتحس بحجم جريمتها في حق أهلها.. حق
أختها.. وأهم حاجة جريمتها في حق دينها وربهها.. في حق نفسها
لونات السماح والعفو بالساهل كده!!"

غمغمت فجر بقلة حيلة..

"أذيتها لنفسها أكبر أذية يا سي ياسين واللي حصلها مش
قليل"

هتف ياسين..

"والثقة!.. الثقة اللي حطها أبويا وأمي فيها وهي خانتها!..
العرض اللي فرطت فيه!.. الأمانة اللي ضيعتها.. دول يتعوضوا
..إزاي"

اقتربت منه أكثر لتهمس له..

"بس أنت والله ما في أحن من قلبك.. اتكلم بس معاها وهي.."

قاطعها ياسين بتهكم..

"هي حتى جربت تبدأ وتطلب السماح!"

سارعت فجر بالرد..

"مكسوفة وخجلانة من نفسها و.."

قاطعها ياسين بحسم..

"فجر.. أنا مش هقاطعها العمر كله.. الموضوع فات عليه كام

يوم بس.. ووقت ما تعرف إزاي تبدأ تكفر عن ذنبها.. وقتها

هتعرف تيجي تعتذر.."

قاطع تسلسل أفكارها صوت جرس الباب.. وبعده دلف ياسين

لداخل الشقة يصحبه هاشم الذي كان ينكس رأسه بحرج..

أدخله ياسين غرفة الاستقبال وتوجه نحو فجر بالمطبخ هامساً

لها:

- هاشم بيه معايا في أوضة الضيوف.. ممكن تنادي سعاد

عشان هو عايز يقابلها.. واعملي لنا اتنين قهوة..

خرجت سعاد برفقة فجر لتطرق باب الغرفة النصف مغلق..

ثم تدخل وتجلس على أقرب مقعد.. وكفيها يضغطان جانبي

المقعد بتوتر.. بينما وضعت فجر صينية القوة وخرجت

بسرعة من الغرفة بعد أن ألقت تحية سريعة على الضيف..

تنحى هاشم ليجلي صوته وتوجه بحديثه لياسين:

- أنا آسف يا ياسين.. خرجتك من ورشتك.. وعطلتك عن

شغلك.. بس كنت عايز أكرم الأنسة سعاد في كلمتين..

أجابه ياسين بتوتر لم يستطع التخلي عنه.. فمضى هاشم يعني

وجود مشكلة.. أو بالأحرى كارثة.. وهو حتى لو عاقب سعاد

بالصمت المتجاهل لكنه لن يسمح بتعرضها لأي خطر:

- خيرا هاشم بيه.. أنا قلقان بصراحة.

حاول هاشم كتم غصته قبل أن يصرح بوضوح:

- ما فيش حاجة تقلق.. بالعكس.. أنا جاي ومعايا أخبار
كويسة.. الإدارة قررت تحفظ القضية.. بعد التحريات
وتفضية الصور ومقاطع الفيديو..

قاطع كلماته شهقة مرتعبة من سعاد وهي تخفي وجهها بين
كفيها.. مدركة أن ذلك الرجل أمامها، وربما عشرات غيره رأوا
صورها وعمرها على شاشة هاتف أمير...

ابتلع ياسين غصته وبعقله تدور نفس الأفكار.. وقبضتيه
تنقبضان بعنف ينذر بكارثة..

يغمض عينيه محاولاً استدعاء قوة الصبر والحلم بداخله..
ويدرك هاشم ما يمر به ياسين فيكمل بسرعة:

- كل الصور والأفلام اتمحت.. اتمدرت تماماً من على
تليفونه.. والذاكرة الإحتياطي كمان.. عايز أطمئنك يا ياسين أنا

لسه راجع بنفسى من بيته وكل جهاز يمتلكه المجرم ده
 ادمرت الذاكرة بتاعته.. هو صحيح خد إفراج حالياً بس..
 قاطع كلماته إنتفاضة عنيفة من سعاد وهي تنهض بذعر
 هاتفه:

- خد إفراج!.. بقى حر.. يعني ممكن يوصلني... ممكن..

قاطع هاشم كلماتها المذعورة:

- ما تقلقيش أبداً.. الكلب ده عمره ما هيجرؤ يقرب منك..

قال كلمته وهو يتأمل قبضته المكدومة..

فبرغم طاعته للأوامر وقيامه بحفظ القضية لكنه ثار من ذلك

الوغد بقبضته..

ثم تركه بعدها للمجرمين بالحجز الإحتياطي بعدما سرب لهم

معلومة مغلوبة أن أمير اغتصب طفلاً صغيراً..

وبالطبع زملاؤه بالحجز قاموا بمنحه أروع حفلة ترحيب..
وحفلة وداع أيضاً..

لقد حُطمت ضلوعه بأكملها وفقد بعض من أسنانه..
هتفت سعاد لياسين بتوسل وعينها تمتلأن بدموع الرعب..
وجسدها يرتعد هلعاً.. ويدها تمتد نحوه باستعطاف:
- ياسين.. أنا خيفة.. أنا..

لمح ياسين عينها المتوسلتين.. كفها الممدود بضراعة وكأنها
تستجدي حنانه وأمانه..

تجمد بمقعده للحظات وقد عجز عن منحها ما تريد..
هي لم تتقدم بلفظة اعتذار واحدة.. حتى لشقيقتها التي كادت
أن تضيع بسببها..

لم تحاول إبداء ندمها لما لحق بأبيها..

صامتة على الدوام بعيون محتقنة من بكائها طيلة الليل..

كيف تتعلم درسها إذا مُنحت العفو بتلك السرعة!..

كيف يجعلها تدرك أنها خانت الدين والرب والعبد والنفس
ذاتها....

توقف تفكيره للحظة وعقله يصرخ به بقسوة..

"ما الفارق بينك وبين أبيك الآن؟.. على الأقل هو له عذره،
تربيته، نشأته.. تعليمه البسيط.. لكن أنت.. أنت من عانيت
القهر والظلم والنبذ.. ما عذرك!.. ما عذرك وأنت تنبذ بدون
أن تفهم.. وأنت تعاقب بدون أن توضح الذنب.. ما الفارق!"
رمىها مرة أخرى وعيناها تصرخان طلباً لعفوه.. لرضاه..

لكلمة تمنحها أمان في ليلها..

ولم يحتمل أكثر.. لم يحتمل نداء الاستغاثة بعينها..

لقد غفل عنه مرة ولن يكررها..

غضبه وعقابه الصامت لها شيء.. وحماتها ومنحها إحساس
الطمأنينة والأمان شيء آخر..

نهض ياسين من مجلسه ليركع أمامها هامساً بخفوت:

- ما تخافيش يا سعاد.. مش هسمح أبداً للندل ده أنه
يأذيك.. على جثتي لو قرب منك.

أرادت أن تلقي نفسها بين ذراعيه.. أرادت الاطمئنان بين
أحضانها كما تفعل بلسم وكما تتركن فجر عليه بكل لحظة..
أرادت لمسه والشعور بمواساته.. ولكنها ابتعدت.. ابتعدت
بعدما أدركت أنها لا تستحق أمان أحضانها.. لا تستحق
الطمأنينة بين ذراعيه.. هو لا يستحق منها أن تلوثه.. هي
ملوثة.. مدنسة.. خاطية ومذنبة بجرم لا تعرف وسيلة للتطهر
منه..

راقب هاشم تلك الانفعالات والتي تذكره بحالة ريهام عند موت
شريف وكيف كان هو السند والدعامة لها..

لاحظ تردد سعاد في الاقتراب من شقيقها..

ترفع كفها لتقربها من وجنته ثم تعيدها بجانبها وهي تفركها بقوة بمسند المقعد وكأنها تنقيها مما علق بها من شوائب ذنبيها..

انتابته الحيرة بالبداية من تصرفاتها المتناقضة والمتردة.. وبلحظة وقعت عيناه على تعبيرات الذنب والعذاب بعينيها وأدرك ما تعاني منه الفتاة..

هي ضائعة لا تعلم كيف تعبر عن ندمها..

تعجز عن طلب الصفح.. ولا يمكنها الاقتراب والمحاولة..

لاحظ تربيت ياسين الحنون على خصلاتها وهو يكرر وعده بحمايتها لتنفجر هي بالبكاء هاتفة:

- بس أنا مش عايزاك تتأذي.. مش عايزاك تبعد عننا تاني..
 خايفة ترجع السجن بسببي.. أنا كنت هقولك على كل حاجة..
 بس خوفت.. خوفت تقتله وتروح مننا تاني..

تنهد هاشم بآلم..

يا الله!.. كيف يمكنه التسلل بدون قطع لحظة التواصل بين
 الفتاة وشقيقها!..

بينما ضمها ياسين لصدره عنوة بعدما استشعر محاولتها
 للابتعاد تحكمتها هو اجسها بأنها لا تستحق تلك الضمة..
 ضغطها بقوة لأضلعه لتردد بهذيان وقد فقدت سيطرتها:

-أنا ما استاهلش.. ما استحقش أنك تضيع بسببي.. أنا أصلاً
 ولا حاجة.. ولا حاجة.. حرام تضيع نفسك عشاني.. أنا أستحق
 الموت زي ما بابا قال.. أنا ولا حاجة.. ولا حاجة..

لتدفع ياسين عنها وتمهض تتعثر بما حاولها بجنون فتصطدم
في جموحها بعدة مقاعد وأخيراً تصل لمقبض الباب فتفتحه
ولسانها يردد بان دفاع مجنون:

-أنا ما استحقش.. أنا ولا حاجة.. ولا حاجة..

تفاجئها صفة قوية على وجهها تخرجها من حالة الجنون
والهستيريا لتجد نفسها أخيراً بين ذراعي والدتها التي
تعتصرها بأحضانها هامسة بوجع:

- أنتِ كل حاجة يا سعاد.. كل حاجة حلوة يا بنتي..

انتهى الفصل

الفصل الثاني والعشرون

سكنت سعاد بين ذراعي أمنة.. هدأت تشنجاتها وخفتت
شهقاتها..

فقط دموع تجري على وجنتها بصمت.. ورأسها مدفون
بصدر والدتها كأنها تستمد أنفاسها منها..

أمنة ما زالت تضمها بشدة.. تزيد من اعتصارها بين ذراعيها
وكأنها ترغب بإعادتها لرحمها ثانية فتبعدها عما مرت به من
كوارث ومحن..

لم تعلما كم امتدت بهما تلك الجلسة الصامتة..
ذلك التبادل الصامت للمشاعر.. فكل واحدة منهما وبدون
أن تدري كانت تستمد قوتها من الأخرى..
قوة لتحمل القادم.. وللمواجهة..

بدأتها آمنة وهي تسأل بصوت ملهوف:

- ليه يا سعاد؟.. ليه يا بنتي؟..

ومن البداية سعاد تخشى الإجابة والتبرير..

فالإجابة ساذجة.. والتبرير واهٍ.. ولكنه بدا حينها هاماً

وحيوياً للغاية..

عادت آمنة تردد:

- حبتيه يا سعاد؟!.. حبتيه لدرجة..

ابتعدت سعاد عن أحضانها لتتنفي كلماتها بسرعة:

- أنا كنت خايضة منه.. هو كان بيهددني.. و.. والذهب ادتهوله

عشان يبعد عني.. عشان أتقي شره و..

قاطعتها آمنة بحزم:

- وأول مرة عملتها كنت خائفة منه؟.. أول مرة يا سعاد
إيديك اتجرات وكشفت سترك كنت خائفة منه؟..

تلعثت سعاد والذكري تمر أمام عينيها ووجهها يحتقن خزيًا
وخجلاً. لتكمل آمنة بقوة:

- خوفت منه.. وخوفت علينا.. وما خوفتيش من ربك؟!.. ما
فكرتيش في يوم هتكوني فيه بين إيديه ويسألك عن أمانته!!

بدأت شهقات سعاد ترتفع ثانية وآمنة تكمل:

-أيوه يا سعاد.. جسمك أمانة.. أنك تحافظي عليه ده فرض
عليك.. عقلك وعلمك أمانة.. الرسول قال إيه يا سعاد..

"لا تزولُ قَدَمًا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ عن عُمره
فيما أفناهُ وعن جسدهِ فيما أبلاهُ وعن علمهِ ماذا عمِلَ فيه
وعن مالهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيما أنفقَهُ .."

ارتعد جسد سعاد وكأنها تسمع الكلمات للمرة الأولى..

وبدأت ترفع عيونها وتنتبه للقادم.. فأكملت أمانة:

-عارفة ده معناه إيه يا سعاد؟.. عندك رد على السؤال؟..

تساقطت دموعها وهي تخبر أمها:

- فجر.. فجر قالت لي أطلب المغفرة من ربنا.. بس أنا.. أنا

قاطعتها أمانة:

- مكسوفة؟.. خجلانة؟..

هزت سعاد رأسها بالموافقة فعادت أمانة تسألها:

- اللي حصل منك يا سعاد تقولي عليه إيه؟..

أجابت سعاد:

- غلطة..

صمتت أمانة ولم تجب وعيناها تحثها على الإكمال:

- ذنب.. أنا أذنبت.. أذنبت في حق ربنا.. في حقكم..

أكملت أمانة لها:

- وفي حق نفسك يا سعاد..

زادت الدموع وتعالى الشبهات وسعاد ترفع عينين نادمتين:

- أعمل إيه؟.. أنا مش عارفة!..

ربتت أمانة على كتفها:

- ندمانة يا سعاد؟..

هتفت سعاد بوجع:

- ندمانة بس!.. أنا.. أنا نفسي أموت.. نفسي أتولد من جديد

وأكفر عن كل اللي عملته.. أنا.. أعمل إيه!.. أعمل إيه!!

مدت أمانة لها يدها فساعدتها سعاد على النهوض من

الفراش لتخبرها أمانة ببساطة:

-هنتوضى ونصلي.. صلي يا سعاد.. اطلي المغفرة وأنتِ بين

أيديه.. أطلي الهداية.. أطلي منه يقبل توبتك..

تحركتا معاً لتنفيذ كلمات آمنة.. والتي من أعماقها كانت

تعلم أن الذنب يتقاسمه الجميع..

تعلم أنها ستجاور ابنتها بالدعاء طلباً للمغفرة هي الأخرى..

فهي أيضاً فرطت بأمانتها..

هي أيضاً غفلت عن كلماته صلى الله عليه وسلم..

"كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته" ..

فلتكن تلك بداية.. أو خطوة بطريق البداية.. فسعاد تحتاج

الكثير والكثير من ترميم النفس والعقل..

ليست سعاد فقط.. بل جميعهم.. كل الرعية..

تمدد ياسين بفراشه يتأمل علاقة المفاتيح بيده..

يحركها قليلاً مراقباً لمعانها بين يديه.. رنة الصوت التي تصدر
عنها..

تلك الرنة التي تذكره بسنوات ماضية كانت فيها تلك العلاقة
لا تفارقه..

سنوات كان فيها ذراع والده الأيمن ومصدر ثقته وفخره.. ثقة
وفخر حرمه منهما بقسوة مع أول زلة.. ومنحه النبذ والهجر
بديلاً..

أغمض عينيه يسترجع تلك اللحظة التي منحتة بها أمانة
المفاتيح قبل رحيلها..

ضغطتها على يده وكأنها توشمه بها..

وكانها مفاتيح العودة لدنيا تم إقصائه منها بدون ذنب جناه
وليست مجرد مفاتيح لمتجر عطارة قديم قدم اسم عائلته..

لا ينكر الرعدة التي سرت بجسده لحظة همست أمانة بأذنه..

"محلات برهام مستنياك يا ياسين"

والآن.. ماذا بعد!..

عادت المفاتيح بين يديه.. ولكن لم يعد معها الفخر..

ربما فقط قليلاً من الثقة..

ثقة بكبير الإخوة الذي أُعد منذ زمن ليتحمل مسؤوليته..

وهو لم يتهرب من مسؤولية ألقيت على عاتقه من قبل..

فما بال الآن؛!

والد طريح الفراش وقرر اعتكاف الجميع.. وثلاثة شقيقات..

كل منهن بحال أسوء من الأخرى..

ثلاث زهرات يجب جمعهن وحمايتهن...

وأخ صغير يحتاج سنوات من الرعاية.. والتربية..

ومن الناحية الأخرى.. عمل.. عمل جديد.. ربما كان ببدايته

إلا أنه حلمه.. بدايته الحقيقية..

وفجره.. زوجته الحنونة.. مرسى الأمان لمركبه الجانح..

ماذا الآن؟.. ما هو القرار الصحيح؟..

هل يستمر بالبحث عن رضا والده.. الفخر الضائع بعينيه؟.

اللحظة التي تمنها طويلاً.. ووالده يسأله الاقتراب..

المشاركة، بل المساعدة..

يكفيه ثقة آمنة وفخر يأسر.. وباقي إخوته..

يكفيه تلك النظرة المتألقة بعيني فجر كلما تلاقت نظراتهما..

وكأنها تخبره بصمت.. أنه ببساطة مركز كونها بأكمله..

اقتربت منه فجر بخطوات مترددة، فمد يده لها لتلتقطها على

الفور وتسارع لتجاوره بالفراش..

تأمل المفاتيح بدورها.. وتسأله هامسة:

- فرحان يا سي ياسين؟..

التفت لها بتساؤل.. فعادت تكرر سؤالها بنبرة ممزقة:

- أقصد فرحان أنك هترجع لمكانك تاني؟.. وسط أهلك

وناسك؟..

نبرتها.. صوتها الكسير.. حركاتها المتوترة.. كلها إشارات تخبره

بأن فجره حزينة.. قلقه.. وخائفه..

التفت لتلتقي العيون.. تتبادل حديث صامت ولكنه مشحون

بعواطف شتى..

عينها متسائلة بخوف عن مكانتها بحياته الجديدة.. عن

احتياجه لها بعدما فتحت له الأبواب، بل أصبح هو صاحب

مفاتيحها..

تخشى سماع الإجابة عن سؤال يمزقها..

"هل استغنى؟.. هل سيتخلى؟"

"هل تتسع حياة ياسين برهام الآن لفجر.. بائعة الكبد

البيسطة!.."

وبعينيهِ لمعت إجابته..

بعينيهِ لمحت دنيتهِ وهي ملكة متوجة على عرشها..

بعينيهِ كان يحتضنها.. يضمها.. يمنحها أمانها وسندها كما

وعدها..

وأنامله تمتد لتلامس وجنتها بحنان.. وكأنه يمنح الراحة

لروحها القلقة..

يمحي خوف عينيها بلمسته..

يقترّب متمسكاً بأناملها ويرفعها لتبادله هي لمسة خجولة..

خائفة.. فيزداد تمسكه بها.. يضغطها برقة على خافقه وكأنه

يمدها بقوته ويمنحها وعده..

تتجول أناملها بفوضى كتلك التي تموج بداخلها لتستقر على
جرح وجنته..

جرح ناله مدافعاً عنها.. وتسقط دمعة لم تتمكن من مقاومتها
أكثر.. تتبعها أخرى وأخرى..

فيلتقطها هو.. يحمها.. وهو يعيد ملامسة أهدابها المبللة
هامساً:

- عارفة ليه عيونك حبايي؟..

تباغت حلاوة الذكرى دموعها فتبتسم.. ويكمل هو:

- لأنها شفافة.. نقية وصافية.. بتحكي لي على كل اللي جواك..

حتى لو أنتِ عايزة تخبي.. قبل كده حكيت لي على معزتي

عندك.. ودلوقتِ بتشكي لي من خوفك مني..

شهقت تقاوم مزيد من الدموع :

- أنا مش خايفة منك..

قاطعها وهو يقربها منه حتى استقرت بين ذراعيه:

- أنتِ خائفة من بُعدي؟

سقطت دموعها مرة أخرى وكانت تلك إجابة كافية..

مسح دموعها ثانية.. وتلك المرة كانت بشفتيه اللاتين تحركتا

ببطء لتهمسا بأذنها:

- أنتِ أهلي وناسي يا فجر..

تشبثت به بقوة.. لا تصدق ما همسه بأذنها.. هو يختارها هي..

هي الزوجة البسيطة..

حركت رأسها بعشوائية.. تمزج ملامحها بنبضاته ودموعها

بدأت تجري على صدره وهي تردد:

- إخوانك.. والدتك.. وال..

عاد يضمها بقوة مؤكداً:

-هما عيلتي.. وأنتِ أهلي وناسي يا فجر.. عارفة الفرق؟..

عادت تحرك رأسها بتلك الطريقة العشوائية التي تدفعه ليزيد
من احتضانها ويجيها بهمس:

- عيلتي يعني مسئوليتي وواجبي.. لكن ناسي ده اختياري..

رفعت عينها الدامعتين له.. وكأنها تتساءل عن صدق كلماته..
أوربما تريد مزيداً من التوضيح..

عاد يمسح دموعها وهو يؤكد:

- أنا مش هسيب الورشة يا فجر.. الورشة دي حلمي..

ومش هتخلي عن حلمي تاني..

أجابت بتردد:

- بس ده حقك .. مكانك وحياتك....

ردد مؤكداً:

- مكاني هنا يا فجر.. في الحارة.. شغلي في الورشة.. وحياتي
معاك.. أنتِ زوجة الدنيا والآخرة يا فجر.. وده مش كلام حلو
عشان تطمني.. ده مكانك.. مكانتك.. في حياتي..

تشبثت بكل جزء منه وبأعماقها تردد

"وأنت حياتي كلها يا سي ياسين" ..

لا تعلم إن كانت رددت كلماتها بصوت عالٍ أو هو قرأها

بعينها.. فبعد ثوانٍ

كانت كلماتها تتردد بين شفثيه..

"الغاية تبرر الوسيلة" ..

مبدأ يتبعه الكثيرون.. أحياناً بنية حسنة وهدف نبيل..

وأحياناً أخرى، بل أحياناً كثيرة.. تكون النية خبيثة.. والهدف

يتنوع بين مال، شهرة، نفوذ.. .. ولن نغلق القوس..

لكن لنتكلم عن النية الحسنة.. هل نُبل الهدف يبرر خبث
الوسيلة؟!..

هل عظم الغاية بنهاية الطريق تبرر الحقارة التي تُتبع
للوصول؟!..

تلك الأفكار كانت تتردد بين عقلي هاشم ومشيرة وهو يقابلها
بغرفة الاستقبال ببيت أسرتها..

يتلبسه غضب لاهب يحاول السيطرة عليه حتى لا يفقد
أعصابه معها..

يعلم مدى تهورها والعناد المتأصل بها..

لم تكن المرة الأولى التي تستمد بها معلومات منه لتقوم بسبق
صحفي مدوي، بل أحياناً كان هو يعتمد مدها بتلك المعلومات
حين يحتاج تدخل الصحافة لصالح تحريات يجريها أو قضية
يتابعها..

ولكن تلك المرة أغضبته بشدة.. تلك المعلومات التي قصها
عليها والتي تخص ما حدث لشقيقتي ياسين..

تلك القضية المثيرة للجدل والتي اكتشف وقوع العديد من
الفتيات ضحية لأمير وأمثاله أصبحت تشغل عقله بقوة،
وربما صلة ياسين بتلك القضية تجعله يتصرف حيال تلك
القضية بطريقة شخصية بحتة..

أخذت مشيرة تحرك ساقيها بعصبية وهي تراقب انفعالات
هاشم..

منذ وطأ بقدمه عتبة بيتها وهي ترى الغضب مرسوم على
وجهه بوضوح.. ولم تكن بحاجة لكثير من الذكاء لتعلم أن
السبب وراء غضبه هو موضوع "الدعارة الإلكترونية" الذي
نشرت اليوم أول مقالة من سلسلة مقالات تعالج بها الموضوع
من مختلف زواياه..

ذلك الموضوع الذي أصبح يمثل هاجساً حساساً لهاشم في
الفترة الأخيرة..

وتعلم أن إثارتها للموضوع على صفحات الجريدة الإلكترونية
التي تعمل بها سيشعل غضبه، ولكنه عملها.. ولن تعتذروا
تتنازل عن اكمال سلسلة المقالات.. أبدأ..

رمقته بنظرة متوترة وهي تسأله بتحفظ:

- هنفضل ساكتين كده كثير!

رفع حاجبه بتعجب غاضب:

- أنتِ راضية عن اللي حصل؟..

أجابت بجدية:

- جداً.

هتف بصراخ:

- مشيرة!!

هبت من جلستها لتواجه غضبه بهدوء:

- هاشم.. كان في اتفاق بينا من يوم ما ارتبطنا.. أن الشغل

ما يتدخلش في حياتنا الخاصة..

نهض ليواجهها بدوره:

- بس اللي حصل أنك دخلتية يا حضرة الصحفية النشيطة..

ضغطت على أسنانها بعنف:

- لا ما حصلش يا سيادة الرائد..

اتسعت عيناه بغضب فأكملت هي:

- طالما عايز الحوار يبقى رسمي..

اقترب منها ليلمسك بمرفقها ويعودا ليجلسا ثانية.. ليتبادلا

النظرات المتفاهمة لعدة ثوانٍ.. قبل أن تسأله مشيرة:

- هاشم.. إحنا اتفقنا قبل كده لو الكلام اللي هتقوليهولي
ويخص شغلك مش هيكون للنشر، إنك تنبهي..

صح ولا غلط؟.

أوما موافقاً بغيظ فأكملت:

-طيب فهمني في إيه؟.. لو كان كلامنا على القضية بتاعة
النت مش للنشر ما نيهتنيش ليه؟..

هتف بها:

- ما فيش قضية.. القضية اتحفظت.. والمجرم فلت من
عقابه.. أنتِ ما سمعتيش كلامي قبل كده..

مدت يدها لتمسك بكفه مهدئة:

- سمعت يا حبيبي.. سمعته وفهمت حجم المشكلة.. وفكرت
كثير.. لقيت أنه لازم يكون في حل.. لو المجرم فلت من عقابه

يبقى على الأقل لازم الناس تعرف.. البنات تفهم.. لازم صرخة
تحذير..

قاطعها هاتفاً بغضب:

-مبررات.. مبررات..

هزت رأسها نافية:

-لا طبعاً.. مش مبررات.. أنا مش محتاجة أبرر أصلاً يا
هاشم.. ده شغلي.. أنا لولا فاهمة ومستوعبة أهمية ياسين
بحياتك ما كنتش هحتاج أني أبرر نفسي..

حاول مقاطعتها فأوقفته وهي تشبك أصابعهما معاً مردفة:
- أنت عارف بعد ما حكيت لي على القضية.. أنا دخلت كام
موقع وكام صفحة مشاكل.. ما تتخيلش كمية البنات اللي
بيواجهوا نفس المشكلة.. سواء من مبتز حقير أو حبيب سابق..
عدد رهيب من البنات بيوقعوا في نفس المشكلة بسذاجة

رهيبة.. واللي يجننك أنهم مش بنات صغيرين أو حتى مستواهم
التعليمي بسيط.. لا.. نسبة كبيرة منهم متعلمين كويس جداً
وفي سن نضوج.. يعني دي قضية عامة.. مشكلة في بيوت
كثير..

هدأ غضبه وهو يستمع لكلماتها تشرح له عمق المشكلة
وأبعادها.. ولكن تلك الحساسية الخاصة بتورط ياسين
دفعته للهتاف:

- مشيرة.. أنتِ نشرتِ تفاصيل خاصة.. طريقة الكلام..
أسلوب الرسائل و..

قاطعته:

-عشان عرفت منك أن المجرم خرج.. هو بسهولة ممكن
يكرر عملته مرة وعشرة.. هو وغيره.. على فكرة الطريقة تقريباً
واحدة مع كل الضحايا اللي عرفت اتصل بيهم على المواقع
اللي حكيت لك عنها.. الفروقات بسيطة.. ترجع لشطارة

الشاب وسذاجة البنت اللي قدامه.. شرح الطريقة والأسلوب
 ده وسيلة عشان اللي لسه في أول الطريق تفوق وترجع...
 عشان اللي لسه مصدقة ولا بتفكر تصدق تلحق نفسها قبل
 فوات الأوان..

غمغم متسائلاً:

- الغاية تبرر الوسيلة!

سألته بدورها:

- مش بحب التعبير ده.. بس بفرض أنه صح.. الغاية نبيلة
 فعلاً يا هاشم.. يمكن الموضوع مر عليا قبل كده.. مشكلة
 سمعتها.. أو قريتها.. بصراحة الموضوع بدأ يبقى معتاد لدرجة
 أننا معدناش بنستغرب أما نندهش أما نسمعه.. هاشم.. قصة
 البنت دي واللي كان ممكن يحصلها هي وأختها ممكن تكون
 جرس الإنذار لإنقاذ بنات كثير غيرها.. ممكن تكون الحبل اللي

نرميه لهم عشان نسحبهم من غرقهم في علاقات هتدمرهم..
 وطالما القانون قرر يستخدم روحه بس للأسف بطريقة
 غلط، يبقى ما فيش قدامنا غير السلطة الرابعة.. ولا إيه؟
 رمقها بصمت.. كلماتها صحيحة.. هو نفسه كاد أن يقتله
 القهر عندما أفلت أمير من عقابه.. ومقاتلها تلك قد تكون
 بالفعل صيحة تنبيه للحمقاوات أمثال شقيقة ياسين..
 وجرس إنذار للغافلين من الأهل..

نشرتلك الموضوعات ربما يكون سلاح وإه أمام فداحة
 الجريمة.. ولكنه السلاح المتاح حالياً.. فعقله وضميره لم
 يستسيغا فكرة طارق زميله بالمكتب.. باستخدام إحدى
 الفتيات للإيقاع بشبكة أمير.. هو لا يعمل بتلك الطريقة..
 ولن يحمل ضميره عبأ ذنب تلك الفتاة..

فهما لا يمكنهما استخدام إحدى فتيات الليل.. فصائدو
الفتيات على النت سيميزون بسهولة خبرتها الواضحة..
إذاً الحل كان استخدام فتاة لا خبرة لها، بل أن طارق تمادى
ليطلب منه استخدام سعاد نفسها..

ولكنه رفض بعنف وقرر إغلاق القضية تماماً كما أمره
رؤسائه من قبل.. فنظرات سعاد وهي تحاول استجداء عفو
شقيقها تطارده منذ ذلك اليوم مسببة له حالة من الأرق
الدائم والعصبية الشديدة..

همست مشيرة تناديه بلهفة:

- هاشم.. رأيك إيه؟.. لسه زعلان؟..

أجابها بسرعة يحاول استدعاء غضبه ثانية:

- أنا اللي مضايقتي التفاصيل.. التفاصيل يا مشيرة..

هزت رأسها بتفهم وهي تخبره:

-حبيبي.. أنت لاحظت التفاصيل لأنك عاصرت الموضوع كله.. لكن أي حد تاني مش هيلاحظ ده.. أنا ما استخدمتش أسماء.. ولا صور.. ولا أي تفصييلة خاصة بحالة أخت ياسين بالذات.. أنت عارف أي كان ممكن أوصل لملف القضية..
واتكلم عنها بالتفصيل كمان.. بس عشان خاطر زعلك وجهت الموضوع بطريقة تانية.. بس لازم أوصل الحقيقة يا هاشم.. ده شغلي.. اقرى الموضوع تاني بعين محايدة.. هتلاقي فعلاً أنه موضوع مهم وحيادي.. وأنا ما غلطتش..

وهمست بدلال:

- يا سيادة الرائد..

تهند بقوة وهو يجذبها لتجلس بجواره على الأريكة ويلصقها به:

-أعمل إيه!.. دائماً تغلبيني بالكلام.. نصيبي بقى حبيبتى تبقى

بياعة كلام..

لكزته بكتفها في صدره هاتفة بحنق مفتعل:

-بياعة كلام برضوه!

أحاط كتفها بذراعه وهو يقبل وجنتها بعمق:

- بس بمووت فيها..

أبعدت وجنتها عنه بخجل وهي تسأله محاولة تغيير الموضوع:

- مش هتصالحني بقى.. أنت نازل فيا زعيق من الصبح..

عاد يقبل وجنتها ثانية:

- ما أنا بصالحك اهوه.. أنتِ اللي مش عايزة..

قفزت من جانبه هامسة:

- وبعدين بقى.. أنت مش هترتاح إلا لما ماما تدخل علينا..

ضحك وهو يقترب منها مقبلاً طرف أنفها:

- يبقى نكتب الكتاب؟..

وافقته بخجل:

- أخلص بس سلسلة المقالات دي وتكلم بابا..

داعب وجنتها برفق:

- اتفقنا يا حبيبتى..

لم يثر حيرته شخصاً مثله.. صامت على الدوام.. لا تصدر منه

كلمة إلا رداً على سؤال.. وإن فقد سيطرته لسبب سرعان

ما تتراص الكلمات باللغة الإنجليزية بين كلماته..

وما أن ينتبه حتى يعود للصمت أو الاختفاء..

يكتشف به كل يوم شيئاً جديداً.. يزيد من حيرته أكثر..

نظرة الامتنان بعينيه عندما أعد له ياسين غرفة لبيت فيها

بالورشة.. الشكر الراقى الذي منحه له، وأدرك ياسين أن

شكره وامتنانه لم يكونا لمنحه مكاناً للمبيت، بقدر منحه

الثقة للمبيت بالورشة..

لم يخشَ جموحه، لم يستمع لهمسات أهل الحارة المحذرة
منه.. فقط اتبع حدسه الذي يخبره بطيب أصل معتصم..
وأنه لن يضيع ثقته به..

وكان معتصم على قدر الثقة، فمع انشغال ياسين مع سعاد
ومن بعدها وفاة بسنت.. تولى معتصم إدارة الورشة بسلاسة
مظهراً قدرات إدارية وعبقرية في مجال الحسابات.. فأبرم
بضعة عقود.. ربما تكون بسيطة لكنها مثمرة..

راقبه ياسين لعدة دقائق وهو ينهي حسابات الأسبوع..
يعمل بسرعة وكفاءة تامة كأنه وُلد ليقوم بذلك العمل..
ترك ياسين له أمر حسابات وإدارة الورشة، فهو لن ينكر
مهارته ويتمسك بفكرة أن صاحب العمل هو من يديره..
هو يريد النجاح.. والنجاح يتطلب المغامرة والتفكير خارج
الصندوق.. وهذا ما قرره..

فقط يقلقه ذلك الحزن الأسود الذي غلف معتصم منذ عدة
أيام..

حزن تنطق به ملامحه بوضوح.. حتى أنه سأله عن سبب ذلك
الوجوم بملامحه..

ليفاجئه بعينين تشوشتا رؤيتهما بفعل طبقة دموع شفافة
وإجابة مقتضبة

"عرفت بموت واحد عزيز عليا".

أجابه ياسين..

"الله يرحمه.. قريبك؟"

مرارة تساقطت من حروف الفتى وهو يجيب..

"هو اللي مربيني".

لم يستطع ياسين كبح فضوله..

يبدو أن فجر تؤثر عليه أكثر مما يدرك..

وتساءل متعجباً..

"هو اللي رباك!.. وأهلك فين؟"

أجابه معتصم بقسوة قبل أن يتركه مبتعداً..

"أنا ماليش أهل" ..

كان ياسين يومها على وشك مفاتحته بما قرره أخيراً..

بعد تفكير طويل..

فقد قرر تكليف معتصم بإدارة محلات برهام.. فالفتي يتمتع

بعقلية تجارية ملفتة.. وهو سيبقى بجانبه حتى يتشبع المهنة..

ويتقنها..

ولكن طريقته المقتضبة وغضبه الواضح وهو يخبره بعدم

وجود أهل له.. دفعا ياسين لمزيد من الانتظار.. ومزيد من بذل

الجهد وحرق الأعصاب لمتابعة العمل بين الورشة و متجر
العطارة...

ولكن لا بأس هو يضع معتصم تحت مراقبته من يومها..
وينتظر اللحظة التي سيفاتحه بها..

عطر نسائي مثير للحواس سبق دخول امرأة غاية في الأناقة
والرقي..

شعر أشقر مصبوغ جمعت خصلاته بتصفيفة راقية، ثوب
أسود يبرز كل ملمح بجسدها وابتعد عن ركبتيها بمسافة
ملمهة للظنون..

خطوات راقية تنبأ عن تربية أرسقراطية رقيقة..

صوت ناعم مخملي يتساءل بلهفة:

- معتصم!..

رفع معتصم عينين تشتعلان غضباً..

تحرقان تلك السيدة التي ترمقه بلهفة وهي تكرر:

- معتصم!!..

نهض معتصم ببطء من خلف مكتب ياسين يوجه كلماته

للسيدة ببطء غاضب:

- أنتِ إيه اللي جابك هنا؟..

اقتربت بخطوات مدروسة لترت على وجنته ولكنه ابتعد عنها

لترمقه بحزن:

- حبيبي.. أخيراً عرفت مكانك..

كرر معتصم ببطء:

- إيه اللي جابك هنا؟..

حاولت الاقتراب منه ثانية لتقبله على وجنته.. ولكنه دفعها

عنه بعنف هاتفاً بقسوة تحت نظرات ياسين المذهولة:

- ارجعي مكان ما جيتِ وانسيني.. اعتبريني مُت.. زي ما أنا
باعتبرك ميتة..

ارتعد جسد السيدة بعنف سيطرت عليه بسرعة وهي تلتفت
لياسين تردد برقة مغوية:

- حضرتك الأسطى ياسين صاحب الورشة صح؟..

أوما ياسين برأسه موافقاً وهو يرمق معتصم بنظرات
متسائلة.. فبعد النظرة الأولى المنبهة بالسيدة.. يمكنه بسهولة
معرفة أنها أكبر مما تبدو عليه.. ولكن ما الذي يربط الشاب
معتصم بسيدة في أواخر الأربعينات على أقل تقدير..

سيدة غاية في الرقي.. والوقاحة أيضاً.. فنظراتها الآن تمشط
جسد ياسين بدقة وصفاقة.. حتى أنه هو الرجل بدأ يشعر
بعدم الارتياح.. فالسيدة.. إعلان حي.. عن.. صفة لا يحب
ترديدها..

عادت الصوت الرقيق يتردد:

- بلييزيا أسطى.. ممكن أتكلم مع معتصم لوحدنا؟..

توسعت عينا ياسين بعدم تصديق.. السيدة تطرده من
ورشته.. يالوقاحة!..

قبل أن يرد عليها.. اقترب منه معتصم ليمس بأذنه عدة
كلمات توسعت عيناه على إثرهما..

قبل أن يستدعي جاد من داخل الورشة ويكلفه بعمل ما
خارجها..

ويخبر معتصم بحسم:

- خُدها وروح أوضتك.. خلص مشاكلك علشان محتاجك..

ابتعدت السيدة مع معتصم ولم يفتها تفحص جسد جاد
عندما مر بجوارها..

ولم يستطع جاد التحكم بلسانه فخطب ياسين بحنق:

- يا بوص هو وينفع نسيب معتصم لوحده مع الست الملعب

دي!

أخرسه ياسين بزجرة غاضبة:

-اخرس يا جاد.. الست دي أمه..

قبض معتصم على مرفق والدته بقوة وهو يجرها خلفه حتى

تعمقا بداخل الورشة ووصلا لغرفة معتصم ففتحها بهدوء

ودخلها بينما والدته تتأمل كل شبر حولها بتقزز وتعالى..

وأخيراً أخبرته باشمئزاز:

- معقول تسيب فيلا جوهر في المعادي.. وشقتي في مصر

الجديدة وتيجي تعيش في المكان ال.. ال.. حقير ده..

مسح وجهه بكفيه وهو يسألها ثانية:

-جيتِ ليه؟..

التفتت له وهي تعتصر بضعة دمعات:

- البقاء لله يا حبيبي.. ليه ما جتس الجنازة؟.. الناس تقول

إيه!

زفر بغضب:

- آجي بصفة إيه؟..

هزت رأسها وهي تردد بعجب:

- بصفتك ابنه طبعاً..

أطلق ضحكة مريرة:

- أنتِ هتكدي الكدبة وتصدقيها!.. المرحوم سالم جوهر

الملياردير المعروف كان عقيم.. وأنتِ اللي بلغتيه الخبر ده

بنفسك..

تحولت ملامح الرقة بوجهها لشراسة وعنف وهي تصيح به:

-معتصم.. بلاش كلام مالوش معنى.. أنت قدام الناس كلها..
 معتصم سالم جوهر.. وريث أملاك جوهر كلها.. أي كلام ثاني
 انساه..

ابتعد عنها هاتفاً:

- كلاااااا!!..

I wish if it was just words...

عادت تقترب منه تضم وجهه بين كفيها:

-حبيبي.. سالم ما حرمكش من الميراث.. لحد آخر لحظة ما
 حدش عرف أنك مش ابنه..

صرخ بها:

- ما حرمنيش من الميراث.. فلوس.. أملاك وشركات.. ده كل
 اللي يهملك.. أنا اتحرمت من وجودي.. من اسمي.. صحيح ما
 حدش عارف الحقيقة بس أنا عارفها..

رددت:

- معتصم..

قاطعها بجنون:

-والي يجنن فعلاً.. أنك جاية بكل بجاجة تعزيني.. صحيح زي

ما بيقولوا.. تقتل القاتيل وتمشي بجنازته..

حركت رأسها بتقزز:

- معتصم.. لهجتك وألفاظك بقيت فالجار.. حبيبي لازم

تسيب المكان ده.. وتيجي معايا تستلم ميراثك..

بسمة مريرة ارتسمت على وجهه:

- راوية هانم كل اللي يهمها الفلوس..

اقترب منها ليهمس بغضب:

- والمتعة..

صرخت به:

- ولدا!..

عاد يضحك بمرارة:

- إيه!.. أنتِ نسيتِ أني شوفت كل حاجة بعينيا.. يا أمي..

أخذت ترتب خصلاتها بتوتروهي تخبره:

-كويس أنك لسه فاكر أني أمك..

هز رأسه بسخرية:

- يا ريت ينفع أنسى.. لو أقدر أغير الحقيقة دي.. صدقيني

مش هتردد ثانية..

اقتربت منه تهمس برقة:

-معتصم.. حبيبي.. الدنيا مش هتوقف على غلطة واحدة..

وأنا..

قاطعها بجنون:

- واحدة!.. غلطة واحدة.. أنتِ الخيانة بتجري بعروقك بدل

الدم..

صرخت به بغضب:

-معتصم..

أبعدها بعنف وهو يصرخ:

- أنتِ جاية عايزة الفلوس.. ماشي.. أنا هستلم الميراث

واسلمك الفلوس بشرط واحد..

هتفت بلهفة:

- شرط إيه؟..

أجابها بحزم:

- قوليلي اسم أبويا...

ارتدت للخلف بصدمة وعيناها تتوسعان هاتفة:

- إيه!

اعتصر دموعه يمنعها من الهطول أمامها وهو يردد بمرارة:

- مش هتقدري صح؟.. لأنك ببساطة ما تعرفيش مين!..

همست بخوف:

-معتصم.. أبوك.. اقصد.. سالم.. كان قاسي.. وأنا كنت

ضعيفة و..

قاطعها بقسوة:

- ومدمنة.. مدمنة علاقات.. لدرجة أنك مش قادرة تميزي

مين أبو ابنك!..

اتسعت عيناها بفرع وهو يكمل:

- إيه مستغربة أني عارف!.. أنتِ أصلاً ما اهتمتيش تخبي
وساختك.. اعترافاتك لسالم بيه سمعهاني كاملة قبل ما
يطردني من البيت.. كان عايزني أعرف أمي تبقى إيه..

مسح رطوبة عينيه وهو يفتح باب الغرفة:

- راوية هانم.. اطلعي بره حياتي..

كانت ترتعد ومعرفة ابنها لحقيقتها أصابتها بالذعر.. إلا أنها لم

تنسَ هدفها الأساسي من الزيارة:

- والميراث يا معتصم؟.

تشكلت ملامحه بسخرية مريرة:

- تقريباً المحامي لسه ما بلغش حضرتك بأخر الأخبار..

النهارده الساعة تسعة الصبح استلمت الميراث كله..

صرخت بلهفة:

- حقيقي!

أوماً موافقاً:

-حقيقي.. وبعدها بخمس دقائق مضيت على تنازل عن كل

الثروة لصالح مستشفى ٥٧٣٥٧

صرخت بجنون:

- أنت مجنون.. مجنوووون...

تجاهل صرخاتها وهو يكرر أمره الحاسم:

-بره يا مدام راوية.. مش عايز أشوفك تاني.. ولو حد بلغك

أني مُت.. ما تحضريش جنازتي..

خرجت بخطوات متعثرة تناقض الخطوات الواثقة التي أتت

بها وبداخلها تعلم أنها فقدت ابنها وللأبد تلك المرة.

لم تعلم ربهام كيف وصلت بسيارتها إلى المشفى بدون أي
حوادث.. فهي كانت تقود بلا عقل.. ولا بصيرة.. فالمكاملة
التليفونية التي أبلغتها بوجود ابنها بمستشفى

"ظاهر برهام" .. قضت على ما تملكه من تعقل..

شريف الصغير هو كل ما بقي لها من حبيبها وزوجها.. هو
الحياة.. تعيش له ومن أجله.. كيف يمكنها تحمل خبر نقله
للمشفى بعد إصابته بحالة من الإعياء الشديد أثناء إحدى
رحلاته المدرسية..

وقفت بالردهة الطويلة تنتظر خروج الطبيب من غرفة
الأشعة التي علمت بوجود ابنها بها.. ولكنه لم يخرج، بل
وجدت طبيب آخر يتحرك مسرعاً ليدخل الغرفة.. وبعده جاء
آخر.. وآخر.. وآخر.. حتى أنها توقفت عن العد

وتماسكها الواهي بدأ بالتصدع، فالتقطت هاتفها تستدعي
شقيقها بلهفة خائفة:

- هاشم.. إلحقني.. شريف في المستشفى...

نصف ساعة فقط استغرقها هاشم ليصل لريهام التي كانت
ممدة بإحدى الغرف بعد أن تم حقنها بمهدئ قوي..

ذلك ما أخبرته به المريضة التي تراقب حالتها.. قبل أن تكمل:

-مسكينة ما اتحملتش الخبر!

سؤال كان يخشى إجابته ولكن لا مفر منه:

- خبر إيه؟.. شريف عنده إيه؟..

أجابت المريضة وهي تمط شفرتها بأسف:

- الدكتور بيقول أورام سرطانية في الطحال..

انتهى الفصل...

الفصل الثالث والعشرون

تشابك أمور عدة بالحياة لتندسج بتعقيداتها مزيجاً محيراً من
الحوادث المتتالية.. فتظهر الصورة النهائية لموقف ما وكأن
الصدفة هي مَنْ لعبت الدور الخفي لتحسين الأمور..

فهل هي الصدفة حقاً.. أم هو قدر حكيم متوازن...

هل كانت الصدفة هي من جمعت الرائد هاشم سيف الدين
مع الجراح الشاب ماجد برهام بأحد أقسام الشرطة منذ
بضعة أسابيع!..

وهل هي الصدفة من جعلت تعارفهما عابراً ولكن لا يمكن
تمريره مرور الكرام!..

هل هي الصدفة من جعلت الآلام والدوار يصيب شريف وهو
برحلته المدرسية بإحدى الحدايق العامة القريبة من مشفى
"ظاهر برهام".. مما دفع مشرفات الرحلة لإدخاله المشفى
بأسرع مما يمكن!

فإن كانت الصدفه هي من تولت لعب دور البطولة في الأمور
السابقة، فلا شك أن رحمة القدر هي من دفعت ماجد ليمر
بطابق مرضى الأورام السرطانية.. وأن يتوقف لثوانٍ أمام
الغرفة التي تضم شريف الصغير..

ويقتحمها بقوة محاولاً معرفة السبب وراء الصوت العالي
المنبعث منها والذي يوضح بجلاء وجود مشاجرة بداخل
الغرفة..

"أنا محتاج أسمع رأي دكتور تاني وتالت وعاشر.. و..

دفع ماجد الباب ليتضح له المشهد بثوانٍ؛ طفل صغير بدا
هشاً وضعيفاً للغاية ووالده الملهوف يصرخ بأحد الأطباء
بعنف بينما تنزوي الأم بأحد الأركان تبكي بلا توقف..

مشهد مألوف.. وإن كان لم يعتده على مر سنوات عمله، ولا
يعتقد أنه سيمكنه يوماً التغاضي عنه بدون غصة مزعجة
تجرح القلب البارد للجراح الشاب..

ومع استعداده للتحكم بالموقف كما يقتضي عمله كأحد
النواب لمدير المشفى، لمح الوجه الصارخ للأب الشاب الذي لم
يكن سوى الضابط الشاب الذي ساعدهم بقضية بلسم..

ومع صيحة تعجب انطلقت منه:

- سيادة الرائد!.. خير في إيه!!

التفت له هاشم وكأنه وجد منقذه بوسط الصحراء:

- دكتور ماجد!..

وبعد تبادل التحية السريعة.. ومع بضعة كلمات من الطبيب
المدعور من صراخ هاشم.. بدأ ماجد في تفحص السجل الطبي
الخاص بالصغير.. ومع تدقيق حريص بمجموعة الأشعات التي
امتلاً بها ملفه ألقى ماجد سؤال تقريرياً:

-شريف مش ابن حضرتك.. بس...

أكمل هاشم بتوتر وهو يلاحظ تقطيعه حاجي ماجد المهمة
والمتعجبة مما يراه بالأشعة:

- شريف يبقى ابن أختي ريهام..

همسة تحية مقتضبة ألقاها لريهام ثم صب اهتمامه بأكمله
فوق رأس شريف وهو يقوم بفحصه مرة أخرى بينما رددت
ريهام بيأس:

-ده تالت دكتور يا هاشم.....

وقبل أن تكمل جملتها فوجئت بماجد يستدعي إحدى
الممرضات على عجل ويطلب منها تجهيز الصغير للأشعة
المقطعية.. مما دفع ريهام بالهتاف به بغضب:

-أشعة تاني ليه!.. اومال إيه اللي في إيدك ده.. مش كفاية
تعذيب للولد.. ده.. يا دوب تسع سنين.. كفاياكوا تجارة بقى..
هتاجروا حتى بوجع الأطفال..

لم تستطع إكمال جملتها وانهارت بين ذراعي شقيقها بنوبة بكاء
هستيرية..

دفعت هاشم للاعتذار بحرج:

-متأسف جداً يا دكتور.. بس شريف ابنها الوحيد وهو اللي
باقى لها في الدنيا بعد والده الله يرحمه..

أوما ماجد بعملية:

- مفهوم طبعاً.. ربنا معاها.. بس هي محتاجة مهدئ..

حاول هاشم معارضته لكن ماجد أكمل جملته بحسم:

- وأنا محتاج أتكلم معاك.

دقائق مرت حُقنت بها ريهام بمهدئ قوي.. بعدها اصطحب

ماجد شريف الصغير إلى أحد المصاعد المتجه إلى قسم

الاشعة..

حيث قرر شريف أخيراً التعبير عما يدور بخلده:

- على فكرة يا دكتور أنا مش خايف!

سأله ماجد بعجب:

- مش خايف من إيه؟..

أجاب الصغير بجدية:

- مش خايف أني أموت.. لأنني كده هروح عند بابا وأشوفه

وأعرفه.. أنا ما شوفتوش إلا في الصور..

داعب ماجد خصلات الصغير متسائلاً:

- بس أنت كده هتسيب والدتك لوحدها؟

هز شريف رأسه نافياً:

- لا.. هيكون معاها خالو هاشم.. بس بابا لوحده.. فلازم

أروح علشان..

قاطع ماجد كلمات الصغير وهو يسب المصعد البطئ بداخله:

- والدتك لو سمعت كلامك ده ممكن تزعل..

أجابه شريف بجديه رجل صغير:

- لا.. ما هو ده كلام سر.. أنت مش هتقولها صح؟.. ده كلام

رجالة لازم يفضل بين الرجاله

ارتسمت بسمة لإرادية على شفتي ماجد وهو يغمغم مع

وصول المصعد للطابق المنشود:

- كلام رجالة يا سيدي..

وصلا لغرفة الأشعة وماجد يلقن شريف بضعة تعليمات

وجد الصغير يردددها معه بسأم:

-أنا دخلت الأوضة دي كتير وحافظ التعليمات.. أنا عارف

أنك بتعمل كده عشان خاطر خالو..

قاطعده ماجد بحاجبين مرتفعين:

- خالو!!

أجاب الصغير ببساطة:

- أيوه عشان هو ظابط وكمان صاحبك ولازم تعمل كده
عشان تطمنه.. لكن أنا عارف عندي إيه.. وقلت لحضرتك

مش خايف..

رمقه ماجد لعدة لحظات قبل أن يقرر جملته التالية التي

فاجئت الصغير:

- بس أنا مش بعمل كده عشان خاطر خالك..

بدا أن الصغير فوجئ وهو يسأل بعجب:

- أومال بتعمل كده ليه؟..

أجابه ماجد بهمس قبل أن يدخله الغرفة الخاصة بجهاز

الأشعة:

- عشان أنت حالة نادرة.. وهتتنفني في الدكتوراة!..

وتلك المرة بغرفة الأشعة كان الوضع مختلفاً.. فعينا ماجد
كانت تراقب كل تفصيلة بتدقيق وحرص شديد.. ومع تعجب
طبيب الأشعة واندفاعه لاستدعاء مزيد من الأطباء، نهره
ماجد بحدة:

- هتقلها مولد زي المرة اللي فاتت.. وفي النهاية تطلعوا
بتشخيص غلط!

همس الطبيب باعتذار هامس بينما استمر ماجد بمتابعة
الشاشة بمزيد من الاهتمام.. مطالباً بإعادة التصوير مرة بعد
أخرى.. حتى اكتفى تماماً..

بعدها عاد لاصطحاب الصغير مرة أخرى إلى غرفته، ورغم
الإرهاق البادي على ملامح شريف إلا أنه همس لماجد:

- لقيت عندي إيه؟.. حاجات نادرة برضوه

أوما ماجد موافقاً ليردد شريف بعدم تصديق:

-على فكرة أنا مش صغير.. ومش هعيط لو حضرتك قلت لي
الحقيقة

ثني ماجد إحدى ركبتيه وارتكز عليها ليصبح وجهه مواجهاً
للصغير وعاد يكرر كلماته بثقة:

- التشخيص المبدئي كان مش صحيح.. أنت ما عندكش
كانسر..

حرك شريف عينيه بعدم تصديق وأبعد وجهه بغضب:

-أنا زعلان من حضرتك.. ليه مش عايز تشرح لي؟.. أنا مش
صغير..

قطب ماجد حاجبيه بضيق متعجب:

- التفاصيل كبيرة عليك يا حبيبي.. مش هتفهمها.. وممكن
الكلام يخوفك..

عاد شريف يقطب غاضباً:

-حضرتك لو شرحت لي صح هفهم بسهولة..

رمقه ماجد بتفكير.. شريف يشبه ياسر كثيراً.. الطفل المفكر

الذي لا يكتفي بقشور السطح.. بل يريد الغوص للأعماق..

نوعية لا يجيد التعامل معها.. أو ليكن صادقاً.. هو لا يجيد

التعامل مع الأطفال بكل أشكالهم.. فكيف يبدأ شرح موضوع

علمي دقيق لطفل لم يتخطَ العاشرة!

تهنئ ماجد وكلماته تتسارع وكأنما وجد الحل السحري:

- لازم أتكلم مع والدتك الأول قبل ما أبدأ شرح..

حاول شريف مقاطعته ولكنه أردف سريعاً:

-هي محتاجة تظمن عليك.. ده غير أنها لازم تسمح لي بالكلام

معاك والشرح التفصيلي..

صمت شريف على مضض وكأنه يعلم أن ذلك ما هو إلا

عذر ليتهرب من مواجهته بحقيقة مرضه..

وبينما كان التردد يغلف كلمات ماجد وهو يبرر لشريف عدم قدرته على شرح حالته، كان لسانه ينطلق باستفاضة وهو يشرح لهاشم ما اكتشفه..

ويوضح له بالضبط الخطوات التي ينوي اتباعها..

ليردد هاشم بحيرة:

- بجد أنا مش مستوعب.. ممكن غلطة زي دي تحصل!

أجابه هاشم بعملية:

- الغلط وارد عند الجميع.. وفي حالة زي دي مش هقدر أوم

الدكتور اللي شخص الوضع.. اللوم هيكون على تسرعه في

وصف علاج فعلاً بدون ما ينتظر باقي التحاليل.. وهرجع أقول

هو معذور.. لأن الحالة لطفل فقرر ياخذ خطواته بسرعة..

عاد هاشم يكرر:

- يعني شريف سليم.. ما عندوش كانسر؟!

أوما ماجد موافقاً:

-بعد ما ظهرت نتيجة كل التحاليل ومع الأشعة الجديدة
أقدر أقول أن شريف ما عندوش ولا خلية سرطانية.. الحمد
لله طبعاً.. بس موضوع سليم دي مش حقيقة الوضع..
أنا لسه موضح حالاً.. بروتكول العلاج هياخد وقت.. كورسات
مضادات حيوية.. قبل وبعد العملية.. الاستئصال شيء لا بد
منه..

أوما هاشم برأسه.. لا يدري إن كانت الأخبار جيدة أم.. لا..
فخضوع طفل بسن شريف لمشرط جراح، أمر ليس سهلاً..
وخاصة إن كان العضو المستئصل هو الطحال.. الذي لا يعلم
أي شيء عن فائدته أو مدى احتياج شريف له بالمستقبل..
والمخاطر الناتجة عن استئصاله..

قرأ ماجد انفعالاته بسهولة فأخبره مهدئاً:

- ما تقلقش.. العملية بسيطة.. وفي المستقبل شريف مش
هيكون محتاج إلا لشوية احتياطات بسيطة ويقدر يعيش
حياته عادي جداً..

هتف هاشم بلهفة:

- حقيقي يا دكتور ماجد؟!!

أخبره ماجد بعملية:

- أكيد حقيقي.. مش معقول هكذب عليك في حاجة زي دي.

مسح هاشم جبهته بارتباك ولكن كان الارتياح الشديد يملأ
نبرته:

- ما أقصدش أكيد....

قاطععه ماجد وقد تذكر وعده لشريف:

- من غير قطع كلامك.. بس أنا وعدت شريف أني أوضح له
حالته بالتفصيل.. بشرط موافقة والدته.. فياريت نروح نبغها

الأخبار المفرحة دي.. ولو أمكن تستأذنها أن شريف يكون
موجود عشان الشرح يكون مرة واحدة..

أوما هاشم موافقاً والسعادة تكاد تدفعه للركض بين طرقات
المشفى ليصل لشقيقته المسكينة ويخبرها أن طفلها بخير..

رحلة قسرية قام بها العقل الباطن لمعتصم.. فأجبرته أفكاره
وذكرياته على العودة سنوات للخلف..

يتذكر شاب ثري مدلل.. وحيد أبويه.. ووريث قادم لثروة
طائلة..

أب قاس منغمس بعمله يتغافل أو يتجاهل وجود أسرة
تحتاج لتواجده أكثر من احتياجها لأمواله، وأم منغمسة لقمة
رأسها بحياة إجتماعية لاهية تُنسبها في أغلب الأحيان
أساسيات الحياة.. ومنها حقيقة أنها أم..

أم لشاب في سنته النهائية بكلية اقتصاد وعلوم سياسية..
 يغوص بدوره في حياة بلا معنى ولا هدف يدفعه لها ثرائه
 ووسامته الغير تقليدية؛ بشرة سمراء مميزة وعينان لامعتان
 تحملان دكنة شرسة..

وبغمرة استمتاعه بحياة لم يفكر في تغييرها أو تحويلها
 للأحسن تلقى صفعه، بل للحقيقة كانت طعنة سامة..
 قلبت حياته التي ارتضاها على مضض..

يذكر جيداً تلك الليلة التي ترك بها أصدقائه بمنصف
 سهرتهم التي لم يستسغها يوماً ولكن لم يكن يجد لها بديلاً..
 تعذر بألم رأس وهمي ورحل لمنزله ليجد النيران تشب به..
 لم تكن نيراناً فعلية ولكنها نيران الحقيقة التي اكتشفها والده
 بعد سنوات وسنوات من الضلال..

صوت والده المتوسل والذي يسمعه لأول مرة ما زال يتردد
 بأذنه للآن..

"راوية.. التحاليل دي بتقول أني ما بخلفش.. أني عقيم.. لا..

لا.. مش ممكن.. أكيد غلطة.. أنا هعيدها.."

صدمته الجملة التي وصلت لأذنيه.. بل جمدته بمكانه..

كذب آذانه برغم أن أعماقه أكدت كلمات والده المتوسلة..

"التحاليل غلط؟"

ولكن جملة والدته التالية والتي ألقت بها بلامبالاة سافرة

كادت أن تطيح بقلبه من بين أضلعه..

"التحاليل صح يا سالم.. أنت فعلاً عقيم.."

هز والده رأسه بنفي ذاهل..

"لا.. لا مش ممكن.. أنت بتكدي.. بتهزري يا راوية.. بتهزري"

هزت راوية كتفها بلامبالاة..

"يعني معترف بالخيانة عشان أهزر معاك مثلاً.. وبعدين

أنا مش فاهمة.. أنت إزاي متخيل أن معتصم ابنك.. أنت
 عارف نفسك كويس من يوم ما اتجوزنا وأنت يا دوب..
 قاطعت كلماتها صفعه مدوية صاحبت صرخة والده..
 "اخربي" ..

رفعت رأسها لتواجهه بغيظ.. وغضب.. غضب سنوات
 متراكمة من الاهمال والقسوة واللامبالاة..
 غضب خائنة مذنبه ترغب برمي خطيئتها على كاهله..
 جنون مريضة غير راغبة بالشفاء من مرضها..

"لا مش هخرس... عارف ليه؟.. لأنني زهقت.. زهقت من دور
 الزوجة.. الهانم والست الأرسقراطية.. أنا عايضة أعيش
 حياتي.. عايضة أكون حرة.. وأيوه أنت عقيم ومعتصم مش
 ابنك"

كاد معتصم يتهالك فاقداً وعيه وتلك الكلمات تخترق سمعه..
 نعم هو يعلم أن والدته تفضل الحياة الاجتماعية الصاخبة،
 ولكنه لم يتخيل ذلك الابتذال..

تلك البشاعة التي تنطلق من بين شفثيها وهي تخبر والده
 بتشفي..

"أنت مش أبوه.."

وتطلق ضحكة عالية وتكمل كلماتها..

"الحقيقة أنا مش عارفة مين أبوه بالضبط.."

لم تكمل كلماتها فقد انهال سالم عليها صفعاً وركلاً وضرباً
 بكل قوته..

ولم يتحمل معتصم ترك والدته تحت رحمة ركلات سالم،
 فاندفع يبعدها عن مرمى ذراعيه وهو يصرخ..

"هتموت في إيديك.. ابعدها.."

فوجئ سالم بمعتصم يحول بينه وبين راوية ولكن غضبه
 كان أكبر من أن يترك عقله للمفاجأة فعاد يجذب راوية من
 شعرها وهو يصرخ بمعتصم ليبتعد ولا يتدخل..

بينما راوية تتعالى ضحكاتهما الساخرة وكأنها لم تتلق عشرات
 الصفعات وتهتف بحقد..

"إبقى اتنى مع العروسة الجديدة يا سالم.. أنا تتجوز عليا
 بنت بيئة من عيلة حقيرة" ..

توقف سالم للحظات ليسأل بلهفة..

"قصدك إيه!.. كلامك اللي فات ده كذب وكنت بتنتقمي؟"

لتصرخ بجنون..

"مش بكذب.. مش بكذب.. أنا عمري ما حبيتك ولا أنت تملى

عيني.. أنا.."

واختفت كلماتها مع سحبه لها بداخل غرفتها ليغيبا معاً عدة ساعات.. تعالت فيها الصيحات والصرخات..

ومعتصم يحترق ليقتمم الغرفة.. ليفهم.. ليستمع لتكذيبها لتلك الكلمات القاتلة..

ولكن بدلاً من ذلك خرج المدعو والده إليه بعينين حمراوين غضباً وغيظاً وهو يلقي إليه بهاتفه ليستمع إلى اعترافات والدته المتوالية..

بخيانات لا حصر لها..

باستمتاع مريض بعلاقات خارج اطار الزواج..

باحتياج مستمر لوجود رجل بحياتها..

استمع واستمع ولم يتحمل المزيد ليفرغ ما بجوفه تقزراً
واشمئزاً..

يكاد يغيب عن الوعي من هول فجور ما يسمعه..

ولم يخرجه من تيمه إلا صرخة أبيه الحازمة يأمره بالخروج
هو ووالدته من المنزل وألا يعودا له مطلقاً وصارخاً بغضب
مجنون..

"أنت ابن حرام.. ابن حراماااام" ..

كلمته كانت صادمة.. بل ملجمة لكل ملامح معتصم.. لكل
انفعالاته.. كلمة قيده بقيد النبذ.. بقيد عدم الأهلية.. كلمة
قتلت الحياة بداخله.. قتلت الإدراك والتعقل..
فسلم قيادته لوالدته..

ليجد نفسه بشقة أخرى.. ومكان آخر ووالدته تخبره بنزق أن
ذلك بيتهما الجديد..

"مش محتاجين حاجة منه.. ولا من فلوسه.. خلي السنكوحه
اللي اتجوزها تنفعه" ..

لا يطيق النظر لوجهها.. بل لا يتحمل صوتها ولا حتى همسها..
يعاوده الشعور بالغثيان بكل مرة تقع عيناه عليها..
أراد تركها.. بل حاول عدة مرات.. ولكنه كان يعود بكل مرة
ترغمه حاجته لانتهاء دراسته..

قراره الجديد..

لينه دراسته أولاً.. ثم يبتعد تماماً.. ينسى وجودها ووجود
سالم جوهر بحياته..

ولكن حتى تلك الأمنية لم يستطع تحقيقها.. وكأنها تمنع
وتبتكر بتحطيمه وتدمير روحه.. فعلاقتها المبتذلة أصبحت
علنية..

لم تعد تتحرى الكتمان كما كانت.. بل زادت وأمعنت بضلالها
وأصبحت تتفنن بإقامة علاقات مع شباب بسنه بل أصغر..
وكانت القشة التي قصمت ظهره.. رؤيتها بين أحضان صديقه

الصدوق.. والذي اختار أن يمتع نفسه مع الأم بدلاً من علاقة
صداقة امتدت لسنوات مع الابن..

بتلك الليلة خرج من منزلها، بل من حياتها بأكملها.. ولم يعد
ثانية..

تنازل عن حلمه بتحقيق دراسته..

تنازل عن شخصه الراقى الارستقراطي..

تنازل عن هيئته وحالته الثرية ليتحول لشبه متسول..

يقبل بأي عمل.. وينام بأي مكان يلقاه..

سنوات تنقل بها بين أعمال عدة.. سنوات تحول بها الوريث

الثري لرجل شرس متوحش النظرات لا يثق بأحد ولا يأمن

لمخلوق..

حتى ألتقى به.. أو ألقته به الظروف بين يديه..

ياسين.. ذلك الرجل الذي يراه كمرآة لآلامه وكأن آلام الدنيا
تجمعت معاً وقررت أن تخصهما بملكيتها..

لا ينسى نظرة المواساة التي منحه له بعد خروج والدته من
الغرفة وهي تلعن أمومتها لابن مثله فرط في ملايين بل مليارات
من الجنميات بلا مبرر..

تلك النظرة التي ارتسمت بعيني ياسين أخبرته بوضوح أنه
عرف حقيقته.. عرف اللقب الذي وسمه به والده المزعوم..
"ابن حرام" ..

توقع أن يُلقى به للشوارع المكان الملائم لمن هم على شاكلته..
ولكنه فاجئه بعرض لم يتصوره..

حتى أنه أخذ يتأمله للحظات وكأنه يراقب كلمات تخرج من
شفتي مجنون أو فاقد للاتزان..

فهو ببساطة يعرض عليه أن يمسك متاجر العطارة الخاصة
بعائلته..

يأتمنه هو مَنْ لا أصل له على تجارة وأموال عائلته، إخوته..
والدته..

غمغم يومها بصوت مرتبك..

"أنا.. أنا مش عارف.. دي شفقة ولا جنون!"..

أجابه ياسين بجدية..

"أكيد مش شفقة ولا جنون.. ده مش مالي لوحدي عشان
أخاطربه.. أو أقدم وظيفة لك كنوع من المساعدة.. ده تفكير
عملي.. أنت أثبت أنك جدير بالثقة وأنتك بتفهم كويس في
الحسابات.. وأنا محتاج الصفتين دول في أي حد هيمسك
المحلات"

ردد معتصم بعملية وقد جذبته لكلمات ياسين نحو جانبه
العملي..

"أنا ما افهمش في العطارة"

ليجبه ياسين ببساطة..

"دي مهمتي.. هكون معاك دائماً ومش هسيبك تمسك كل
حاجة لوحدك إلا لما أتأكد فعلاً أنك بقيت خير بكل خبايا
الشغل" ..

عاد يسأله معتصم وعدم التصديق مازال يكتنفه..

"أنت عايز تبعدي عن الورشة بعد ما.."

قاطعه ياسين بحسم..

"أنا بعرض عليك تمسك شغل وفلوس أخواتي.. هتشتغل في
محلات العطاراة اللي جنب بيت عيلتي.. تفتكر ده عدم ثقة؟! .."

أوماً معتصم بامتنان وهو يمنحه جوابه..

"رأيي الأخير والنهائي هقولك عليه بعد ما أجرب شغل

العطاراة"

وبالفعل بدأ يستوعب العمل بوقت قصير، بل بدأ يستهويه
 مجال العطاره نفسه حتى أنه يستغل وقت راحته وفراغه
 بالبحث عن الأعشاب والتوابل المختلفه بالشبكة العنكبوتية..

واليوم قرر منح ياسين جوابه النهائي بالموافقة على عرضه
 مع تمسكه بالعودة والمبيت بغرفته الخاصه بالورشة..
 وافق ياسين بسرعة على طلبه واتفقا على أسلوب العمل
 وطريقة الإدارة..

وأخيراً منحه ياسين نظرة هادئة وهو يخبره بلطف..

- أنا موجود هنا كأخ أكبر لك.. وقت ما تحتاج تتكلم
 هسمعك..

وقبل أن يجبه معتصم الذي احتقن وجهه حرجاً.. فوجئاً
 بسعاد تقتم الورشة بلهفة وصيحتها خلعت قلب ياسين
 ذعراً وهي تخبره بخوف..

- فجر.. فجر وقعت مغمى عليها.. كانت كويسة وداخت و..
 ولم يدعها ياسين تكمل كلماتها.. فقبل أن تنهي جملتها كان قد
 وصل بالفعل للشقة ليجد فجر ملقاة بردهتها الواسعة
 فحملها بسرعة وهو يصرخ بسعاد أن تتصل بماجد وتخبره بما
 حدث وأنهم في الطريق إليه

جلس ماجد على مقعد مجاور لفراش شريف وبيده تلك
 الأشعة التي تم التقاطها منذ دقائق وأنامله تشير نحو طحال
 الصغير:

- ووظيفة الطحال يا شريف حاجة قريبة من الجيش كده..
 بتدافع عن الجسم من البكتريا وتنقي الدم.. كمان بتمحي
 كرات الدم الحمراء القديمة عشان الجديدة يتم إنتاجها..
 صمت للحظة ثم سأله:

-طبعا أنت عارف أن كرات الدم الحمراء دي مهمة جداً
للجسم وكمان هي اللي بتدي الدم لونه الأحمر..

قطب شريف يسأله:

- يعني الدم مش أحمر عشان ده لون لبس الأهلي!

توسعت عينا ماجد عجباً لما يسمعه من الصغير الذي أكمل:

- خالو هاشم قالي كده..

أخفض هاشم وجهه بحرج بينما كبت ماجد ابتسامته

وربهم تخبر شريف بلطف:

- خالو كان بهزر معاك يا شريف..

هز شريف كتفيه ليخبرهم بهدوء:

- أنا عارف.. أنا كمان كنت بهزر مع دكتور ماجد..

اتسعت بسمه ماجد وهو يسأله:

- هنكمل شرح؟

أوماً شريف موافقاً:

- أيوه.. حضرتك شاطر وبتشرح حلو..

انتفخت أوداج ماجد من مدح الصغير له وكأنه منح تلك
الكلمات من العظيم مجدي يعقوب وليس من صغير لم يتعد
العاشرة..

أكمل شرحه:

-الطحال بتاعك بقى يا سيدي هاجمته مجموعة من
البكتريا.. بس نوعها نادر شوية عشان كده معظم الدكاترة
استبعدوها.. لأننا غالباً ممكن نقابلها في دول أفريقية.. لكن
هنا وجودها قليل.. وده اللي سبب اختلاط الأمر عليهم.. فكان
تشخيصهم وجود أورام سرطانية.. بس بعد تدقيق في الأشعة
وعرضها وتكبيرها أكثر من مرة... اتأكدنا أن مافيش أي خلية
سرطانية..

قطب شريف حاجبيه بجديية مما جعل ربهام تضغط بكفها
فوق قلبها فمهي ترى زوجها وحببها بكل تفاصيل ابنهما..

غمغم شريف متسائلاً:

-والمرض ده له علاج؟

أجابه ماجد بحذر:

- أكيد.. الأول عندنا كورس صغير كده من مجموعة أدوية
وبعدها..

صمت للحظة بينما الصغير يستحثه ليكمل:

- كمل يا عمو..

أجابه ماجد بدون أن ينتبه تخلص شريف من لقب "دكتور"
ومنحه لقب "عمو"..

بينما اتسعت عينها هاشم بتعجب.. ورمق ربهام -التي لاحظت
زلة لسان ابنها هي الأخرى- بتساؤل متعجب

- بعدها هنعمل عملية استئصال للطحال.. وهتكون محتاج
لكورس تاني من الأدوية وشوية تلقيحات وتطعيمات عشان
تحميك في المستقبل من أي مضاعفات..

عاد شريف يسأله بلهفة:

- وحضرتك اللي هتعملي العملية؟

أجاب ماجد بتأكيد:

- طبعاً..

عاد الصغير يتساءل بأمل:

- ممكن أشوفك؟..

رفع ماجد حاجبيه ذهولاً:

- تشوفني إزاي؟!.. أنت هتكون متخدر..

ليفاجئه الصغير:

- بس في بنج بيخليك صاحي وقادرتشوف اللي بيحصل في العملية..

ابتسم ماجد بسعادة.. ذلك الولد مدعاة للفخر حقاً..

- صعب أستخدم النوع ده وأنا بعمل عملية لطفل في سنك..

عاد شريف يهتف بعناد:

- أنا مش صغير.. مش صغير..

تحرك ماجد من مقعده ليجاور شريف بفراشه.. يعبث
بخصلاته ويربت على كتفه بحنان..

هو لا يريد اغضابه.. بل يفكر جدياً بوسيلة ليحقق له رغبته:

- طيب.. أنا لقيت الحل.. هعرض عليك فيديو لعملية
استئصال للطحال.. وأشرحلك كل حاجة على الفيديو..

ضيق شريف عينيه يقلب الأمر برأسه ثم قال بهدوء:

- بس بشرطين!

انطلقت ضحكة ماجد:

- اتنين مش واحد!

أوماً شريف موافقاً:

-أول شرط أن الفيديو يكون لعملية حضرتك اللي عملتها..

سأله ماجد:

والثاني؟

- الثاني.. تسجل العملية بتاعتي وبعد ما أفوق تشرح لي ثاني

عملت إيه..

ضحك هاشم بقوة بينما رمقه شريف بغضب صاعق..

فكتم ماجد ضحكاته حتى لا يتسبب بإحراج الصغير ومد كفه

له قائلاً بجدية:

- deal

بادلہ شریف المصافحة وهو يخبره ببساطة:

- أنا قلت لحضرتك لو شرحت لي صح هفهم.. كان عندي

حق بقى ولا لأ!

ابتسم ماجد وهو يعبث بخصلاته:

- كان عندك حق أكيد...

ثم رفع عينيه لريهام يخبرها بجدية:

- ربنا يخليهولك.. شريف طفل ذكي ما شاء الله..

أومأت شاكرة له وبدخلها تشكر رهام مئات المرات..

فطفلها بخير..

أمانة شريف التي تركها بعنقها مازالت سالمة..

ستتمكن من رؤية روح شريف زوجها بابنهما..

هي أهل للأمانة وستحافظ عليها بحياتها..

قطع رنين هاتف ماجد الصمت الذي ساد الغرفة.. ليلتقطه
ببساطة ويستمتع لكلمات سعاد الملهوفة ويجيها بعملية:

- هستانكم وهسيب خبر على البوابة عشان تدخلوا على
طول.. طمني ياسين..

أغلق الخط ليجد هاشم يواجهه متسائلاً بقلق:

- ياسين عنده مشكلة؟..

رمقه ماجد بحيرة.. ما سرتلك العلاقة الغريبة التي تربط
شقيقه بضابط شرطة عملي وجاد مثل هاشم!.. سر لا يريد
أيهما الاقتراب منه ولو حتى بمجرد تلميح..

أجاب بتردد:

- مرات ياسين تعبانة شوية.. وهما في طريقهم لهننا..

قطب هاشم حاجبيه مردداً:

- ألف سلامة عليها.. ياريت تبقى تطمني..

أوما ماجد بصمت.. ثم التفت لشريف متسائلاً:

-أي أسئلة تانية يا بطل؟..

ردد شريف بجدية:

- متشكراً عمو.. آسف أنني تعبت حضرتك..

ربت ماجد على مقدمة رأسه برفق بينما بدأت ربهام تتمتم

بحرج:

- أنا مش عارفة أشكر حضرتك إزاي.. وكمان آسفة جداً على

الكلام اللي قلته قبل كده.. أنت ربنا بعثك نجدة لنا..

ردد ماجد بعملية:

- ده واجي يا مدام..

قطع رنين هاتفه كلماته ليعتذر برفق:

- متأسف.. بس لازم أنزل لياسين ومراته دلوقت..

همست له بشكرها العميق ثانية قبل أن يسرع ليستقبل
شقيقه..

يستطيع التكهن بمدى القلق والرعب الذي يمر بهما ياسين
الآن.. فزوجته أصبحت تمثل له حصن من الأمان وأيقونة
محبة خالصة..

مازال بذاكرته مشهد ياسين بعد دفن بسنت وهو يجره
لغرفته يغلقها عليهما ويمزق ملابس ماجد بجنون يبحث
بذراعيه وساقيه عن آثار حقن وهو يردد بلا انقطاع..

"إوعى يكون جرك لسكتة.. إوعى تكون ضيعت عمري على
الفاضي" ..

كاد ماجد أن يدفعه بعنف.. يمنعه عن حالة من الهستيريا
تلبسته وهو يظن أن أخاه ينتهج مسلك حاتم..

كادت أنانيتته وغروره أن يتحكما به ليصرخ بياسين أن يكف
 عن الجنون.. ولكن نظراته الملهوفة.. القلقة.. قلق أخ أكبر
 بل رعب أب يخشى على صغيره سوء العاقبة.. دفعا ماجد
 للاسترخاء والصمت وهو يتعرض لفحص شامل من ياسين
 الذي اطمئن لخلو جسد شقيقه من أي آثار للحقن ولكنه لم
 يهدأ فعاد يتمسك بكتفي ماجد صارخاً..

"أنت نضيف؟!"

هدأ ماجد من مخاوفه..

"اطمن يا ياسين.. زي ما فيه حاتم كثير.. في برضوه اللي بيقدر
 يصمد ويوصل بنضافة كثير.. اطمن يا ياسين أن مش ممكن
 أفكر أروح للسكة دي" ..

ارتقى ياسين لحظتها على الفراش يلهث بعنف وبعينيه تتقافز
 عشرات من الأسئلة..

أسئلة لا يملك إجابتها سوى الغائب.. أو المتغيب..

فماجد يحاول الوصول إليه بلا كلل ولكنه لم يصل لشيء..
وإن كانت تصله أخبار شبه مؤكدة بتواجد حاتم قرب قبر
ابنته..

ورغم ذلك لم يتمكن من العثور عليه.. ومازال السؤال يتردد..
أين اختفى حاتم!؟

وصلت فجر بصحبة ياسين وسعاد.. وما هي إلا دقائق حتى
كانت إحدى الطبيبات تزف البشرى لياسين بقرب وصول ولي
العهد..

-مبروك يا أستاذ ياسين.. مدام فجر حامل.. أنا كتبت لها
شوية فيتامينات.. وياريت تاخذ بالها من أكلها وكمان تحاول
ترتاح على قد ما تقدر..

لم يستمع ياسين لهذرها فقد توقف عقله عند كلمة
"حامل"..

فجره حاملاً بنور مستقبلهما معاً..

فرحته..

كلا.. كلمة فرحة لا تصف تلك الأحاسيس التي تتقاذف بداخله..

فرحته ليست فرحة ذكر بقدم شبيه له.. أو بإثبات قدرة..

فالقادم لن يكون مجرد طفل لزوجين شابين، بل هو حتى

ليس تكليل لارتباط نظر له الكثيرون بعين الشك..

الطفل القادم هو إشارته.. هو مكافئته..

هو منحة الخالق له وتعويضه عن مرار وأوجاع لم يعد يريد

استرجاعها..

القادم يخبره بوضوح أنه أحسن الاختيار.. وأنه لم يخذل

الزوجة ولا الأم والإخوة..

نعم القادم هو إشارة لروح جديدة..

أمل جديد يولد..

ففجره ستمنحه بداية النهار عن حق..

دلف لغرفة الكشف ليجدها جالسة بحالة ذهول..

تكتف قدميها معاً وتحتضنهما بذراعيها وقد تجمد جسدها

بالكامل..

اقترب منها ببطء وقد أقلقته حالتها.. فقد توقع نوبة بكاء حارة

كالتى تنتابها كلما انفعلت سواء فرحاً أو حزناً..

ولكن ذلك الجمود أزعجه..

همس بقلق:

- فجر!..

أجابته بهمس مقابل:

- نعم؟..

اقترب ليحيطها بذراعه:

- خير؟.. مالك؟.. هي الدكتورة قالت لك حاجة تقلق؟..

أجابته بهمس مذهول:

-قالت لي أني ح..امل..

وتقطعت حروفها وهي تحاول كبت نشيج قوي يتدافع

بأعماقها.. ليسألها بقلق:

- مالك يا فجر؟..

همست بخوف:

-خايفة.. خايفة أكون بحلم يا سي ياسين

اقترب ليمنحها قبلة عميقة على جبهتها هامساً:

-مش حلم يا فجر.. حقيقة..

ملس بكفه على بطنها هامساً:

- بنتنا هنا.. أمل.. كنت عايزك تسمي ولادنا.. بس المرة دي أنا

محتاج أنها تكون أمل..

همست بتردد:

- بنت؟.. أمل!.. ولو ولد؟..

أجاب بسرعة:

- يبقى شريف.

اتسعت ابتسامتها وهي تغمغم:

- يعني بجد وحق وحققيقي يا سي ياسين.. أنا حامل بجد؟..

هشيل جوايا حتة منك.. ياه على كرمك يا رب.. ألف حمد

وشكر لك..

ردد ياسين كلمتها:

-الحمد لله.. ربنا كبير وكريم قوي.

تشبثت بكتفه تلقي برأسها على صدره هامسة:

- تصدق أنا خايفة أتحرك..

شاكسها بعث:

- ليه هيوقع!..

شهقت بخوف:

- أحلفك بإيه ما تقولش كده.. دي أمانتك جوايا.. أمل زي ما

بتقول.. ولازم نحافظ على الأمل..

ضمها بقوة بين ذراعيه وهو يمنحها قبلة ناعمة على رأسها

هامسا:

- مبروك يا فجر..

ورفع وجهها ليقابله.. وتلك المرة منحها قبلة تهنئة حقيقية.

وبالخارج وقفت سعاد تبرم أصابعها تتساءل للمرة المائة..

"ما الذي أتى بها معهما!.. بل كيف تمكنت من الخروج من
باب المنزل؟!!"..

لقد أقسمت أن تقضي ما بقي من عمرها تستغفر وتكفر عن
ذنوبها.. تستجمع بعض الجرأة لتتمكن من طلب العفو
والسماح ممن أخطأت بحقهم..

كانت تقضي وقتها بين الاستغفار والصلاة..

تحاول جاهدة التخلص من شعورها بأنها ملوثة.. مدنسة بأيدي
لم تلمسها فعلياً ولكنها انتهكت حقوقاً لا تملكها بكل الطرق
الممكنة.. فكانت بتلك اللحظات تلقي بنفسها تحت المياه
الساخنة.. ترفع درجتها أحياناً حتى لا تحتلمها وتدعك جسدها
بجنون وكأنها تحاول تطهيره ودفع كل لمسة مفترضة وصلت
له..

أصبحت تقضي يومها بين الاغتسال والاستغفار حتى أخبرتها
فجر أن تتوقف.. فقط.. تحاول مسامحة نفسها وتقبل أنها

أذنبت وتابت.. وتحسن توبتها.. ولكنها تعلم أنها لم تسامح
نفسها بعد.. فكيف يمكن للآخرين مسامحتها!..

توبتها قدمتها نصوحاً.. وبكت وأخلصت وأقسمت على عدم
العودة.. والله رحيم.. واسع الرحمة.. يتقبل توبة عباده..
يتلقاهم برحمة ورأفة.. فهو الرؤوف الرحيم..

ولكن البشر.. هل يتقبلون؟.. هل يغفرون؟..

هي نفسها مازالت تلوم وتعاتب ذاتها.. تقتلها ندماً وخجلاً..
ولكنها لم تتمكن من طلب الغفران من نفسها.. وهي تعني
بذلك بلسم.. نصفها الآخر..

فقط لو تمتلك الجرأة لتواجهها.. لتحكي وتشرح.. حينها فقط..
قد تتمكن من مسامحة نفسها..

وقف هاشم بمكان ليس بعيد يراقب تلك الواقفة أمام إحدى
غرف الكشف.. تعرف عليها على الفور.. شقيقة ياسين..

وهو أتى ليقدم له التهنئة بعدما علم من ماجد بحمل فجر..
لتجذب نظراته تلك التي تقضم أظافرها بلا توقف وهي تجوب
المساحة أمام غرفة الكشف..

وبدا أنها تحدث نفسها بلا توقف..

تقدم منها متسائلاً بسؤال يعلم إجابته:

- أنسة سعاد؟..

رفعت عينين متسائلتين وسرعان ما أخفضتهما بعدما تعرفت
على شخصه..

وبدأت تجذب خصلة صغيرة من شعرها وتلفها حول إصبعها
بتوتروهي تومئ برأسها ب نعم..

مازالت فكرة أن ذلك الرجل رأى صورها وهي تنتهك جسدها..
وسمع لصوتها وهي تتلفظ بأقذر الكلمات تسبب لها الهلع..

عاد هاشم يتساءل:

-ياسين جوه؟

والإجابة كانت إيماءة رأس أخرى.. وعيناها مازالتا تتخفيان
خلف جفونها تتأملان طرف حذائه المصقول..

عاد يردد بإرتباك وقد أخرجته صمتها ولغة جسدها الواضحة
والتي تصرخ به..

"غادر" ..

- كنت عايز أبارك له على ولي العهد.. ممكن توصلي له
الرسالة..

وإجابتها هزة رأس لمحها بالكاد.. وقبضتها بدأتا تتمسكان
بثوبها بقوة وكأنها تستجمع قوتها لتستمر بالوقوف أمامه..
حياها بهمسة خافتة ورحل مدركاً للحرج الذي تستشعره
بمجرد تواجده أمامها.. فبرغم كل ما فعلته بتلك الصور.. كان

شيء بداخله يخبره.. أنها بالفعل نادمة.. ولكن هل يكفي
الندم؟..

اطمئن ماجد على استقرار حالة شريف وبدء بروتوكوله
العلاجي.. وقرر أن يرحل باكراً ذلك اليوم ليستمتع بفرحة
أمنة وياسين يزف لها بشرى الأمل الجديد.. ولكن فاجئه
الدكتور طاهر باستدعاء عاجل لمكتبه..

وهناك صدمه بعرض فوري لمشاركته بنصف المشفى..

مما دفع ماجد للتساؤل:

- نص المستشفى إزاي يا دكتور!.. ده مبلغ وهمي ما اقدرش
أوفر واحد على عشرة منه و..

قاطعه طاهر بجديّة:

- أنا مش عايز منك فلوس يا ماجد..

قطب ماجد حاجبيه بتساؤل ليكمل طاهر:

-أنا فاهم كويس أن المستشفى دي حلمك اللي بتحاول
تحققه.. صدقني أنا معجب بطموحك وتفكيرك.. ويمكن ده
اللي خلاني أوافق على خطبتك لبنتي..

غمغم ماجد بحرج:

- ده موضوع انتهى من زمان يا فندم.. حضرتك عارف أننا ما
اتفقناش.

أجابه طاهر بحسم:

- بس ممكن تحاولوا من جديد..

تساؤل آخر من ماجد:

- من جديد؟!!

أجاب طاهر:

-أيوه يا ماجد.. أنا هكون عملي ومباشر.. أنا بعرض عليك

نص المستشفى والمقابل اللي عايزه مش فلوس!

-أومال إيه؟

والصوت المتوسل لا يمكن أن يصدر من ظاهر برهام ولكن

تلك المرة كانت ابنته على المحك:

- عايزك ترجع لي بنتي.

رفع ماجد حاجبيه:

- أرجعها إزاي ومنين؟..

والإجابة كانت صادمة.. بل مفزعة..:

- ليا بعنت لي النهارده رسالة بتقولي أنها قررت تتجوز من

صديق لها.. صديق حسنت معاه بكيانها.. ورجع لها ثقتها

بنفسها..

صمت طاهر للحظة محاولاً ابتلاع غصته كأب يشعر بالرعب
مما ستقدم عليه ابنته:

-صديقتها ده اسمه ديفيد مايسون.. وقرروا يتجوزوا جواز
مدني..

انتهى الفصل

الفصل الرابع والعشرون

الأمومة.. لا تشرحها كلمات ولا تصفها معاني.. الأمومة كلمة
تضم الكون من بدايته.. وحتى نهاية آخر ذرة به..
في قلقك تبحث عن أمانها.. بفرحك تنشد فخرها بك.. بخوفك
هي منبع الطمأنينة.. بوجعك تمنحك ترياق حنانها..
اختصاراً.. الأم هي سعادة خالصة.. هي حضن دافئ على
الدوام..
وبأحيانٍ قليلة.. قد تكون تائهة مشتتة..
ولا يمكن إنكار بضعة حالات شاذة تثبت صحة القاعدة..
وتجنح عن صراط الأمومة لهاوية الأنانية.. والانحراف...
وما بين أمومة وليدة.. وثانية تستعيد أنفاسها وأخرى تتخبط
حائرة ضائعة بين حزنها وواجبها وثالثة تلفظ أنفاس أمومتها..
تتأرجح الحكايا..

بلسم تحتاج لجلسة مصارحة..

كان ذلك شعار آمنة بالوقت الحالي.. فمنذ تعهد لها حافظ أن
يطلق يدها مع أولادها وهي تسعى بكل جهدها لرأب الصدع..
بل الصدوع..

بدأت بسعاد.. أخذت بيدها لبداية الطريق وتوالها بكل
الدفعات المعنوية الممكنة..

وإن كانت ترى أن التقدم بطيء.. بل غاية في البطء.. ولكن لن
تياس.. فالتصدع تكون بسنوات من التلمي بمأساة ياسين..
ولابد أن يأخذ كل الوقت ليتم الإلتئام.. بطريقة سليمة
وصحية.. لا تؤذي.. ولا تسبب الألم..

وكما عاشت سنوات تحيي أمومتها بانتظار عودة الغائب.. حتى
فقدت تلك الأمومة ردارها العفوي نحو باقي الأبناء..

الآن هي تدرب نفسها وبدقة لاستشعار أي تغير يحيط بكل
صغارها..

وردارها يصدر تحذيرات هائلة كلما مرت رقية بمحيطها..
ولكن.. أمانة.. تنتظر.. فرقية تحتاج للوقت.. هو بداية العلاج..
ولكن ليس بوفرة.. فالتغافل عن حزن رقية قد يسبب كارثة..
والتسرع قد يخلق نفوراً لا طائل منه..

لذا فالانتظار هو الحل الأسلم..

أما بلسم فتقدمت نحو أمها بلا دعوة.. فقط سكنت أحضانها
ورأسها يستريح على صدرها وهي تخبرها بحنين:

- سعاد وحشتني قوي يا ماما..

وترد أمانة بتقرير أكثر منه سؤال:

- هو أنتِ مش بتشوفها عند ياسين؟..

أجابت بلسم بهمس:

- بشوفها.. بس برضوه بتوحشني.. سعاد بتبعدني..

داعبت أمانة الخصلات البنية الناعمة:

- وليه ما تقريش أنت؟

رمشت بلسم بوجل:

- خيفة..

عادت آمنة تخاطبها بحنان:

- ما فيش حد في الدنيا هيكون فاهمها زيك يا بلسم.. حتى لو

لسانها يببعك فعيونها بتناديك.. بس هي مش قادرة تواجه..

ردت بلسم بلهجة دفاعية:

-أنا نسيت موضوع فاروق خلاص..

حركتها آمنة لترفع رأسها وتخبرها بوضوح:

-عارفة يا بلسم.. أهو موضوع فاروق بيثبت الكلمة اللي

بتقول "ورا كل شر خير".. والكارثة اللي حصلت لسعاد كشفت

لنا وش فاروق الحقيقي.. ربنا نجاك منه يا بنتي..

ضغطت بلسم شفتمها بقوة وأغمضت عينها تخفي الجرح بهما
عن عيون والدتها..

نعم.. العقل والمنطق يؤيد كلمات آمنة ولكن هناك تلك
الخفقة المجروحة بالقلب.. ذلك الكبرياء الأنثوي الذي يرفض
فكرة تعلقها بشخص لم يكن يستحقها..

همست أخيراً:

-من اللحظة اللي طلب فيها كشف العذرية وهو انتهي
بالنسبة لي.. اطمني يا أمي..

ربتت آمنة على وجنتها برقة.. ترى الجرح بوضوح.. ليس جرح
قلب بل كرامة أنثى أهينت من من وجب عليه الصون
والاحتواء..

ولكنه جرح سيندمل مع الوقت.. تجربة بقدر مرارتها بقدر ما
منحت للفتاة الحاملة القدرة على تمييز الزيف من الحقيقة..

-ربنا يكملك بعقلك يا بنتي..

صمتت لحظة قبل أن تردف:

-يمكن لو سعاد عرفت أنك مش بتلومها على تصرف

فاروق.. يمكن وقتها مش هتبعد..

أومات بلسم بتفهم.. هي تريد الاقتراب من توأمها ثانية..

قيدها بالبداية رفض سعاد لقرنها ولكن سعاد اختلفت

بالفترة الأخيرة..

أصبحت أكثر هدوء.. فكانت خشية بلسم من تأخرها

بالاقتراب.. من لوم تحمله سعاد بداخلها.. من ألم تشعر به

يمزق روح توأمها.. ففضلت الابتعاد.. أو لتكن أكثر دقة..

الاقتراب المحسوب بحذر شديد..

راقبت أمانة الانفعالات على وجه ابنتها وأملت أن تكون قدمت
لها المساعدة التي تحتاجها والتي تصرخ بها نظراتها التائهة
بحثاً عن نصفها الآخر..

لا تفهم هي بتلك المصطلحات العريضة عن الرابطة بين
التوائم.. ولكنها تدرك أنهما سكنتا رحمها معاً.. كانتا كل
وأصبحتا نصفين.. أن إحداهما ما هي إلا مرآة للأخرى..
تلك مفاهيم أمومية خاصة بها.. لذا تصرفت وفق غريزتها
ووجهت بلسم للاقتراب من توأمتها.. عل روحها تكتمل..
فتهدأ وترتاح.. كلتاهما..

تركت ابنتها تستلقي بمكانها وعقلها يدور بأفكار محددة كيف
تسترجع توأمتها..

وتحركت هي لتبدأ رحلتها اليومية مع الزوج المعتكف والمعتزل
الحياة بأكملها.. منذ خرج من المشفى اعتصم بغرفته..

يقضي يومه بين الصلاة والدعاء وقراءة القران..

قرر الابتعاد عن الجميع.. وإن كان لا يرفض الاستماع لما
تسرده عليه آمنة من أخبار أولاده..

خرج عن صمته مرة واحدة عندما أخبرته آمنة أن من يدير
محلات العطارة هو معتصم الساعد الأيمن لياسين..

وقتها ثار ثورة عارمة.. واتهمها هي وياسين بالإهمال
واللامبالاة..

"ياسين مستكبر يرجع يمسك التجارة.. ييرمي شقى عمري بين
إيديين واحد من صبياناه، ما بي فهمش حتى في شغلنا!! ده
كلامك يا آمنة عن الكبير اللي هيشيل الشغل ويحافظ على
مال إخوانه!!"

وقتها صدمه وجه آمنة الحازم.. ذلك الوجه الذي تلبسها
مؤخراً وأصبحت كاللبؤة الشرسة عندما تدافع عن أبنائها وهي
تخبره بوضوح..

"إيراد الشهرده.. أكثر تلات مرات من الإيراد اللي كان فاروق
بيجي به.. وده كله ومعتصم لسه ما فهمش الشغل قوي.. قولي
بقي من اللي كان هيضيع شقى عمرك يا حاج" ..

"قاسية يا أمنة"

رددها لنفسه..

ولكنها محقة.. لا مجال لمزيد من المكابرة.. هو أخطأ كثيراً..

صم عقله وقلبه عن الكثير.. سار خلف معتقدات لم يدرك
كارثيتها إلا عندما صفعته الحقائق المتواليه..

والآن هو يحاول إصلاح أخطائه.. وإن كان يعجز عن التنازل
واظهار الندم.. فالاعتزال بحجة المرض هو عذر مناسب لإصلاح
ما أفسده..

وإن كانت هناك بعض الأخطاء التي لا يصلح معها علاج.. فهل
ابداءه للندم سيعيد لرقية ابنتها؟..

هو لم يواجهها للآن..

اكتفى بكلمات مواساة لا تنفعها بشيء.. وأيد قرارها لأول مرة
بالانفصال عن حاتم..

واكتفى..

لا يوجد ما يفعله أكثر..

كانت تلك وجهة ونظره بالطبع..

وأما وجعه الأكبر.. ابنه البكر وفرحته المطعونة.. فهو استعاد
توازنه بسرعة.. ثبت أقدامه بحياة جديدة وعرف كيف ينجح
بها، بل أصبح ملاذ ومأوى لباقي إخوته..

يحرقه قلبه شوقاً لقربه.. ولكن كرامته الغبية تأبى طلب
لقائه..

أما الصغرى.. تلك الكارثة من فرطت بالعرض والشرف..
فمهما بلغ شعوره بالخطأ لا يستطيع مسامحتها..

يكفي أنه سمح بعودتها لمنزله.. ولكن الجاحدة تمسكت بالبقاء
مع شقيقها وزوجته..

جذب انتباهه الأصوات العالية بالخارج ليميز بعد وهلة صوت
ياسين المبتهج.. ومعه صوت الخاطية الخافت..

لم يعلم هل قررت ابنته الجاحدة العودة.. أم هي مجرد زيارة
عابرة..

حسناً.. هو لا يريد أن يعلم.. ولا يهتم من الأساس.. فهو
احتسبها ميتة منذ علم بمصيبتها.. ولم تعد تعنيه بشيء..
فتح المصحف وبدأ بتلاوة ورده اليومي غير عابئ بما يدور
خارج باب الغرفة.

وبالخارج كان ياسين يغرق بأحضان أمنة كعادتها معه.. وتلك
المرّة ضمت سعاد بذراعها الآخر وبعينها ضمت فجر وشفقتها
تهمس باعتذار وشكر وصامت..

بينما وقفت بلمس بأحد الأركان تراقب الجميع.. وبعينها
نظرات اشتياق حية تنادي بها توأمها التي شعرت بالنداء
الخفي لتلتفت سريعاً..

فتتلاقى العيون وتتشابك النظرات بحديث لا يدركه سواهما..

"أحتاجك نصفي الآخر"

"أنا هنا"

"اشتقتك"

"ليس بقدري"

"افتقدت أمانى بابتعادك عني"

"افتقدت نفسي التي لا تكتمل إلا بك"

"بداخلي كلمات لن يفهمها أحد سواك"

"بعقلي دوامة لن تهدأ إلا بتفهمك"

لا يمكن تحديداً من منهما تحركت باتجاه الأخرى..

فقط بثوانٍ كانت كل منهما تضم الأخرى والدموع تحكي قصة
اشتياق واكتمال..

تحركت أمانة مبتعدة عن ذراعي ياسين لتضم ابنتها تجمعهما
بقليها كما جمعتهما مرة برحمها..

تمسح دموعهما فتساقط دموع أخرى بغزارة لا تنتهي..
بينما تتشابك أنامل التوأمتين على استيحاء.. وكأنهما تقران
معاً بداية جديدة.. ومختلفة..

همست أمانة لهما بخفوت لتوما برأسيهما بصمت وتتجها معاً
إلى غرفة بلسم.. فحديثهما الفعلي يجب أن يبدأ..

تركتهما معاً وعادت لياسين تسأله بلهفة:

- سعاد هترجع بيتها يا ياسين!؟

أخفض بصره بحرج.. لا يدري بم يجيها.. فبعد خروجهم من
مشفى طاهر برهام.. ومعرفة سعاد أنهم سيتجهون لبيت
العائلة.. أصابتها حالة من الرعب دفعت جسدها كله
للتجمد رافضة تحريك قدميها.. ولسانها يردد بذعر..
"أبويا هيقتلني.. هيقتلني.. هموت وأنا لسه ما كفرتش عن
ذني.. هموت يا ياسين"..

ولم تهدأ إلا بعد أن وعداها ياسين ألا يتركها وحدها ببيت
العائلة، وأخبرها أن الحاج حافظ ترك أمرها له تماماً وهو لن
يتخلى عنها..

كلماته طمأنتها قليلاً.. لتنصاع له وتتحرك ببطء سرعان
ما تحول لحالة التجمد عند وصولها لبوابة المنزل..
فتصلبت ساقها وعجزت عن الحركة للدقائق وبدأ جسدها
يرتجف بعنف..

ولسانها يردد كلمات اعتذار مهمة لم يعرف لمن توجهها
بالضبط..

دقائق مرت وهو يحاول السيطرة على انفعالها.. وفجر تضمها
بحنان برغم حالة الدوار التي لم تتركها بعد..

وأخيراً بدأت تتحرك كطفل صغير يتعلم أولى خطواته وترتكز
على ياسين من ناحية وعلى فجر من الأخرى وظلت على تلك
الوضعية حتى تلقتهم آمنة على باب منزلها..

فهدأت سعاد بين أحضانها التي ضمت ياسين أيضاً..
أخيراً وبعد أن طال الصمت.. غمغم ياسين بخفوت:
- سعاد جاية زيارة.. وهترجع معانا..

أومأت آمنة بابتسامة حزينة:

- وماله يا بني.. بيت أخوها زي بيتها برضوه..

وحاولت نفض الحزن بافتعال ضحكة وهي تهتف:

-هنتعشى سوا كلنا.. بقى لنا مدة ما اتجمعناش سوا..

تقدم ياسين ليقبل يدها هامساً:

- أكيد يا حاجة هنتجمع سوا..

ثم أردف وابتسامه واسعة على شفثيه:

- أنا كان عندي خبر حلو هيفرحك يا أمون..

أحاط فجر بذراعه ليضمها إلى صدره وهو يخبر آمنة بفخر:

-فجر حامل يا حاجة..

نقلت بصرها بينهما بسعادة وتركت حروف كلمات ياسين

تتسلل لقلبي تمنحها فرحة اشتاقتها.. فرحة مختلفة..

فأول أحفادها من ابنها البكر على وشك الوصول..

ثوانٍ التمعت الفرحة بعينها وسرعان ما حولتها لزغرودة

فرحة..

لتدلف رقية بتلك اللحظة وهي ترقب زغرودة أمها بذهول..
وتجمد المشهد بأكمله.. ابتسامة ياسين.. الفرحة بعيون فجر..
أمنة وقد كتمت فاها المفغور بكفها وعيناها تلمعان بمشاعر
متباينة..

ترى الألم وعدم التصديق يرتسمان على ملامح رقية..
لوم وعتاب عنيف يصرخان في نظراتها..

نهضت أمنة ببطء لتتوجه نحو رقية.. تضمها لصدرها..
ف رقية كانت تتخبط بعنف لتهرب من أمامهم.. ولكن أمنة
منعتها بقوة لم تعلم من أين أتت بها.. لكنها أرادت أن تعلم..
أن تفهم..

هي لم تنسَ وجيعتها.. لم تغفل عنها وعن فقيدتها.. أبداً والله..
فهي قطعة من القلب.. ووجعها ينخر به ألماً كمرض بلا علاج..
ولكن أمنة الأم وعت درسها وتريد تلقينه لابنتها كاملاً..

ابنتها التي تراقب حزنها يقضي على كل ما هو حي بحياتها..
 تراقب تفوقها على ذاتها وابتعادها عن الجميع..
 تنبذ طفلها بعيداً وكأنها تعاقب نفسها وتحرمها أمومتها..
 ترى الطفلين كل يهيم بملكوته.. فياسمين تغرق بين رواياتها
 وكأنها تتلاشى بها، وعمرو ينغمس بعالمه الإلكتروني وينأى عن
 الجميع وكأنه غائب في دنياه الخاصة..

وآمنة تكاد تجن مما تراه.. فيها هي رقية تكرر خطئها هي..
 تنعى أمومتها لبسنت وتغرق بحدادها فتكاد تضيع البقية..
 ترى الماضي يتكرر.. وستمر الأيام.. ويكبر الصغير لتتكون سعاد
 أخرى.. ضحية جديدة للإهمال.. وماجد آخر.. لا يرى إلا نفسه
 وتحقيق ذاته..

وهنا لابد من وقفة.. لابد من صفة أخرى.. لتصفعها بحقيقة
 الحياة وأنها لا يجب أن تتوقف.. حتى ولو حزناً وحداداً على
 فلذة قلب.. فلتخزن حزنها.. وتحوله لطاقة تحمي بها

صغيرها.. لتصفعها بيد القسوة.. وتنقذها بالأخرى.. بغريزة
الأم..

ضغطت على ظهر ابنتها تضمها بشدة ودموعها تسيل معاً
وهي تهمس:

- ربنا بيعوضنا يا رقية.. يجبر كسرنا ويفوقنا بحياة جديدة..
مرات أخوكِ حامل.. ياسين هيبقى أب..

وتغزو الكلمات القلب قبل العقل.. ياسين مَنْ ذاق النبذ وأُجبر
على الهجر.. مَنْ فتح ذراعيه وبيته يضم الجميع.. يساند
ويقف ويدعم.. شقيق قلبها.. سيمنح مكافئته أخيراً.. بعدما
ضاع من عمره ما ضاع.. يمد القدر له يد حانية ويربت على
كتفه بمؤازرة..

"أحسننت" ..

ياسين جاء يبشرهم بمولد حياة جديدة.. فكيف تنغص فرحه
وتنقصه!..

كيف تشعره بالذنب لاستشعاره فرحة مشروعة.. جربتها هي
بدل المرة ثلاثة..

وبكل مرة كانت أمها تطلق زغاريد الفرح..

فهل تستكثر السعادة على من سلب منه عمره وسنينه!

التفتت لياسين تسأله بتحشرح:

- فجر حامل حقيقي؟!

أوماً موافقاً بإرتباك ولكن لمعة الفرح بعينيه لم يستطع
إخفاؤها..

لتحاول رقية رسم ابتسامة مهنئة على شفثيها:

-مبرووك.. مبرووك يا فجر..

وخطت خطوة نحوهما تضمهما بقوة.. قبل أن تطلق بدورها

زغرودة مهنئة.. متحشرجة.. مكسورة.. غير مكتملة.. فقد

سقطت بعد أن أبى وعيها الاستمرار..

جلس ماجد خلف مكتبه.. يلف بمقعده يمناً ويسرى.. وبين
 أنامله هاتفه يتأمله بشرود.. لا يستطيع الوصول لقرار
 حاسم..

هل يخضع لطموحه؟.. يعود لذاته القديمة ويدوس بقدمه كل
 شيء؟..

حلمه القديم يخطو نحوه، بل يهرول، كلا بل أكثر.. فنصف
 مشفى طاهر برهام تقدم له على طبق من ذهب..
 "والمقابل يا ماجد؟!.."

خاطبه ضميره بتأنيب.. لهز كتفيه بلا مبالاة..

"زواج مصلحة.. وما المانع!"

هو بالأصل لم يحمل مشاعر قوية لـ ليا.. ولا يمكنه إدعاء أي
 غيرة أو افتعال جرح لأنها فضلت عليه صديقها الأمريكي ومن
 قبله حاولت إغواء شقيقه..

ما المشكلة في محاولة إقناعها بالعودة والزواج منه!..
 زواج عقلي عملي.. فهو من بعد طعنة سمر.. زهد الحب
 والمشاعر.. ويعلم أن شخصه لا يستسيغ تلك العواطف
 الفارغة..

حسم أمره.. وضغط أزرار هاتفه ليبدأ مكالمة مرئية مع
 خطيبته السابقة.. عله يجد منفذ ما يقنعها به بمشاعر حارقة
 لم تمت رغم البعد..

فتح الشاشة ليفاجئ بالمشهد أمامه..

فتلك الفتاة أمامه لا تمت بصلة لخطيبته الناعمة ذات
 الخصلات الشقراء المموجة..

فأمامه فتاة ملأت الوشوم جسدها حتى أخفت ذراعها
وساقها.. ترتدي بنطلون قصير جداً أسود اللون ومعه قميص
ضيق بنفس اللون.. وخصلاتها الشقراء انقلبت لسوداء قاتمة
بنفس لون طلاء شفثها والكحل الأسود الذي أحاط بعينها..
والخواتم العديدة التي تناثرت بأصابعها وتعلقت عدة حلقات
بأذنيها وأنفها.. حتى شفثها لم ترحمهما..

رمق الفتاة التي تتمايل بشاشة هاتفه على موسيقى صاحبة
كادت أن تؤذي أذنيه مما دفعه للصرخ بها أن تغلق الموسيقى
وتتنبه له..

نفذت أمره على مضض.. وبدأت تسأله برتابة:

-بابا اللي طلب منك تكلمني؟.

اقتحمت الموضوع مباشرة وبلا موارد مما دفعه ليخبرها:

-الدكتور طاهر قلقان عليك.. وده حقه..

قلبت شفتيها السوداءوان وبدأت تتحدث بانفعال فلمح الحلقة
الصغيرة المثبتة بلسانها مما دفعه للتقزز ولكنه أخفى رد فعله
ليسمع صراخها:

-حقه!!..

وأكملت:

- Ok.... fair enough...

صمتت لتكمل:

-ماجد.. أنا السنين اللي فاتت كلها عايشة علشان "داد"
يكون مرتاح و"مام" تكون مرتاحة.. هو يقولي.. ليا.. هنرجع
مصر.. أنا أقول أوك.. "مام" تتعب وتطلب أرجع لأمركا.. أسافر
بدون مناقشة..

enough

صرختها بصوت عالٍ لتكمل:

- It's Lia's time

رمق انفعالها بذهول وهي تكمل:

- دلوقت أنا هعمل اللي ليا عايزاه بس..

سألها بتوجس:

- وأنتِ عايزة تتجوزي دايفيد؟..

أشاحت يدها بلامبالاة:

- داد قلقان علشان الجواز مدني.. أوك.. هناجل الجواز.. أنا

عايزاه يفهم بس أن ديفيد مش يهودي.. أنا عيشت في مصر

وفاهمة التفكير كويس..

سألها بتأكيد:

- أنتِ متأكدة؟..

أجابته بثقة:

- Of course... he doesn't believe in religion

صمت وقد عقد لسانه عن الرد.. بينما وجدها تناديه بهمس:

- ماجد....

أجابها بشرود:

- أيوه..

لتسأله وهي تتصنع اللامبالاة:

- أخوك.. ياسين أخباره إيه؟.

رفع حاجب غاضب وهو يخبرها بقسوة:

- مراته حامل..

شحب وجهها بعنف:

- Really!!...

لم تستطع حتى لفظ تهنئة مهذبة..

فصمتت لحظة لتتجرع رشفة من كأس يحمل مشروب
كحولي بيدها..

مما دفع ماجد للصراخ بها:

- الضياع ده كله عشان ياسين رفضك؟..

رمقته بقسوة قبل أن تجبه بعنف والكرامة الجريحة تصرخ:

- مين ياسين ده اللي ممكن أفكر فيه!

عاد ماجد يهاجم بسرعة:

- لو كده يبقى ترجعي مصر.. تتفاهمي مع والدك.. ونهي

علاقة أنتِ معلقاها من شهر

هتفت بتعجب:

- علاقة!.. ماجد..

We are finished

أجابها بهدوء:

- على الواتس!.. فين المناقشة!!.. فين الأسباب!

أجابت بتوتر:

- I'm with Davey now...

عاد يطلب بهدوء:

- ده ما يمنعش أنه من حقي فرصة أوضح فيها نفسي

وموقفي.. وأنتِ كمان تعيدي تفكير..

بدأت تبرم شفيتها بضيق.. قبل أن تخبره بتوتر:

- Ok i'll think it over

أغلق ماجد وهو يشعر بحمل ثقيل يجثم على صدره ولا يفهم

له سبباً..

ولكن يعرف علاجه تماماً.. سيتوجه لغرفة الصغير شريف
ليبادل له إحدى حواراته الشيقة..

حتى وإن كانت عن كرة القدم التي لا يفقه بها شيئاً.. ولكن
الصغير يعشقها ويسعده الكلام عنها..
حسناً هو سيكتفي بسعادة الصغير.. للآن..

دلف ياسين لمنزله ليفاجئ بمشهد لم يتوقعه قط.. ففوق
مائدة الطعام ترقد فجر بوضع السجود.. تخفي رأسها بين
كفيها.. وبالقرب منها وقفت سعاد ترمقها بذهول..

خاصة أن فجر تصرخ بلا توقف:

- اطرديها.. اطرديها..

أسرع ياسين نحوها ليربت على رأسها بقلق ويحاول
إبعاد كفيها عن شعرها ولكنها قاومتها ببسالة وهي تكرر:

- اطردھا يا سي ياسين.. اطردھا..

هتف بصوت عال وقد انتابه الفرع بالفعل:

- أطردين!.. أنتِ اتجننت!

بدأت تبكي بخوف ولسانها يردد بلا توقف

"اطردھا"..

وهو يرقبها بذهول.. ذهول تضاعف مع ضحكات سعاد

المكتومة..

فجرتبكي بجنون.. وسعاد بجوارها تضحك لأول مرة منذ

أسابيع..

وهو ينقل نظره بينهما بحيرة وهو يردد بقلق:

- هو في إيه!!

وأخيراً تحكمت سعاد بضحكاتها لتخبره:

- في فراشة في الشقة.. وفجر خائفة منها..

صرخ بذهول:

- فراشة!!!.. فراشة يا فجر..

رفعت وجهها إليه وهي تومئ بخوف وتطلب بتوسل:

- اطردها يا سي ياسين..

ضرب كفاً بكف وهو يدرك أن خوفها حقيقي وليس افتعالاً

ترغب به دلال..

واقترب منها ليمس بين خصلات شعرها:

- خائفة بجد من فراشة!.. أنت قتلتِ فار إمبارح في المطبخ..

خائفة من فراشة!!

واجهته بعيون خجولة وهي تهمس من بين دموعها:

- أنا بموت في جلدي من أي حشرة بتطير..

وقبل أن يهتف بها متعجباً.. أردفت:

- حتى لو فراشة..

ابتعد ياسين قليلاً ليجد سعاد فتحت النافذة لتطرد الفراشة

المسكينة.. والتفتت لتخبرهما:

- خلاص.. طردتها..

أبعدت فجر خصلاتها وعيناها تتأكد من ياسين الذي أخبرها

بثقة:

- خلاص يا فجر.. سعاد طردتها..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفرتها وهي تستجيب لياسين

الذي مد ذراعيه لينزلها من فوق المائدة..

فلفت عنقه بذراعيها وهي تشكره بامتنان:

- يخليك لي يا سي ياسين..

بينما سعاد تغمغم بحنق..

"وهو سي ياسين عمل إيه!"..

أنزلها ياسين برفق وهو يضمها لصدره وذراعاها تحيط بها

بعناية.. حتى وصلت قدماها الأرض..

فامتدت أنامله لتمسح دموعها وهو يهمس بحنان:

- ويخليك لسي ياسين..

أخفضت نظرها بخجل بينما رمقها ياسين بنظرة خاصة
فهتت فحواها على الفور فابتعدت بإرتباك تدعي تحضير

طعامه بينما هو اختفى خلفها..

ولم يفتن أي منهما لتلك التي وقفت ترتعد بجوار النافذة..

فهي بدون قصد حُشرت بموقف بين شقيقها وزوجته..

لتكتشف بلحظة أن شقيقها رجل..

رجل يعرف كيف يرمق امرأة بتلك النظرة التي أعادت لها
ذكرى أمير..

وبخضم تخبطها غفلت عن الفارق الرهيب..

فارق بين ذكر يرمق أنثى بشهوة.. ورجل يتلمس امرأته بنظرة
خاصة تشعرها أنها أنثاه الوحيدة بالكون..

أغمضت عينيها بخوف.. وقد أدركت حقيقة مرعبة..

هي لن تستطيع التعامل مع ياسين ثانية.. أبداً..

انتهى الفصل

الفصل الخامس والعشرون

أنهى ماجد شرحه العملي على مقطع الفيديو المصور للعملية الجراحية التي أجراها لشريف منذ يومين، بينما كان الأخير يراقبه بانهمار مستمعاً له بكل جوارحه ومراقباً لكل حركة من أنامله، فمع شرحه النظري على شاشة الجهاز اللوحي الخاص به كانت أنامله تتحرك عفويةً وكأنه يجري الجراحة فعلياً..

ختم كلماته بابتسامة مريحة وهو يسأل شريف:

- خلاص يا بطل.. فهمت بالظبط العملية تمت إزاي؟..

أوماً شريف بسعادة وهو يخبره بعفوية:

- حضرتك اللي بطل يا عمو.. أنا كنت متخدر وحضرتك اللي

عملت كل حاجة..

ضحك ماجد بانطلاق وهو يردد متعجباً:

- خلاص عملت مني بطل مرة واحدة!

أوماً شريف بجديّة:

-أيوه طبعاً.. ماما دائماً تقولي كل إنسان في مكان شغله لو
اتقى ربنا وأتقن عمله يبقى بطل..

ربت ماجد على رأسه بحنان:

- والدتك معاها حق طبعاً..

هتف شريف بحماس:

- أيوه.. أنا فهمت ده دلوقت.. قبل كده أما كنت صغير..

ارتفع حاجبي ماجد مع مقاطعة متعجبة:

- أما كنت صغير!

كرر شريف كلماته وهو يقطب حاجبيه:

-أيوه.. أنا قلت لحضرتك أي مش صغير.. أما كنت صغير

كنت فاهم أن بابا سافر في السما عند ربنا.. وكنت بستناه

يرجع كل يوم.. دلوقت كبرت وفهمت أنه ربنا توفاه وأني مش
هشوفه إلا في الجنة..

تهند ماجد بألم.. يا الهي!.. ما بال هذا الطفل يلقي بكلمات
تطعن بقلبه بدون سبب يفهمه..

- ربنا يرحمه يا حبيبي..

رددها ماجد بخفوت ليتمتم شريف "أمين" .. ثم يكمل حكايته
لماجد:

- وأنا صغير كان نفسي أكون ظابط زي خالو هاشم.. وكنت
بحلم أني أقبض على الناس الأشرار وأحبسهم كلهم.. زي خالو
ما بيعمل..

صمت للحظة وكأنه يفكر بكلماته القادمة وتردد أيخبر
صديقه الجديد بما يدور بعقله أم يصمت ويحفظ السر كما
أخبرته والدته..

لاحظ ماجد ترددده فسأله:

- سكت ليه؟.. غريبة!.. مش عادتك ما تلاقيش كلام..

أشار له شريف بالاقتراب وهمس له:

- أنا هقولك.. بس ما تقولش لماما.. عشان ده سر..

صمت ليعدل كلماته وكأنه اكتشف أنها خاطئة:

- هو مش سرقوي.. بس ماما أما بتسمعه بتزعل وبتتعد

ساكتة خالص ما تتكلمش..

عدل ماجد من وضع شريف حتى لا يؤدي جرح العملية وأخبره

بود:

- لو مش عايز تحكي أنا مش هزعل.. إحنا بقينا أصحاب

خلاص.. ومش هنزعل من بعض..

رمقه شريف بتساؤل متردد:

- يعني مش هتزعل مني لو عرفت أن بابايا كان في السجن..

ابتلع شريف ريقه بسرعة قبل أن يهتف بقوة:

- بس هو كان مظلوم.. في ناس أشرارهما المفروض اللي

يدخلوا مكانه بس هو طيب.. ماما قالت لي كده.. عشان كان

طيب حصله كده..

تجمد ماجد بمكانه.. هو يعلم بأمر والد شريف.. فياسين أخبره

باختصار عن القضية التي لُفقت له..

ولكن ما لم يتوقعه أن يكون الطفل على علم بذلك..

كيف تجرؤ أمه على إخباره بشيء كهذا!!!..

أي أم تلك التي تسبب لابنها كل ذلك الألم والحزن!!..

لم يدر بنفسه إلا وهو يضم الصغير بين ذراعيه يربت عليه

هامساً:

- أنت عارف أن البطل ممكن يعيط مش كده!..

وأمام صمت شريف وتوتر جسده عاد ماجد يردد:

- أنا أما بانتهي من عملية.. وخصوصاً لو عملية صعبة أو

قلقان منها.. عينيه بتدمع.. ده طبيعي.. و

لم يكمل كلماته فانفجار الطفل بالبكاء بين ذراعيه ألجم

لسانه..

برغم حثه له على البكاء.. إلا أنه لم يكن يتخيل أن يؤثر به

بكائه لذلك الحد..

حد وجع القلب.. حد استثارة رغبة غير مفهومة بحمايته ومنع

كل أذى قد يطاله..

"غريب تأثير ذلك الطفل على عقلك يا ماجد"

هكذا حادثته نفسه.. وهو يزيد من ضم شريف لصدرة محاولاً

عدم إيذاء جرحه.. ومحارباً هتاف لا يعرف مصدره يخبره أن

يبتعد..

أنه بدأ يتورط عاطفياً في حياة ذلك الطفل..

وأنه لم يعد يعامله كحالة مرضية كما اعتزم في البداية..

بل أصبح يخشى عليه كشقيق أصغر.. أو ربما ك أب!

وقبل أن يستجيب لندائه الأناني جاءت جملة شريف التالية

لتنهي أي محاولة منه للهروب من تلك الدائرة العاطفية..

- أنا عايز أبقى بطل زي حضرتك يا عمو.. مش زي خالو

هاشم..

يا الهي هذا أكبر من قدرته على الاحتمال.. فهو لم يكن أبداً

قدوة ومثال لأحد..

فكيف يتحمل تحوله من حالة الأخ الأصغر الموشوم بهروبه

من دفع ثمن جرمه وتركه لأخيه يدفع الثمن بدلاً منه في عيون

أهله.. لهالة القدوة والمثل الأعلى.. والبطل.. بعيون طفل لم

يتعد العاشرة..

ظل بجوار شريف حتى أخلد للنوم أخيراً.. وتأكد من سلامة جرحه وتوصيل المحلول لأوردته.. ثم دثره جيداً بغطائه وتوجه خارج الغرفة ليصطدم برههام التي احتقنت عيناها دمعاً مكتوماً فكما يبدو أنها استمعت لحواره مع طفلها فهمست بامتنان:

- أنا متشكرة لحضرتك جداً يا دكتور..

قاطعها بقوة:

- ممكن حضرتك تتفضلي في مكتي خمس دقائق؟..

وبغرفة مكتبه المغلقة.. لم يتمالك غضبه وهو يهتف بها:

- ممكن أفهم إزاي تحكي لطفل في السن ده على موضوع

حساس زي..

صمت وهو يحاول إيجاد كلمات منمقة لما يريد قوله..

وبداخله يلعن تلك الحالة الهشة التي يتحول لها عند ذكر أي
موضوع يتعلق بشريف.. ولكن ربهام لم تكن بالمرأة الضعيفة
التي تخجل من ذكر ما لُفق لزوجها ظلماً وبهتاناً..

فقاطعته بقوة تناقض الدموع يعينها:

- زي سجن أبوه.. ده قصدك صح؟

ارتبك للحظات ثم هتف بها:

- شريف طفل.. وموضوع زي ده..

قاطعته بعزم:

-شريف راجل.. وابن راجل محترم ونضيف..

هز رأسه بحيرة:

-أنا ما اتهمتش والده بأي حاجة غلط.. وعارف كويس أنه
محترم وبرئ.. ياسين أخويا حكى لي على القضية اللي اتلفقت
له..

تصدع قناعها القوي للحظات استأذنته فيها بالجلوس..

فهتف بحرج:

- طبعاً اتفضلي ارتاحي..

وتوجه للبراد الصغير بغرفته ليحضر لها علبة عصير باردة:

- اتفضلي.. الأيام اللي فاتت كانت صعبة على حضرتك..

همست بضعف:

- جداً.. صعبة جداً..

تنهد بضيق وهو يجلس بالمقعد المواجه لها:

- أنا ما اقدرش أتدخل طبعاً في طريقة معاملتك مع شريف..

بس ليه تحمليه عبأ تقيل زي ده؟.. ليه من بدري كده؟..

كانت ريهام ترفض بشكل قاطع مناقشة حياتها مع ابنها مع أي

كان..

حتى هاشم لم يجرؤ على التدخل بينها وبينه.. ولكن ضغط
 الأيام السابقة مع محاولتها المستمرة لمحاربة هاجس فقدانها
 لطفلها مثلما فقدت أبيه.. كل ذلك أوهن من عزيمتها وجعلها
 أكثر هشاشة..

سالت دموعها بدون أن تدري وهي تخبره بحزن:

- طالما حضرتك عارف بموضوع والد شريف، يبقى أكيد
 فاهم أنه ما ينفعش أسبابه يحلم بحياة مش هتكون له..
 شريف جه عليه وقت كان بيحلم باليوم اللي هيدخل فيه كلية
 الشرطة زي خاله.. كان متأكد أنه هيكون ظابط وبيتكلم على
 أساس أن دي هتكون حياته فعلاً.. ما كانش ينفع أسبابه
 ينصدم من اللي جاي..

قاطعها بتعجب:

- آسف اعذريني.. بس مش مقتنع.. مصارحتك له جت في
 وقت بدري جداً و..

قاطعته هي بتعب:

- كان لازم يعرف قبل دخوله المدرسة.. إحنا في مجتمع ما عندوش قلب يا دكتور.. وكان ممكن يسمع ألف حكاية

وحكاية تشوه سمعة والده.. كان لازم أجهزه وأفهمه الحكاية كلها.. يعرف مني أنا أفضل ما يعرف من غيري..

صمت أمام كلماتها المنطقية.. ولكن نصيحة أخيرة لم يتمكن من كتبها:

- اسمحي لي بنصيحة..

اعتدل في جلسته وغير كلماته بسرعة بعدما لاحظ معالم الضيق على وجهها:

- ممكن نقول طلب.. اسمحي لشريف أنه يعيش طفولته شوية.. حلو جداً أنه يكون راجل يعتمد عليه من طفولته.. بس بلاش تتعاملي معاه على أنه تعويض عن حد تاني حتى لو

كان والده.. بلاش تحطي على كتافه مسئولية إثبات أنه لازم
يكون الأفضل..

هزت رأسها بصمت وكلماته تخترق عقلها تثير عديد من
الأسئلة..

هل هي تسلب من ابنها طفولته بالفعل!.. هل تدفعه ليشيخ
قبل أوانه؟!..

والأهم.. تلك الكلمات الأخيرة للطبيب.. والتي حاول تغليفها
بكل تهذيب ولكنها استوعبتها تماماً.. هو يحذرنا أن تدفع بابنها
بطريق المثالية الزائدة والرجولة المبكرة.. فقط حتى يمحي
صورة والده السجين من الأذهان..

شكرته مرة أخرى واتجهت لغرفة ابنها وهي تدرك أن ورائها
كثير من الأفكار لمراجعتها واتخاذ قرارات بشأنها...

قفزت مشيرة فرحاً أمام مكتب هاشم الذي يراقبها بتوجس

وهي تهتف بسعادة:

-هاشم.. أنا مش مصدقة التفاعل مع الحملة.. نجاح فوق

ما كنت أتخيل..

قطب هاشم بتساؤل:

-هتكلمي لسه؟

هزت رأسها بتأكيد:

-طبعاً يا هاشم.. ما عندكش فكرة كمية المشاكل اللي اتحلت

عن طريق مباحث الإنترنت.. وكله في هدوء تام.. وأنا كنت

الوسيط بين أصحاب المشكلات دي وبين اللوا رشدي المسئول

عن المباحث..

برقت عيناها بذهول:

- تخيل.. أني استقبلت مشاكل من شباب بيتعرضوا للإبتزاز
بنفس الطريقة.. بس طبعاً بيكون المطلوب منهم فلوس مش
أكثر..

ابتسم بمرارة:

- تقدم التكنولوجيا بقى مرعب.. ومحتاج مننا نظور أساليبنا
وتفكيرنا كمان..

اقتربت منه لتجلس على طرف المكتب وهي تخبره بتردد:
-اتش.. كان في حاجة كده...

أخبرها مقاطعاً:

-مش هكلم ياسين عشان عملي لقاء مع أخته..

هزت رأسها بنفي سريع:

- لا مش دي الحكاية..

تساءل وبداخله إحساس أن الإجابة لن تعجبه:

-خير؟..

أخذت تعبت بخصلاتها القصيرة وهي تخبره ببطء:

-جاي لي عرض من قناة فضائية.. عشان أعمل برنامج توك

شو..

هتف بتعجب:

-توك شو!!.. إزاي يعني؟

أجابته بثقة:

-يعني أنقل الحملة للفضائيات.. بدل ما هي على النت بس..

وكده أضمن انتشار الحملة على مستوى أكبر..

تساءل بشك:

- الحملة!.. ولا الشهرة بدأت تعجبك؟

ابتعدت عن حافة المكتب بغضب:

-يعني مع كل الأخبار اللي قلتها لك في الأول دي.. تسألني

سؤال زي ده!

أجابها بهدوء:

-سؤال مشروع على فكرة.. خصوصاً أن كلامك ده معناه

تأجيل لكتب الكتاب..

أومأت بإرتباك:

- أيوه.. وهو ده سبب ترددي..

نمض من خلف مكتبه يتساءل بشقاوة بعدما لاحظ تضرع

وجنتيها:

- يعني أنتِ مستعجلة على كتب الكتاب زي!

هتفت بحنق وهي تشير له بإصبعها أن يبتعد:

- لا طبعاً.. إيه مستعجلة دي!!.. أنا بس مش عايزاك تزعل

ارتفعت ضحكته وهو يستند على طرف مكتبه ويكتف ذراعيه:

- يهملك زعلي؟..

أجابت بسرعة:

- طبعاً.. حبيبي.. ما فيش أهم منك عندي أساساً.. ولو

رفضت فكرة البرنامج يبقى خلاص هعتذر عن العرض..

سألها بتقرير:

- بس هتكوني زعلانة؟..

صححت له:

- مش مقتنعة.. هكون مش مقتنعة...

أوما برأسه متفهماً وهو يخبرها:

- نقول أني مبدئياً موافق.. وطبعاً أنا واثق في حكمك الخاص
على الموضوع.. بس لو البرنامج اتحول لوسيلة تشهير.. أو
تصفية حسابات.. أو.. أي غرض غير الهدف الأساسي.. عايز
منك وعد أنك ما تشاركيش في أي تفاهات من دي..

صفقت بيديها بسعادة:

-أكيد طبعاً يا حبيبي.. ربنا يخليك ليا..

سأل بشقاوة:

- بس كده!!

ابتسمت وهي تقترب منه بدلال.. واتسعت ابتسامتها وهي تميل
عليه.. لتقبل أناملها وتطبعها على وجنته وتبتعد بسرعة وهي

تهتف:

-باقي بس تقنع بابا.. لأنه مش موافق..

انطلقت ضحكاته بقوة:

- دلوقت فهمت دخلة الحنية والرقعة دي ليه..

رفرفت بأهدائها بدلال وهي تردد بهمس:

-حبيبي..

عاد يضحك وهو يخبرها بواقعية:

- حبيبتى.. أنت مالكيش في الحركات دي.. فبلاش أحسن..

لكزته في كتفه بقوة مما جعله يصيح:

- أيوه كده.. دي مشمش حبيبتى اللي عارفها..

كتفت ذراعها وهي تسأله:

- هتكلم بابا؟..

هز رأسه بياس:

- اعتبري موافقته في جيبك.. هو أنا عندي كام مشمش..

ونال بالفعل الموافقة..

وانتقلت الحملة على نطاق أوسع.. ربما يكون جرس الإنذار
صوته أعلى وأقوى..

يراقب اختفاء شقيقته خلف باب مغلق بحيرة تزداد يوماً بعد
يوم...

حيرته تثير جنونه..

لما التباعد والهروب!!.. لقد ظن أنها بدأت تخرج من شرنقة
عزلتها بالأيام السابقة.. فقد كانت سعادتها بطفله القادم لا
توصف..

ونصبت نفسها "العمة المفضلة".. فهي من ستعايش مراحل
نموه من البداية.. بل حتى بدأت تستعيد طيف من نفسها
القديمة وهي تشاكس بلسم بذلك..

ولكن فجأة انطفئ كل شيء.. وعادت سعاد لسابق انعزالها،

بل زاد الوضع سوءاً.. فهو يراها بالكاد..

لا تشارك بوجبات الطعام.. ولا تخرج من غرفتها.. حتى
اهتمامها بطفله القادم تلاشى.. واقتصرت تواصلها البشري
فقط مع بلسم.. وكأنهما عادتا طفلتين مرة أخرى، فما أن تأتي
بلسم حتى تختفيا معاً خلف باب غرفة سعاد المغلق..

وما أثار حيرته وتعجبه هو ذاك الوشاح الذي بدأت تلف به
رأسها.. وعندما هناها بسعادة معتقداً أنها قررت ارتداء
الحجاب أجابته بهزة رأس غير مفهومة وازت هروب كلي من
مواجهة عينيه..

هروب اعتادته عيناها في الآونة الأخيرة.. ولا يجد له تبريراً..
ولا يريد السكون لشيطانه الذي يوسوس له بوجود خلاف
بينها وبين زوجته.. فجر.. يحاول دحر ذلك الهاجس ولكن
تصرفات سعاد الغامضة تؤيد حدسه وبشدة..

ربما هو سوء فهم غير مقصود.. ربما كان الحمل وهرموناته
وراء ذلك.. أو قد تكون عفوية الفجر الطبيعية تسببت في
إزعاج سعاد..

لا يدري ولكنه قرر مفاتحة فجر بالموضوع عله يصل لنتيجة...

وفي عزلة غرفتهما حيث كانت فجر تقوم بطقوسها اليومية
أمام المرأة وهي ترقب انتفاخ بطنها الذي لم يتكون بعد ولكنها
لم تمل من مراقبة بطنها يومياً وهي تلف ناحية اليمين تارة
وتارة أخرى لليسار في انتظار ظهور أي معلم بسيط لحملها..
مطت شفيتها بضيق وهي تلتفت لياسين وتثني جذعها للخلف
بشدة هاتفة:

- ظهرت شوية يا سي ياسين؟..

قطب حاجبيه متسائلاً:

- هي إيه دي؟..

أجابته بسرعة وهي تتحسس بطنها:

- بطني!!.. الحمل يا سي ياسين!!

نهض من فراشه ليسحبها من أمام المرأة ويجلسها بجواره

محاولاً فتح باب الحديث الذي يؤرقه..

أخذ يعبث بأناملها للحظات ثم سألها متوجساً:

- مش ملاحظة حاجة غريبة على سعاد اليومين دول؟

أجابته بعفوية:

- مش واخدة بالي يا سي ياسين.. الحمل جاي عليا بالنوم..

فما بقيتش أقعد معاها زي الأول.. بس بلسم الله يكرمها بتيجي

لها باستمرار..

سأل مستوضحاً:

- ممكن تكون زعلت أنك مش معاها زي الأول؟..

هزت رأسها بحيرة:

- ما هو ده غصب عني.. أنا دماغي بتتقل مني وبنام من غير ما
أحس.. مش قصدي أزعلها يعني..

عاد يسأل بتصميم:

- يعني ما حصلش بينكوا حاجة تزعلها وتخليها تبعد عننا
كده؟..

انتهت فجر من شرودها بحركة أنامله المداعبة على سؤاله
ذو النبرة المتهممة نوعاً..

فابتعدت عنه لتعتدل بجلستها وتسأله بوضوح:

- هي اشتكت مني في حاجة يا سي ياسين؟.

هز رأسه نافياً بسرعة فعاجلته فجر بسؤال آخر:

-أنت شوفت مني حاجة تزعلها؟..

رد بسرعة:

- يا فجر مش قصدي.. بس هي فجأة اتبدل حالها.. بعد ما
كنت فكرت أنها بتتقدم وكلمتني أنها عايزة ترجع الكلية تاني..
ده كله اتغير ورجعت تحبس نفسها في أوضتها.. وأنتِ أكثر
واحدة بتقضي وقت معاها ف...

قاطعته فجر بعتاب:

- فيبقى أنا اللي زعلتها وخليت حالتها تتأخر!!

زفر بضيق:

- مش كده يا فجر.. ممكن كلمة خرجت منك ومش
قصداها.. أو أي تصرف خلاها تحس أن وجودها ثقيل..
رمقته فجر بلوم عدة لحظات قبل أن ترد بحزن:

- ده رأيك برضوه في فجر يا سي ياسين!

هتف بحنق:

- ما تكبريش الموضوع.. أنا في حاجة لاحظتها وبسأل عنها..
عندك رد ولا لأ؟

سحبت الغطاء واختفت تحته وهي تتمتم معاتبة:

- ردي أن ده بيتك وبيت سعاد وأنا هنا ضيفة....

تحول حنقه لغضب وهو يستمع لكلماتها اللائمة فنزع الغطاء
بعنف من فوقها وهو يصيح بها:

- ده مش رد.. وقلت لك ما تكبريش الموضوع وبلاش تطلعي
عفاريتي يا فجر..

عادت ترمقه بنظراتها اللائمة وسحبت الغطاء مرة أخرى وهي
تتمتم:

- تصبح على خير يا سي ياسين..

تمهد غاضباً وهو يغادر الغرفة ليحرق إحدى لفائف التبغ
 بالشرفة الخارجية فتوقفه فجر بنبرة تحمل رنة الحزن
 بداخلها:

- بلاش الدخان يا سي ياسين.. أنت مش كنت بطلته أما
 عرفت أني حامل!. بلاش تحرق صدرك.. صحتك خاف عليها..

غمغم بخفوت:

- نامي أنتِ يا فجر.. هي سيجارة واحدة وهنام..
 تركها ورحل لشرفته غاضباً حائراً ينفث حرقة بدخان تبغه..
 يغضبه خطئه بحق فجر ويحيره موقف شقيقته..

لولا يقينه من عدم وجود هاتف بحوزتها لشك أنها عادت
 لغيا القديم.. ربما تحت التهديد ثانية.. وشكه هذا يغضبه
 بشدة ولكنه لا يملك تفسير لما يجري أمامه.. ولكن يقتله قلقه
 على مصيرها..

هي الآن أمانة برقبته.. ويخشى أن يسيء الحفاظ على الأمانة..
أنهى سيجارته وعاد للداخل ليجد فجر تتصنع النوم وتوليه
ظهرها فعلم أنها مازالت غاضبة من إتهامه لها..

ربما أساء اختيار كلماته معها.. ولكنه قلق.. وله عذره.. وهي
مجروحة ولها عذرها أيضاً

جاورها بالفراش جاذباً إياها لتنام بين ذراعيه رغم تمنعها
الواهي إلا أنها لم تملك إلا الاستسلام لذراعيه بعدما همس
بأذنها:

- حتى لو زعلانة مني مكانك برضوه في حضني..

ورغم غضبها منه إلا أنها أغمضت عينيها وابتسامة حاملة
ترتسم على شفثيها ولسانها يردد..

"ربنا ما يحرمني منك أبداً" ..

ولكنها رددتها صامته فهي مازالت غاضبة...

استمر غضبها لليوم التالي والذي صادف يوم العطلة والتجمع
على مائدة أمنة المليئة بما لذ وطاب..

فمنذ قررت أمنة جمع أولادها مرة أخرى تحت جناحها وهي
تصر بشدة على يوم تجمعهم معاً أسبوعياً..

لم تتمكن في البداية من إقناعهم جميعاً.. ولكن شيئاً فشيئاً..
حصلت على مبتاغها.. وجمعت أطفالها حولها مرة أخرى..

حتى لو كانت رقية غائبة بعقلها عنهم،

وسعاد غير قادرة بعد على مواجهة أعينهم،

وبلسم تحاول جاهدة إخفاء جرح كبريائها عن الجميع مفتعلة
حالة من المرح كانت سعاد بطلتها بوقتٍ مضى..

وماجد الحائر بأفكاره بين أمل كان كل حياته بوقتٍ ما ويدرك
أنه أوشك على نيله.. ف ليا وافقت على العودة مؤقتاً للقاهرة
بدون تقديم أي وعود.. وبين رغبة خفية أو ربما هو نداء آخر

يجذبه بعيداً عن طموحه ولكنه يرضي بداخله طموحاً آخر..

فيقف متأرجحاً بين قرارين..

أحدهما يرضي طموحاً عملياً والآخر يشبع طموحاً روحياً..

وهناك ياسر برعمها الصغير وأملهم القادم.. يراقب الجميع

بصمت وكأنه يبحث بعقله عن حل ما يريح الجميع خاصة

بغياب الأب عن الجمع..

وحالة الصمت التي تلبست ياسين.. فاكتفى بإجابات مقتضبة

على أي سؤال يوجه له وبدا أنه غاضب لسبب ما..

وبعد الطعام اصطحبت أمنة بكرها لتسأله مباشرة:

- مزعل مراتك ليه يا ياسين؟..

قطب غاضباً وهو يردد متسائلاً:

- مين قال كده؟.. هي اشتكت لك؟..

هزت رأسها نفيًا وهي تخبره ببسمة تحاول إخفائها:

- لا.. البنت ما قالتش حاجة.. بس لاحظت أنها بتناديني
النهارده بخالتي آمنة.. مش خالتي أم ياسين.. مزعل مراتك

منك ليه يا سي ياسين؟..

ضحك بإرتباك وهو يطمئنهما:

- ما تقلقيش يا حاجة.. هراضها ومش هيسمها زعلانة..

ربتت على كتفه بحنان:

-الله يرضى عليك يا بني.. هي بنت طيبة ومالهش غيرنا..

أوما موافقاً لتكمل آمنة:

- قولي بقى أنت إيه مزعلك.. في أخبار عن حاتم؟..

رفع نظراته إليها وهو يحرك رأسه نافياً:

-ما أعرفش عنه حاجة.. يمكن ماجد عارف..

سألته بلهفة:

- ماجد يعرف مكانه؟!!

هز ياسين كتفيه وهو يخبرها:

- ده مجرد تخمين يا حاجة.. أنا ما اعرفش.. احنا بندور ومش

ساكتين.

عادت تسأل بتقرير:

- يبقى أنت زعلان عشان سعاد

رمقها بنظرات حائرة وهو يتعجب من شدة ملاحظتها لتبهره

جملتها التالية:

- سعاد محتاجة تاخذ وقتها يا ياسين.. وبلسم جنبها.. بتطمني

عليها أول بأول..

وكانت آمنة محقة فبغرفة بلسم التي تمددت جوار شقيقتها

الشاردة والصامتة.. تتأملها بحيرة وهي تلاحظ عزوفها عن

الجميع مؤخراً.. والاختلاف الملحوظ بأسلوب ارتدائها

لملابسها.. لقد تقبلت بسعادة ارتدائها للحجاب في البداية وقد

ظننت

أنه خطوة نحو تعميق إيمانها وفهمها للدين..

إلا أنها اليوم مع ملاحظة ارتدائها لملابس لا تناسب فتاة شابة

بل سيدة.. وسيدة مسنة أيضاً.. بدأت تستشعر القلق.. قلقها

تستمده من تلك الذبذبات التي تستشعرها من سعاد..

ذبذبات كره.. أو ربما اشمئزاز موجهة نحو شقيقها وبخاصة

ياسين!..

- سعاد.. أنتِ مش هترجعي تعيشي هنا؟..

كان ذلك سؤال بلسم وهي تحاول الوصول لخبايا عقل توأمتها

التي أجابت بتلعثم:

- أنا مرتاحة عند ياسين..

قطبت ببلسم بشك:

-بجد؟..

هزت سعاد رأسها بتوتر:

- أيوه.. ليه؟..

اقتربت منها بلسم لتلف وجهها نحوها وتواجه عينيها:

-فاكرة أما جيتِ هنا مع ياسين يوم ما بشرنا بحمل فجر..

هزت سعاد رأسها بصمت.. وبلسم تكمل:

- فاكرة أما سألتيني عن فاروق؟..

عادت سعاد تومئ مرة أخرى وهي تتذكر سؤالها المرتبك في

ذلك اليوم..

"لسه متعلقة بفاروق يا بلسم؟"

يومها هزت بلسم كتفها بحيرة وهي تخبر توأمها ما لم تواجه

به أحداً حتى نفسها..

"كلمة تعلق مش الوصف الصبح يا سعاد.. أنا كنت بضحك
على نفسي.. فكرت أني عايزة أكون زي باقي البنات وعندي
خطيب.. عشان كل شوية أحشر كلمة "خطيبي" في كل كلامي
زي ما بشوف صحباتي بيعملوا.. تفكير طفولي قوي.. صح؟"
لم تنتظر رداً من أختها لتكمل..

"بس ده كله اتغير وكبرت في لحظة.. لحظة ما سمعت منه كلمة
"طالق" واحنا في القسم.. وقتها بس حسيت قد إيه أنا كنت
طفولية وساذجة لدرجة أني أربط نفسي بإنسان مش شبيهي
نهائي بس لمجرد أني عايزة أفرح بدبلة وستان"..
صمتت عندما لاحظت دموع سعاد.. فتحركت لتمسحها
بسرعة وهي تحتضن نصفها الآخر
"بتعيطي ليه؟.. يمكن من غير ما تقصدي أنتِ أنقذتيني من
حياة كارثة كنت رايحة لها بمنتهى الغباء.."

خرجت سعاد من شرودها على هزة خفيفة من يد بلسم وهي
تواجهها بسؤال مباشر..

- الطرحة واللبس ده يا سعاد.. احتشام وحجاب ولا بتستخي
بيهم عن عيون الناس؟..

ارتدت سعاد للخلف وقد شحب وجهها وارتبكت ملامحها وهي
تجيبها بتوتر:

- وتفرق إيه؟..

مدت بلسم أناملها لترفع رأس سعاد وتخبرها بحسم:

- تفرق كثير.. تفرق أنه لو كان حجاب والتزام يبقى كده فعلاً
أنتِ قدرتِ تحاربي خوفك يا سعاد.. لكن لو كان بتستخي بيهم
عن عيون الناس يبقى احنا بنرجع لورا.. ومحتاجين مساعدة..

انتفضت سعاد بعنف هاتفة:

- لا ما تفرقش.. الحماية مش معناها إني خيفة..

سألتها بلسم بإصرار:

-حماية!!.. حماية من إيه؟.. وليه؟.. أنا مش فاهمة يا سعاد..
هو الحيوان بتاع النت ده قرب منك فعلاً أو..

قاطعتها سعاد وهي ترتجف:

-مش لازم يقرب عشان أحتاج أحمي نفسي منه.. من عيونه..
نظراته اللي كانت بتعريني وأنا بيني وبينه مسافات.. مسافات
اختصرتها شاشة وشوية زراير.. في الفترة اللي فاتت الخوف
جوايا.. كان.. كان مكتوم.. مكبوت.. مختفي تحت إحساس غبي
بالأمان.. بس.. بس اكتشفت أنهم كلهم زي بعض.. ما فيش
فرق.. وإني لازم أبعد وأحمي نفسي كويس.. لأنه ما فيش حد
أتحامى فيه.. كله بيساوي بعضه وكلهم بيتحركوا ورا غرايزهم
وشهواتهم.. ما فيش فرق بين أمير و..

قطعت كلماتها فجأة وهي تمسح دموعها التي سالت عند
استرجاعها نظرة ياسين لزوجته التي شوهدا اضطرابها وما
مرت به من نظرات أمير لجسدها المنتهك..

صمتت ومسحت دموعها وهي تحاول ترتيب ملابسها أمام
المرأة بشرود غافلة عن نظرات بلسم.. عن إحساسها.. عن
رابط روحي ربط بينهما دائماً وإن كان ضعيفاً مضعباً إلا
أنه موجود..

تحركت بلسم لتحتضنها بحنان هامسة لها:

- مش كل الرجالة أميريا سعاد..

هتفت سعاد وهي تتلمص من ذراعي شقيقتها:

- عارفة.. بس..

هزت بلسم رأسها وهي تخبرها بثقة:

-زي ما في أمير برضوه في واحد زي سواق التاكسي اللي

أنقذني.. زي الظابط صاحب ياسين..

تغير وجه سعاد عند ذكر ياسين ولاحظت بلسم ذلك على

الفور.. فسألته بعفوية:

- ياسين زعلك؟.. ضربك تاني؟..

هزت سعاد رأسها نفيماً وبدخلها يتصارع شعورها بالإشمئزاز

من أخيها ويقينها بذنب ذلك الشعور..

عقلها يخبرها بأنه ياسين.. وتلك النظرة كانت موجهة لزوجته..

حقه.. وحلاله..

وهاجس شيطاني يسيطر عليها مخبراً إياها بأنهم سواء..

ياسين، أمير، ماجد، جميعهم رجال..

وجميعهم يمتلكون تلك الطبيعة الشهوانية المدمرة..

عادت بلسم تكرر:

-أومال في إيه يا سعاد؟!.. أنتِ متغيرة.. أو اتغيرتِ.. بعد ما
 كنا اتفقنا أنك ترجعي كليتك وتحاولي تعوضي الفترة اللي
 فاتت، رجعتِ في كلامك.. إيه السبب؟..

فركت سعاد أناملها وهي تحاول السيطرة على المشاعر
 المتناقضة بداخلها..

كره، اشمئزاز، ذنب، غضب وحنق وفوق ذلك كله خوف..

خوف مجهول وإحساس عميق بالدونية والهشاشة.. إحساس
 داخلي يخبرها أنها مجرد أداة.. شيء يستخدم لمتعة منحرفة ثم
 يتم إلقائه بعيداً والتخلص منه..

لا تعرف لما تطاردها نظرات ذلك الحيوان حتى أصبحت تراها
 بوجوه الجميع..

تعلم أن صورها مُحيت تماماً..

ولكنها ترى نفسها عارية بكل مرة تقابل نظرات شقيقها..

وإن كانت تغلبت على هاجسها ذاك لفترة.. إلا أن نظرة أخيها
 لزوجته عادت تحيي بداخلها ذلك الإحساس.. بل وتضخمه
 بشدة.. حتى أصبحت تخشى نظرات الجميع وبدأت تتعمد
 ارتداء ملابس فضفاضة بصورة ملحوظة تخفي نفسها
 خلفها..

ارتجفت شفتاها وهي تردد بخشية:

- خوفت.. خوفت يا بلسم.. نظراتهم.. نظراته..

رفعت عينيها بألم وهي ترمي نفسها بأحضان توأمها ولسانها
 يردد مخاوفها بلا انقطاع..

ومع توالي كلماتها أدركت بلسم فداحة المشكلة.. بل وأيقنت
 أن سعاد تحتاج لمساعدة.. ولكن أكثر احترافاً ومهنية..

ولم يكن الأمر يحتمل انتظاراً.. فسعاد أصبحت تحمل بداخلها
 مشاعر سلبية نحو الرجال عامة..

وتركزها نحو أقربهم لها وهو ياسين..

وأخيراً حصلت بلسم على تفسير منطقي لحالة التوتر التي

تحيط بسعاد.. والغضب البادي على ملامح ياسين..

وقررت طلب المساعدة.. وعلى الفور..

والتوجه لياسين كان غير وارد، فهي لم تعلم كيف تفسر له

الأمر.. فكان الاختيار المنطقي هو ماجد.. والذي لم يبدي دهشة

كبيرة لما أخبرته به بلسم وهي تغرق بحرجها وارتباكها..

بل هز رأسه بتفهم وهو يخبرها بهدوء:

-طبيعي أن سعاد تهتاج تأهيل نفسي.. أنا فعلاً بتابع حالتها

مع دكتورة زميلة ليا.. وهنقلها التطور ده..

رمقته بلسم بدهشة:

- أنت بتتكلم جد!.. يعني اللي بيحصل ده طبيعي!!

هز رأسه بحزن:

- سعاد لازم تبدأ جلسات مع الدكتورة بأقرب وقت.. ودي

مهمتك يا بلسم..

عضت أناملها بتوتر:

- أنا!.. أنا..

قاطعها:

- أنتِ أقرب حد لها.. مصارحتها لكِ بالي حصل ده أمر مش

سهل أبداً.. أنا مش متخصص في الطب النفسي.. بس أي حد

حتى لو هاوي أو مبتدأ هيقول أن مصارحتها دي طلب

مساعدة مستخبي.. نداء إستغاثة خفي ولازم نلبي قبل فوات

الأوان..

هتفت بلسم بذهول:

- أنت ماجد بجد!!

ضحك بمرارة:

- آه بجد.. ماجد المفروض اللي يكون موجود من زمان..

عبث بخصلاتها وهو يردد:

- هتصل بالدكتورة وأرد عليك.. وكمان هكلم ياسين في

الموضوع.. ما تقلقيش..

ابتسمت بلسم بإرتباك فهو وفرلها الحل لمشكلة كانت

تؤرقها بشدة.. فكيف ترك سعاد تذهب مع ياسين وهي تخفي

تلك المشاعر المتناقضة بداخلها.. وياسين بدوره لا يعلم شيئاً

عما يدور بذهنها..

وبأعماقها ترددت كلمات والدتها "ورا كل شر خير".. بالفعل

تلك الكلمات تثبت صحتها يوماً بعد يوم..

فماجد الذي كان يتواجد بالكاد.. فاجئها اليوم بانغماسه في

مشكلة سعاد.. حتى توقعه لحالتها النفسية المعقدة..

واستباقه الأمر بالتواصل مع طبيبة نفسية..

ربما تلك المحنة التي مروا بها جميعاً أنضجتهم جميعاً وقربت
بينهم..

وبرغم غضب ياسين من تلك الكلمات التي ردها ماجد أمامه
بكل حذر إلا أنه قرر مجاراته والاستماع لنصيحة تلك
الطبيبة التي خرجا من مكتبها للتو..

ولكن إحساس مريـر بغصة محرقة كان يؤلمه وهو يردد:
-معقولة سعاد تفكر فيا بالطريقة دي!.. أنا مش مصدق..
مش مصدق يا ماجد..

أجابه ماجد بواقعية:

- ياسين أنت لسه سامع كلام الدكتورـة لبنى.. الموضوع مش
شخصي.. وهي أما بتفكر بالطريقة دي.. مش بتكون شايفاك
ياسين أخوها.. وأكبر دليل أنها لسه حاسة أنك الأمان

والحماية بالنسبة لها أنها مصرة تعيش في بيتك.. ورافضة
تماماً أنها ترجع البيت عندنا..

زفرياسين بحيرة متسائلاً:

-والنصيحة بتاعة الدكتورة دي أكيد؟.. مش هتزود الحالة
عندها!!!.. إزاي عايزة أني أكون..

صمت وكلماته تقف عاجزة عن التعبير..

فمن يقف بجواره هو شقيقه.. وهو لم يعتد مناقشة أمور
حياته الزوجية على الملأ..

فكيف سينفذ نصيحة تلك الطيبة ويتقرب من زوجته
بصورة طبيعية متناسياً.. أو بمعنى أوضح متجاهلاً عن عمد
وجود شقيقته وانزعاجها من ذلك..

كلمات الطيبة كانت واضحة..

"سعاد لازم تبدأ تفرق بين مشاعرو وحميمية راقية بين زوجين.. مشاعره هي حق طبيعي لهم.. وبين مشاعر منحرفة بدأت تتصور أنها هي دي اللي بتحرك أي راجل عشان يقرب من الست.. لازم سعاد تحس أن زوجة حضرتك مش بتحس بالاشمئزاز والكره اللي بيصيب سعاد أما بتفكر بالشخص اللي غرر بيها.. وياريت تقنعوها نبدأ جلسات بسرعة" ..

ودع أخاه ورحل لمنزله.. وهو يفكر بكلمات الطيبة.. ويبحث عن وسيلة لتنفيذها بطريقة عفوية وطبيعية.. وبدون تعريض فجر لأي إساءة أو انزعاج..

يكفي غضبها ليومين كاملين.. هو كان ينوي ترضيتها اليوم بأي حال فلن يتحمل حزنها ليوم آخر..

دلف لشقته ليجد سعاد وفجر تثرثران معاً.. فاقترب منهما يلقي السلام بهدوء.. وتقدم من فجر طابعاً قبلة دافئة فوق جبهتها وأنامله تداعب خصرتها برقة هامساً:

- لسه زعلانة؟..

أخفضت رأسها ووجهها يتضرج بحمرة خفيفة وترتسم على
شفتيها ابتسامة خجولة.. بينما تتجمد ملامح سعاد بانزعاج
وتبرم وهي تفرك أناملها بتوتر..

حاول تجاهل هالة الغضب المنبعثة من شقيقته والتي بدا أنها
تستعد للمغادرة والابتعاد خلف باب غرفتها المغلق..

إلا أن لمسة خفيفة منه لعنق فجر جعلتها تقفز من جواره
هاتفة:

- هجهز لك العشا..

لكنه استوقفها متمسكاً بمعصمها:

- لا.. استني.. عايزك في كلمتين الأول..

ونفض يسحبها خلفه متوجهاً لغرفتهما.. وقبل أن يغلق الباب
خلفه لمح سعاد تنفض بعنف فهتف بها:

-استني يا سعاد هنتعشى سوا.. بس الأول هصالح الحاجة
فجر..

غمز بعينه لفجر التي رمقته بنظرة مغتاظة رسمت بسمه على
شفتيه واختفيا بغرفتهما بينما سعاد وقفت حائرة..

تبرق بذهنها نظرة فجر السعيدة وياسين يقبلها بدفء.. حتى لو
تصنعت الغضب لكن بريق سعادتها لا يختلف عليه اثنين
خاصة وياسين يصرح برغبته برضاها..

دقائق ووصلتها صيحة فجر المبتهجة.. وكان ياسين أغلق
الغرفة عليهما وهو يتقدم منها هامساً:

- أنتِ طلعتِ قاسية قوي يا حاجة فجر.. خصام يومين!

ضربت قدمها بالأرض بحنق:

- برضوه حاجة!.. وكمان أنا اللي قاسية..

تمهد بتعب:

- طبعاً قاسية.. يعني أنا اليومين اللي فاتوا كنت مفحوت في

الشغل في الورشة وأنتِ ولا سألتِ!

هتفت بذهول وهي تضرب صدرها:

- أنا!..

كتم ابتسامة تحارب لتنتلق وأكمل:

-أيوه.. يظهر سي ياسين ما بقاش نمرة واحد عندك..

انشغلتِ عني بالحمل.. ونايمة على طول

هزت رأسها بعنف وكأنها تنفي تهمة:

- والله أبداً يا سي ياسين.. أنا ما كانش بيغمض لي جفن إلا لما

اطمن أنك وصلت واتعشيت ونمت كمان..

وكزها بسبابته في أنفها:

- يعني كنتِ بتعملي نايمة!

أجابت بتلعثم:

- ما هو أصل.. أنا..

قاطعها هو:

- وضيعتِ عليا أني أبلغك بالأخبار الحلوة..

سألته بلهفة:

- أخبار حلوة!.. خيرا رب؟..

هز كتفيه بحزن:

- لا ما أنتِ مش مهتمة.. خلاص سي ياسين اتركن على الرف..

وقدرتِ تخاصميه يومين..

اقتربت منه تتمسك بكتفيه:

- والله ما عندي أغلى منك.. أنا بس كنت واخدة على

خاطري.. وخلص.. عرفت غلطي..

أسكت كلماتها بأصبعه وهو يخبرها:

- لا.. أنتِ مش غلطانة يا فجر.. أنا اللي كنت غضبان وما
عرفتش أوزن الكلام..

طبع قبلة دافئة على جبهتها وهو يخرج علبة مخملية صغيرة
من جيب سرواله.. ويقدمها لها هامساً:

- اتفضلي يا أم أمل..

ابتسمت بخجل وهي تسأله:

- أم أمل!!

ضحك:

-يعني "أم أمل" لفتت نظرك والعلبة اللي اتجمدت في إيدي

دي شفافة!.. ما أخذتيش بالك منها!!

سألته بتعجب:

- إيه العلبة دي؟.

فتحتها ليخرج منها قلادة ذهبية يتدلى منها قطعة ذهبية أخرى
تمثل "آية الكرسي" .. ومعها حلق لأذنيها بشكل ثلاث نجومات
صغيرات يتدلين من سلاسل صغيرة للغاية..

تأملت فجر القطع الذهبية بتوجس وهي تسأله:

- دول ليه يا سي ياسين؟. أوعي تكون بتصالحني بيهم!

كادت تفلت منه قهقة عالية وهو يخبرها:

- أول ست أشوفها تبص للذهب بالشك الرهيب ده!..

رفعت رأسها وهي تسأله:

- قولي بجد دول ليه؟.. وجبتهم منين؟.. مش الورشة كانت

أولى بالقرشين دول!

اقترب منها وهو يحني جذعه ليرتكز بجمته فوق جمتهما:

- تصدقي بالله.. أنتِ أغلى هدية ربنا بيعوضني بيها.. اطمني يا ستي.. أنا عارف أنه مش الذهب اللي هيفرحك ولا هيخليك تنسي الزعل..

سألته بعتب:

- طيب كلفت نفسك ليه؟..

ضمها لصدره وهو يهمس:

-آية الكرسي علشان تحفظك ليا..

ابتسمت بخجل:

- يخليك ليا..

طبع قبلة دافئة على جبهتها:

- والحلق عارف أنه عاجبك.. كنت بتوقفي قدامه كثير من

أول ما اتعرض في فاترينه الجواهرجي اللي في طريقنا..

رفعت عينها بخجل:

- أصله يشبه حلق كانت بتاع أمي زمان..

سألها بحب:

- مش هتلبسهم؟.

عادت تسأله:

- ما قولتليش جبتهم ليه؟..

لفها أمام المرأة وهو يثبت القلادة بعنقها وضمها لصدره هاتفاً

بفرحة:

- ما هوده الخبر الحلو.. اتفقت مع معرض كبير للموبيليا

والورشة هتكون المورد الأساسي للمعرض ده..

صاحت فجر بفرحة:

- الحمد لله يا رب.. الحمد لله..

وبالخارج كانت سعاد متجمدة بوقفها تحاول تفسير صياح
فجر السعيد..

وما هي إلا لحظات وخرج ياسين برفقة فجر وهما يخبران
سعاد بالخبر السعيد..

هنأت سعاد ياسين بسرعة خاطفة.. بينما تلاحظ تلاًأ عيون
فجر بسعادة خالصة فاقتربت منها بدون وعي لتحتضنها بقوة..
فهمست لها فجر بفخر خجول:

- صالحي.. وجاب لي "آية الكرسي" .. شوفتها؟..

رمقت سعاد القطعة الذهبية الصغيرة تبرق على عنق فجر
ينافسها باللمعان نظرات فجر العاشقة والمقدرة لزوجها..
فابتعدت تحاول ملممة أفكارها التي تتبعثر بهياج بين سعادة
وخوف..

تريد الإنفراد بنفسها.. فبرغم فرحتها ببدايات النجاح الذي بدأ
يحصده شقيقها.. إلا أنها مازالت تشعر بالانزعاج من مراقبة
تودده لفجر التي تبدو بحالة متألفة من السعادة..

سعادة لم تشفع لياسين.. أنه رجل.. يضم.. ويلمس ويهمس..
ويشتري..

وهتفت بسرعة:

- أنا محضر لكوا العشا.. ارتاحي أنتِ يا فجر..

اختفت راكضة نحو المطبخ.. تتابعها نظرات ياسين القلقة..

لا يعلم هل نصيحة الطيببة مجدية.. أم أنها فقط ستزيد
الوضع سوء..

وصل ياسين على عجل إلى منزل والده بعدما تلقى مكالمة
هاتفية من ماجد تخبره بضرورة الحضور..

اندفع لداخل المنزل يسأل ماجد الذي جلس بجوار أمانة

بوجوم:

- أبوك كويس؟..

هز ماجد رأسه بهدوء:

- الحاج حافظ كويس.. بياخد أدويته وكل أموره مستقرة..

سأله ياسين بقلق:

- أومال في إيه؟.. اتكلم يا ماجد..

نقلت أمانة نظراتها بينهما بغضب وهي توجه حديثها لماجيد:

- ما تتكلم يا ماجد.. قعدت تقولي هنستنى وصول ياسين..

أهو ياسين وصل.. خير في إيه؟..

نهض ماجد ليخبرهما بهدوء:

- حاتم.. البقاء لله.

انتهى الفصل

الفصل السادس والعشرون

يقال أن كل شيء بالحياة يولد صغيراً ليكبر مع الأيام ما عدا
الحزن، فهو يولد كبيراً ليتضاءل ويخفت مع الأيام...

فماذا إن كان ذلك الحزن ندبة حفرت عميقاً بسويداء القلب
ولم يُجدِ معها دواء ولا أمل في شفاء.. وجع لا طائل من محاولة
التغلب عليه ومداوته.. وذنوب يرغب بالإحتراق بإثمته حتى
الموت..

ففي الموت راحة.. راحة من عذاب أب أهال الثرى على وجه
ابنته المغمضة العينين والجامدة جمود الموتى..

تركها ليرحل وحيداً يثقله ذنب هجرها وقتلها.. فهو من سلب
بسمة الحياة من بين شفيتها..

يداه مخضبتان بدمها.. فهو من لف أنامله ليسحق قلبها
فيتوقف..

ولا أحد يقدر عذاب أب فقد صغيرته.. تلك فجيرة لا تصفها
كلمات ولا تريحها دموع.. ولا حتى محاولة واهية من التفهم
وادعاء مواساة..

ولم يكن ماجد من محترفي الكلام.. هو فقط يفكر ويبحث عن
حل وينفذه.. وهذا ما فعله..

بعد حوار قصير مع ياسين اتفقا على البحث عن حاتم..

ولم يكن إيجاده صعباً.. فحاتم لن يبتعد عن ابنته... ولن
يقاوم نسيان مؤقت يمنحه له المخدر..

وبعد بحث قصير اكتشف ماجد أن حاتم يبيت بجوار قبر ابنته
ليلاً، ونهاراً يتجول باحثاً عن وسيلة ليشبع إدمانه، ولم يرغب
ماجد بمعرفة كيف..

وعندما أبلغ ياسين بذلك.. تولى هو البحث عن الأمر..
وما عاد به من معلومات كان صدمة..

فحاتم ينحدر وبسرعة.. وبطريقه ليصبح أحد موزعي تلك
السموم مقابل إشباع حاجته لها..

احتد النقاش يومها بينهما.. فتارة يريانه مجرم ويقررا نسيان
أمره، لتعود صلة الدم تحرق عروقهما تحثهما على إنقاذه..
وبالنهاية استقرا على رأي محايد.. فرغم كل شيء.. حاتم لم
يكن ليتخل عن أي منهما أبداً.. وهو برغم جرمه بحق نفسه
وحق ابنته وعائلته إلا أنه بالنهاية يظل والد أبناء شقيقتهما..
وإنقاذه.. فرض عين.. حتى لو بأعماقهما أرادا دق عنقه..
التقيا به.. وكان المكان.. قبر ابنته..

مظهره كان صامداً.. بل مفزعاً.. لم يصدقا أن من يتكوم
جالساً بأحد الأركان يرتدي أثمالاً بالية وتفوح منه رائحة
منفرة، هو ابن عمهما الرجل الوسيم والطبيب الناجح..
سابقاً..

تمتم ياسين المذهولاً:

-حاتم!

وتجمد ماجد بمكانه برغم توقعه للحالة التي سيكون عليها
حاتم إلا أن صدمة الرؤية كانت مختلفة..

حتى وصفه كظل لرجل لم يكن يكفي.. ببساطة.. كان حطام..
بل الحطام كان وصف تجميلي لما يراه..

لم يشعر بدخولهما.. بدا هائماً يراقب خيالات مجهولة بدخان
لفافة محترقة هو وحده من يراها..

اقتريا منه بعدما تغلبا على صدمتهما الأولى.. ليلمس ماجد
كتفه برفق.. فلم يلتفت له بالبداية فعاد يرجه بقوة فرقع له
عينين زائغتين..

لحظات تبادل الجميع نظرات مصدومة.. مقهورة.. رافضة..
وأخيراً هتف ياسين:

- حاتم!.. أنت.. أنت..

ولم يعرف كيف يكمل جملته.. فهو يلمس الوجد المحيط
بزوج شقيقته بقوة..

أصبح يدرك معنى كلمة "أب".. فهو قلبه ينخلع منذ الآن على
طفل بعلم الغيب ينمو بحشى زوجته.. فما بال حاتم.. مَنْ
شاهد.. وعایش.. كبر وربى.. حضن طفلته... ملس خصلاتها
وقبل وجنتيها.. ضم وسمع ضحكتها.. تألم لبكائها وداوى
مرضها..

راقب ملامحه المنكسرة وهو يعود لدخانه.. يتلمس بأنامله قبر
ابنته.. اسمها الذي نقشه بيده بعدما وراها الثرى..

فتنتابه الشكوك.. هل من الممكن إنقاذ حاتم؟. وهل سيتحمل
عودته لوعيه؟..

وإحساس آخر بالغضب يصرخ بداخله.. أن يتركه يتعفن في
جحيم اختاره بإرادته وصنعه بيديه..

وفي ظل حيرة ياسين دوى صوت ماجد بطريقته العملية:

- حاتم.. فوق لنفسك.. السكة اللي أنت فيها آخرتها ضياع..

بسنت الله يرحمها.. بس إخوانها لسه موجودين.. وأكد

محتاجينك..

همس حاتم بندم:

- خلاص يا ماجد.. ماعدتش نافع..

هتف ياسين بغضب:

- هو إيه ده اللي مش نافع!.. أنا مش مصدق اللي شايفه..

أنا كنت فاهم أنك هتبطل السم اللي بتاخده ده بعد ما بنتك

ماتت بسببك

قبض حاتم يده على صدره بألم وكأن كلمات ياسين أصابته

بالفعل وغمغم بشرود وهو يسحب نفساً عميقاً من سيجارته:

- أنا حاولت.. حاولت بس ما عرفتش.. ما قدرتش..

راقب ياسين طريقة حاتم الكسولة بالكلام فارتفع معدل

غضبه وهو يصرخ:

- تعالى على نفسك شوية.. وجعك مش هيكون أكثر من وجع

بنتك وهي بتنازع من الألم قبل ما تموت.. وأنت..

لم يتحمل حاتم كلمات ياسين فبدأ ينشج بقوة وصورة بسنت

تتجسد أمام عينيه.. زرقاء شاحبة وباردة..

أمسك ماجد بمرفق ياسين هامساً:

- كده مش هينفع يا ياسين.. ده مش أسلوب..

غمغم ياسين من بين أسنانه:

- عايزني أكلمه إزاي!!.. أنا هتجنن.. هتجنن منه.. ليه يوصل

نفسه لكده؟.. كان ناقصه إيه؟.. إيه مشكلته؟.. أنا غضبان

منه مش عليه..

همس ماجد بهدوء:

- سيبني معاه شوية..

اعترض ياسين بعنف:

- لا..

عاد ماجد يكرر بهدوء حازم:

- من فضلك يا ياسين.. سينبنا شوية.. إحنا مش جايين

نتخانق..

زفرياسين بغضب:

- مش هتخانق.. بس مش همشي..

هز ماجد رأسه بندم.. فهو يعلم أن الحوار مع حاتم سيطول..

وسيدرك ياسين الموقف المتخاذل الذي تبناه سابقاً نحو

مشكلة حاتم..

صحيح أنه حاول معه كثيراً ولكنه لم يكن بالحسم الكافي
لينهي مأساة أو حتى يمنع وقوعها.. ستسوء صورته أمام
شقيقه وهو بالكاد بدأ بتحسينها..

ركع ماجد أمام حاتم الذي بدا أنه عاد ليغيب في خيالاته
ثانية:

- حاتم.. أنت هتيجي معانا نروح المصححة..

التفت له حاتم يرمقه لوهلة وكأنه يحاول تذكر من هذا ومن
أين أتى..

ثم بدأ إدراكه يعود شيئاً فشيئاً وجملة ماجد تترسخ بذهنه
واضحة ليطلق ضحكة ساخرة عالية:

- المصححة.. المصححة..

قطع كلماته بسبب قهقهاته العالية ثم أكمل بهذيان ضاحك
وهو يخبط قبضته برأسه:

- المصححة!.. دي كانت أيام..

وعاد يضحك ويتعثر بضحكه المهووس وهو يردد بنشوة:

- دماغ.. آه والله دماغ..

وعاد يقهقه ثانية حتى دمعت عيناه بقوة ولكنه لم يتوقف

عن الضحك أو عن خبط رأسه مما دفع بياسين للابتعاد

لثوانٍ عاد بعدها وبيده قارورة مياه بلاستيكية كبيرة دفع بها

كلها بوجه حاتم الذي انتفض لثانية ثم مسح وجهه

بعشوائية وهو يهتف بهما:

-أنا مش همشي من هنا.. مش هبعد عن بسنت.. إزاي أسيها

لوحدها هنا..

وأشار بيده للمكان المقبض حولهم.. وهو يردد:

- كفاية أني ما كنتش جنبها لما.. لما..

قاطعہ ماجد بیروود وقد أدرك أن الإنزلاق لنواحي عاطفية لن

يفيد:

- ما كنتش جنبها لما احتاجتك وقت موتها.. بس هي دلوقت

بين إيدين ربنا اللي أحن عليها مننا كلنا.. لكن باقي أولادك..

ما بتفكرش فيهم..

همس حاتم بحنين:

- عمرو وياسمين!

ليجبه ياسين تلك المرة:

- أيوه.. عمرو وياسمين.. لسه عايشين.. لسه محتاجين أب..

أو على الأقل سيرة محترمة لأب.. اللي أنت بتعمله في نفسك

ده.. هينتهي بإيه وإزاي!.. أكيد أنت عارف..

رمقه حاتم بحزن ولكن ياسين لم يتوقف:

-بص يا حاتم.. أنا شوفت في السجن كثير.. أنت صحيح
 قدرت تخدعني وما عرفتش الحقيقة.. بس أنت فاهم كويس
 أن الوضع دلوقت غير زمان.. ومنظرك ده والسكة اللي بدأتها
 نهايتها معروفة.. لو مش هتقدر تكون قد مسئولية أبوتك..
 يبقى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. وعمرو وياسمين هيتربوا
 أحسن تربية.. ورقية كفيلة بده.. بس على الأقل يا أخي سيب
 لهم سيرة كويسة.. ما تخليش ابنك يكسف من اسمك اللي
 شايله ولا بنتك تتعاير في يوم أنه أبوها مدمن..

شحب وجه حاتم وارتعدت يده التي تحمل اللفافة المشتعلة
 وهمس بعجز:

- بس يا ياسين.. أنت مش عارف.. مش فاهم.. المصحة..
 المصحة..

عجزت حروفه عن تكوين جملة لها معنى.. ثم التفت لماجد
 يتشبث بيده وكأنه يريد منه التفهم:

- ماجد.. وقت ما دخلت المصححة كنت بكتفي بحقن
البيثيدين.. ساعات كنت بفقد السيطرة.. صح.. لكن.. لكن
كنت بحاول..

هز رأسه ينشد تفهماً وعادت كلماته تتردد متقطعة:

- جوه المصححة.. المصححة عرفت البودرة والبرشام و..

قاطعها ماجد غاضباً للمرة الأولى منذ بداية الحديث:

- أنت المفروض رايح تتعالج مش تبدل نوع المخدر..

هز حاتم رأسه بسخرية وعادت ضحكاته الهيستيرية تتعالى:

- في المصححة ممكن أي حاجة تتوفر لك.. طالما بتدفع..

ضغط ياسين أسنانه بغيظ فهو لا يفهم.. فقط لا يفهم لم

دمر حاتم حياته بتلك الصورة:

- حاتم.. إحنا مش هناقش اللي فات.. صدقني المناقشة دي

هتطلع منها خسران.. أنت مش محتاج إلا إرادة.. رغبة في

أنك تفوق من الدوامة دي..

رفع حاتم عينين ميتتين:

-أنا خرجت منها.. من المصححة.. أيوه.. أنا اللي خرجت..

بعدت يا ياسين.. ما هربتش.. أنا خرجت نفسي بنفسي..

تحركت نظراته بشرود:

-بس ما قدرتش.. صعب.. الوجع.. وال..

هتف ياسين لماجد:

- إحنا بندور في دايرة مقفولة.. وما فيش حل غير ده..

والتفت نحو حاتم ليدفع قبضته بوجهه مرة وثانية وبالثالثة
 كان حاتم فقد الوعي بالفعل.. ليحمله معاً داخل سيارة
 ماجد.. ويتوجهها نحو مصحة علاجية..

ولكن تلك المرة.. أجادا إختيارها.. أو هكذا ظنا..

أفاق ماجد من ذكريات أسابيع مضت على هتاف أمانة
 الحانق:

-ماجد.. في إيه يا بني؟.. مش عايز تقولي ليه؟..

غمغم ماجد بكل ما استطاع من هدوء:

- هنستنى ياسين.. هو جاي حالاً..

زفرت أمانة بحنق وهي ترمقه بتساؤل قلق..

وقبل أن تبدأ بجولة استجوابات جديدة اندفع ياسين لداخل

المنزل يسأل ماجد:

- أبوك كويس؟..

هز ماجد رأسه بهدوء:

- الحاج حافظ كويس.. بياخد أدويته وكل أموره مستقرة..

سأله ياسين بقلق:

- أومال في إيه؟.. اتكلم يا ماجد..

نقلت أمانة نظراتها بينهما بغضب وهي توجه حديثها لماجيد:

- ما تتكلم يا ماجد.. قعدت تقولي هنستنى وصول ياسين..

اهو ياسين وصل.. خير في إيه؟..

نهض ماجد ليخبرهما بهدوء:

- حاتم.. البقاء لله..

ارتدت أمانة للخلف بشهقة مكتومة ودموعها تندفع لعينها

بلا إرادة..

بينما تجمد ياسين يراقب ملامح ماجد المهمة..

يحاول الوصول لتبرير لما قاله.. فهما وضعاه بالمصحة..
 تأكدا من كل شيء حوله.. تيقنا تلك المرة من نظافة سمعة
 تلك المصحة وأنها ليست كالسابقة التي ساهمت بتدهور
 حاله.. وبقي حاتم بها يومين.. ثم هرب.. وأحضره ثانية..
 وهرب..

وتعددت مرات هروبه لا يديران كيف.. وتعددت مرات إعادتهما
 له..

رغم تحذير الأطباء لهما أن ما يفعلانه بلا جدوى.. فصاحب
 الشأن رافض العلاج من الأساس.. وهذا لا دواء له..
 لكنهما لم ييأسا.. كانا في حرب وقررا الانتصار.. وظلا يعيداه
 مرة بعد مرة..

فبكل مرة كان يهرب لقبر ابنته.. وكأنه يسهل عليهما إيجاداه
 وهذا ما دفعهما للظن بوجود أمل..

حتى كانت آخر مرة هرب بها، وقبل أن يذهبا لاحتضاره فوجئنا
باتصال من المصححة يبلغهما بعودة حاتم..

عاد حاتم من نفسه.. عاد مقرراً العلاج.. عاد ولم يفسر لـم..
فقط جملة واحدة..

"لو مُت مش عايز اتدفن قريب من بسنت.. ادفنوني بعيد".
كانت جملة غريبة.. بل قاسية ولكنه أصر عليهما حتى منحاه
وعداً قاطعاً..

ومر أسبوع وآخر.. وهو يقاوم الآمه.. يحارب احتياجه..
ينتصر مرة ويخفق مرات..

حتى كان أمس.. أمس بالذات اتصل به حاتم مهلاً..
بأنه نظيف منذ خمسة أيام.. خمسة أيام كاملة لم يتناول
المخدر.. وإن كان يتابع جدول خاص من أدوية متنوعة..

نظرات ياسين المتسائلة لماجد جعلته يتردد لحظات قبل أن

يجيب:

- قلبه ما اتحملش أعراض الإنسحاب..

هز ياسين رأسه بحيرة بينما رفعت آمنة عينها نحو ولديها

وهي تسألها باتهام:

- كنتوا عارفين مكانه وساكتين..

والتفتت لياسين:

- أنا سألتك يا ياسين وكذبت عليا.. ليه يا بني ما قولتوش..

حتى أمه الغلبانة كانت شافته قبل.. قبل..

جاءت الإجابة على لسان ماجد وباقتضاب شديد:

- دي كانت رغبته..

وهو لم يكذب.. فتلك كانت رغبة حاتم بالفعل.. ولكنهما لم يعارضاه..

فخشيتهما الدائمة من انتكاس حالته مع هروبه المستمر كانت سبباً أساسياً في إخفاء معرفتهما بمكانه عن الجميع..

أخذت أمانة تكفكف دموعها بصمت بينما ماجد وياسين يتبادلان نظرات غامضة..

انتهت بإخفاض ماجد لعينييه أرضاً فقطب ياسين حائراً محاولاً كبت تساؤلاته..

فالقادم مؤلم بقدر حرقة أم على وحيدها.. وطفلين تيتما بموت أبيهما..

وزوجة لم تعرف بحياتها سوى حبه والإنتماء إليه..

دلفت رقية إلى الغرفة بتلك اللحظة لتقطب حاجبها من الصمت المتوتر المخيم على الغرفة..

وتلمح أمها تبكي بصمت فاتجهت نحوها بقلق:

- خيريا ماما؟.. تعبانة؟.. فيك حاجة؟..

هزت أمانة رأسها بصمت.. وتبادلت نظرات موجوعة مع

ولديها.. نظرات متسائلة وهما لا يملكان إجابة..

إخبار رقية هو مأمورية انتحارية.. فرغم قرارها بإنهاء وجوده

رسمياً بحياتها.. إلا أن إزالته من قلبها.. من كيانها.. من روح

وجسد تشاركتة معه لن يكون بتلك السهولة..

أخيراً تقدم ماجد نحوها عدة خطوات وأخرج مظلوماً من

جيبه منحه لها هامساً بتردد:

- ده جواب من حاتم..

لم تمد يدها لتمسك بالخطاب، بل أخفتها خلف ظهرها وهي

تهتف بحنق:

- وإزاي تاخده منه!.. إحنا خلاص انتهينا.. ما قولتلوش ليه

يجي ويطلق؟.. لسه هتاخذ صفه بعد اللي حصل ده يا ماجد!

التفتت لتخرج من الغرفة ولكن أوقفها هتاف أمانة المخنوق:

- رقية..

لفت رقبتهما لتواجه عيناها عيني والدتها التي أخبرتها بصوت

خافت:

-خُدي الجواب من أخوك..

عادت تلتفت بجسدها كله.. رعشة غريبة مرت بها..

نظراتها تنقلت بخوف بين أخويها.. ثم عادت لأمها بتساؤل

متوتر..

وأخيراً مدت يد مرتعشة تلتقط المظروف من ماجد وتفتحه

ببطء لتقابلها خربشات خط يده التي تعرفها حق المعرفة..

أمسكت الورقة بين أناملها وأغمضت عينها للحظات
وجسدها يرتعد بوضوح دفع ياسين للاقتراب منها بينما بدأ
ماجد بتجهيز محقن يحتوي على مهدئ قوي..

وهي.. هي لم تلاحظ أي منهما فقط كانت تحاول استجماع
شجاعته لتفتح عينها وتحاول قراءة الكلمات التي تناثرت
أمام عينها وهي عاجزة عن فهم معانيها..

"حبيبي الوحيدة وزوجتي لآخر العمر..

كان نفسي أكون قادر أشوفك.. أقرب منك.. أكون جنبك..
كان نفسي أكون شجاع كفاية أني أقدر أطلب منك السماح..
ما تقلقيش.. مش هطلب تسامحيني.. أنا مش قادر أسامح
نفسي.. لا ومش كده وبس أنا دلوقت بكره نفسي..

وخايف أنك تكوني كرهتيني..

أنا ضعيف.. عارف أنه مش ده اللي منتظرة تسمعيه مني..

ولا مبرر ولا عذر.. عارف أني جرحتك مرة بعد مرة.. عيشتك
 حياة مؤلمة.. بس عايزك تصدقيني أما أقولك أني ما حبتش
 غيرك.. كلمة "بحبك".. دي ملكك أنتِ بس.. مهما كانت
 غلطاتي إيدي ما لمستش غيرك.. أنا كنت ملكك لوحداك من
 وقت ما كنتِ بضمفاير.."

تساقطت دموعها وهي تكتم نسيج قوي بكفها ثم تمسح
 الدموع التي تشوش رؤيتها.. وتعود للقراءة...

"ممكن كلامي يضايقك.. بس لازم أقوله.. ويا ريت تصدقيه..
 مش هقدر أتكلم عن جريمتي في حق بنتنا.. في حق بيتنا.. كل
 اللي ممكن أقوله أني كنت معاها الفترة اللي فاتت دي كلها..
 ما سيبتهاش لوحدها.. لحد.. لحد ما هي قالت لي
 أمشي يا بابا.. ابعده.. مش عايزاك هنا تاني.."

إنثى جذع رقية ونشيجها يخرج متقطعاً يقطع القلب وأخفت
وجهها بين كفيها وكأنها تحاول إبعاد صورته بأخر مرة رآته بها
وهي تأمره بدفن ابنتهما..

عادت تكمل كلماته ولم تهتم حتى بمحو دموعها..

"أنا ما اتجننتش لسه أو عقلي راح مني.. هي قالت لي كده فعلاً
بس في حلم.. أو رؤية مش عارف.. بيتيألي اللي زي ما يشوفش
رؤى..

عايز أقولك كمان أي دخلت المصححة والمرة دي فعلاً عايز
أتعالج.. مش اجبار أو مراوغة.. يا ريت تصدقيني يا رقية..
أنا مقرر أي أرجع وأنا حاتم تاني.. حاتم يستحق أنه يكون
أب لأولادك.."

رفعت نظراتها لياسين وكأنها تسأله عن صحة تلك الكلمات
ولكن نظراته كانت مهمة غامضة..

فعادت لأخر كلمات بالخطاب..

"حاجة مهمة عايزاها منك.. طلب أخير.. أنا بلغتة لماجد

وياسين.. بس عارف أنه ما فيش حد هيحققه غيرك..

رقية.. لو جرى لي حاجة.. لو مُت، مش عايز اندفن قريب من

بسنت.. مش قسوة مني والله.. بس حرام أعذبها بيا.. كفاية..

كفاية أني قتلتها بإيدي.. مش عارف إذا كان ممكن أشوفها

بعد ما أموت ولا لأ.. هي من سكان الجنة..

وأنا.. أنا ربنا يرحمني.. ادعي لي يا رقية.. افتكري لي أي لحظة

مرت بيننا وادعي لي..

ادعي لي بالرحمة لأن معنى أنك بتقري الجواب ده.. أني ميت..

مُت من غير ما أشوفك ولو مرة أخيرة."

أنهت قراءة الخطاب وأناملها تتجمد حوله، تشد على الورقة

بقوة..

تعيد قراءة السطور الأخيرة مرة بعد مرة.. كأنها تنتظر أن تتغير
أو تختفي..

ولكنها بقيت جامدة.. ثابتة.. تخبرها بوضوح أن تلك كلمات
وداعه لها..

فحاتم.. مات.. مات بالفعل..

التفتت لياسين وشففتها ترتعدان بقوة.. ودموعها تتجمد بين
أهدابها.. ونظراتها تتحول لحالة عجائبية من الثبات..

قبل أن ترتب الخطاب بهدوء وتعيده للمظروف..

وتردد بهدوء مرتعد:

-حاتم كان وصى أنه يندفن بعيد عن بسنت..

أوما ياسين بصمت فأكملت هي:

- نفذ وصيته.

قالت كلمتها وانطلقت بخطوات بطيئة ولكن ثابتة لتخرج

من الغرفة متجهة إلى شقتها حيث يوجد طفليها..

فأمامها مهمة شاقة..

ستخبرهما أنهما فقدوا والدهما.. وتلك المرة للأبد..

وبالسيارة بعد انتهاء مراسم الدفن كان ماجد يقبض بتوتر
على عجلة القيادة وملامحه تكتسي بتوتر عارم.. هو لم يتمكن
يوماً من وضع المشاعر والانفعالات العاطفية في الاعتبار
والتصرف على أساسها..

لم يفكر يوماً بإخفاء الحقيقة فهي غالباً ما تطفو على
السطح.. حتى عندما تغاضى قديماً عن جريمته وسمح
بدخول ياسين بدلاً منه، بل أُجبر على ذلك.. ليعاني من تلك

المراوغة لسنوات.. سنوات حفرت ندوب في شخصيته فتحول
 لآخر.. آخر كره وجوده وتفكيره ولكنه كان المنفذ الوحيد له
 ليستمر بحياة أحاطها والده بسياج الذنب..

واليوم.. اليوم عاد ليكرر غلطة الماضي.. عاد ليخفي الحقائق
 ويرواغ ويناور حتى لا يتفوه بالحقيقة التي تجاهد للخروج من
 بين شفتيه..

ضغط نفسه وأعصابه وأنهى بمفرده إجراءات استلام جثة
 حاتم من المشرحة بعدما تمكن بمعجزة من إقناع وكيل
 النيابة بحفظ القضية..

وربما كان لمحامي المصحة الفضل بذلك_ هو لا يهتم.. كل ما
 يهيمه هو حفظ القضية.. وإخفاء الحقيقة عن الجميع..
 ورغم الضيق الذي يشعر به إلا أنه هناك شيء ما بأعماقه
 يخبره بأنه على حق تلك المرة.. وأن إخفائه الحقيقة هو
 التصرف السليم.. ولكنه فقط لم يعتد ذلك الشعور..

ذلك التعاطف والألم والرغبة بالمواساة..

تلك مشاعر تنتمي لماضي بعيد جداً جداً.. تنتمي لماجد الشاب
الغروليس لماجد الجراح ذو المستقبل الواعد..

قاطع ياسين الجالس بجواره أفكاره الهائجة وهو يسأل بتقرير:

-يا ترى هتقولي الحقيقة ولا هتفضل متوترومش مرتاح
كده؟..

التفت له ماجد بتوتر ثم أعاد بصره للطريق:

- حقيقة إيه!.. أنا مش فاهم حاجة

التفت له ياسين بجدية:

- ماجد أنت سيبتني في البيت مع رقية والولاد وأصريت تروح

لوحدهك تخلص كل الإجراءات.. وأنا سكت لأنني لاحظت

توترك.. دلوقتٍ بعد ما كل حاجة خلصت.. فهمني في إيه..

حكاية قلب حاتم اللي تعب فجأة دي.. مش مصدقها.

ضرب ماجد عجلة القيادة بعجز وهو يصف السيارة بجانب الطريق ويرجع برأسه للخلف مغمضاً عينيه وهو يردد بألية بدت غريبة على الإنفعالات البادية على وجهه:

-حاتم قلبه سليم.. هو بعد ما قضى خمس أيام نضيف بدون مخدر قرر يحتفل بنفسه.. حب أنه يودع المخدر تماماً.. فأخذ جرعة.. على أمل أنها تكون آخر مرة.. للأسف كانت جرعة أوفردوز.. ومات.. ما تسألنيش جاب المخدر منين وإزاي.. لأنني ما أعرفش.. ما تسألنيش المصححة غطت على الأمر إزاي وخرج التقرير الطبي هبوط حاد في الدورة الدموية لأنني ما اعرفش... كل اللي أعرفه أنه مات.. وأنها فعلاً كانت آخر جرعة..

خيم الصمت عليهما.. ثقيلاً.. مزعجاً وخانقاً

لم يصدم ياسين بكلمات ماجد.. فبشكل ما لم يصدق قصة قلب حاتم المعطوب..

فهو يدرك أن العطب ليس بالقلب، بل بالعقل والإرادة..

ولكنه كان شاكرًا لماجد احتفاظه بالحقيقة..

فرقية لن تحتمل فكرة أن زوجها.. مَنْ تسبب بموت ابنتهما
بفعل غياب عقله من مخدر لم يعرف للآن سر احتياجه له..
قد مات نتيجة جرعة زائدة.. بعدما أخبرها بخطابه الأخير أنه
كان يسعى للعلاج بجدية.. يكفيها أن تعلم أنه مات وهو يصارع
ليتخلص من ذلك المخدر.. فلتظن أنه مات وهو يحاول العودة
لها ولأطفاله..

ربما ذلك يمكنها من مسامحته.. ومسامحة نفسها بآخر الأمر..

طال صمت ياسين مما دفع ماجد لفتح عينيه والالتفات

نحوه متسائلًا:

- إيه رأيك في الكلام اللي قلته؟..

أشاح ياسين بوجهه وهو يغمغم:

- هو أنت قلت حاجة غير أن حاتم كان قلبه تعبان!
 ثم لف وجهه ناحية ماجد ليتبادلا النظرات عدة دقائق..
 قبل أن يتنهد ماجد باستسلام:
 - الله يرحمه.. قلبه ما اتحملش الوجع..

غمغم ياسين مؤمناً:

- الله يرحمه.

انقضت ليالي العزاء.. نفس الوجوه التي حضرت عزاء
 بسنت..

نفس الأقاويل السخيفة.. نفس كلمات المواساة التي لا طائل
 منها.. فهي لن تريح قلب ولن تطفئ لوعة.. فقط تزيد النار
 اشتعالاً بإضفاء صفات ملائكية على الفقيد.. وتحويله

لقديس من نوع ما.. ويطيب للأهل تصديق تلك الكلمات
فتزداد الحسرة بالقلوب والأوجاع بالروح..

وكان هذا حال سليمة الأم الثكلى التي تهيم مع روح ولدها
بعالم آخر.. تضيع بغيوبة أحياناً وبأحيان أخرى تجلس بين
النساء تستمع لكلمات المواساة ثم تنادي على حفيدها عمرو
فتضمه لصدرها وتظل تملس خصلاته وهي تتمتم بوجع..

"يا ريحة الغالي.."

كانت كلماتها تسبب انقباض بقلب ياسين ولكنه كان اهتمامه
ينصب على شقيقته.. تلك الصامدة ببسالة..

تبدو هادئة ساكنة كأحد تماثيل الشمع.. بلا مشاعر ولا
انفعالات.. فقط تتلقى كلمات العزاء والمواساة بصمت قاتل..
تتباعد عن الجميع.. حتى والدتها..

لم تتمكن بلسم من سحب كلمة واحدة من شفثها..

ولا حتى سعاد التي وجدت نفسها في وسط مأساة جعلت
أزمتهما بجانبها كحصاة صغيرة أمام صخرة صلدة قاسية..
فحاولت المساعدة بقدر طاقتها.. وإن كانت بأحيان كثيرة ما
تعتكف بغرفة ياسر تتكوم على فراشه والصغير يجاورها
بصمت.. فقط يربت على خصلاتها بحنان حتى تنام..

ورقية مازالت تلتزم الصمت كصندوق أسود مغلق.. وكأن كل
ما يحدث لا يعنيه بشيء.. وكأنها ضيفة تحضر مسرحية
وستغادر فور نزول الستار..

وقرر ياسين أن ينزل الستار بيده.. أن ينهي تلك الحالة من
اللامبالاة المفتعلة.. فجميعهم يدرك جرم حاتم بحق عائلته
وأولاده ورغم ذلك تحترق قلوبهم حزناً عليه..

فما بال رقية.. زوجته وتوأم روحه كما كان يلقيها..

يعلم أن قلبها تحطم بموت ابنتها ولكنه أيضاً يعرف شقيقته..

رفيقة الطفولة والصبا حتى ولو فرقت بينهما السنون..

وباعدت بينهما الخطوب..

هو يدرك جيداً أنها تتألم.. بل تتمزق.. تنعي زوجها بصمت

ولا تظهر أي انفعال لأي كان..

دلف لغرفتها ليجدها جالسة فوق فراشها تحتضن ركبتيها

بذراعيها.. شاردة تماماً حتى أنها لم تشعر بوجوده..

ملامحها تتبدل من حنين.. لفرح.. لخجل.. ثم حزن موجع..

وكأنها تسترجع ذكرى ما..

انتظر حتى ثبتت ملامح وجهها وعادت لشروود هائم مرة أخرى..

فاقترب ليجلس أمامها ويربت على ركبتيها متسائلاً:

- عاملة إيه؟..

حركت نظراتها نحوه لتخبره بجموده:

- كويسة الحمد لله.

مد يده ليحرك ذقنها فواجهته متسائلة:

- خيريا ياسين.. في حاجة؟..

هز رأسه وهو يسألها برفق:

-إيه رأيك تيجي أنتِ والولاد تقعدوا عندي كام يوم؟..

رفضت بهدوء:

- مش هينفع عشان العدة.. وكمان حرام أبعد الولاد عن

طنط سليمة دلوقتِ

هز رأسه بتفهم وهو يرقب ملامحها التي عادت تتشكل

بالجمود وهي تعود لشرودها ثانية..

وبطرف عينه لمح طرف المظروف الذي ضم رسالة حاتم

الأخيرة إليها يبرز أسفل الوسادة خلفها.. فعلم أنها تقضي ليها

تضم ذلك الخطاب وتحفظ كل حرف به..

أدرکت رقية اتجاه نظراته فارتبکت ملامحها للحظة قبل

أن تسأله:

- تفتكر كان ممكن يكون في أمل؟..

قطب حاجبيه:

- أمل!!

فسرت كلماتها:

-أني أسامحه؟..

ركز ياسين نظراته على عينيها:

- أنتِ بتسأليني ولا بتسألني نفسك؟

أشاحت بوجهها بعيداً للحظات حاولت فيها ابتلاع غصة مرة

خنقت حلقها..

قبل أن تردد كلمات لا تمت لما سأله بصلة:

- في العزا النهارده.. كانوا بيقولوا لي.. ربنا يجعلها آخر
الأحزان.. عارف كنت عايزة أضحك من الجملة دي.. ما هم
قالوها قبل كده أما بس.. بسنت مات.. قالوها قبل كده.. وما
كانتش آخر الأحزان..

منحها ياسين نظرة مستفسرة.. فأكملت بتوتر وقد بدأ صوتها
يختنق وظهرت دموع خائنة بمقلتها:

- هتبقى آخر الأحزان إزاي؟.. أنا مش فاهمة إزاي دي تكون
جملة مواساة.. ما هو طول ما الإنسان عايش هتكون في
أحزان.. الجملة دي مش جملة مواساة.. دي دعوة..

مسحت دمعة بدأت تجري على وجنتها وهي تكمل بتلعثم
وصوتها يتقطع:

-دعوة ربنا استجابها من الناس اللي قالوها لحاتم.. كانت
بسنت آخر أحزانه فعلاً.. لأنه..

عادت تمسح دموعه أخرى بظهير يدها وهي تكمل بشفاه
مرتجفة وصوت يلهث بشدة:

- لأنه مات.. مات ..

صمتت وقد بدأت الدموع بالانهيار بلا توقف ليفتح ياسين
ذراعيه فترتمي هي بينهما بلا تردد وهي تهمس:

-حاتم مات يا ياسين.. مات قبل ما أخذ منه حق بسنت..
مات قبل ما أصرخ فيه وأقوله ليه.. ليه عمل فينا كده؟..
مات قبل ما يطلب مني أسامحه وأنا أقوله لا.. لا ماعدتش
نافع.. مات وسايب قلبي مقسوم..

ضغط بكفه على رأسها بقوة فقاومته لتبتعد برأسها وهي
تهتف وسط دموع لا تتوقف:

-أنا خايفة أحزن عليه يا ياسين.. خايفة أكون بخون بسنت
لو نزلت دموعي عشانه.. الأم جوايا بتصرخ في الزوجة أنتِ

خاينة ومنافقة.. والزوجة ضايعة.. مش عارفة تحزن ولا قادرة

تبكي.. أنا بتمزع يا ياسين ومش عارفة إيه الصح!

جذبها بين ذراعيه هامساً:

-ابكي يا رقية.. ابكي على حاتم.. ابكي على بسنت..

وخفت صوته وهو يردد:

-ابكي على رقية..

ازدادت شهقات رقية وكأن ياسين منحها الإذن لتخرج

انفعالاتها التي كبتها طويلاً..

أخيراً تشعر أنها يمكنها أن تبدأ حدادها على زوجها..

لن تسامحه على مقتل ابنتهما..

لا يمكنها.. ولا يحق لها..

ولكنها ستؤجل التفكير بتلك الجريمة ولو لساعات تسمح فيهن

لنفسها استرجاع حياة عاشتها معه..

ذكرى الحبيب الأول والوحيد..

الزوج العاشق الحنون..

ستتناسى قليلاً الرجل الضعيف الذي أضع بهوره كل ما

هو جميل وبرئ بينهما..

هي فقط.. تحتاج أن تحزن.. ستمنحه حق الحداد..

حق الحزن.. لبضع ساعات..

وبعدها ستضم طفلها بين ذراعيها وتبدأ معها حياة جديدة..

انتهى الفصل

الفصل السابع والعشرون

تدور عقارب الزمن.. فتتكمش رقعة الحزن بالقلب.. وتتركز
ببقعة ضئيلة لكنها عميقة حد الوصول للروح.. وكل يدور
بمداره.. ما بين عمل ودراسة.. يمر النهار تلو الآخر..

وفي الليل.. تلك اللحظات المنفردة عندما تواجه أحزانك بلا
ساتر أو ادعاء انشغال.. تهرب.. تجاهد لتنسى.. قد تنجح مرة..
ولكن.. يعود الحزن لينتصر مرات..

فلا بأس وقتها من البحث عن حزن آمن.. عن ربتة حنان..
أو ضمة مواساة..

فياسين يرمي بهوممه ورأسه بأحضان فجر هامساً
"ارغي يا فجر"

وسعاد تختبأ بين ذراعي توأمها والاثنتان تزحفان ليلاً لغرفة
ياسر الصغير.. وكأنه اعتراف صامت منهما بأنه أمانهما المتاح..
فسعاد عاجزة عن اللجوء لأي من أخويها الأكبر سنأ..
وهناك الأم المكلومة والزوجة المؤؤد حزنها على زوجها...
حزن اختصرته في عدة ساعات من البكاء المتواصل بين ذراعي
شقيقها.. لتتدخل الأم.. وتحتضن أمنة ابنتها تمنحها حق
السكينة والاحتواء..

وتنهي رقية بكاءها لتلك الليلة وتمنح طفلها حقهما بالأمان
بين ذراعيها..

وأخيراً.. هناك من لا يجد ضمة زوجة.. ولا ربتة حبيبة.. حتى
حضن الأم غير متاح لحين إشعار آخر.. فيدفن حزنه وأمله بين
طيات عمله.. جراحة هنا.. وأخرى هناك.. متابعة لمريض..
ودراسة حثيثة من أجل تقدم أكاديمي.. فسلواه يجدها بحياته
العملية.. و فقط..

إلا أن وحدته تلك أصبحت كرباط خانق يحيط بعقله..
 وروحه.. فيحاول الهروب من وحدته بين جدران غرفة صبي
 بالعاشرة تمنحه صحبته ما يحتاجه من المواساة والنسيان..
 لا يعرف سر ارتباطه به.. ولا ما يجذبه لصحبته، سؤال يتردد
 بثنايا عقله كثيراً..

"ليه شريف مش ياسر أخوك؟!.."

سؤال لا يجد له إجابة.. بل ظنون ترواده ولا يدري صحتها..
 فربما لاكتفاء ياسر بنفسه يمنحه الإحساس بعدم احتياجه
 له!..

أو لنضوج ياسر المبكر.. فهو يراه رجلاً مسئولاً بينما شريف
 طفل.. طفل يدعي رجولة مبكرة.. طفل مفتقد لطفولته..
 ولأبيه..

ربما لأن شريف يداعب بداخله فكرة البطولة.. شريف يراه
 بطلاً بطريقة موضوعية تلائم تفكيره العملي..

هو فقط لا يعلم.. ولأول مرة قرر التخلي عن تفكيره العملي
وترك نفسه لصداقة بريئة مع طفل بالعاشرة..

صحبتة دافئة تمنحه المواساة بينما يجرب هو للمرة الأولى
إحساس المنح..

فهو بدون أن يدري يمنح لشريف معنى بأبوة هادئة يفتقدتها
الصغير..

جالساً برفقة الصغير وبيده جهازه اللوحي ينمي عليه بعض
الأبحاث الخاصة بعمله.. بينما شريف يتابع مباراة كرة قدم
على التلفاز.. وصوت صياحه المبتهج ينطلق بين كل فترة
وأخرى.. فيدفع ماجد للالتفات نحوه متسائلاً عن السبب..
ليجبه شريف بحماسة..

"جووووووون"

ومرة بعد مرة.. جذب الأمر انتباه ماجد فجلس يراقب الصغير
وهو يتابع المباراة..

لمهتف ماجد بحماس بعدما سكنت الكرة الشباك:

- جووون

ويرفع شريف عينيه للسماء متهداً بيأس:

- يا عمو الجون ده دخل فينا إحنا..

وتتوالى الأسئلة المرحة والنقاش الممتع بينهما..

يدفع ماجد نفسه للاهتمام بهواية الصغير.. فيتعلق به شريف

ويسعى لإرضائه ويهتم بمحاورته حول عمله..

فعمل ماجد يحتل كيانه على الدوام.. ينمهر الصغير بنقاش

صديقه الكبير.. وتتزايد اهتماماته بدراسة المواد العلمية..

مما يثير دهشة الأم وتعجبها..

يهتم الصغير بالبحث عن مقاطع فيديو تخص عمليات

جراحية.. ويشتري الكبير له إحدى تلك الألعاب الإلكترونية

الخاصة بكرة القدم.. بل ويشاركه اللعب..

يدرك ماجد أنه يستبقي شريف بالمشفى بلا غرض طبي..

بل هو اهتمام شخصي محض.. ويؤرقه السؤال المزعج..

"كيف سيراه بعد خروجه" ..

ومهاجمه سؤال أكثر ازعاجاً..

"لماذا؟!.. لم يرغب برؤيته؟" ..

ومهرب من تساؤلاته ليندمج مع الصغير بإحدى مناقشتها التي

تمنحه شعوراً استثنائياً يهرب من تفسيره.

تقتحم ربهام الغرفة بعنف غير مقصود.. فهي تبحث عن

ماجد منذ فترة لتفاجئ بوجوده في غرفة صغيرها..

رمقته بنظرة نارية تعجب منها وهي تخبره بتوتر:

- دكتور ماجد.. ممكن لحظة؟..

ارتبك ماجد من نبرتها الحازمة.. ظن للحظة أنها ستعلن
رفضها لصداقته بابنها..

دعاها لمكتبه ليفاجئ بثورتها العارمة:

- دكتور ماجد.. أنا كنت حالاً في الحسابات.. وفوجئت أنه
حساب عملية شريف اتقفل..

ضيق عينيه بتساؤل.. فأضافت:

- عرفت أن حضرتك حولت حساب العملية عندك..

تساءل بحيرة:

- أنا مش فاهم.. ليه الثورة دي؟..

هتفت بغضب:

-أنا اللي مش فاهمة.. بأي حق تدفع حساب شريف!

زفر بحنق وهو يحاول تقمص شخصيته الباردة:

- أنا ما دفعتش حسابه.. ببساطة الحالة بتاعتي.. وده أوبشن

ليا هنا في المستشفى كطبيب وإداري..

أجابته وغضبها لازال في ثورته:

- بيتهميألي من الأفضل تستغل الأوبشن ده مع حالة محتاجة

مالياً لكن شريف..

قاطعها بهدوء محاولاً إنهاء الحوار:

- أعتقد أن العلاقة بين الكابتن هاشم وياسين..

دفعت بقبضتها على مكتبه هاتفة:

-هاشم مش مسئول عن شريف.. أنا أم شريف وأنا الوحيدة

المسئولة عنه.. صداقة هاشم لياسين مالهاش أي دخل بمين

يصرف على ابني..

عاد يخبرها بهدوء:

- أكيد حضرتك المسئولة عن شريف.. ده مش مجال نقاش..

بس ممكن تسمحي لي أكمل كلامي..

رددت بتوتر:

-اتفضل.. أنا أكيد ما أقصدش أحجر على رأيك..

غمغم بإرتباك وقد انتقل له توترها.. فهو لأول مرة يتصرف

بوحى عاطفته لا عقله:

-مدام ريهام.. شريف بالنسبة لي مش مجرد طفل مريض..

وده مالوش أي علاقة بهاشم أو ياسين.. تقدرى تقولي أنا

وشريف أصحاب..

ارتفع حاجبها بدهشة.. فالطبيب البارد على الدوام.. وكان

هذا انطباعها الأساسي عنه.. يخبرها أنه صديق لابنها!، بل

ويكمل:

- وأعتقد ما فيش بين الأصدقاء حساب..

اتسعت عيناها للحظة.. فلانت ملامح وجهه يظن أنه أقنعها..

لكنها عادت تردد:

- أسفة جداً.. أنا مش هقبل مجاملة من النوع ده..

زفر بغیظ:

- دي مش مجاملة..

قاطعته بقوة:

- ولا أحب يكون أي حد له فضل أو جميل عليا..

وبدأت تخرج عدة أوراق مالية من حقيبتها أمام نظراته الغاضبة.. فاندفع نحوها بسرعة يتمسك بتلك الوريقات

يعيدها لحقيبتها ومنهياً النقاش:

- حساب شريف اتدفع وانتهى الموضوع.. رجعي فلوسك

مكانها..

هزت رأسها بعنف ولكنه لم يسمح لها بمقاطعته إذ أردف
سريعاً:

- عايزة تردي الجميل زي ما بتقولي عليه.. فأنا ما عنديش
مانع.. وفعلاً محتاج مساعدتك جداً..

تجمدت يدها على الأوراق المالية وهي تقطب حاجبها
باستفهام متشكك..

فبدأ ماجد يسرد بعملية مشكلة سعاد بدون التطرق
لقضيتها الأساسية ومشكلة أميرٍ فقط أخبرها بظروف خاصة
منعت سعاد من الذهاب لكليتها لفترة تعدت الشهرين..
وبنصيحة الطبيبة النفسية بضرورة عودة الفتاة لدراستها
ولكن..

قاطعته ربهام باستفهام:

-مش فاهمة!.. حضرتك محتاج لي في إيه بالضبط؟..

أخبرها بوضوح:

- حضرتك مترجمة وخريجة ألسن زي ما فهمت من الكابتن..
تقدري تساعدي سعاد تجمع منهج شهرين بحيث تدخل
إمتحانها؟

قبل أن تجبه أردف بعجلة:

- سعاد كانت الأولى على دفعتها السنة اللي فاتت.. و..

قطع حديثهما طرقات على الباب.. ليدلف بعدها عدة أطباء..
تقدموا بوجوم ليقدموا تعازيهم لماجد الذي تقبلها بتحفظ
وأجاب باقتضاب على كلمات المواساة..

جلس بإرهاق بعد خروجهم ليلقي برأسه للخلف ويمسد جسر
أنفه بتعب.. مما دفع ربهام لمواساته هي الأخرى:

- البقاء لله.. ما اعرفش أنه فيه حالة وفاة عند حضرتك..

فتح عينيه فجأة وكأنه انتبه لأنها مازالت بالغرفة..

وأجاب بصوت حاول جعله مستقراً:

- ابن عمي وجوز رقية أختي..

صمت للحظة وأردف بحزن:

- صاحب العمر..

صمتت أمام الحزن بعينيه وهي تكاد تقسم على ظهور حاجز

دمعي بمقلتيه ولكنه رمش بسرعة متسائلاً:

-هتقدري تساعدي سعاد؟.. دكتورتها بتأكد أنها لازم ترجع

لدراستها..

أومأت ربهام موافقة بدون تفكير.. فهي تعلم أساس مشكلة

سعاد..

تفهم قصتها وتعي مآساتها..

وافقت ولم تفكر بالسبب.. هل ترد جميل ياسين؟..

أم ربما مجاملة ماجد؟.. أم هي فقط تقدم مساعدة تتمنى

لو استطاعت تقديمها لشريف.. زوجها الراحل..

بالنهاية هي لن تتردد في تقديم المساعدة:

-أكيد هساعد سعاد.. وياريت لو حضرتك تاخذ لي ميعاد

من الوالدة ومدام رقية لأنني حابة آجي أعزيمهم..

حدد لها الموعد بسرعة وأخبرها أن تلك ستكون فرصة

مناسبة للقاء عفوي مع سعاد..

ودعته وذهبت لغرفة ابنها ليدق هاتف غرفته بعد عدة دقائق

وكان موظف الحسابات يخبره أن والدة الطفل شريف وضعت

مبلغاً مالياً يعادل قيمة حساب العملية.. تحت حساب

الحالات الخيرية بالمشفى..

ابتسم ماجد بإعجاب بينما يتردد سؤال الموظف:

- أقبل المبلغ يا دكتور؟..

أجابه ماجد بعملية:

- أكيد..

وأغلق الهاتف ليعاجله رنين هاتفه الخلوي..

وكانت رسالة من ليا.. تخبره بوصولها إلى القاهرة..

جلست بلسم على إحدى درجات المدرج تتناقش مع صديقتها

هدى بشأن ما فاتها بالأيام السابقة..

وبدأت تعدد ما تحتاجه من محاضرات عندما قطع حوارهما

نداء هادئ..

- دكتورة بلسم؟..

رفعت بلسم عينيها لتقابلها عينيها الهادئتين.. ونظراته التي

تحمل لهفة واضحة..

لتردد بخفوت متعجب..

"دكتور يوسف!"

ويوسف هو معيد بالكلية بقسم الفارماكولوجي.. وهي مادة لم تدرسها بعد، بل أمامها سنة أخرى قبل أن تبدأ دراستها..

عاد يكرر نداءه:

-دكتورة بلسم؟

أجابت بخفوت:

- أيوه يا دكتور.. خير؟..

تساءل بلهفة:

- خير إن شاء الله.. بس ملاحظ أنه بقي لك كام يوم ما

بتجيش..

رمقته بعيون ذاهلة.. فكيف لاحظ غيابها!..

هي ليست إحدى طالبته.. ولن تكون قبل سنة أو أكثر، بل أن كل مواد دراستها النظرية والعملية.. تدرسها بطابق بعيداً جداً عن مكان عمله.. فكيف علم بتغيها!!

أخرجها من تعجها سؤاله التالي:

-خير كمان لابسة أسود ليه؟..

أخفضت عينها بحزن خجول:

- جوز أختي اتوفى.

قدم تعزيتة لها:

-البقاء لله..

ثم أردف بصوت واثق:

- لو محتاجة أي شرح أو سؤال في اللي فاتك أنا تحت أمرك.

بدأت وجنتاها تتورد وهي تدرك توافق الطلاب للمدرج

ونظراتهم المتسائلة.. فرددت لتنهى الحوار:

- متشكرة جداً.. اللي فاتني مش كثير.

كرر عرضه بجدية مرحة:

- دي مش عزومة مراكبية على فكرة.. أنا بتكلم جد..

ارتبكت بشدة لكلماته المتباعدة:

- حقيقي المواد بسيطة وأنا باستوعبها بسهولة..

هز رأسه بتفهم وأجابها بلهجة مداعبة:

- يبقى أكيد هانتظر أنك تكوني زميلة لنا في سلك التدريس..

مش هتنازل عنك في قسم الفارما!

ابتسمت بخجل ليوذعها هو بمودة:

- ربنا يوفقك يا دكتورة بلسم..

ابتعد وهي تتابعه بنظرات متعجبة بينما هدى بجوارها تتنهد

هاتفة:

- إيه العيون دي!.. عسل يا ناس!

التفتت بلسم نحوها تزجرها:

- إيه يا هدى الكلام ده!

أجابتها هدى بتعجب:

-إيه يا هدى برضوه!!.. بلسم.. اوعي تكوني مش فاهمة بجد!

قطبت بلسم بتساؤل:

- فاهمة إيه؟! -

حركت هدى شفيتها يسرة ويمنى بحركة ساخرة:

- يا عيني عليك يا أبو العيون العسلية.. دكتور يوسف واقع

يا بنتي..

هتفت بلسم:

- واقع!!.. يعني إيه؟..

جذبتها هدى من ذراعها لتجلسها حتى لا يرتفع صوتاهما:

- واقع في حب الدكتورة بلسم.. يا دكتورة بلسم..

ارتدت بلسم للخلف بتعجب.. لتكمل هدى:

-طيب عارفة وقت ما أعلنتِ خطوبتكِ على خايب الرجا

ابن عمتك.. قعد يومين ما يجيش..

توردت وجنتا بلسم وهي تتساءل:

- معقول الكلام ده!

أومأت هدى برأسها:

-معقول ونص.. ده عينيه متابعاكِ على طول.. أنتِ بس اللي

كانت عيونكِ معمية بسي فاروق ده..

ابتسمت بلسم بحالمية لثوانٍ.. ثم عادت تهز رأسها برفض:
 - أنا مش بفكر في حب ولا ارتباط.. كل اللي في دماغي دلوقتِ
 دراستي وبس.

رمقتها هدى بغيظ.. بينما بلسم تؤكد بداخلها على كلماتها..
 فهي انساقت مرة لحلمها الوردي فتحول لكابوس أحال
 حياتها لدراما سوداء.. وهي لن تكرر غلطتها ثانية..

يداه على مقود السيارة.. وعيناه مركزة على الطريق أمامه..
 وعقله تائه بمتاهات مختلفة.. وأولها تلك الجالسة بجواره..
 تتشع بالسواد من قمة رأسها حتى أصغر خلية بها..
 صورتها عبر شاشة الهاتف لم تؤهله لصدمة لقيائها على أرض
 الواقع.. فالحاملة الشقراء.. ذات البشرة الوردية تحولت إلى
 مسخ يرتدي السواد خارجياً وبأعماقها.. ربما أكثر سواداً..

سؤال يؤرقه بشدة.. لماذا؟!.. لم تحولت إلى ذلك المسخ المشوه؟..

هل كان الخل كامناً بها من البداية ولم يلحظه، أو لم يهتم بما يكفي ليلاحظ؟.. أم أنها تمر بمرحلة تمرّد ورد فعل متطرف على رفض ياسين لها؟.. أم هي فقط تحاول معالجة فجوة بداخلها.. هوة واسعة بين عالم والدها الشرقي بعباداته المتحفظة وعالم والدتها بكل تحرره وانفلاته.. لتضيع هي بينهما.. بين محاولتها لارضاء والدها من ناحية.. ومراضاة والدتها من ناحية أخرى فقدت هويتها.. لتختلق لنفسها شخصية مسخ.. مسخ تحولت إليه في صراعها بين حضارتين لم تقتنع بتفاصيل أي منهما.. أو هي فقط صادفت كل الأشخاص الخطأ بوقت احتاجت به أناس يرممون أسسها المتصدعة...

كان يراقب الطريق ويحلل شخصيتها بنفس الوقت..

بينما هي جالسة بجوراه تمتص دخان لفافتها المشتعلة والتي
 رقدت بين أناملها المسكونة عن آخرها بحلقات وخواتم
 متعددة..

لاحظت مراقبته له فأخبرته بسخرية:

- It's an innocent cigarette....

بادلها ماجد سخريتها وهو يعيدها للغة العربية:

- طيب الحمد لله.. كنت لسه هقولك ارميها إحنا داخلين على
 لجنة!

مطت شفيتها بملل:

- ماجد.. أنت شاغل بالك بيا ليه؟..

أجابها بطريقة مباشرة:

- والدك طلب مني كده..

اهتز جفناها للحظة قبل أن تسأله:

- والمقابل؟..

رد بنفس الطريقة المباشرة:

- نص المستشفى..

رمت رأسها على مقعدها وهي تتمتم بخفوت:

-يااه.. فعلاً أنا غالية قوي عند الدكتور طاهر!

التفت لها ماجد بحنق:

-والدك بيحاول ينقذك بأي طريقة..

أجابته بسرعة:

- والطريقة اللي وصلها أنه يشتريك!

أوجعته الكلمة.. ولكنه لم ينكر صحتها.. فأجابها بخفوت:

- أنا وعدته أنني أحاول أرجعك مصر.. مش أكثر من كده..

رفعت حاجباً متسائلاً:

-وهو في أكثر من كده؟..

سألها بطريقة مباشرة:

- ليه التغيير ده يا ليا؟.

أجابته باستخفاف:

- ليوني..

التفت لها متسائلاً.. فأكملت:

- It's better than Lia & Lian

هز كتفيه بلامبالاة لتكمل هي باستفزاز:

- دايف هو اللي اختاره...

فأجابها ماجد:

- أنتِ بتهربي من حياة اختارها والدك.. وحياة ثانية بتعيشها
والدتك عشان تسلمي أمرك لحد تالت يختار لك حياة
مختلفة تماماً.. إمتي ليا، أو ليان، أو حتى ليوني هي اللي
هتختار حياتها؟..

اتسعت عينها للحظة قبل أن تجبه بصوت متلجلج:
- أنا حاولت اختار مرة.. حاولت أغير حياتي.. بس..

صمتت للحظة لتكمل:

- دايف متقبلني بكل جنوني.. على الأقل مش رافض أني
أكون زوجته وأم لأولاده..

لم يفهم كلماتها الحزينة.. لم يدرك أنها كانت تفكر بكلمات
ياسين عندما أعلنت له حبها وطالبت به بحب مماثل..
ولكنه ألقى بحبها بوجهها.. مخبراً إياها أنها لا تصلح..

أجاب ماجد بتفهم:

-وأنتِ موافقة أن دايف يكون أب للأطفال اللي بتعلمي
بهم؟.

ارتعدت أناملها التي تحمل لفافتها المشتعلة فألقت بها من
نافذة السيارة وهي تغمغم:

- الموضوع ده يخصني أنا ودايف بس.

وصلت السيارة أخيراً تحت منزل أسرته.. فأوقفها وهو يتهد
بقلق.. فليا أرادت القدوم وتقديم العزاء لرقية..

ولم تقبل بأي عذر.. وبداخله شك يكاد يصل ليقين أنها ما
أرادت إلا رؤية ياسين..

دلفا للشقة المفتوح بابها ليصطدم بوجود ريهام تجالس
والدته وشقيقتيه؛ رقية وسعاد..

كاد أن يقتلع شعره حنقاً.. كيف نسي زيارة ريهام لمنزله
اليوم؟!..

تحركت ليا لتقف أمام أمانة التي كانت تناظرها بذهول..
 نظرات أمانة المتقززة من مظهرها أوجعت قلبها بشدة، فبرغم
 كل شيء كانت تلك السيدة تحتضنها تحت جناحها وتعاملها
 كأحدى بناتها..

- ماما أمانة.. أنا ليا.. ليان..

اتسعت عينا أمانة بإدراك وهي تتعرف على ملامح ليا تحت
 زينة وجهها السوداء فهتفت بدهشة:
 - ليان!..

رمت ليا بنفسها بين ذراعي أمانة والتي لم تحطها بهما بل
 ظلت ترمق ماجد باستنكار.. وهي تغمغم بترحاب متردد:
 -حمد لله على السلامة يا ليان.. وصلتِ إمتي؟..

ابتعدت ليا عن أحضان أمانة وهي تخبرها بإرتباك:

- وصلت النهارده.. وعرفت من ماجد أن حاتم توفي.. وجيت
علشان رقية..

كانت رقية تراقب وصول ليا بهدوء جامد.. تلك الحالة التي
تعيشها منذ موت حاتم.. هي تقابل كل شيء بهدوء وجمود..
تقوم بما هي مطالبة به بمنتهى التفاني.. والجمود..

فقط تتخلى عن حالتها تلك في ظلمة الليل وبين طيات
فراشها.. فلن تسمح لأي كان بمراقبة انهيارها الداخلي..

هي لم تشعر بالراحة النفسية للإفصاح عن ألمها.. هلعبها..
رعيا من القادم.. إلا منذ قابلت ريهام.. تلك المرأة التي عرفتها
منذ ساعة أو أكثر ولكنها وجدت بها صدى لمخاوفها ورعيا..

بل كانت تراقب كلماتها وهي تتحدث عن معانها بعد وفاة
زوجها، وكأنها تراقب بطلة من نوع ما..

لا تصدق أنها تقاربها عمراً.. فهي تبدو بحنكة وحنان آمنة..

بينما كانت ربهام نفسها تنظر لليا وعلى وجهها تعبير صدمة لم
تتمكن من إخفائه..

ولتكتمل المسرحية الهزلية أمام عيني ماجد.. ظهرت فجر
تحمل صينية عليها عدة أقداح من القهوة.. ولكنها تجمدت
فجأة وعيناها تصطدم بليا.. ويظهر بعمقهما إدراك غاضب
لهويتها...

ما أن لمحت سعاد فجروهي تحمل صينية القهوة حتى قفزت
موبخة:

- برضوه عملتِ القهوة يا فجر.. قلت لك خمس دقائق وأنا
هاجي أعملها..

سلمتها فجر الصينية وهي تخبرها بخفوت:

- أنا عايزة أعملها.. أنتِ عارفة بتوحم على البن..

هزت سعاد رأسها بتعجب ووضعت الصينية فوق المائدة
والتفتت لفجر التي كانت تجذب مرفقها متسائلة:

- هي خطيبة الدكتور ماجد رجعت تاني؟..

قطبت سعاد حاجبها بتساؤل:

- غريبة!.. عرفتيا مينين؟..

لم تجب فجر، بل راقبت عيناها ليا وهي تهمس لأمنة بكلمات
العزاء..

بعدها قدمت مواستها لرقية واتخذت مقعدها بجوارها
لتصبح رقية بينها وبين ريهام.. فقامت بواجب التعريف تحت
نظرات ماجد الصامت منذ دلف للمنزل.. ولكنه وجد لسانه
يهتف معترضاً على تعريف رقية ل ليا..

"ليا.. خطيبة ماجد أخويا"..

- السابقة.. إحنا دلوقتٍ مجرد أصدقاء..

اتسعت عينا ليا قليلاً وهي ترقب ملامح الارتياح على وجه

آمنة التي أردفت:

-ليان تبقى بنت الدكتور طاهر.. صاحب المستشفى اللي

ماجد بيشتغل فيها.. وابن عم الحاج حافظ..

رحبت بها ربهام باقتضاب بينما فجر مازالت تراقب الموقف

من بعيد، فنادتها آمنة بحنان:

- تعالي يا فجر..

والتفتت لليا تخبرها بفخر:

- فجر.. مرات ياسين ابني..

حيثها فجر باقتضاب وكلاهما تتأمل الاخرى..

فجر تتأمل مظهر ليا الأسود؛ ملابس.. وشوم مقززة.. وخصلات

دمرت لونها الأشقر الذهبي بلون أسود بشع وشارك الكحل

الأسود الكثيف حول عينها بمنحها مظهر منفر.. حتى أن فجر
بدأت تشعر ببوادر غثيان مزعج..

وليا تعرفت على فجر على الفور.. وبداخلها يزداد إحساسها
بالدونية وهي تدرك أن ياسين اختارتلك الفتاة بسيطة
الهيئة ومتوسطة الجمال.. ونبذها هي بكل هالتها المشعة
وقتها..

ربما أدرك ياسين ما تكنه بأعماقها من تشتت وضياح.. ولم
يجد بها مَنْ يَأتمنّها على حياته وبيته..

أبعدت ليا نظراتها عن فجر.. وبدأ إحساسها كدخيلة يترسخ
أكثر فأكثر.. فالتفتت لسعاد التي كانت تراقب الجميع من
بعيد.. وقد بدأ قبس ضعيف من سعاد القديمة يعود وهي
تبادل ماجد نظرات شقية.. تعكس إحساسها بسخرية الموقف
المعقد والذي أقحم ماجد نفسه به..

وربما حُسر ياسين أيضاً بدون أن يدري.. ورغم غيابه بعمله..

وأخيراً كسرت ليا الصمت وهي تسأل سعاد بأسلوب أزعج
آمنة بقوة:

-سعاد.. ليه غيرتِ استايل لبسك؟.. إيه استايل الستات
العواجيز ده!!

شحب وجه سعاد وهي تضم نفسها بذراعيها وبدت رعشة
شفتيها واضحة.. بينما دوت صيحة ماجد المحذرة:
- ليا!!..

وقبل أن تعدل ليا من كلماتها.. تدخلت ربهام برقة:

- سعاد.. ممكن أشوف الكتب والملازم بتاعتك.. علشان نقرر
هنبداً إمتى؟..

التفتت لها سعاد بامتنان وهي توماً بموافقة صامته
وتصطحبها لغرفتها بهدوء.. بينما غمغمت ليا باعتذار:
- أنا آسفة...

Really sorry..

وأكملت:

-ماما آمنة.. أنا أسفة بجد..

لم تجيها آمنة.. فهي تحاول مغالبة مشاعرها المقلقة من

مظهرها المزعج..

لا تنكر أنها أحبت الفتاة يوماً.. وفرحت باختيار ماجد لها

كزوجة.. كانت ترى وقتها هشاشة الفتاة واحتياجها لحضن

آمن.. وأخذت على عاتقها توفيره لها.. ثم جاء سفرها المفاجئ

والتزام ماجد صمت محايد حول انتهاء خطبتهما.. والآن..

لحظة دخولها المنزل برفقة ماجد.. كاد قلب آمنة أن يتوقف

هلعاً أن يعلن ماجد عودته لها.. ليس فقط لمظهرها المقبض..

ولكن كما تعودت آمنة أن تصل لعمق الشخصية عبر عيونها..

وبعيون ليا الجديدة لمحت الكثير.. الكثير الذي جعلها ترفض

وجوها بمحيط أسرتها..

وما جعل إحساسها ينقلب ليقين سؤال ليا:

- هو ياسين مش هنا؟..

اتسعت عينا فجر بغضب وقد أعاد السؤال ذكرى دفنتها
بأعماق عقلها..

ليا الشقراء الباكية والتي خرجت شبه مطرودة من ورشة
ياسين.. وتوسل ليا وقتها لفجر أن تطمئنهما على أخبار ياسين...
لجمت فجر لسانها بقوة.. وشعور غريب يجتاحها.. هي تشعر
بالغيرة.. رغم إدراكها أن ياسين لن يمنح تلك المتصنعة نظرة
اهتمام.. ولكنها لا تملك إلا أن تشعر بغيرة مزعجة..

نهضت بغتة واعتذرت من الجميع لشعورها بالإرهاق وتوجهت
لغرفتها بسكون بينما التفتت آمنة ل ليا تسألها بجفاء:

-أنتِ ليه مكسية سواد يا ليان؟..

ارتجفت ليا للحظة قبل أن تجيب بتوتر:

- عشان العزى.. أنتوا بتلبسوا أسود في العزى.

غمغمت آمنة بتقرير:

- إحنا!.

هزت ليا رأسها بقوة:

- لا.. لا ماما آمنة.. مش قصدي..

قاطعتها آمنة:

- أما سألت ماجد عن سبب فسخ الخطوبة.. قالي ليا عايزة

تلاقي نفسها وترسى على بر..

وابتسمت بمرارة وأكملت:

- وغابت ليا ورجعت.. بس بعد ما غرقت من غير ما تلاقي البر

اللي بتدور عليه..

سالت دموع ليا سوداء.. تلتخ وجهها فمدت لها أمانة عدة

محارم ورقية وتركتها تذرف دموعها بصمت..

وأخيراً أخبرتها أمانة بحنان:

- لو دموعك معناها ندم.. يبقى في أمل يا ليان..

ضمتمها ليا بقوة وهي تسألها بتوسل:

- ممكن تسمحي لي آجي أزورك؟.

رمقتها أمانة لوهلة تفكر بسؤالها.. فقلقها بالنسبة لماجد قد

حُسم عندما صاح بقوة أن ليا خطيبته السابقة..

ولكن سؤال ليا عن ياسين أثار قلق أمانة وابتعاد فجر

الصامت عزز ذلك القلق..

هي لا تشك في ياسين.. وتعلم أن ليا بكل بهرجتها لا تحرك به

شيء.. ولكن زوجة ابنها.. تلك اليتيمة التي تعهدت بينها وبين

نفسها على حمايتها والعناية بها.. فجر تشعر بالغضب والحزن

من وجود ليا.. ولم يكن الوضع يسمح بالاختيار.. فالقرار
محسوم..

- ليان.. أنتِ محتاجة تكوني قريبة من والدك ووالدتك..
وابعدي عن تأثير أي حد ثاني..

أومأت ليا بتفهم وهي تنهض تحيم جميعاً بهدوء مفتعل..
ورفضت عرض ماجد المهذب بتوصيلها.. مخبرة إياه بعملية..
أنها تحتاج للانفراد بنفسها قليلاً قبل أن تذهب لمقابلة
والدها..

رحلت ليا.. والتفتت آمنة لرقية الصامته.. والتي لم تخرج من
قوقعة صمتها إلا برفقة ريهام.. تلك المرأة الغامضة والتي
أدخلها ماجد لحياتهم بطريقة ملتوية..

لا تنكر أنها امرأة جيدة.. هي أفضل من ليان بمراحل..
بل لا وجه للمقارنة بينهما من الأساس.. ولكن..

ترمق ابنها الذي يراقب غرفة سعاد والتي اختفت بها مع

ريهام باهتمام..

وتعود ل لكن.. ريهام أرملة وأم لابن في العاشرة..

هل تلك هي من ترضاها لابنها الطبيب اللامع؟..

قلب الأم يريد فتاة صغيرة تعشقه بكل تفاصيلها..

وعقلها يخبرها بوضوح.. أن تلك المرأة.. وابنها.. هما كل ما

يحتاجه ماجد بحياته..

جلس ياسين برفقة معتصم بغرفة الاستقبال في بيت والده..

يراجعان معاً حسابات متجر العطارة.. وبدا على ياسين

الإرهاق الشديد.. مما دفع بمعتصم ليخبره بأشفاق:

- نأجل الشغل لبكره..

هزياسين رأسه برفض:

- لا.. لا.. خلينا نخلص.. أنا كمان عايزك في موضوع مهم

تساءل معتصم:

-خير موضوع إيه؟..

غمغم ياسين:

-نخلص شغلنا الأول..

واندمجا معاً بمراجعة الحسابات لينتهيها بعد فترة لطرقات

متردة على الباب.. وتقف سعاد على باب الغرفة تحمل

صينية كبيرة بها عدة شطائر وكأسين من العصير وتهمس

بارتباك:

- العشا يا ياسين..

نهض ياسين لياخذ الصينية من بين يديها وهو يسأل بعجب:

- أومال فين الجماعة؟..

ارتسمت بسمه شقية على شفتي سعاد وهي تخبره بهمس:

- النهارده كان عندنا زيارة.. إنما إيه..

أشارت بيدها بحركة تشير للانفجار وأكملت بتلاعب:

- قنبلة..

ابتسم ياسين بحنان.. فسعاد القديمة عادت تطفو على
السطح ولو لثوانٍ.. لا ينكر أنه لاحظ تحسن ملحوظ بسعاد
منذ قررت الذهاب للطبيبة النفسية..

بل أنها رحبت بفكرة مساعدة ريهام لها.. تلك الفكرة التي
طرحها ماجد على استحياء.. ولكنها لاقت منها فرحة كبرى..
فقد رمقته يومها بامتنان وهي تسأله بغير تصديق..

"حقيقي يا ماجد أنت فكرت فيا وفي مساعدتي عشان

الكلية!"..

وقتها لم يعلم ياسين سبب سعادة سعاد الفعلية.. هل
 حصولها على المساعدة لتعوض ما فاتها أم هو تفكير ماجد
 بمساعدتها؟..

خرج من شروده على همس سعاد الخافت بخبر زيارة ليا..
 فكرر بتساؤل:

- زيارة ليا!.. قصدك ريهام؟

هزت سعاد رأسها:

- ليا.. خطيبة ماجد القديمة.. وكمان ريهام كانت موجودة..

صمتت للحظة قبل أن تخبره:

-ومن وقتها.. وفجر.. أقصد الجماعة حابسة نفسها في

الأوضة ما خرجتتش..

أوما ياسين بصمت متفهم قبل أن يرد:

- تمام يا رويتر.. تصبحي على خير أنتِ.. وأنا هتعامل مع
الجماعة الزعلانين..

دلف ياسين للغرفة ووضع صينية الطعام أمام معتصم
وأخبره بمودة:

- تعالى نتعشى سوا..

جلسا يتناولان عشاءهما بهدوء.. ثم التفت ياسين لمعتصم:

- مش ناوي تخلص السنة اللي باقية لك في الكلية؟

صمت معتصم بتوتر.. هو قص على ياسين قصته..

مختصراً تفاصيل تمس والدته.. ولكنه لم يخفِ عليه حقيقة

كونه ليس ابناً حقيقياً لسالم جوهر..

عاد ياسين يكرر سؤاله ولكن بصيغة تقرير ونصيحة:

- أنت بتعاقب نفسك مش بتعاقب والدتك.. اسمع كلمتي..
 خلص كليتك.. إمسك شهادتك في إيدك.. واتصرف في حياتك
 بالطريقة اللي تشوفها صح..

أخفض معتصم رأسه أرضاً ولم يتفوه بكلمة.. بينما كلمات
 ياسين عادت تتردد:

- أنت إنسان صريح وجواك بني آدم قد المسئولية.. ما
 تفتكرش أن حكايتك ممكن تكون نهاية لحياتك.. أنا قدامك
 أهوه..

رفع معتصم عينيه لياسين بتساؤل مذهول:

- أنت!

أوما ياسين برأسه:

-أنا قضيت في السجن ١٢ سنة.. كان ممكن أخرج وأعيش
 عالة على بيت أهلي.. كل اللي كانوا عايزينه.. أني ما اعملش

مشاكل.. لكن ما اقدرتش اتحنط في الصورة اللي رسموها
 وقررروا أني ألتزم بيها بس أعيش.. عافرت لحد ما دلوقت بقيت
 أقدر أبص لنفسي في المرايا من غير ما أندم على سنين عمري
 اللي راحت...

رمقه معتصم بذهول.. يعجز عن تصديق ما يسمعه..
 ياسين.. ذلك العملاق المحتوي المتفهم لحالته..

هو سجين سابق!

ليجبه ياسين عن تساؤله الواضح بعينيه:
 -يا معتصم العبرة مش أنت كنت إيه.. المهم تقدر على إيه..
 تقدر تكون إيه..

صمت للحظة وأكمل بتقرير:

-من بكره تروح كليتك تشوف إيه الإجراءات المطلوبة..
 وتحدد لنفسك جدول عشان شغلك..

أوماً معتصم باستسلام مذهول وأخبر ياسين بسلاسة:

- أنا كنت بقدم اعتذار سنوي..

ابتسم ياسين وهو يربت على كتفه:

- تعرف ده أحسن خبر سمعته النهارده.. لأنه أكد لي أنك كده

كده كنت ناوي تكمل..

انتهيا من طعامهما ورافقه ياسين مودعاً بعدما أكد عليه

الذهاب إلى الجامعة..

ودلف ياسين لغرفته ليجدها غارقة بالظلام..

حسناً.. هي غاضبة.. ولكنه لم يذنب بشيء.. لم غضبها إذأاً..

أضاء مفتاح النور فنهضت فجر بعنف.. تزيح عنها الغطاء..

وتكتف ذراعها بغضب مكبوت..

راقب ياسين ملامحها الغاضبة وهو يكبت ابتسامته بالكاد..

هي لذيذة بكل أحوالها..

وغضبها ذاك لا يعني سوى أنها تغار..

اتجه نحوها يرفعها من فراشها فاستقرت على ركبتيها تبادلته

نظراته بصمت قبل أن يسألها:

- أول مرة ما تجهزيش عشايا وأنتِ قاصدة..

ارتبكت للحظة.. ارتعشت شفتاها وهي تحاول كبت توترها..

غضبها.. وغيرتها.. ولكنه لم يتركها لارتباكها وسألها بحسم:

- زيارة النهارده.. حصل فيها حاجة جرحتك أو زعلتك؟..

هزت رأسها بنفي قاطع.. فعاد يسألها:

- وجودنا في بيت العيلة مضايقك؟..

وقبل أن يكمل سؤاله قاطعته:

- لا أبداً يا سي ياسين.. أنا فاهمة أن إخوانك محتاجينك

جنهم الفترة دي.. بس أنا..

صمتت ليكمل هو:

- أنتِ زعلانة من زيارة ليا النهارده؟..

أومات موافقة.. وهي تخبره:

-منظرها وهي خارجة معيطة من ورشتك مش بيروح من بالي

من وقت زيارتها..

تهند بعجز.. لا يرغب بالخوض في قصص قديمة وأيضاً لا يريد

لفجر أن تتخيل قصة مغلوبة وتبني عليها أوهاام وحكايا..

ولكنها فاجأته بقولها:

-أنا فاهمة أنك ما تعملهاش يا سي ياسين.. أنا متأكدة

كمان.. بس فجر زعلانة..

ابتسم لكلماتها البسيطة التي تمنحه ثقة لا نهائية

ومسح دموع كانت تترقرق بعيونها قبل أن يمنحهما قبلات
ناعمة..

ومع كل قبلة كان يردد..

-وياسين ما يرضاش بزعل فجره..

وقبلة أخرى..

-ياسين ما تملاش عيونه إلا فجر..

وأخرى..

-ياسين راحتته هي فجر..

وأخيرة قبل أن يضمها لصدره:

-وفجر هي بتكمل حياة ياسين..

نهاية الفصل

الفصل الثامن والعشرون

تسللت على أطراف أصابعها كعادتها كل صباح.. وبالذات منذ
أقاما بيت العائلة بعد وفاة حاتم_بصورة مؤقتة_

هي من الأساس من هواة لحظات الصباح المبكرة ووجدت أن
حماتها تشاركها ذلك العشق.. فكانت تتسلل كل صباح من
بين ذراعي ياسين النائم والمحتاج بشدة للراحة لتجالس حماتها
بجلسة صباحية هادئة..

تستمع فيها إلى هموم أمنة.. وتمنحها دعماً وسنداً حتى ولو
عن طريق بضعة كلمات مؤازرة..

اكتشفت أن حماتها تلك السيدة التي تراها ك امرأة قوية تفرد
جناحها على الجميع.. ما هي إلا أم..

أم تخشى على أطفالها حد الهلع.. برغم ما تبديه من قوة
وتماسك.. إلا أن قلبها يتمزق على حالهم جميعاً ولا تملك إلا
واجهتها القوية تظهر بها أمام الجميع..

فالزوج والأب.. هجر الجميع مكتفياً بوجود شبحي لا أكثر..
ف وفاة بسنت كسرت به عنفوانه وصلابته.. وجاءت بعدها وفاة
حاتم لتقضي على ما تبقى منه..

استمعت فجر كثيراً لشكوى آمنة والتي لا تبثها إلا لها
"قلبي مكسور على الحاج حافظ يا فجر.. أنا عارفة أنك ما
شوفتيش منه إلا قسوته.. بس هو خلاص.. نفسه اتكسرت
وروحه بتموت"

تغمغم فجر بمواساة..

"بعد الشريا خالتي"..

فتبتسم آمنة وتربت على كتفها..

"خايفة يا فجر.. خايفة يروح قبل ما يتصالح مع ولاده..
 عشانهم زي ما هو عشانه.. عارفة أنهم شايين منه كثير..
 وعندهم حق.. عشان كده مش قادرة أكلهم.. بس لوراح
 منهم وهما زعلانين هيتعبوا قوي.. أنتِ شايفة رقية أهوه..
 والحزن اللي مخيباه جواها على حاتم.. وفاهمة أن ما حدش
 عارف.. الموت بي فوق يا فجر.. على قد ما بيوجع.. بي فوق"..
 سهمت فجر وقد انقبض قلبها من ذكر الموت.. هي تعلم بوجود
 خلاف بين حافظ وأولاده.. بالذات ياسين وماجد.. ولكنها لا
 تعرف له سبباً..

وعندما لمحت بسؤال لياسين بإحدى المرات.. أجاها يومها
 بوضوح ومباشرة ألا تتدخل بالموضوع ولا تذكره ثانية..
 ولكن كلمات حماتها تؤرقها.. فرغم كل شيء.. ما تراه من
 عزوف ياسين عن والده هو عقوق لأب.. وهي لا ترضى له
 بحمل ذنب بحجم العقوق.. فماجد على الأقل يتابع أدوية

والده وحالته الصحية.._ هي لم تعلم بالطبع أن ماجد يتعامل فقط كطبيب محترف.. ولا يتبادل حرف واحد مع والده أثناء متابعته الصحية_ لذا قررت أن تتكون هي همزة الوصل..

أو حتى البداية.. فاستأذنت من حماتها وبدأت تحمل صينية طعام الإفطار كل صباح لغرفة الحاج حافظ..

بالبداية كانت تضع الطعام أمامه وتخرج بسرعة..

لا تعرف كيف تبدأ معه حواراً أو تبادله حديثاً..

وأخيراً قررت أن تطلق لسانها العنان وتحكي له عن أحوال أولاده..

أخبار كثيرة تدري أنه يعرفها جميعاً عن طريق أمنة التي تجالسه بصفة مستمرة.. ولكن ذلك لم يمنعها عن ثرثرتها اليومية..

تحكي له عن عمل ياسين الذي ينتعش مع معرض الأثاث
الذي تعاقد معه..

وتفضي له عن رغبتها بأن يمتلك ياسين بدوره معرضاً كبيراً
للأثاث..

تبشره بتقدم سعاد بالعلاج.. وأنها بدأت تذهب لريهام بصفة
منتظمة لتساعدها بتجميع ما فاتها، بل أن سعاد أخبرتها
بعرض عمل صيفي مؤقت عرضته ريهام عليها لتعمل
كمترجمة بالقطعة لإحدى المجلات التي تتعامل معها..
كانت تخبره كل يوم بخبر جديد.. وتصف له حال صاحبه
بالضبط..

فماجد يزداد اهتمامه بريهام وابنها الصغير..

وسعاد تطير من فرحتها بعرض العمل خاصتها..

وياسر الصغير يخطط للالتحاق بإحدى المدارس الخاصة
بالمتميزين علمياً فهو يعمل منذ الآن للحصول على إحدى

المنح العلمية..

كان حافظ بالبداية يبدي تأففاً من ثرثرة فجر.. فكان يمسك
المصحف ويبدأ القراءة بصوت عالٍ حتى تصمت..

ولكن مع مرور الوقت وعدم يأسها من استجابته له..

بدأ يستمع لكلماتها.. ثرثرتها جعلته يشعر أنه يتعرف على

أولاده من جديد.. يراهم بعيونها العفوية.. ويطمئن على

أمورهم من نبرة صوتها.. فإن كانت مبتهجة فرحة، اطمئن على

أمورهم.. وإن كانت هادئة خاملة علم أن الأمور ليست بخير..

ولكن ذلك الصباح كانت بحالة مختلفة.. وجهها متورد أكثر

من المعتاد.. وعلى وجهها ابتسامة غريبة..

وبدت ثرثرتها أهدأ من المعتاد وإن كان هدوءاً لا يشي بحزن

أو أسي..

ظل يتأمل حركتها الدؤوب بالحجرة.. فيبدو أنها أخذت على عاتقها مهمة تعريض غرفته لنور الشمس رغماً عنه..

فكانت تحرك الستائر لتفتح النوافذ.. وذلك ما كانت ترجوه آمنة منذ أسابيع.. ولكنه رفض بحسم.. لتأتي تلك السمراء الضئيلة وتفرض إرادتها رغماً عن اعتراضه..

بينما كان هو يفكر بالصياح بها وطردها من صومعته.. كانت هي سابحة بعالم آخر.. لحظات من الفرحة.. وليس فقط سعادة عاشتها بالصباح.. رومانسية تشعر وحدها بلذتها.. فهي لا تشبه تلك التي تراها بالتلفاز.. أو تسمعها بالأغاني..

هي الرومانسية خاصتها.. ومعه فقط..

فبعد تسللها الصباحي المعتاد من جواره لتذهب إلى المطبخ
وتستأثر بعلبة البن المحوج والذي تعده الحاجة آمنة بـ
"تحويجة خاصة ومخصوصة"

كما أخبرتها عندما سألتها عنه..

ومع حملها أصبحت تعشق البن ورائحته وتناوله.. فقط
بصورته الخام وقبل إعداده.. فهي لا تستسيغ القهوة..

ولكنها تعشق لعق البن..

كانت تتناول ملعقة وراء الأخرى متلذذة بالطعم المر والقابض
للبن.. عندما شعرت بذراع ياسين تطوق خصرها من الخلف
ويرفعها قليلاً ليقترب من أذنها هامساً:

-يعني بتبري كل يوم الصبح من جنبي عشان تحضني

برطمان البن!

شهقت فجر بإرتباك خجل وهي تتمسك بعلبة البن بيد

وبالأخرى تحاول إبعاد ذراعه عن خصرها:

-الله يخليك يا سي ياسين ابعده شوية.. أهل البيت هيصحوا

حالا

ضحك بعث وهو يتأكد أنها مغطاة بالكامل بإسدال الصلاة

ثم دس وجهه بجوار رأسها ليذكرها:

- فاكرة يوم كتب كتاب بلسم..

أومات برأسها وذكريات عبثه بذلك الصباح تعود لرأسها

فتتورد وجنتها وتشهق بقوة وهو يردد:

-ياااه.. تعرفي بقى لي قد إيه ما صبحتش عليك!

شهقت بقوة وهي تهز رأسها وتتملص من ذراعه التي تحكم

الطوق حول خصرها وتدفعه قليلاً هامسة بتوسل:

- إحنا مش في بيتنا يا سي ياسين.. الله يخليك.. الناس
هتصحى..

التقط علبة البن من يدها ورفعها على طول ذراعه مخبراً
إياها بشقاوة:

- البن قصاد ال.. الصباح..

وضعت كفيها على وجنتيها المحترقتين.. وعيناها تراقب مدخل
الباب.. خشية دخول أي من أشقائه..

هو يعلم بمبيت ماجد بالمشفى ولكنه لن يخبرها..

حركت كفيها لتضعهما على صدره تعاود التوسل:

-أنا بتوحم على البن يا سي ياسين.. يرضيك البننت يطلع

في وشها بقع بني..

ضحك بقوة:

-أنتِ بتصدقي الكلام ده بجد!!

هزت كتفها بدلال أنثوي بحت:

- أهوه الناس بيقولوا كده..

ثم رفعت عينيها بتوسل:

- هات البرطمان بقى..

عاد يهز رأسه وهو يرفع البرطمان لأقصى حد بينما هي

تتمسك بقميصه تحاول الوصول للعبة بيده..

وتراقب ابتسامته المتلعبة وهو يشير بسبابته على وجنته..

ليعبر عن طلبه بوضوح..

وأخيراً يأست من الوصول لطوله فكتفت ذراعها وهي تبرم

شفتيها بغضب طفولي:

- مش عايزة خلاص..

رفع ياسين العلبة على رفٍ عالٍ وأمسك بذقنها يرفعها

ليواجه عينها:

-البن الكثير خطر على الحمل.. أما نروح ميعاد الدكتور

ونسألها.. تمام؟

أومات برأسها موافقة ولكنها مازالت تبرم شفيتها بحنق

سرعان ما تحول لارتباك وخجل كلي عندما دوى صوت ماجد

خارج باب المطبخ وهو يسأل بسخرية:

-خلصتوا فقرة "لأن الحلال أحلى".. ولا ألف وأرجع بعد

شوية!

شهقت فجروهي تخرج من المطبخ وعينها بالأرض..

بينما التفت ياسين لماجد بابتسامة محرجة:

-تصدق أنك سخييف يا دكتور.. مافيش احمم.. هي

طابونة! ولا وكالة من غير بواب!!

ضحك ماجد وهو يرفع يديه بحركة تهدئة:

- يا بني أنا لسه واصل.. اهدى كده.. أنا واحد لاجئ ومش
عايز من الدنيا غير ساندوتش جنبه بيضا وكوباية شاي..
عشان أنام..

ربت ياسين على كتفه:

- ماشي.. إيه رأيك تنزل معايا نقعد في محل العطارة شوية..
النهارده معتصم في كليته.. وبالمره نفطر سوا.. ونتكلم شوية..

قطب ماجد متسائلاً:

- خير في حاجة؟..

غمزه ياسين:

- هنتكلم عن الحلال.. عايز أعرف دماغك بتفكر في أي
اتجاه..

خرج ياسين من المطبخ ليلحق بفجر في غرفتهما ويطبع قبلة
اعتذار على جبينها هامساً:

-ما قصدتُش أخرجك من شوية.. ماجد كان لسه واصل على
فكرة..

أومات برأسها وهي تسمعه يطلب منها إعداد إفطار خفيف
لها ليأخذه معه للمحل..

عادت فجر من ذكريات الصباح المختلف عن أي من
الصباحات السابقة لتفاجئ باختلاف آخر..

فكان صوت حافظ هو من أخرجها من شرودها متسائلاً:
-فيك إيه النهارده!.. ساكتة ووشك متغير.. الحمل كويس؟..

التفتت له فجر وعلى وجهها ابتسامة واسعة.. وهي تحكي له
عن طفلها وشغفها بالبن.. وبحلم ياسين أن تنجب له ابنة..

قاطعها حافظ متسائلاً:

- بنت!.. عايز بنت؟!!

أخبرته فجر بتقرير:

-عايز أمل.. كلنا محتاجين أمل..

وأكملت ثرثرتها اليومية.. ولأول مرة.. كان يشاركها حافظ

ثرثرتها.. وبحماس..

وبمحل عطارة برهام جلس ياسين برفقة ماجد حول مكتب

الإدارة بعدما اطمئن ياسين على سير الأمور بالمتجر

جلسا يحتسيان الشاي مهدوء وبادره ماجد بسؤال:

-مش هترجع للمحلات يا ياسين?..

هز ياسين رأسه نفيًا:

-هو الموضوع ده مش هيتقفل!.. أنت مش بتعدي على
الورشة بنفسك وشايف شغلها..

أوما ماجد موافقاً:

- عارف.. بس برضوه جزء صغير جوايا صعبان عليه تجارة
برهام ما يمسكهاش ولاده..

سأله ياسين باهتمام:

-أنت قلقان من معتصم في حاجة؟..

نفى ماجد بسرعة:

- لا أبداً.. بالعكس.. شاب مجتهد وأمين.. وغامض..

ضحك ياسين ومرر الكلمة الأخيرة بدون تعقيب.. وحول

مجرى الحديث لما أراد ماجد من أجله:

-بمناسبة الغموض.. أنا مستنيك بقى لي عشر أيام.. تيجي
وتحكي.. وأنت بتتهرب.. ما شاء الله.. من نبطشيات لسهر..

أخفض ماجد بصره أرضاً:

- شغل يا ياسين.. أنت عارف بجهز للدكتوراة..

تهند ياسين:

-ماجد.. أنا كان ممكن آجي المستشفى وأسأل على اللي
عايزه.. بس قلت استنى.. بس الوقت مر.. هنتكلم ولا إيه!

أوماً ماجد بتقرير:

- ليا..

وافقه ياسين:

- أيوه ليا.. ناوي على إيه؟..

زفر ماجد وكأنه يلقي عبأً ثقيلاً من فوق كتفيه.. وهو يحكي
 لياسين تفاصيل ما جرى بينه وبين طاهر برهام وابنته على
 مدى الأسابيع الماضية..

وعندما انتهى من سرد ما حدث سأله ياسين بعدم تصديق:

- فعلاً كنت ناوي ترجع لها عشان نص المستشفى؟..

أشاح ماجد بوجهه بعيداً.. وكأنه يشعر بالخجل من نيته
 السابقة..

ولكن لم الخجل!.. هو لم يكن يخدع أحداً..

ولم يكن ينوي أن يعدها بمشاعر زائفة..

لو كان قرر الاستمرار بتلك العلاقة كانت ستكون علاقة

عملية وارتباط عقلي بحت..

كانت تلك البداية.. والخطبة الأولى التي وافقت عليها ليا قبل

سفرها وقبل ظهور ياسين بالصورة..

هي كانت تدرك طموحه ورغبته بالتقدم في عمله وعلمه..
وتوافقته رغبته..

فقد كانت ستنال أسرة مصرية جاهزة مثلما تمننت دائماً
بعيداً عن انشغالات والدها بعمله..

وانشغال والدتها بمحاولة للتأقلم في حياة والدها انتهت
بالفشل.. ومعها حاولت أمها جذبها لحياتها الغربية مع وعد
بالمحافظة على أصول وعادات شرقية..

فانتهت بحياة ماسخة.. كرهتها الأم ولم يرضَ عنها الأب..

بينما سعت ليا للانتماء بين جدران منزل آمنة..

كانت خطبة ماجد وليا اتفاق عقلي جيد.. ولكنه لم ينجح..
والآن بعد عودتها وتكرار الطلب من والدها.. وجد نفسه غير
قادر على استكمال علاقة من تلك النوع.. فاعتذر لوالدها
بلباقة.. وأخبره بوضوح أنه لن يترك مكانه بالمشفى فهو اجتهد

وبذل عرقاً وجهداً ليصل له، ولكنه يعتذر عن قبول أي
عروض أخرى..

ولكن كان هناك سؤالاً يورقه بشدة.. هل كان ليقبل بالعرض
من قبل؟..

قبل عودة ياسين؟.

قبل ملاحظته المعاملة الدافئة بين ياسين وزوجته؟..

قبل أن ينتبه أنه كان يرافق ليا دائماً بجميع زياراتها لمنزل
عائلته وكأنه لم يكن يأمن على وجودهم معها.. مع أفكارها
المتحررة نوعاً؟..

قبل أن يهاجمه هاجس المقارنة بين زوجة مؤتمنة كزوجة
شقيقه برغم بساطة أصلها.. وأخرى كليا.. والتي يدرك تمام
الإدراك أن ارتباطها به لم يمنعها من مغازلة شقيقه.. بل
ومطاردته..

وأخيراً السؤال الأهم.. وقد يكون الأساسي.. هل كان يقبل
بتلك الصفقة لو لم يكن شريف اقتحم حياته الهادئة
المرتبة؟..

انتبه على نظرات شقيقه التي تتأمل انفعالاته بفضول بانتظار
إجابة واضحة.. منحها له على الفور:

- أنا اعتذرت عن العرض كله.. بس مش هسيب شغلي في
المستشفى..

سأله ياسين بتعجب:

- أومال ليه جت معاك بيت العيلة؟..

هز ماجد كتفيه وهو يخبره بغموض:

-يمكن كنت محتاج أقارن الأصلي بالمزيف!

ولكن غموضه لم يمر على ياسين الذي كان علم تفاصيل
المقابلة من والدته.. فعاد يسأله:

- يبقى السؤال محتاج يتغير يا ماجد.. مدام رهام؟..

قطب ماجد:

- مالها!

زفرياسين بغضب:

-ياريت تبقى صريح معايا عشان أقدر أساعدك.. مساعدة مدام رهام لسعاد أفادتها جداً مش هنكر.. بس كان ممكن نتفق مع أي معيدة عندها في الكلية.. يبقى ليه؟..

أجابه ماجد بتلقائية:

-عشان مش عايز شريف يخرج من حياتي..

رفع ياسين حاجبيه وهو يسأله بحنان:

-قد كده اتعلقت بالولد؟!

أخفى ماجد عينيه عن شقيقه.. ماذا يخبره!..

أنه تخلى عن حلم امتلاك مشفى برهام حتى يحتفظ بصورة
البطل والقدوة المشرفة بعيني طفل بالعاشرة!..

أنه عندما قارن حلمه القديم مضافاً إليه زوجة ك ليان
برهام.. بوقت مستقطع خارج الزمن يقضيه مع شريف
يتشاكسان بشأن مباراة كرة قدم.. أو يشرح له درس بالعلوم
وسط تأفف الصغير ولكن مع انتباهه الكلي..

وجد أن تلك الدقائق أثنى مما يمكن تقديره..

ماذا يخبره!.. أن عودته هو كأخ أكبر وصديق يعتمد على
وجوده الداعم والمساند، أعادت ماجد الشاب الهادئ الذي

لم يكن يحلم بأكثر من مهنة يعشق ممارستها وبيت دافئ

وزوجة هادئة..

أخبره ماجد أخيراً يجيب على سؤال لم يُسأل:

-أنا فاهم كويس أن ارتباضي بالولد مش معناه أني ارتبط
بوالدته..

قاطعته ياسين:

- لكن؟..

أكمل ماجد:

- لكن والدته ست عظيمة فعلاً.. عظيمة ووحيدة.. أخوها
مهما كان متفرغ دلوقت أكيد أما يتجوز هينشغل بحياته..

وهي هتحتاج حد جنبها..

سأله ياسين:

- دي مش أسباب مقنعة للارتباط والجواز..

اتكأ ماجد بمرفقه على المكتب:

-عايزني أقولك إيه يا ياسين!.. أنا مش بتاع حب ورومانسية..
 الجواز عندي ارتباط وبيت وسكن.. لكن الحب والمشاعر
 والأغاني مش طريقي.. حتى مدام ريهام.. أعتقد أنها لو قررت
 ترتبط مش هتفكر في مشاعر رومانسية قد ما هتفكر تبني
 بيت صح لابنها.. وعلى كل حال الكلام ده لسه بدري عليه..

تساءل ياسين:

- لسه بدري!.. يعني في نيتك فعلاً ترتبط بها؟..

واقفه ماجد:

-أكيد.. أنا مش صغير علشان أفكر أعيش تجربة من غير
 هدف.. بس أنا ماشي معاها واحدة واحدة..

تمهد ياسين:

- هتخرجوا تاني؟.

ضحك ماجد:

- ما أنت عندك كل الأخبار أهوه.. أكيد رويتر القديم اشتغل..

لم يقاوم ياسين ابتسامة حنونة وهو يتذكر حالة الهدوء
النفسي التي تمر بها سعاد.. ولكنه أخبر ماجد:

- لا مش سعاد.. رقية اللي قالت لي.. كويس أنك فكرت
تاخذها هي وولادها وأنت بتفسح شريف..

شرد ماجد بتلك النزهة التي خطط لها..

_ فاصطحب رقية التي أبدت رفضاً حاداً ولكنها عادت لتوافق
تحت إلحاح طفلها والصغير ياسر.. مع شريف ووالدته
لإحدى مدن الألعاب..

كان يوماً مختلفاً بالفعل.. بالإضافة لسعادته بصحبة شريف
معظم اليوم إلا أنه لم يكن بذلك القرب من شقيقته وأولادها
من قبل..

ومراقبته للفرحة التي رسمتها تلك النزهة على شفاههم

منحته شعوراً مختلفاً مزيجاً بالفرحة لسعادتهم وإحساس
بالذنب لاستغلاله لهم ليجبر ريهام على صحبتته..

فهو كان اتخذ قراره بالاقتراب ولكن البطئ والمدروس حتى
يمكنه اختراق حصون وحدتها..

وبنهاية اليوم عندما اختفت رقية بين ذراعيه وهي تشكره
على ساعات سعيدة لم يعرفها طفلاها منذ فترة..

بدأ يلمس حلاوة الإحساس بالأخذ والعطاء على السواء

ذلك اليوم كان توطيد لعلاقة صداقة قوية بين رقية وريهام..

فرقية بدأت تتغير وتتجاوب مع الحياة بصورة أفضل قليلاً..

وبقدر الاقتراب بين شقيقته وريهام بقدر التوتر الذي نشأ بينه

وبينها..

توتر مختلف كحياته التي اختلفت تماماً منذ تعرف عليها هي

وابنها..

توتر لذيذ يستعذبه ويريد منه المزيد..

عاد من شروده على وكزة لكتفه وياسين يهتف به:

- أنت شكلك محتاج تنام.. اطلع ارتاح وهنكمل كلامنا

بعدين..

نهض ماجد فهو يحتاج بالفعل للنوم ولكنه قبل أن يذهب

أخبر ياسين:

- على فكرة عايزك معايا عشان نكلم الرائد هاشم..

تعجب ياسين:

- بالسرعة دي!.. أنت لسه بتقول..

قاطعها ماجد:

- أنا معاها واحدة واحدة لحد ما أقدر أفاتحها.. بس ده

مش معناه أي ما اعرفش أخوها عن نيتي..

وافقه ياسين وهو يتأكد تماماً:

-وليا موضوعها انتهى؟..

أوماً ماجد:

- انتهى تماماً.

وذهب لينال قسطه من الراحة.. ولكنه أولاً سيراسل شريف

يطمئن على يومه وربما يتصل بوالدة شريف..

متعذراً بأي عذرواه كما اعتاد باليومين الماضيين..

جلست سعاد برفقة ريهام تهيان آخر مقطع بالمقال الذي

ترجمه ريهام.. والتي طلبت مساعدة سعاد في محاولة منها لبث

مزيد من الثقة بنفس الفتاة..

ترددت ريهام للحظات قبل أن تسأل سعاد:

- سعاد.. ما فكرتيش تغيري طريقة لبسك شوية؟..

لفت سعاد ذراعها حول نفسها بتلك الحركة الدفاعية التي
أصبحت مصاحبة لها..

رغم تقدمها بالعلاج النفسي إلا أنها ما زالت تخفي جسدها
خلف ثياب لا تناسب سنها ولا حتى قياسها..

فمن يراها من بعيد يعتقدها طفلة غرقت في خزانة ثياب
والدتها..

تمسكت أنامل سعاد بكميها هامسة:

-أنا مرتاحة كده..

رفعت ربهام ذقنها المنخفضة للأسفل:

-على فكرة في لبس للمحجبات واسع ومناسب لسنك..

كمان عشان الكلية والشغل بعد كده..

ظلت سعاد تعبت بأناملها صامتة.. فربتت ربهام على كتفها
بحنان:

-أنا محتاجة أشترى طقم جديد للشغل، إيه رأيك تيجي
معايا؟..

هزت سعاد رأسها رافضة.. ولكن ربهام ضغطت عليها بمؤازرة:

- هنتار لبس يناسبك ويحافظ عليك في نفس الوقت..

بادلتها سعاد النظرات لثوانٍ.. أيقنت خلالها أن ربهام تعرف
قصتها كاملة..

فهمست متسائلة بتقرير:

- عارفة كل الحكاية؟..

تنهدت ربهام تخبرها:

-حكاية وخلصت.. انسيها يا سعاد.. واعرفي أنك محظوظة..

غمغمت سعاد بتساؤل:

- محظوظة!

أومات ربهام:

-محظوظة جداً.. أنك تمرى بتجربة بالبشاعة دي.. وتلاقي

اللى يمد لك إيدته ويساعدك.. ويحميك.. ده مش حظ بس..

ده نعمة من ربنا..

ابتلعت سعاد ريقها بتوتر.. وهى تغمغم:

- الحمد لله..

ظلت تخفى عينها للحظات تفكر بكلمات ربهام..

يبدو أن شقيقها ذلك الرائد صديق ياسين من أخبرها قصتها..

فهي لا تصدق أن ماجد من الممكن أن يفعلها..

رفعت عينها أخيراً تسألها:

- ماجد اللي حكي لك؟

هزت ريهام رأسها بإرتباك.. وهي تتذكر اتصالات ماجد
المتعددة..

ففي البداية كان يطمئن على شريف وصحته بمعدل مكالمة
كل ساعة وخاصة في أول يومين بعد خروج شريف من
المشفى..

ومع عودة الصغير للدراسة أصر على إيصاله واصطحبته
في أول يوم..

وبعدها تعددت الاتصالات وإن لم تكن بنفس الكثافة..
وبكل مكالمة كان هناك شيء ضئيل من الاهتمام الشخصي
بها كانت ترفضه بالبداية..

ولكنه لم يستسلم.. هو لا يغازل أو يتعدى حدوده.. فقط

يشعرها باهتمام دائم..

اهتمام تخشى أن تعتاده.. فهي طالما كانت وحيدة.. حتى

بوجود هاشم..

هي وضعت حدود لتدخلاته ومساعداته..

وضعت رسماً واضحاً لحياتها هي وابنها..

وماجد بدأ يدفع نفسه ببطء مثابر ليعبر حدود ذلك الرسم..

رن جرس هاتف سعاد بتلك اللحظة..

فتناولته بسرعة لتخبر ربهام بإرتباك:

-ماجد وصل تحت.. أنا.. أنا أسفة.. مش هقدر آجي معاك

عشان اللبس.. نأجل الموضوع ده..

ربتت ربهام على ذراعها وهي تودعها على باب الشقة:

- وقت ما تبقي مستعدة.. أنا موجودة..

ابتسمت سعاد بارتباك وهي تومئ موافقة وبدأت تنزل
درجات السلم بشرود.. وهي تفكر.. كم شخص آخر عرف
بحكايتها؟..

وكم سيعرف بها بالمستقبل؟..

صديق ياسين ذاك قص حكايتها على شقيقته..

وعلى خطيبته كما عرفت من ياسين وهو يعرض عليها الحملة
الصحفية والبرنامج التليفزيوني..

ويقص عليها عدد الفتيات اللاتي تم مساعدتهن بالفعل..

حسناً هي تشعر بالسعادة لأنهن هربن من أمثال أمير..

ولكن إلى متى ستصبح قصتها مضغة بالأفواه!..

ظلت على شرودها لتصطدم فجأة بهاشم الذي كان يتسلق
الدرج صعوداً..

فارتدت للخلف بشهقة مرعوبة.. دفعته ليهتف باطمئنان:

-ما تقلقيش يا أنسة سعاد.. أنا هاشم..

بادلته النظر لثوانٍ قبل أن تخفض عينها أرضاً وتتحرك
لتكمل طريقها.. بينما هو ألقى تحية سريعة:

-مساء الخير يا أنسة سعاد.. أبارك إيه دلوقتِ؟

كانت بالفعل تنوي إكمال طريقها لتلتقي بشقيقها..

ولكن تحيته الهادئة أثارت عصبيتها.. فتوقفت للحظة
تستجمع شجاعته ثم التفتت له ترفع عينها إليه بإرتباك..
كفيها ينقبضان على تنورتها الواسعة وتنفسها تتسارع وتيرته
ولكنها تجاهد لتتحكم به وتهتف بتلعثم:

-أنا عارفة أننا مديونة لحضرتك بكثير.. بس ده ما يدیش

لحضرتك الحق أنك تحول حياتي مشاع!

قطب بتساؤل وهو يدرك كم الشجاعة التي استجمعتها

لتواجهه تلك المواجهة..

بينما هي تشعر ببدايات موجة من الذعرتها جمها..

وقطرات من العرق تتكاثف فوق جبهتها فتمسحها بسرعة

بينما تشعر بخيوط أخرى من العرق البارد تجري على طول

جسدها..

فبرغم ثقتها بشقيق ربهام.. ورغم عودتها لكليتها إلا أنها لم

تنفرد برجل.. أي رجل..

وحيدة تماماً.. كالآن.. ولكنها لم تتراجع بل هتفت بعصبية

تداري بها خوفها:

-مدام ربهام.. والصحفية اللي هي خطيبتك.. مين تاني لسه

ما عرفش!

ابتسم باعتذار:

-أنا آسف.. معاكِ حق فعلاً.. أنا ماليش عذر إلا أنه وقت ما
حكيت لمشييرة وريهام كنت في حالة يأس شديدة من حفظ
القضية.. بس في النهاية الكل استفاد..

جسدها كان يرتعد بالفعل.. هو لاحظ رعدتها ولكنه لم يعلق
فقط تركها تستجمع شتاتها لتسأله أخيراً:

- إزاي!!..

ردد بتقرير:

-عملنا إنذار قوي للبنات عشان يتجنبوا فخ الفيسبوك
وخلافه.. ومشيرة حققت نجاح.. وأنتِ وريهام تقريباً بقيتوا
أصحاب.. ده غير أنني شايف تقدم كبير.

"تقدم!.."

كادت أن تصرخ بمرارة وهي تسمعه يصف حالتها.. وهي على
وشك الصراخ بالفعل ولكن فقط لتنفس عن ذلك الرعب
الهائل بداخلها والذي يحتمها على الفرار..

همستها بصوت مسموع تلك المرة :

- تقدم!!..

تحرك باتجاهها خطوة.. فجاهدت كي لا تهرب من أمامه
وأجابها بهدوء:

- من أكثر من شهرين وقفت قدامي في المستشفى وأنتِ مش
قادرة تجاوبيني بكلمة.. لكن النهارده أهوه.. واقفة وبتناقشي..
وبتطالبي بحقك..

رمشت بقوة وهي تستمع لكلماته وتستوعبها..

هي بالفعل تشعر بقوة لم تكن بها من قبل.. قد تكون تعيش
حالة خوف أو قلق لمواجهة.. ولكنها بالفعل تستشعر حالة

من الثقة لتنتفض مطالبة بحقها في الحفاظ على سرها..

رددت بتلعثم خفيف:

- أنا.. أنا..

قاطعها بحسم وهو يمنحها وعده:

- صدقيني كل حاجة تخص مشكلتك اتمحت من كل الملفات

ونهاياً.. ووعد مني.. الموضوع هنساه وهيتقفل تماماً..

شكرته بهزة رأس صامتة.. وعيناها تتابع خطواته المبتعدة..

وبداخلها شعور غريب يتنامى.. فهي استطاعت مواجهته..

والصمود أمامه لتدافع عن حقها وتحمي قصتها التي لا

تخص أحداً غيرها..

أغمضت عينها لثوانٍ تتمتع بها ببدايات ثقتها الوليدة

بنفسها..

ثم التقطت هاتفها لتضغط رقم ربهام وتخبرها ببساطة عن

موافقتها على الذهاب للتسوق برفقتها..

وعادت ترتسم ابتسامة شقية وهي تفكر..

أنهما ربما ستحتاجان لمن يقلهما بتلك الرحلة الشرائية..

وتكاد تقسم أن ماجد سيكون أكثر من مستعد لتلك المهمة...

تردد الدكتور طاهر برهام كثيراً قبل أن يطرق باب الغرفة

رقم ٩٠٨.. بأحد أشهر فنادق القاهرة..

ذلك الفندق الذي تقيم به ابنته منذ وصولها للقاهرة قبل

عشرة أيام.. وطلبها الإقامة بفندق بعيداً عن منزل والدها..

فهي لا تريد أي ضغط منه وتحتاج لوقت لترتب أفكارها

بحسب كلماتها..

ولكنه منحها وقتاً كافياً لترتيب ما تحتاجه من أفكار.. كما أن
رفض ماجد لعرضه وضعه وجهاً لوجه أمام مشكلة ابنته..

فلا مفر من المواجهة مهما كانت موجعة..

طرق الباب وانتظر لحظات لتفتح ليا الباب وتقف بمواجهة
والدها للحظات.. أخفضت بعدها نظرها أرضاً..

وهي تفسح له المكان ليدخل الغرفة التي وجد هواءها معبق
بدخان السجائر..

فالتفت لها متسائلاً بعدما لمح عدد من السجائر المطفأة
بالمرمدة القريبة.. ولغرابة الأمر لم تكن منتهية..

بل كأنها كانت تشعلها ثم تطفئها ثانية!:

-كل دي سجائريا ليان!..

هزت ليا كتفها بلامبالاة:

- Don't worry dad.

أجابها والدها بسرعة:

-هنتكلم عربي، ليان.

هزت رأسها بتقرير:

- آه القواعد..

تأملها والدها للحظات.. كانت قد أعادت شعرها للونه

الأصلي ولم تكن تضع أي زينة لوجهها..

ولكنها لم تتخلَ عن وشومها المتعددة..

تنهد والدها بعجز وأخبرها:

-مش قواعد يا ليان.. بس اللغة اللي برتاح فيها.. محتاج

أعرف أعبركويس..

جلست تضع ساقاً فوق أخرى:

-آه طبعاً.. أهم حاجة راحة حضرتك..

جلس بجوارها يربت على ركبتهما:

-راحتك وسعادتك يا ليان أهم.

ظلت تهز ساقها بعصبية للحظات ثم أخبرته:

- I broke up with Daive

هز ظاهر رأسه:

- لأنك عايزة كده؟.. ولا..

قاطعته وهي تنهض بعنف:

-لأني كنت غبية.. كنت فاهمة أني مميزة.. أني..

انهمرت دموع تحاول محاربتها فمسحتها بظهر يدها بعنف وهي

تكمل:

-كل العادات بتاعة الشرق.. اللي طبقتهما.. كنت فاهمة..

كنت فاهمة أني مميزة.. بنت مختلفة.. بس هنا.. مع أول

تجربة وأول اختبار.. لقيت أن ده عادي.. فكرة أني احتفظ
 بشرقيتي في وسط مجتمع غربي.. ما كانتش بالأبهار اللي كنت
 متخيلاه.. بدليل أن واحد زي ياسين رمى كل ده وما فكرش
 فيه.. كل أفكاره كانت عن ست تبني له بيت وتخلف له أولاد..
 ست أنا مش هقدر أكونها ولا حتى أتظاهر بأني هي..

عادت تمسح دموعها أمام نظرات والدها والتي لاحظت عدم
 تعجبه من كلماتها.. فأدركت أن ماجد قص عليه قصتها
 كاملة..

نهض طاهر ليتلقف ابنته بين ذراعيه ولكنها تملصت منه
 لتشير له بإتهام:

-أنت قلت لي أني كده هكون مميزة.. بس اللي حصل أني
 كنت واحدة عادية وسط كتير زي..

فتنهذ حزينا:

- ليان.. ليه فكرتِ فيها كده؟.. ليه ما فكرتيش أنه هو مش
باتساع الأفق الكافي أنه يستوعب..

قاطعته بقوة:

-لأنه مش كده داد.. هو كان بيرفضني أنا بكل حاجة فيا..

بعد كل محاولاتي أني ألفت انتباهه.. رفضني.. حتى الجواز
رفضه.. هو رفض "ليا"، داد..

واجهها والدها مباشرة:

-و"ليا" رفضت ماجد.. رفضته بكل لباقتة وعلمه وطموحه
ونجاحه..

اهتز جسدها للحظات قبل أن تتساءل:

- What do you mean?

أجابها والدها ببساطة:

- أقصد أن ده موقف طبيعي بيحصل وهيحصل.. التآلف

بين القلوب والأرواح مش بإيدينا يا بنتي..

صرخت به ليا:

- دلوقت بتقولي الكلام ده!.. دلوقت!!

اقترب منها يحاول التمسك بكتفها:

- لأنك ما سمحتيش أنني أقوله قبل كده.. هربت من غير ولا

كلمة.. ياريت كنت صارحتيني بتعلقك بياسين.. ياريت كنت

اتكلمت.. واجهت..

هزت رأسها:

- ياريت حاجات كثير.. حاجات كثير، داد..

خفض رأسه:

-عايزاني أعتذر ليان؟.. عن محاولتي أني أبعدك عن تأثير
كارلا؟.. ولا عشان عجزي أنا وكارلا أننا نكون مع بعض..

قاطعته بغضب:

-وكمان عجزكوا أنكوا تبعدوا عن بعض..

سألها بهدوء:

- اتمنيت قصة حب غريبة زي قصتي مع والدتك؟..

ابتسمت بمرارة:

-ياريت كانت مام.. ست عادية زي ماما آمنة والدة ماجد..

ياريت..

تهدلت كتفها بحزن:

- أنا كنت محتاجة حياة مختلفة.. هنا مع ياسين كنت

هكون مختلفة.. بس هو رفض.. سافرت لمام.. قالت لي عيشي
 تجربتك لنهايتها.. زي ما جربت شرقيتك ورجعت تعية..
 يبقى لازم تخوضي تجربة حياتك في ال "إستايتس" وتعيشي
 نصك الغربي للنهاية.. فكرت..

Why not !..i'm miserable any way!!

تهند والدها بيأس.. ذلك تفكير كارلا..

عندما فشلت قديماً في التأقلم مع حياته.. قررت أن يكتفيا
 بحياة شبه مشتركة..

هو بمصروهي بالولايات المتحدة..

كيف فاته تأثيرها على ليان.. ولكنه لم يكن يعلم بحالة
 التعاسة الرهيبة التي كانت تعيشها ابنته بتلك الأوقات..
 زفر طاهر عاجزاً عن منح ابنته راحة.. أو سعادة هي تستحقها..
 ولكنها أضاعتها مع هويتها.. فسألها بتوجس:

- كنتِ سعيدة مع ديفيد؟

هزت رأسها نفيًا:

- كنت باستخبي من الوجد مع ديفيد..

آلمته كلماتها وبدا ذلك واضحاً على ملامح وجهه ولكنها لم

تهتم وأكملت:

- في البداية كان ديفيد بيعاملني..

Like a queen..

وبعد فترة.. ليان.. اتحولت ل ليا.. وبعدها ليوني..

وقتها عرفت أنني بقيت..

Like any other woman...

رمش والدها بسرعة.. محاولاً الوصول للمعنى خلف كلماتها..

لكنها سارعت بسؤاله:

-داد.. أنت جاي ليه؟..

أجابها بسرعة:

-عشانك يا ليان.. عشان بنتي..

سألته ثاية:

-عشان تنقذني؟..

هز رأسه نفيًا:

-عشان أكون جنبك..

سألت بإلحاح:

- هتساندني في أي قرار، داد؟..

عرف أن إجابته يتوقف عليها مستقبله علاقته بابنته فأوماً

بسرعة:

-أكيد..

لم تجبه ولكنها انحنت لتتناول شيء ما من أحد الأدراج
وترفعه أمام عينيه هامسة:

- I'm pregnant, dad.

شهق بقوة وقد شحب وجهه وهو يواجه العصا البلاستيكية
والتي تحمل خطين باللون الوردي يحملان معنى بعيداً كل
البعد عن لونهما..

ابنته تحمل طفل.. بلا زواج.. بلا أي مستند يثبت شرعيته..
طفل لو خرج للعالم سينال من العذاب ما لا طاقة له ولا لأمه
بمواجهته..

ربما لهذا هي تطالب بمساندته.. تلك المساندة التي وعدها بها
للتوقيل أن يعلم بحجم الكارثة التي تخفيها..

ربما تلك اللحظة التي سيستردها فيها.. وربما ذلك الموقف
سيعيد له ابنته.. حتى لو مكلة بالعار.. فبأي حال هولن
يتمكن من قتل الجنين بأحشائها.. ولكن ربما رأيها يختلف..

اهتزت شفتاه وهو يجاهد للحفاظ على صوته متزناً:

- قراك إيه؟

همست بخفوت ويدها تحمي بطنها:

- I'll keep it.

أغمض عينيه وهو يسألها:

- أنتِ فاهمة هتواجبي إيه؟..

ردت بتوسل:

- هتكون جنبي؟..

اقترب ليحتضنها وهي أخيراً سمحت له بذلك.. تعلم أن

احتفاظها بذلك الطفل هو جنون..

طفل غير شرعي.. بلا أب.. بلا زواج.. طفل منبوذ.. على الأقل

بعالمها الشرقي..

هي فكرت ستلده بعالمها الغربي ليحصل على هوية ووجود..
 ثم ستأتي به هنا.. لعالمها الحقيقي الذي قررت الانتماء له..
 تعلمه وتتعلم معه كيف تتقبل جانبا العربي.. بكل تعقيداته
 وعاداته.. والأهم معتقداته..

هي لم تعرف من ديانة والدها سوى المحافظة على عذريتها..
 وكيفية الصلاة والصوم.. لتحافظ على روحها..

وأما العذرية فقد أضاعتها مع ديفيد.. وأما روحها فهي تريد
 إحيائها.. قد يمنحها طفلها تلك الفرصة.. فرصة لتولد معه
 من جديد.. تبحث عن ذاتها مستندة على وجود والدها من
 جهة وطفلها من جهة أخرى..

اتصالها بأمنة الليلة السابقة كان نقطة تحول لها، كلا.. بل
 نظرة أمينة لها منذ أكثر من عشرة أيام هي ما دفعتها لمراجعة
 حياتها كلها.. لتكتشف صحة كلمات ماجد.. هي تركت نفسها

للجميع.. وأجادت لعب دور الضحية.. ولكنها لم تنتفض ولو
لمرة مدافعة عما تريد أن تكونه بالفعل..

وهي الآن أيقنت أنها تريد أن تكون أم بقوة.. تحتاج لتخلق من
جديد برفقة طفلها.. بمكالمتها لأمنة ليلة أمس لم تقص عليها
الحقيقة.. بطريقة ما كانت خجلة.. ولكنها أخبرتها أنها ارتكبت
ذنب عظيم وتحتاج لتوبة.. ولم تبخل عليها أمانة بالنصيحة..
أسهبت في شرح التطهر من الذنب.. وكيف تنوي وتصبر على
عدم العودة.. وتعزم على الندم الصادق.. وهي قامت بذلك
كله.. وزادت بمحاولة الصلاة والتي لم تعد تتذكر كيف
تقيمها.. ولكنها كانت تحاول على أي حال.. تريد أن تكون بنقاء
الجنين الذي يتكون بأحشائها.. وستحارب لتكون له أم أفضل
مما كانت أمها هي..

ستتعلم كيف تصبح أفضل.. معه.. وله..

دفنت رأسها بصدر والدها الذي جمعها بين ذراعيه بمساندة
وعدها بها..

بدأ يستوعب رغبتها بالطفل بأحشائها ولكنها لا تفهم ولا تدرك
ما سيقابلها من عقبات وحواجز.. ما سيقابل ابنها عندما يولد
كطفل بلا أب ولا زواج..

ضميره كطبيب ينهاه عن قتل الجنين.. وقلبه كأب يحثه بقوة
ليقضي على وجوده قبل ولادته..

وهو حائر بين الاثنين..

غير قادر على الاقتناع بكلا الحلين..

ولكن الأكيد أنه لا بقاء لهما هنا..

ربما ليان تظن بسذاجة أنها ستواجه الجميع.. ولكنه هو

صاحب الخبرات والرأي الأصوب يعلم أفضل؛

قرار ابنته بالحفاظ على طفلها بمثابة ختم أبدي للتيه..

للرحيل لأرض أخرى.. والبقاء بلا جذور..

ربما للأبد

انتهى الفصل

الفصل التاسع والعشرون

الثواب والعقاب مبدأ أساسي لاتزان الكون..

فلا فعل يمر بدون محاسبة؛ إن تأخر العقاب فلا يعني النجاة

بخطيئة.. ولكنه فقط الخالق العظيم من يمهّل ولا يمهّل..

ولو تأخر الثواب.. فكن على يقين أن مَنْ خلقك وأحسن

صورتك إنما يدخر لك الأفضل..

فلا تيأس ولا تقنط من رحمته.. ألم يخبرنا..

"أنا عند ظن عبدي بي" ..

فليكن ظنك الخير، الرحمة، المغفرة..

وقد أخطأت سعاد.. أجرمت.. أذنبت.. وعوقبت..

ندمت وعادت تائبة.. وتدعو بكل لحظة أن تقبل توبتها..

أحسنت ظنها بخالقها ودعته المغفرة.. وهي على يقين من

اتساع رحمته لكل تائب عائد عن ذنب اقترفه..

تجلت رحمته له بتسخير من يساعد، يداري على ذنبا

ويرشدها سبل الرشاد..

استمعت لكلمات أمها وارتمت بين أحضان توأمها وظللها

أخواتها برعايتهم..

واليوم.. اليوم كادت أن تصل للحظة يأس.. يأس من المغفرة

وتقبل التوبة.. ولكن رحمته وسعت كل شيء..

مغفرته تجلت لها بأغرب السبل.. وأكثرها وضوحاً..
 تمددت على فراشها تتذكر أحداث يومها الغريب، بل
 أسبوعها الأغرب..

كان آخريوم بامتحاناتها النهائية، أنهت جميع اختباراتهما بتفوق
 كما اعتادت.. واليوم لم يختلف عن سابقه، كانت تسابق
 الريح لتغادر لمنزلها تتصل برههام وتطمئنهما على أدائها كما
 اعتادت..

واليوم ستبلغها موافقتها على عملها الصيفي معها..
 فبرغم حماسها للفكرة إلا أنها تعلمت درسها جيداً..
 وخاصة عندما أخبرها ياسين موافقته المشروطة..

"أكيد ما عنديش مانع يا سعاد.. بس بيتهياًلي لازم ناخذ كمان
 موافقة الحاج حافظ" ..

تعجبت يومها بشدة لأنها تعلم جيداً أنها ميتة بالنسبة
لوالدها، كما تعلم علاقة ياسين السيئة به، ولكنها انتظرت
كما طلب منها شقيقها وإن ولم تتأمل كثيراً.. ليخالف والدها
توقعاتها جميعاً ويرسل بموافقته مع أمها التي أخبرتها بها
الليلة السابقة فقط حتى لا تشغلها عن دراستها..

كانت تتعجل خطواتها للخروج من كليتها، بل تكاد تركض حين
استوقفها نداء باسمها..

"آنسة سعاد!.."

التفتت لتلتقي عيناها بأحد زملائها الأكبر سناً..

لوصحت ذاكرتها فهو بسنته النهائية، تعرف ذلك لأنه من
الوجوه المألوفة بكليتها فوالده يمتلك دار نشر صغيرة..

أوربما يكون شريكاً بها.. هي لا تعلم على وجه التحديد.. فلم
تعد تلقي بالألحديث الفتيات كما السابق..

توقفت بمكانها ترمق ذلك الغريب الذي يهتف باسمها وهي
تحاول التحكم في أنفاسها التي تتسارع ونبضات قلبها التي
تضج برهبة..

هي لم تعد تخشى الرجال كما السابق.. جلساتها مع طبيبتها
النفسية.. والمساعدة التي تتلقاها من الجميع.. أفادتها بطريقة
لم تتخيلها..

وإن كانت من أعماقها تعلم أن نظرات فجر المقدرة والحانية
بنفس الوقت والتي تحيط بها ياسين طوال الوقت ومعاملته
الحميمية برقي ومرعاة لها كان لهم أثر مختلف بداخلها..
عززه محاولات ماجد الحثيثة والهادئة للاقتراب من ربهام..
بالنهاية جلساتها العلاجية فتحت عينيها لترى نوعية العلاقة
المفترضة بين زوج وزوجته..

أورجل يسعى بجدية للاقتران بامرأة يريد لها زوجة..

قبضت كفيها كما اعتادت لتستجمع شجاعتهما وهي تواجه

نظرات زميلها الشاب الذي سألها بتردد:

-آنسة سعاد.. ممكن خمس دقائق؟..

أومأت بصمت وأخفضت عينها أرضاً.. تستمع لسيل كلمات

تنطلق من بين شفثيه.. يعرف عن نفسه..

"أحمد عبد الكريم المنشاوي" ..

أومأت ثانية بحيرة وبدأت تلتفت حولها.. ربما هي تقف معه

وسط الحرم الجامعي.. ولكنها قررت نبذ أي موطن للشبهة..

فرددت بصوت جاهدت لتخرجه حازماً:

-أي خدمة يا أستاذ أحمد؟..

ابتسم بإرتباك:

-ممكن تليفون والدك؟..

قطبت بحيرة متسائلة:

- بابا!!!.. ليه؟..

عاد لارتباكاه وهو يجيها بتلعثم:

-أنا كنت.. عايزه في حاجة شخصية..

عادت تتلفت حولها قلقاً.. وقررت إنهاء الحوار:

-لو عايزه في شغل، فياسين أخويا الكبير هو المسئول عن

كل حاجة من بعد تعب بابا..

ومنحته هاتف ياسين وهي تهتف بعجلة:

- عن إذتك لأنني اتأخرت قوي.

ورحلت ولم تفكر بالموضوع ثانية.. إلا عند دخول ياسين

لغرفتها بالمساء ليخبرها باقتضاب منزعج بوجود خاطب لها..

لحظتها هتفت بذعر:

-عريس!.. مين؟.. وإمتى وإزاي؟..

استوعب ياسين ملامحها المندهشة بذعر ولكنها سألتها:

- سعاد.. أنتِ اللي ادتيه رقم تليفوني....

قاطعته بذهول:

- أحمد!!

حاول ياسين السيطرة على غضبه.. هو لا يمانع بوجود خاطب

أو عريس محتمل..

ولكن لمَ لم تخبره؟.. لمَ عادت لإخفاء أسرارها؟..

قرأت سعاد ملامح الغضب وخيبة الأمل على وجهه بوضوح،

وبقدر حزنها بقدر تقديرها لمشاعره..

فزلتها السابقة ما زالت حية بالاذهان.. تعلم أن عليها تقبل

تلك اللحظات التي تضعها موضع الشك.. تلك عاقبة ذنبيها..

وتقبلها بنفس راضية..

اقتربت من ياسين تتمسك بكفه.. ترغب أن يصله صدق

كلماتها:

-هو وقفني النهارده بعد الإمتحان وطلب تليفون بابا..

وقال سبب شخصي.. إديته تليفونك ومشيت بسرعة.. ما

سألتوش.. كنت فاهمة شغل أو أي سبب.. أنا ما اعرفوش

والله يا ياسين..

تأمل يدها التي تتمسك بكفه تتوسله تصديقها وسمع

سؤالها المرتجف:

-مصدقني يا ياسين؟..

أدرك من نبرتها المرتجفة أهمية إجابته..

كلماتها صادقة.. ربما لو كانت سعاد ما قبل مآساتها لانتهت

لغرض الشاب الأساسي..

وبالنهاية.. الشاب يطلب زواج..

أجابها بسرعة:

-مصدقك يا سعاد..

دموع لا إرادية تساقطت من عينيها وهي تلقي بنفسها بين

ذراعيه.. وكأنها تمنح نفسها مكافأة تصديقه..

بينما هو داعيها بمشاكسة ليخرجها من حزنها:

- ده حال واحدة جاي لها عريس!

ابتعدت برأسها قليلاً تمسح دموعها:

-مش وقته يا ياسين..

كان يوافقها رأيها.. هي لم تخرج تماماً من أزمته..

لم تتعافَ بصورة نهائية.. وآخر ما تحتاجه الآن هو ارتباط

يزيد من أعبائها النفسية.. ولكن والدته وكأي أم قلقة على

مصير ابنة ذات خلفية مضربة.. وجدت بالشاب مواصفات

لزوج لا يُرفض؛ فهو شاب حديث التخرج، مستواه الاجتماعي

أكثر من مناسب.. وحالته المادية ميسورة جداً.. كما أن عمله
مضمون بدار النشر الذي يمتلك والده نسبة لا بأس بها من
أسهمها..

وبقلب أم سارعت لنقل الخبر للأب الذي بدأ يتفاعل وإن كان
تفاعله ضعيفاً مع أولاده، ولكنه تقدم تحمداً ربهما عليه..

وأبدى حافظ موافقته المبدئية على الشاب الذي ارتفعت
أسهمه بنظر الجميع بعد تقبله لفكرة أن الشقيق الأكبر كان
سجيناً سابقاً..

موضوع شائك لا يتقبله الكثيرون.. ولكنه تقبله برقي يحسد
عليه.. فهو كان على دراية بالأمر من قبل..

اهتمامه الخاص بسعاد منذ أول مرة رآها بالكلية جعله
يبحث عن كل ما يخصها..

والآن الكرة بملعب سعاد بعدما توسلت أمانة لياسين تقريباً
أن يكتفم رفضه لفكرة خطبتها

وها هو ينفذ رجاء والدته ويعرض عليها أمر الخاطب المحتمل..

ويرى رعيها.. خوفها.. ترددها.. وهي تكرر:

- مش وقته.. مش وقته..

لتدلف آمنة بتلك اللحظة وقد أنبأها غريزتها بحاجة سعاد

لوجودها..

فتلقفتها بين أحضانها.. تهدأ مخاوفها..

تتمتم برحمة ومغفرة من الخالق..

تخبرها بمحاولة لتقبل الحياة.. بتقبل ما تقدمه السماء من

هدايا وجوائز لمن يتقى.. ومن يحسن توبته..

ورغم رفضها الداخلي للأمر برمته.. وافقت سعاد على مقابلة

رسمية للخاطب..

لا تعلم لم خضعت لهمسات أمها..

أهي رغبة لتنال رضاها؟.. أم هي محاولة منها للخوض بغمار الحياة، فهي لن تعتكف وتعتزل البشر.. لا بد لها من محاولة للعودة..

وكان شرطها الأساسي أن تصارح أحمد بكل شيء.. شرط لاقى معارضة عنيفة من الجميع.. ولكنها أصرت بشدة، بل أخبرتهم بوضوح أنها لن تقبل بأي كلام بالموضوع.. فالمصارحة أمر لا جدال حوله.. ومع إصرارها وإصرار مقابل من أخويها برفض الإفصاح عن قضية أغلقت ولا هدف من إثارتها..

تدخلت توأمتها والتي تستشعر جميع مخاوفها ونجحت أخيراً بإقناعها بتخفيف الاعتراف..

فلا داعي للاستفاضة تفاصيل مشينة تسيء لها.. يكفي إشارة بسيطة لعلاقة سابقة عبر الفيسبوك.

أغمضت سعاد عينيها وهي تعتدل برقدتها تتذكر ما حدث
 بوقت مبكر من مساء اليوم حين جلست بغرفة الاستقبال
 بمنزلها وأمامها الخاطب المحتمل ترتسم على شفثيه ابتسامة
 واسعة.. وسعادته بموافقته على ملاقاته تكاد تلمسها حية
 من نظراته المتألقة..

تألق بدأ يخفت.. وسعادته تخبو شيئاً فشيء وهو يستمع
 لاعترافها الذي أعدت كلماته جيداً وحفظتها عن ظهر قلب..
 لتلقها بأذنيه سريعاً وكأنها تلقي بحمل كبير عن كتفها:
 -قبل كل حاجة.. في موضوع مهم لازم تعرفه.. أنا.. أنا كنت..
 عرفت.. أقصد.. ارتبطت..

تهددت بعجز وهو يرمقها بتساؤل لم يجرؤ على طرحه وهي
 تقذف كلماتها بسرعة:

-كان في واحد في حياتي.. الفيسبوك.. و..

لم تستطع اكمال إعترافها مع انقباض ملامحه.. وقبضتيه
اللاتين تكورتا بغضب ظهر بنظراته وإن حاول التحكم به..
ولكنه لم يتفوه بكلمة واحدة..

بل نهض مغادراً ومعتذراً..

ظلت سعاد جالسة بمقعدها.. تضغط قبضتها بمسنديه

وقد تجمدت العبرات بمقلتيها.. أنفاسها تتباطئ وقلبيها

يصرخ وجعاً وهي تهز برأسها رفضاً وحنناً..

تلك النظرة المحترقة التي رمقها بها أحمد قبل مغادرته

وجعت روحها بشدة..

أعادتها خطوات للوراء..

ذراعي بلسم حولها كانا ترياق لعذاب لم تدر بحجمه إلا

مع أول احتكاك لها بقسوة العالم..

وهمسة بلسم المواسية:

-ما يستهلش دموعك يا سعاد..

بينما كان تفكير سعاد ذهب لأبعد من ذلك الخاطب وهروبه

السريع فكانت تردد بخشية:

-ربنا ما قبلنيش يا بلسم.. توبتي مش مقبولة..

ليدوي صوت أمانة التي كانت تتجرع حزنها وندمها على دفع

سعاد لخطوة كتلك..

فأرادت الإنزواء للحظة تستجمع بها شتاتها.. ولكن مع كلمات

ابنتها التي كاد أن يتزعزع يقينها قررت التدخل:

-استغفري يا سعاد.. ربك ما بيردش عبد لجأ له..

رفعت سعاد عينين نادمتين:

- أنا خايفة يا ماما.. خايفة..

وبغرفته كان ياسين يضرب الجدار بغضب وهو يلوم نفسه
لسماحه بما حدث..

كان يجب عليه التمسك بموقفه.. سعاد غير مستعدة
لمواجهة الحياة بعد فما بال تعقيدات الرجال..

تمسكت فجر بقبضته التي تلکم الجدار بلا توقف وهي
تضمها لصدرها تطمئن قلقة:

-الضربة اللي ما بتموتش بتقوي يا سي ياسين..

هز رأسه بغضب:

- سعاد مش مستعدة.. أنا غلطت..

قبلت كفه بين يديها تخفف من هالة الغضب التي تهدد
بابتلاعه:

- سعاد قوية.. أنا متأكدة.. والله يا سي ياسين أنا ملازمها
وعارفة أنها هترجع أحسن من الأول.. وربنا دائماً بيقطع من
هنا ويوصل من هناك..

تمهد بيأس.. فبعد تقدم سعاد الملحوظ جاء هرب ذلك
المدعو أحمد من أمامها ليحطم تلك القشرة الرقيقة من
الثقة والتي بنتها ببطء شديد..

لقد كاد أن يفتك به وهو يرى خطواته تسابق الريح ليخرج
من المنزل.. ولولا ذراعي ماجد حوله للحقه بالفعل وأذاقه
الوجع الذي منحه لسعاد أضعاف..

ألقي برأسه على ساقى فجره كما اعتاد.. يلقي بهمه بين ذراعيها
فتسحبه من ظلامه لحياة يبدأها معاً..

حياة تنتفض بأحشائها تعلن عن تدمير ابنته من صوته
العالي كما أخبرته فجر يوماً..

ليقاطعه رنين الهاتف وصوت هاشم يدوي فرحاً بخبر كان
ياسين ينتظره منذ شهر..

خبر يعلم أنه سينسي سعاد كل ترهات تلك الخطبة البائسة...

انتفض يطبع قبلة على جبهة زوجته هامساً..

"طول عمرك وش الخير" ..

وتوجه من فوره لغرفة سعاد التي كانت متكومة بين أحضان
أمها..

فتحرك ليجذب سعاد من بين أحضان آمنة ويمس بأذنها:

- سعاد اللي أعرفها مش هتعيط عشان واحد متخلف و..

هزت سعاد رأسها بنفي:

- مش عشانه.. والله ما عشانه..

ليقاطعها ياسين بهمسة خافتة بأذنها:

-الحيوان أمير اتقبض عليه.. والمرة دي القضية مش

هتتحفظ.. هاشم لسه مكلمني..

شهقت سعاد بعنف ودموعها تتساقط..

وتلك المرة كانت دموع راحة.. فرحة.. وامتنان..

فرحة السماء التي طالما أخبرتها عنها والدتها.. لم تكن أبداً

بعرض خطبة رغم إبهاره إلا أنه كان ليزيد من أوجاعها..

جائزتها جاءت بإشارة لتقبل لتوبتها.. ببشرى لها أنها يمكنها

إغماض عينيها بدون قلق أو هلع من ظهور أمير ليهدها

ويبتزها ثانية..

جائزتها هي أحضان دافئة أحاطها بها أهلها جميعاً..

ورحمة ومغفرة استشعرت حلاوتها وهي تدرك أن المجرم

أخيراً سينال عقابه..

وبغرفته جلس ماجد خلف مكتبه.. يغرق نفسه بقراءة أحد الأبحاث الطبية الحديثة.. ذلك أسلوبه للتعاطي مع غضبه.. هو رفض مشروع الخطبة من البداية.. وحذرياسين أن يخبر أمنة بأي شيء.. فسعاد غير مستعدة أبداً لمواجهة ارتباط.. وعلاقة برجل مهما كانت مغرية مميزاته وصفاته، ورغم أن ياسين يشاركه رأيه إلا أنه وجد في إخفاء الأمر نوعاً من انعدام الأمانة..

والآن وقد حدث ما توقعه.. لم يعلم كيف يواسي شقيقته.. هو لا يتقن كلمات المواساة والمؤازرة.. برغم وجعه وغضبه الشديد إلا أنه لا يملك الكثير ليفعله.. تركها بين ذراعي والدته بعدما استطاع السيطرة على غضب ياسين وتوجه لغرفته يدفن نفسه بدراسته كما اعتاد..

ظل يرمق الشاشة بشرود لدقائق.. وأخيراً مد يده لهاتفه ليقوم بما أراد منذ رأى ذلك الجبان يهرب من أمام شقيقته..

اتصل برمهام وانتظر للثوانِ قبل أن يأتيه صوتها الهادئ:

-السلام عليكم..

أجابها براحة سرت بجسده بمجرد سماعه لصوتها:

- عليكم السلام.. مشغولة؟..

ابتسمت لسؤاله المعتاد.. كل مرة يحدثها بها يسأل نفس

السؤال..

بالبداية كانت تبعده.. تصده وبقوة.. تخبره أنها منشغلة..

ولكنه كان يخبرها بضحكة هادئة..

"مش هعطلك.. موضوع بسيط" ..

ويتحول الموضوع البسيط لنقاش طويل.. أو سرد تفصيلي

لأحداث يومه.. تعلم أنه يحاول الاقتراب..

وتستشعر الاهتمام..

رفضت بالبداية وخاصة عندما صارحها هاشم بنيته
الصريحة.. بل ثارت على هاشم تهمه بنسيان الصديق
وخيانته..

ولكنه أوقف سيل اتهاماتها.. بحزم.. ذكرها بمسئوليتها الأولى
نحو ابنها.. بأحقية ابنها بيت طبيعي مستقر.. بأب يحبه
ويوجهه مستقبلاً مذكراً بقسوة..

"مهما كانت حنيتك عليه واهتمامك به.. وجود أب يفرق..
وخصوصاً مع طفل ذكي وسابق سنه زي شريف"..
رمقته يومها بلوم.. فهو يخبرها بوضوح أنه يرفع يده عن

تربية ابنها ولكنه ضمها بحنان مردفاً

"الموضوع مش أب لشريف بس.. أنا عمري ما هبعد عنكوا..
بس ريمام محتاجة حياة.. محتاجة زوج يهتم ويخاف ويحمي"..

أغمضت عينها ترفض الصورة التي يبثها هاشم بعقلها بينما
هو يكمل..

"أكثر من عشر سنين فاتوا على المرحوم.. أنا مش عايز اتكلم
زي الستات العواجيز وأقولك أنك ما عشتيش حياتك يا
ريهام.. بس دي حقيقة"..

تهدت بعجز رافضة فتح عينها.. تتذكر زواجها بسن الثامنة
عشر.. شريف.. حبيبها وفرحتها الأولى.. شهر من السعادة
انتهت قبل أن تتذوقها لتستفيق من حلمها على كابوس سجن
شريف.. ثم تمنحها الحياة فرحة عمرها وتنجب ثمرة حبهما..
شريف الصغير.. ولم تكذ تفرح بطفلها حتى عاجلتها الحياة
بأكثر الصفعات قسوة.. ومات الزوج والحبيب..

أغلقت قلبها على حبه، على حزنها عليه.. اعتكفت لتربية ابنها..
ونسيت كونها أنثى.. امرأة تحتاج الاهتمام والحب..
رفضت من قبل عريس تلو الآخر ولم تهتم..

ولكن.. ماجد..

هو مختلف.. لا تعرف لم!.. ربما اهتمامه بصغيرها.. ربما

إحساسها باحتياجه لها كما تحتاجه هي تماماً..

كلا.. كلا.. هي لا تحتاجه ولا تحتاج لأي رجل..

ستكمل حياتها كما خططت.. هي وابنها فقط..

ولكن رغم كل قراراتها.. وخطتها المسبقة... تعود لتجيب على

اتصالاته.. تنجرف وراء حكيه.. تنتشي أنوثتها باللهفة التي

تستشعرها بصوته.. بمحاولته الحثيثة للاهتمام بها..

وهو بعدما صرح شقيقها برغبته الجدية في الاقتران بها..

ونيله الإشارة الخضراء للاقتراب مع تحذير واضح من وعورة

الطريق.. فكثف من اهتمامه.. اهتمام حقيقي لا تزييف به..

مكالماته لها تمنحه راحة مختلفة.. اهتمامها به وإن كانت

تحاول جاهدة اخفائه أو مقاومته إلا أنه يستشعره.. يمنحه
سعادة وطاقة ايجابية هائلة..

ليته كان ذا لسان معسول لاستطاع التعبير عما يجول بذهنه
بأسلوب منمق جذاب.. ولكنه لا يجيد تلك المغازلات الرقيقة
أو الكلمات الدافئة ولا حتى المشاكسات الشقية..

انتبهج معها ما يعرفه.. الأسلوب الواضح المباشر.. وإن لم
يصارحها برغبته بالزواج بعد.. فقط يكتفي بتلك المكالمات..
يقص عليها ما يمر عليه في يومه.. يستمع لأحداث يومها
ويطمئن على الصغير..

حتى أنه قص له قصته مع "ليان برهام".. مختصراً بضعة
تفاصيل لا تخصه، صارحها بأنه ارتبط ب ليا سابقاً رغبة منه
في القفز عدة خطوات سيوفرها له كون طاهر برهام صهره..
يومها استشعر غضبها.. وإن لم تعبر عنه صراحة..
وعاد يصارحها بعلاقته بسمر.. واعتقاده أنه أحبها..

ليكتشف خداعها له.. وبعدها يدرك أن ما ظنه حباً كان مجرد
اعجاب أو تعلق سطحي..

يومها أغلقت الهاتف بوجهه.. ولكنه أعاد الاتصال..

مرة.. وثانية.. وخامسة حتى أجابت أخيراً:

"أنا مش فاضية يا دكتور.. ورايا.."

قاطعها يومها ليعترف لها بما لم يعترف به لنفسه:

"ما كانش حب.. أنا عمري ما حبيت ولا أعرف إحساس

الحب.. أنا كنت بهرب من صورة ماجد الطموح اللي بيعمل أي

حاجة عشان مستقبله.. أنا حبيت صورة ماجد اللي بيعحب..

لكن ما حبيتش سمر.."

يومها لم تستطع مقاومة فضولها لينطلق لسانها بسؤال

يؤرقها بشدة:

"ليه؟.. ليه حبيت تحط نفسك في صورة الراجل الطموح

لحد الانتهازية؟.. أنا راقبتك كثير مع شريف.. أنا حاسة أنك
بتتكلم عن واحد تاني.."

سؤال توقعه.. وعلم أن عليه أن يجيها صراحة.. فإن أراد
الاتباط بها عليه أن يفصح لها عن ماضيه بأكمله، حتى إن
كانت أحداثه لا تعنيها.. ولكنه مَن يعنيها وماضيه هو جزء
منه.. لذا قص عليها القصة بأكملها..

يومها صرخت به.. لامته.. اتهمته بالأناية وحب الذات..

عدم تحمل المسؤولية وانعدام الضمير..

كانت تصرخ به وأمامها وجه شريف الراحل وهو يخبرها أنه
مظلوم لُفقت له التهمة زوراً ومهتاناً..

كانت تتهمه بما أرادت الصراخ به في وجه من ظلموا والد
طفلها..

ليجها ماجد بصوت مخنوق:

"أنا كنت أصغر من أي أحد القرار.. القرار ياسين والحاج
حافظ.. أخدوه فعلاً.."

ويختم كلماته:

"صدقيني يا ربهام.. الحياة في سجن مالوش قضبان، ونظرة
إتهام وإدانة مستمرة من أقرب الناس لك.. وكل تصرف وكل
كلمة محسوبة وتحت المنظار.. حتى الابتسامة بتكون إتهام
جديد.. ده كله مش هقولك أصعب من السجن.. بس ما
يقلش صعوبة.. يمكن الأصعب أي كان لازم دائماً أثبت أي
كنت قد تضحية ياسين.. الفشل مش مسموح به.. حتى أي
أكون نمرة اتنين كان ذنب ما ينفعش ارتكبه.. رغم أي كنت
دايماً في ذهنهم كلهم رقم اتنين.. ولحد الآن.."

لم يكمل كلماته.. بل قطعها فجأة وكأنه أفصح عن الكثير
وهمس بعجلة:

"تصباحي على خير."

أغلق الهاتف ولم ينتظر رد منها..

وهي لم تمتلك كلمات تجبه به.. لا تعلم لم جلبت كلماته
المختنقة الدموع لعينيهما.. فقط رأته بعين خيالها وهو يختنق
بذكرياته.. يفتح قلبه لها.. يتذكر أيام بعده القسري عن
شقيقه.. وكل منهما يدفع ثمن غلطة غير مقصودة.. وخطأ
معتقدات غبية سيطرت على والدهما..

ليلتها هي من أعادت الاتصال.. وهو أجاب من الرنة الثانية
لتهمس له بسرعة:

"أسفة.. بجد أسفة.. مش من حقي أحكم عليك وأنا ما
عيشتش ظروفك أو مريت باختياراتك.. فعلاً أسفة على كلامي
السخيف.. ما كانش موجه لك.."

قاطعها يومها بكلمات حاسمة:

"أنا حكيت لك كل حاجة عني.. ممكن نقفل صفحة الماضي
ونفكر في المستقبل؟"

كان سؤال يطلب أكثر مما احتوت كلماته.. وهي تدرك ذلك..

هو يئس وعد ولو كان ضمناً.. وهي أرادت منحه ذلك

الوعد ليطمئن.. وكلمات هاشم تتردد بذهنها..

"ريهام محتاجة حياة" ..

واهتمام ماجد الصادق بطفلها وحبه له يمنحها راحة
تحتاجها.. وفرحة شريف بوجود ماجد بحياته يساعدها
لاتخاذ قرار..

وهاجس أنثوي خافت بأعماقها ينتفض فرحاً بعد سبات
إجباري.. ولسانها يردد:

"هنفكر في المستقبل.."

عادت من شرودها بذكريات أسابيع مضت على سؤاله
المكرر والذي ردهه بنبرة قلقة:

- مشغولة يا ريهام؟.

لتجبه بنبرة مطمئنة:

- لا أبدأ.. أنا منتظرة اتصالك.. العريس عمل إيه؟.

تهند حنقاً:

- زي ما توقعت بالظبط.. اعتذرومشي..

رددت بنبرة حزينة:

- يا حبيبتي يا سعاد.. أكيد منهارة..

أجابها بتقرير:

-أيوه.. أنا قلقان عليها قوي.. لو الشغل اللي كلمتها عنه

جاهز ياريت تبدأ فيه بسرعة.

جاءت إجابتها سريعة:

-من بكره لو تحب.. عموماً هعدي عليها بكره ومعايا كام

مقال تحاول فيهم.

شكرها بامتنان:

-يااه.. رفعت حمل ثقيل من على أكتافي..

وأكمل بنبرة صادقة:

- ربنا يخليك ليّ

وعلى الجانب الآخر تتورد وجنتيها وكأنها مازالت فتاة صغيرة

وتغير الموضوع بسرعة:

-عملت إيه النهارده في الشغل؟..

أجاب بحذر:

ده السبب الثاني لاتصالي.. عايز أقولك على حاجة..

بنبرة قلقة همست:

- خير في إيه؟..

بعد ثوان من التردد:

-الدكتور طاهر طلب مني النهارده أمسك إدارة المستشفى..

هيعملي توكيل بالإدارة.. لأنه راجع أمريكا مع ليان..

صمتت بدورها للحظات وهي تسأله:

-دي حاجة كويسة صح؟..

وافقها:

- أيوه طبعاً..

سألته:

- وافقت ولا..

قاطعها:

- لو وافقت هسألك ليه؟..

ارتسمت على شفثها ابتسامة بلهاء:

-أنت بتاخذ رأيي؟..

أجاب ببديهية:

- أيوه يا ريهام.. أنا كنت واضح معاك.. أنا منتظر بس

الامتحانات تخلص علشان تكون كل حاجة رسمي.

شهقت بعنف من كلماته الصريحة لتهتف بلوم:

- أنا لسه ما وافقتش وأنت أصلاً ما اتقدمتش رسمي!

كاد يضرب رأسه بسطح مكتبه.. ألم يتقدم لشقيقها رسمياً!!..

هو يعلم أن والداها متوفيين ولا تمتلك أعمام أو أخوال

ليطلب يدها منهم..

لقد كان واضحاً بكل شيء وظن أنها تفهمه وتوافقه..

قطعت حيرته لتخبره:

- شريف ابني يا ماجد..

تهند براحة وقد أدرك المعنى:

- هطلبك من شريف.. حاضريا ريهام.

ابتسمت بسعادة.. هو يفهمها بطريقة لم تعهدها من قبل

حتى مع زوجها الراحل..

يستوعب مخاوف تحيا بأعماقها ويمحها بطريقته الهادئة

المباشرة..

تلك الطريقة التي كانت تزعجها ببداية تعرفها به..

أصبحت هي ما تمنحها الراحة والأمان..

ربما زواجها منه سيضعها في نظر البعض بخانة المرأة التي

تسعى خلف الأمان والمتعة بوجود رجل بحياتها..

ولكن سنوات وحدتها السابقة علمتها ألا تلتفت للثرثرة
الفارغة.. فهي رغم ميلها لماجد كرجل وزوج مستقبلي..

إلا أن علاقته الوثيقة بابنها.. واهتمامه الأساسي به.. يمنحها
شيء من الثقة بصحة اختيارها..

فهو على عكس كل رجل حاول الاقتران بها من قبل..

لم يتخذ ابنها وسيلة ليقرب منها، بل ما حدث هو نقيض

ذلك تماماً.. فعلاقته بشريف كانت الأساس..

كانت نقطة البداية ومركز الثقة لتمنحه الإشارة الخضراء
للاقتراب..

والآن.. عليه أن يقنع الصغير بالموافقة على زواجه من
والدته...

فابنها كان وما زال رجلها الأول.. فهل يوافق على التنازل عن
مكانته.. لرجل آخر حتى لو كان صديقه وقدوته بالحياة؟..

شيء ما بأعماقها يخبرها.. أن الاجابة ستكون بصالحهم
جميعاً...

اتصال مفاجئ من جاد لياسين الذي كان منشغلاً بمراجعة
حسابات متجر العطاره.. فمعتصم لم يأت لليوم التالي..
لقد ظن في البداية أنه انشغل باختباراته النهائية، ولكن
اتصال جاد القلق بشأن معتصم جعله يترك ما بيده
ويستدعي ماجد ليتخذ مكانه بالمتجر ويتوجه على الفور
لورشته برغم تأخر الوقت..

وصل للورشة ليلتقي بجاد القلق على الدوام يجوب الرصيف
أمام الورشة جيئةً وذهاباً، ولكنه لم يكذب يراه حتى تحرك
نحوه بلهفة:

- معتصم اتجنن يا بوص!

ربت ياسين على كتفه مهدئاً:

-اهدى يا جاد بس.. قولي حصل إيه؟..

اصطحبه جاد لمدخل الورشة حيث ارتفعت أصوات تكسير

واضحة بأعماقها وهمس:

- اسمع بنفسك يا بوص..

وصلت لياسين أصوات تكسير امتزجت بصرخات وجع عالية..

التفت لجاد يسأله:

-حصل إيه لكل ده!.. أنا مش فاهم!!.. حد ضايقه أو..

هز جاد كتفيه بعدم معرفة:

-والله ما عارف.. هو بقى له كام يوم مش مضبوط.. وأنا كنت

فاهم ضغط الامتحانات مع ضغط الشغل.. بس النهارده

اختفى فترة طويلة ورجع بحالته دي..

هزياسين رأسه بحيرة وهو يحك بذقنه وصوت معتصم
المتوجع يصله بوضوح.. فعاد يلتفت لجاد:

- طيب روح أنت يا جاد.. وأنا هقفل الورشة..

انطلق جاد بسرعة وكأنه كان ينتظر كلمات العتق من ياسين
الذي دلف للورشة.. يتلمس طريقه نحو أعماقها حتى وصل
لمعتصم.. ليتجمد ثوانٍ من مشهده..

مشهد لا يصف إلا بعبثية سوداء..

شاب غاضب لأقصى درجة، يرتدي بذلة سوداء ثمها يصل
لآلاف الجنيمات.. ويمسك بيده.. فأس صغير يضرب به قطع
الأخشاب المتناثرة بصورة عشوائية ومع كل ضربة يطلق
صرخة عالية.. صرخة وجع.. صرخة قهر.. صرخة عجز..
وليكتمل المشهد لمح ياسين بالنهاية خيطين رفيعين من الدموع
يحفران وجهه كطريقين من حمم البراكين الحمراء..

فعيناه كانتا بركتين من اللهب الأحمر وهما ترتفعان لتلتقيا
بنظرات ياسين المندهشة..

ليصبح معتصم بحرقه وهو يلوح بالفأس بوجه ياسين:
-جاي ليه!.. قلقان على شغلك!.. بضاعتك!!.. الخشب اللي
كسرته ده تمنه هدفعهولك و..

قاطعه ياسين بسرعة:

- ومين طلب منك فلوس!

ارتبك معتصم للحظات.. فقد كان يتسلح بغضبه حتى
لا يفكر بوجعه الحقيقي.. ولكنه عاد يتساءل بخشونة:
-أومال جيت ليه؟..

رفع ياسين جاجبيه بدهشة:

-عادي.. إيه الغريب أني آجي ورشتي!!

عاد معتصم يلتزم الصمت ويده ترتعش بتلك الفأس
الصغيرة.. يتأمل نظرات ياسين الهادئة.. ليست متهمة

أو لائمة.. فقط مهتمة بقلق يخفيه ببراعة..

ولكن معتصم استطاع التقاطه فعاد يهتف:

-مش ميعادك دلوقت.. ولا جاي تفتش على عمالك!

رمقه ياسين ولم يستطع التحكم بملامحه المتعجبة..

فمعتصم لم يتعد معه الحدود أبداً، على العكس..

علاقتهما توطدت بالفترة الأخيرة لتشبه بداية صداقة بين

رجلين يحاربان ظروف مجتمعهما الظالمة..

فماذا حدث لينقلب معتصم بتلك الطريقة!

تبادلا النظرات للفترة وأخيراً أجاب ياسين ببساطة:

- عايز أعمل سرير لبنتي الصغيرة..

ارتخت يد معتصم المسكة بالفأس لتمهدل بجانبه وهو

يتساءل:

- بنتك!

أجابه ياسين ببساطة:

-أيوه.. اتأكدنا إمبراح أنها بنت.. أمل.. عايز أعملها مهد..

رمقه معتصم بعذاب والفأس تنزلق من يده مطلقه صوت

قرقعة خفيف عند اصطدامها بالأرض.. وعاد يتساءل:

- مهد!!

وافقه ياسين وهو يجاوره متسائلاً ببساطة:

- هتساعدني؟..

ولم ينتظر إجابة بل تحرك ليجمع الأخشاب المتناثرة..

وبدأ يعد مخطط مبدئي لمهد صغير..

ومعتصم يراقبه بذهول.. لا يعلم كيف هدأ غضبه..

لا لم يهدأ هو فقط انشغل عنه.. فاستطاع التحكم بثورته..

هل تخيل الحياة الجديدة لطفلة رضية هو ما لجم غضبه!..

أم كلمة "مهيد" التي منحته إحساس بالهدوء النفسي..

أم هي فكرة أن ياسين رفيقه بالنبذ المجتمعي.. امتلك حياة

بالفعل وامتلك ناصية مقدراته..

خلع سترة بذلته وجاور ياسين يساعده بعمله بصمت..

صمت امتد لساعة.. وأخرى.. وهما يعملان بتناغم ومهارة..

وأخيراً قطع ياسين حبل الصمت:

- خلصت امتحاناتك؟..

هز معتصم رأسه وعلى وجهه ابتسامة ساخرة:

- ما دخلتس آخر مادة.. يظهر مش مكتوبة لي!

رفع ياسين حاجبه بغضب وردد:

- هتدخل الدور الثاني..

انطلقت قهقهات معتصم:

-ماعدتش محتاج.. أنا دلوقت معايا فلوس ما تتعدتش

قطب ياسين بتساؤل.. فأكمل معتصم:

-أنا ورثت..

توقف ياسين عن العمل ليسأل مباشرة:

-هات من الأخر يا معتصم... إيه اللي قلب كيانك؟..

توقف معتصم عن العمل بدوره والتفت ليوواجه ياسين

للحظات وأخيراً غمغم بهمسة مختنقة:

-راوية هانم.. ماتت.. وأنا ورثتها..

وبسط يديه أمامه وكأنه يخبره أن تلك المرة الميراث من حقه..

فهي والدته بالفعل رغم كل مساوئها وجرائمها..

هو ورث خطيئتها.. وأموالها على السواء..

ردد ياسين بمواساة:

-البقاء لله.. محتاج أي مساعدة في الإجراءات أو..

قاطعته معتصم بسرعة:

-خلاص اندفنت وكل حاجة انتهت..

وعاد يصرخ بقهر:

-كل حاجة انتهت.. كل حاجة..

التفت لياسين وهو يردد بعجز:

-ماتت وما عرفتش مين أبويا.. ماتت من غير حتى ما تتوب

أو تستغفر.. ماتت من غير ما تعتذر..

ترکه ياسين يفرغ غضبه كله.. فبداخه بركان هائل من

الحزن والغضب..

بينما معتصم يردد بذهول:

- أمي ماتت وأنا مش زعلان.. مش زعلان يا ياسين.. أنا

غضبان لأنني مش زعلان.. أعمل إيه.. أعمل إيه..

صرخ جملته الأخيرة وهو يعود ليتناول الفأس ويبدأ

بتحطيم مقعد هزاز نصف منتهي ومرتكز بركن الورشة..

وأخذ يصرخ:

- كانت نايمة قدامي على السرير في المستشفى.. جسمها

محروق... مشوهة..

رفع عينيه لياسين وهو يردد بصوت متحشرج:

-محروقة.. ماتت محروقة.. وعينيها.. عينيها كلها وجع

وعذاب.. منتظرة تسمع مني كلمة.. غفران.. سماح..

صمت وعاد يحطم ما أمامه بجنون وهو يصرخ:

-وأنا ما اقدرتش.. طلبت من ربنا يريحها من عذابها.. بس

ما سمحتهاش..

تهالك ليجلس بركن الورشة ليقرب منه ياسين متسائلاً:

-لو كنت سمعتها كلمة سماح أو غفران كانت هتبقى

حقيقية؟.

هز معتصم رأسه نفيماً:

- لأ.. أكيد لأ.. كنت هكون كداب ومنافق.. أنا مش قادر

أسامحها.. بعدت سنين عنها وعن حياتها.. تعايشت مع نفسي

ومع حقيقتي.. لكن ما عرفتش أسامحها..

عاد ياسين يسأله:

-كنت تتمنى أنكوا تنهوا الخلاف قبل موتها؟..

ألقى معتصم برأسه على ركبته المنثنية أمامه ومد الأخرى
ليهمس بصوت مندهش:

-مش عارف.. يمكن وقتها كنت هقدر أزعل عليها.. أعيش فترة
حداد على موتها.. يمكن كنت هقدر أكون إنسان طبيعي..

تأمل ياسين كلماته بصمت.. وشرد للحظات يتفكر بها..

ولكنه استجمع أفكاره ليردد:

-صدقني يا معتصم.. كل اللي بتمر به ده طبيعي جداً..

يمكن لما الزمن يمر تقدر تغفرو وتسامح.. وقتها هيحي أوان
الزعل..

غمغم معتصم بتساؤل:

- ولو أنا مش هسامح؟.. لو مش هقدر أغفر؟..

جاوبه ياسين:

- أنت إنسان مش ملاك..

التفت له معتصم بعجز ليكمل ياسين:

-حاول تطلب لها الرحمة.. وسيب جروحك للزمن.. إما

يداويها.. أو..

ردد معتصم:

- أو إيه؟..

أخبره ياسين:

- النسيان.. هتنسى.. أو هتدعي النسيان.. مش فارقة.. أهم

حاجة.. أنك ما تسمحش لجروح الماضي أنها تلوث المستقبل..

اقطع أي حبال تربطك بحياة أنت بترفضها..

غمغم معتصم بسخرية:

- وده اعمله إزاي!!

أشارله ياسين لينظر حوله:

-أنت عملته فعلاً.. بص حواليك.. في حاجة في الحياة اللي بتعيشها دلوقتِ رافضها؟.. أنت مجبر على أي حاجة؟..

صمت معتصم للحظات.. يتأمل الورشة..

هنا ولد بالفعل.. يوم أنهى كل علاقاته بوالد مزعوم..

بأم حملته بين أحشائها كوظيفة بيولوجية فقط..

هنا ولد رجل آخر.. رجل وثق به ياسين..

بل وثقت به عائلة ياسين ليدير أعمالهم..

هنا قرر أن يكون معتصم.. الرجل الناجح.. بنفسه وليس

بنسبه.. بعرقه وليس بأموال ورثها باسم القانون وهو يعلم

أنه لم يستحقها ولن يستحقها يوماً..

وهنا...

سيكمل طريقه.. وربما يتكفل الزمن بمداوة الجروح..

أو تناسمها كما أخبره ياسين..

رفع نظراته لياسين ليجده يمد كفه له:

-يلا نخلص مهد ل أمل..

ناوله معتصم يده وهو يردد خلفه:

-مهد الأمل...

ورغم كلماته الفرحة إلا أن دموع خائنة قررت الاستمرار

بالهطول..

وهو لا يعرف لمّ.. ولكنه تركها تتساقط..

ربما تكون بداية الشفاء

أمسكت بلمس ورقة الامتحان وهي تراجع إجاباتها مع هدى..
ومع كل توافق في الإجابات بينهما كانت هدى تصيح بحماس..
بينما تزجرها بلمس بقوة:

- يا بنتي مش كده.. هتفرجي الناس علينا..

لتغمز هدى بشقاوة:

- الناس بتتفرج أصلاً يا بنتي.. ومش النهارده بس.. كل يوم
امتحان وحياتك..

قالت كلمتها وهي تشير بعينها ليوסף الذي وقف بمكان

قريب منهما مع عدد من أصدقائه من طلبة دفعتهما..

ولكن عيناه لم تنزل من عليها هي.. لتلتقي نظراتهما فيحييها

بهزة رأس تكاد تكون ملحوظة ولكنها دفعت باللون الوردى

لوجنتهما..

وكادت أن تنطلق هاربة من المكان بأكمله..

ولكنه أسرع بخطواته بعدما استأذن من رفاقه ليلحق بها
بسرعة..

أسرعت بخطواتها ولكنه جاورها بسرعة ليستوقفها:

-دكتورة بلسم؟..

التفتت نحوه بعنف هاتفة:

- افندم؟..

ابتسم بمودة:

- ليه الزعل بس!.. أنا عايز أظمن على الإمتحان.

أجابت بعجلة وهي تستعد للمغادرة:

- كويس الحمد لله..

عاد يستوقفها ثانية:

-دكتورة بلسم.. لو تسمحي لي..

قطبت حاجبها بتساؤل:

-أسمح بإيه؟..

اقترب خطوة وهو يخبرها بصوت انخفضت وتيرته قليلاً:

- تسمحي لي أكلّم الأستاذ ياسين؟..

سألته بتحدي وبداخلها تعلم الاجابة:

- عشان؟..

رفع حاجبيه قليلاً متعجباً من أسلوبها المتحدي ولكنه

أخبرها بهدوء وثقة:

- عشان أقوله أني معجب بأخته من فترة طويلة.. وكنت

منتظر أنها تتخرج عشان اتقدم رسمي.. بس كانت هتضيع

من إيدي.. عشان أتقدم أطلب إيدك لأنني مش هخاطر واستني

تاني..

رفعت حاجبها بذهول وهي تستمع لكلماته وانطلقت لتعدو
هاربة من أمامه..

ولكنه لم يمنحها فرصة الهرب فعاد يواجهها متسائلاً:

-من فضلك ما تهريش..

أغضبها ذكره للهرب.. والذكرى القريبة لهروب خاطب سعاد
المزعوم تسبب لها حزن وغضب لا حد له..

فقررت إنهاء الأمر مع يوسف قبل أن يتسرع ويذهب لياسين..
ويتكرر مشهد الهروب ولكنها تلك المرة ستكون بطلة المشهد
بدلاً من سعاد..

رفعت عينيها تواجهه متسائلة:

- يا ترى تعرف كل المعلومات عني؟

أجابها بحيرة:

- أعرف اللي يهمني..

سألته بتحدي:

-تعرف أني مطلقة؟..

قطب حاجبيه قليلاً وقد بدأ يستوعب أسلوبها المتحدي
والغاضب والذي يبعد كل البعد عن الفتاة الناعمة التي
جذبتة ووقع بحبها بصمت.. ولكن تلك المتحدية أمامه ورغم
اختلافها عن طبعها الهادئ الرقيق إلا أنها أثارت إعجابه
أيضاً..

ببساطة هو يعشقها بجميع أحوالها..

جاءت إجابته هادئة:

- أيوه عارف..

حاولت مقاطعته بعدما فاجئها بإجابته ولكنه أكمل:

-عارف الي هتقوليه.. وعارف أنه طلاق بدون زواج فعلي..
وحتى لو كان العكس.. ده مش هيغير رأيي.. الحالة الإجتماعية
دي مجرد خانة في البطاقة.. خانة ما تهمنيش في أي حاجة..

توسعت عينها بذهول وهي تستمع لكلماته.. ربما لا يهتم
بكونها مطلقة لأنه كان زواجاً وارتباطاً شرعياً..

ولكن بمجتمعنا الآن من يغفر لامرأة كونها مطلقة..

وبعد زواج لم يكمل أسبوعاً.. ومن ابن عمته أيضاً!!..

وقبل أن تتفوه بكلمة فاجئها بباقي حديثه:

-أنا عارف كل حاجة عن كتب الكتاب والطلاق السريع..

وصدقيني مش في بالي أصلاً.. أنا..

صمت للحظة وأكمل:

-أنا معجب بيك من فترة طويلة.. يمكن من بداية دخولك

لللكية.. ومتأكد أنني حبيت جوهرة..

غرقت بلسم ببحر من الإرتباك أمام كلماته الصريحة ولم
تستطع البوح بكلمة..

ولكنه أكمل وكأنه ينتظر فرصة مصارحتها منذ زمن:
-أنا آسف.. عارف أن كلامي جرى.. بس محتاج أقوله..
وخصوصاً بعد كلامك الأخير..

صمت للحظة وعاد يسألها وهو يلاحظ تحول وجهها كله للون
أحمر جذاب:

-هتسمحي لي أكلم أستاذ ياسين؟..

رفعت بلسم عينين حائرتين له.. لا تعلم هل تترك نفسها
لتصدق كلماته المحبة وتأكيداته الكثيرة..

أم تلملم شتاتها وتبتعد بصمت وتهجر كل ما يخص أمور
الحب والغرام!..

هزت رأسها بحيرة وابتعدت عنه بصمت..

غير قادرة على اتخاذ قرار حاسم بالرفض.. وعاجزة عن التفوه
بلفظة قبول..

انتهى الفصل

الفصل الثلاثون

بخلاف منطق الأشياء يولد الحزن كبيراً هائلاً.. ويتضاءل
بالزمن ليتخذ موضع الذكرى البعيدة بالقلب.. تداعب
الخيال بلحظات الوحدة.. وتهاجم الأفكار في أوقات الاحتياج..
ولكن.. هل تتماشى تلك الحقيقة مع حزن أم فُجِعت في
طفلتها!..

على لوعة قلبها وهي تلمح طيفها بكل ركن وكل زاوية!!..
وهل تخفف دمعة محبوسة تمنعها ببسالة كلما ضمت أحد
أخويها وبلا وعي تنتظر ضمة منها هي الأخرى..
رائحتها الطفولية المحببة مازالت عالقة بأنفاسها، تتشممها
بأخويها بكل مرة يسكننا أحضانها، ملامحها موزعة بين عمرو
وياسمين بالتساوي، فعمرو يملك العينين والابتسامة
وياسمين النظرة والشفيتين..

وهي تملك الذكرى وحرقة القلب وحزن لا يتضاءل ولا يخف
مثقال ذرة..

كاذب منافق من قال أن الحزن يتناقص بالأيام، بل هو يزداد
رسوخاً ووجعاً فيصبح ندبة بعمق الروح، وملح من ملامح
الوجه، يمتزج بالدماء ويختلط بالأنفاس..

هي أم فقدت طفلتها وكفى..

ولأنها أم.. ولأنها قررت تحمل نصيبها من ذنب فقدان طفلتها..
ولأنها قررت مواجهة الواقع أخيراً.. فها هي تُنهي تجميع
متعلقات الصغيرة.. ترتبها بصناديق.. تعطرها.. تغلقها..

وتتحرك بألية لتكرر المثل مع متعلقات زوجها.. تغلق صناديق
متعلقاته وتغلق معها قلبها على ذكرى حب منحها أعلى ما
بالحياة وسلها الحياة نفسها..

أنهت أعمالها والتفتت لتجد أشقائها الثلاثة يحركون
الصناديق.. ويرفعونها ليذهبوا بها إلى تلك الجمعية الخيرية
التي أشارت بها ربهام..

بسمة ضعيفة ارتسمت على شفتيها وهي تلمح صغيرها عمرو
ذو العشر سنوات يساعد صديقه وخاله ياسر ليحركاً معاً
صندوقاً ثقيلاً ليبادلها عمرو ابتسامة أكثر دفئاً..

كأنه يُثني على قرارها بمنح أغراض والده وشقيقته الراحلين
للجمعية الخيرية..

فجميعهم بحاجة لبداية جديدة.. بداية خالية من أوجاع
الماضي.. وآلام فقدان..

ربتت على خصلات ابنها بحنان.. لن تخبره الآن بأن أباه
وشقيقته لن يدرجا في قاموسها تحت بند الذكرى أبداً..

هما وجع حي لا يخفت ولا يهدم.. هي فقط قررت أن تتناسى..
أو تتظاهر بالتناسي.. فالنسيان غاية لا تدرك..

اقترب منها ياسين بعدما انتهى من نقل الأغراض ليمنح جبهتها
قبلة دافئة:

-ربنا يجعله في ميزان حسناتهم..

أومأت موافقة:

- اللهم آمين..

خيم الصمت عليهما للحظات قبل أن يصل ماجد ويسألها
بعملية:

-مستعدة لامتحان السواقة بكره يا رقية؟

رمقته رقية بنظرة لائمة وفركت كفها معاً والتفتت لياسين
تتوسله:

- ياسين.. ممكن تكلم الرائد هاشم يوصي عليا؟..

والتفتت لماجد الذي يتابع خوفها بتسلية وهي تردف بغیظ:

-الدكتور مش راضي يطلب خدمة من نسيبه..

أجابها ماجد بمشاكسة جديدة عليه:

- يا روكا يا حبيبتي.. دي أعمارناس.. ما ينفعش توصية في

رخصة السواقة!

لتضرب رقية قدمها بالأرض بحنق:

-والله أنت الأستاذ بتاعي والمفروض يهيك نجاحي..

راقب ياسين مشاكسة إخوته معاً.. إحساس افتقده من

سنوات.. بل افتقدوه جميعاً.. وبالكاد يحاولون استرجاعه..

ربما السجن لم يسلب سنواته فقط، فبداخله شك يكاد يصل

ليقين أن تلك الابتسامات والمشاكسات الأخوية قد اختفت

بغيابه..

الرابط العفوي والحميمي بينهم تلاشى، فرقية التهم بزواج

وعائلة.. وماجد غرق بعمل وإثبات ذات..

وكزة من رقية جعلته يلتفت نحوها منتبهاً.. لتكرر توسلها:

-هتكلم هاشم؟..

ابتسم ياسين وهو يشاكرها بدوره:

-زي ما الدوك. قال.. دي أعمار ناس.. ومش عايزين نزود

القتلى والجرحى اليومين دول.. الدكتور مش فاضي لنا..

وأتبع كلماته بغمزة عابثة.. فانفجرت رقية بحنق:

-يعني إيه!.. ما حدش فيكم هيساعدني!!.. أنا مرعوبة قوي..

طول عمري بكره الإمتحانات..

انفجر ماجد ضاحكاً فزاد من حنقها وهي توكزه بإصبعها في

صدره:

-بتضحك عليّ يا ماجد!!.. فالح بس تقولي تعالي أنا هعلمك

كويس قوي.. وأنا فرحت ووافقت من عبطي..

قاطعها ياسين مستفهماً:

- من عبطك ليه بس يا رقية؟..

لترمق ماجد بنظرة نارية وتزيج كفه الذي يحاول تغطية
شفتيها وتهتف بغیظ:

- ما هو كل درس بيكون ريهام وراها مشوار.. أو شريف

عنده درس فبنعدي نوصلهم..

والتفتت بكليتها لماجد وهي تتخصر:

-شوف الصُدف يا مؤمن!!

ابتسم ماجد بإحراج ورفع كفيه باستسلام:

-صُدف زي ما قلت..

تحول بريق عينيها المغتاظ.. لشعاع دافئ وهي تلمح إحراج
شقيقها وارتيبأكه.. فرحة خجلة تتغلغل ببطء بداخلها وهي
تعيد اكتشاف ماجد..

فالأخ المكتفي بنفسه دائماً يحاول جاهداً اختراق قوقعته
مطالباً بحياة..

تدرك أنه استغل تدريبها على قيادة السيارة ليتقرب من
رهبان التي لم تكن لتوافق على مصاحبته وحدها،

فكان تدريب رقية هو ذريعته ووسيلته ليزداد اقتراباً
وتفاهماً خاصة وقد منحته موافقتها المبدئية على الارتباط..

أما ياسين فكان بالفعل سعيداً برقية.. ومحاولتها الانغماس
بحياة الجميع مؤخراً.. خروجها من شرنقة حزن أحاطت بها
نفسها لفترة طويلة، حتى ولو كان خروجاً ظاهرياً..

هي خطوة تحسب لها.. وكانت بدايتها لحظة قررت أن تقتني
سيارة.. مخبرة شقيقها بحزم.. أنها ستتولى أمور طفلها
بنفسها.. ولن تستمر بالاعتماد على أي منهما..

وأولى خطواتها للتححرر كان تعلم القيادة..

وثانيها التبرع بأغراض زوجها وطفلها..

يعلم أن شقيقته ستستمر في إبهاره.. فهي حددت هدفها

وتملك الدافع لتتقدم وتحققه..

للنجاح مذاق مختلف وخاصة لو امتزج النجاح الشخصي

بانتصار على المستوى العام..

ومشيرة جمعت الطرفين.. فازدهر اسمها كصحفية شابة

لامعة وحملتها ضد الدعارة الإلكترونية بدأت تلقى صدى

واسع وبدايات نجاح وها هي تقفز بسعادة أمام هاشم

الجالس خلف مكتبه يتأملها بفخر وهي تسأله بلهفة:

-هااه.. إيه رأيك؟..

تناول هاتفه ليعيد قراءة الخبر الذي تشير إليه مشيرة مرة

أخرى..

4 عقوبات للاعتداء على حرمة الحياة بمشروع قانون جرائم الإنترنت.. الحبس بما لا يقل عن سنة وغرامة لا تتجاوز الـ100 ألف جنيه لمن يحرض على ارتكاب الدعارة باستخدام الشبكة المعلوماتية أبرزها

ورغم حالة التفاؤل والسعادة التي تغمرها إلا نظراته المترددة
أزعجتها بقوة فعادت سؤاله:

-ساكت ليه يا هاشم!..

رفع نظراته لها يخبرها بتقرير:

-أنتِ مستوعبة أن دي مجرد مشاريع قوانين.. لسه

هتتناقش في البرلمان؟

أومات موافقة فالخبر بالفعل ينص على مناقشة البرلمان

لبضعة قوانين للحد من الدعارة الإليكترونية..

-أيوه فاهمة طبعاً يا هاشم.. بس أنت متخيل.. احنا بدأنا

الحملة والجريمة دي كانت رغم انتشارها إلا أنها تابوه مغلق

ماحدث بيقرّب منه.. دلوقت أجراس الإنذار دقت وبقوة..
وهتكون في خطوات وقوانين بتتناقش..

مط شفتيه وهو يرمق الخبر ثانية، يوازن بين فداحة الجرم
وبساطة العقوبة.. وأدركت مشيرة على الفور اتجاه تفكيره
فهتفت:

-يا هاشم دي خطوة.. حتى ولو زحف.. بس أهي خطوة..

ولسه الحملة في بداياتها.. المهم إن في حد انتبه..

وافقها بهزة رأس، فهي محقة.. لقد جذبت الانتباه لقضية
شائكة بالفعل.. وحققت نجاحاً ملموساً.. حتى لو انتابته
الشكوك حول تلك القوانين ومدى فاعليتها إلا أن مجهودها
أثمر بالفعل وهي تستحق التهنئة..

نهض من خلف مكتبه ليمسك بكفيها يقبل كلا منهما على

حدا ويخبرها بهمس:

- مبروك.. أنتِ معاكِ حق.. خطوة حلوة.. وتستحق تهنئة
وكمان مكافأة..

ضحكت براحة وقد هدأ توترها قليلاً فسألها:

-نتغدى سوا؟

هزت رأسها وهي تطلب منه بدلال:

-إيه رأيك نخليها عشا.. بس قبلها تيجي لي القناة النهارده
تحضر الحلقة.. المخرج عامل حفلة صغيرة احتفالاً بالنجاح..

رفع حاجبيه باستفهام غاضب:

-المخرج!

ابتسمت بدلال:

- غيرة دي؟

شبك أناملهما معاً وهو يخبرها بوضوح:

- حقي.

سحبت أناملها برقة وهو توافقه:

- ححك أكيد..

وتحركت لتتوجه للباب وهي تودعه:

-هستناك الليلة في القناة.. وبعدها العشا.. بس هيكون

عندنا في البيت..

رمقها باستفهام.. فمئحته ابتسامة خجولة:

- مش كنت ناوي تكلم بابا!

قطع المسافة بينهما بلحظات متسائلاً:

-هنحدد كتب الكتاب؟..

هزت كتفها بدلال وهي تهمس:

- بابا بيقول الكتاب مع الفرغ..

أطلق ضحكة عالية هاتفاً:

-يا فرج الله.. حبيبي عمي ده والله..

ضحكت برقة وهي تودعه وتؤكد على حضوره حلقة برنامجها
الليلة.. وهو ما وعداها به..

ونفذ وعده بالفعل.. فجلس بإحدى الغرف يراقب إذاعة
البرنامج على الهواء.. أعجبه أسلوب العمل والتحضيرات قبل
الانتقال على الهواء.. شعر بفخر وسعادة وهو يراقب مشيرة
تدير الحلقة ببراعة وكأنها وُلدت لتقوم بذلك العمل..
حتى بدأت بتلقي المكالمات الهاتفية كما اعتادت بكل حلقة..
وحينها بدأ يشعر بالتوتر من حوله.. لم يدرِ ما السبب ولكنه
بدأ يشعر بالقلق وخاصة بعدما لاحظ عدة تحركات متوترة
من أحد مُعدي البرنامج.. ثم اختفى الرجل بعدها تماماً فعاد
هاشم بانتباهه لمشييرة ووجدها تتلقى مكالمة أخرى..

ولكن كان محتواها مختلف تماماً.. فلحظات مرت بدأ بعدها
 المتكلم يدافع عن متحرشي شبكات التواصل الاجتماعي..
 مدعياً أنهم لا يؤذون أحداً بل هم يساهمون في حل مشكلة
 العنوسة لدى الفتيات والكبت عند الشباب..

راقب هاشم انفعالات مشيرة التي بدا غضبها متفجر قبل أن
 ترمق المخرج بنظرة خاطفة وتنتهي المكالمة التليفونية ومعها
 الحلقة بأكملها قبل أن يمر حتى منتصفها..

واضطر لحظتها المخرج أن يوافقها وينهي البرنامج بينما هبت
 هي غاضبة:

-أظن أننا اتناقشنا في موضوع المكالمات المتفبركة دي يا
 أستاذ منير.. دي مش سكتي ولا طريقتي..

قاطعها الرجل بتزلف:

-اهدي بس يا أستاذة مشيرة.. هو يصح تقفلي الحلقة كده..
 كام مكاملة والنقاش هيسخن.. والإعلانات هتزيد.. والفلوس
 والشهرة..

وقبل أن يكمل قائمة الملامة قاطعته لتخبره بوضوح:

-الابتدال اللي هيجيب إعلانات أكثر مش هشتغله.. أنا هدي
 واضح من البرنامج.. مش عايزة دعايا وهاشتاجات وتريند على
 تويتر وخلافه..

قاطعها الرجل بسماجة:

-ده سيستم شغل

لتلقي له بسماعة الأذن وهي تخبره بحزم:

-ما يناسبنيش.. أنا هرجع الجرنان تاني.. سلام..

وما أن خطت بضع خطوات حتى التقت بهاشم الذي

استوعب غضبها بلحظة واحدة من ملامحها المتجهمة..
 فاصطحبها على الفور إلى سيارته وانطلق من فوره تاركاً ل
 ها مساحة مناسبة لتهدأ.. أو تنفث عن غضبها..

لحظات ووجدتها تهتف بحنق:

- ما فيش حاجة هتتعديل.. ما فيش أمل..

التفت لها يمسك كفها المتوتر:

-اهدي بس.. وفهميني..

زفرت بغيظ:

-إمبارح المخرج حاول يقنعني بموضوع المكالمات المتفبركة..

وأنا نحول المناقشة ناحية مجرمين الفيس وخلافه شوية..

قال نستوعبهم ونوسع الأفق شوية.. قال كده بيحلوا مشكلة

الكبت!..

جذبت خصلاتها بغيظ وهي تصرخ:

-تخيل السفالة!.. طبعاً رفضت.. والنهارده فاجأني بالمكالمة

على الهوا.. فاهم أنه بيحطني قدام أمر واقع..

قطع كلماتها جرس هاتفها.. فالتقطته بآلية لتجده أحد مدراء

القناة الفضائية.. يطلب عودتها ثانية.. مع توفير كافة

الضمانات لعدم تكرار ما حدث..

أغلقت الهاتف وهي في حيرة.. هل تكمل طريقها أم تكتفي

بما حققته وتعود لجريدها ثانية كما انتوت..

ضغط هاشم على كفها بيده ثم رفعه ليقبله بهدوء:

- مشيرة مش هتراجع عن هدفها.. دي مشيرة اللي اعرفها..

ولا إيه؟

أرفق سؤاله برفع حاجبه مستفهماً.. فابتسمت براحة وهي

تعاود الاتصال بالرجل تخبره بموافقته على العودة.. بشرط

منحها شهر إجازة.. فهي على وشك الزواج.. وقريباً..

لن تجد أكبر من فرحة رجل بتحقيق حلمه بنهاية مشوار
طويل من الكفاح.. ربما ليست نهاية..

فعندما يترافق العزم مع الاحترام والمودة.. ويكللهم الحب
بإكليل ورباط شرعي.. فتلك تعد بداية بحق..

وتلك البداية تخص جاد.. فهو خطط ونفذ.. وأخيراً نال
محبوبته؛ آية..

بعدها وافق والدها على عقد القران وسيكون الزفاف بعد
انتهاء الاثنين من دراستهما..

والليلة حفل عقد القران.. داخل سرادق كبير في الحارة
القديمة.. وجاد لم يكف عن الرقص لحظة.. وآية تكاد تطير
من فرحتها حتى أنها تطلق الزغرودة تلو الأخرى..

لا يهمها كونها هي العروس..

وعائلة ياسين بأكملها دُعيت للحفل.. وأصر ياسين على ذهابهم
بشدة..

بل وأكد على ماجد بالذات.. ولم يفهم ماجد بالبداية ولكن
بعد حوار هامس مع ياسين.. قرر الذهاب ومعه ربهام وابنها
بالطبع..

فأخيه سيفر بزوجته لمنزلهما أخيراً..

حضرت العائلة بأكملها، فقط تخلفت آمنة لتجالس الحاج
حافظ.. ورافقتها رقية التي لم تجد بنفسها القدرة على
الذهاب.. لزفاف..

وقفت بلسم وسعاد بأحد الأركان الهادئة يرقبان فرحة
العروسين.. وبلسم يدوي بعقلها كلمات يوسف..

"أنا معجب ببيك من فترة طويلة.. يمكن من بداية دخولك
للكلية.. ومتأكد أني حبيت جوهرة.."

يومها هربت من أمامه غير قادرة على منحه إجابة حاسمة

وهو لم يخذل توقعها، فتقدم خاطباً لها من أخويها..

طلب أنيق راقى حملة لها ياسين، فهو أصبح المسئول الأول

عن العائلة باتفاق غير معلن بينه وبين والدهم..

وبالطبع الاتفاق عن طريق أمنة..

فرحة بلسم بعرض الزواج صاحبها قلق خفي.. هو أثبت

جديته بالأفعال وليست مجرد كلمات، ولكنها هي..

هي مَنْ تحتاج لفترة ترمم بها ذاتها.. وتصلح كسر غير مرئي

بكبريائها قبل أن يكون بقلبيها.. وفوق ذلك كله.. لن يمكنها

تذوق الفرحة ومرارة الخذلان ما زالت تعشش بقلب توأمتها..

وكان الرفض هو الرأي النهائي..

رفض تقبله شقيقها ومنعا والدتها من الضغط عليها..

ولكن العاشق المتيم رفض رفضها.. بل وأعلن تمسكه بها
وأخبر شقيقها أنه سينتظر موافقتها ما أن تملك القدرة على
منحها..

وها هي شهور مضت وعادت هي للدراسة ثانية.. وهو لم
يتوقف عن رعايتها والاهتمام بها.. ولم يتوقف عن مراقبتها..
ولا تعرف إن كانت ستمنحه الموافقة التي ينشدها يوماً..
أم سيطول انتظاره للأبد..

بينما كانت سعاد تراقب فرحة العروسين.. فرحة صادقة
بريئة وعفوية.. يبدو أنهما استحقاها عن حق..
ولم تستطع منع نفسها من التساؤل إن كانت ستنال فرحة
مثل تلك بيوم ما.. والأصعب سؤال يوخزها بألم
إن كانت تستحق تلك الفرحة!

نقلت نظراتها تتابع عمرو وياسمين طفلي رقية وهما يلعبان

مع شريف..

شقاوة أطفال مبهجة جعلتها تتهدد بحنين..

كم هي بريئة وخالية من الهموم أيام الطفولة..

بسمة خفيفة ارتسمت على شفيتها وهي تلاحظ اهتمام شريف

بياسمين..

فرغم وجود شقيقها حولها إلا أن شريف يمنح الصغيرة

اهتمام خاص..

راقبته وهو ينهرها بشدة بعدما رآها تتبادل بضعة كلمات مع

طفل آخر بدا أكبر سناً ولكن شريف لم يتراجع ووضع نفسه

حاجزاً بين ياسمين وبين الطفل الآخر..

أشارت سعاد لبلمس لتراقب معها الموقف فتبادلتا الابتسام

واستغرقتا في الثرثرة معاً ولم تنتهيا لعينين داكنتين تراقبان

سعاد منذ بداية السهرة باهتمام دافئ..

وجهها الصغير وقد ازدهر بحجابها الأنيق لتشع ملامحها ببراءة
طفولية مستحبة مع لمعة شقية بعينها بدأت تعيدها لذاتها
القديمة..

خاصة وهي تراقب نمو قصة جديدة بين شريف وياسمين..
ملامحها هادئة قريبة للنفس وخجلها واضح بكل سكناتها
وكلماتها..

عاد بذاكرته ليوم أمس وهو يضع اللمسات الأخيرة لغرفة
أمل ابنة ياسين المنتظرة..

يركب قطع المهد، ويعيد على ضبط الخزانة..

كان يرافقه جاد وبالطبع ياسين..

ورغماً عنه انجذبت عيناه لرقعة شقيقة ياسين بحجابها الناعم
وملامحها الخجول وهي تساعد شقيقتها الكبرى بترتيب

الشقة وتجهيزها لتكون صالحة للسكن بعد ابتعاد فجر

وياسين عنها لفترة والإقامة ببيت العائلة..

تعجب معتصم كثيراً من اهتمامه بالفتاة.. فهو ألغى من

حياته فكرة الارتباط والتفكير بالنساء إجمالاً

وبرغم سخريته السابقة من جاد ومن كفاحه ليرتبط بمن

أرادها قلبه، إلا أنه يراقب فرحته الليلة ونظراته التي تحيط

بمراعاة ودفء بزوجته المستقبلية التي تبادله نظرات فخر

وتقدير ليجد بداخله حنين لمشاعر دافئة تمنحها له أسرة

حُرِمَ منها طويلاً.. فسنواته الأخيرة قضاها تقريباً متجولاً

في الشوارع وبين مهن مختلفة ومرهقة جسدياً ونفسياً

لشباب كان يمتلك الدنيا بين أنامله، ومن قبلها كانت حياته

الأسرية تتلخص في المربيات والخادومات.. وفقط..

ربما هو بحاجة لتلك المشاعر الدافئة بالفعل..

ومن أفضل من ياسين وأسرته لينضم لهم..

ويكون فرداً بتلك العائلة التي يغبط أفرادها على ترابطهم..

ومن وقفته البعيدة والمراقبة لسعاد لاحظ اقتراب أحد شباب

الحارة من الفتاتين.. وبدا واضحاً رغبتة بالتقرب من السعاد

بالذات..

فسارع بالتوجه نحوهما وخاطب سعاد التي تعرفت عليه فور

اقترابه ولكنها أخذت خطوة فورية وعفوية للخلف لتضع

تلقائياً مسافة معقولة..

أجلى صوته وهو يلقي التحية:

- مساء الخير..

أجابته بلسم:

- مساء النور..

بينما تلقى هزة رأس صامتة من سعاد.. فصمت للحظة
وأخبرهما بهدوء:

-ممكن ترجعوا للكراسي بتاعتكوا.. بلاش تقفوا لوحدكوا..

رمقته بلسم بتعجب للحظة بينما جاءه جواب سعاد بدفاع:

- لازم ناخد بالننا من الولاد..

وأشارت بيدها خلفه.. فالتفت ليلمح الأطفال الثلاثة

مندمجون باللعب مع باقي الأطفال..

فعاد يلتفت لسعاد:

-طيب.. أنا هراقهم وأنتوا ارجعوا اقعدوا..

وقبل أن تعترض أي منهما.. كرر طلبه بأدب:

-من فضلكوا..

تحركت الفتاتان بصمت تشيعهما نظرات معتصم التي
انصبت على سعاد بالذات وعقله يراوده على اتخاذ قرار ما.

عودة إلى العُش.. السكن.. الوطن الذي رسى به قارب حياته
بعد صراع مضني مع خيبات الحياة.. إلى المنزل الذي عرف به
طعم الراحة.. السكينة.. النوم..

وهي.. رمز لكل ما سبق.. هي زوجته.. سكنه.. ورحمته.. فجره
وموطن أمله..

رافق خطواتها بحرص وهي تخطو لداخل المنزل بعدما عصب
عينها بوشاح ناعم.. كفه تسند خصرها والاخرى تتمسك
بيدها بينما هي تهتف بلهفة:

-أشيل الطرحة من على عينيا؟.. عايزة أشوف المفاجأة يا

سي ياسين..

ظل يسندها بكفه ويوجه خطواتها بحرص بينما يهمس

بدفاء:

-ثواني.. وتعرفي.. أنتِ مش عايزة تعملي زي بتوع الأفلام!

ضحكة عفوية انطلقت منها وذكرى ذلك اليوم تعود لها

عندما قطعت عليه قبلته.. وسألته بدلال:

- يااه.. أنت لسه فاكر!!

أجابها بمشاكسة وقد عاودته الذكرى هو الآخر:

-هي دي حاجة تتنسى.. يا فصيلة..

ارتفع صوت ضحكتهما وهي تشعر به يقربها من جسده..

وأنامله تمتد لتزيح الوشاح برقة لتفاجئ بغرفة أطفال كاملة؛

من المهد الوردي الصغير.. والخزانة الملائمة والفرش

الطفولي المميز بشخصيات الرسوم المتحركة والأميرات
 "معشوقات الفتيات" .. والألعاب المتناثرة بترتيب رائع ..
 لم تشعر فجر بقدميها وهما تتحركان تلقائياً نحو المهد
 تتلمسه بحنان ...

تمر بأناملها على دقة نقوشه .. نعومة فرشته ..

ودموع فرحة تقتحم عينها بقوة، فترفعهما لياسين وهي عاجزة
 عن التفوه بحرف ..

فرحتها تحيط بها بقوة حتى أنها لم تعد تشعر بنفسها وهي
 تلقي بجسدها بين ذراعيه، تضمه بقوة وكأنها تحمي فرحتها
 به .. فمعه البداية وعنده السند ..

لم تشعر بلسانها وهو يردد بلا توقف دعوات تحفظه لها
 وتقيه شرور الزمان ..

كانت تضمه وتبكي بلا توقف وابتسامتها تزين شفيتها بسعادة
خشيت معها على فرحتها الوليدة..

سعادتها وصلته كاملة برغم دموعها فلمها بين ذراعيه يزيج
حجابها برقة ويداعب خصلاتها البنية بين أنامله..

يمسح دموعها بحنان وهو يهمس لها لتطمئن..

لتهدأ مخاوفها.. وتسكن أخيراً على صدره بصمت وكأن

أنفاسه فقط تمنحها الأمان..

رفعها بين ذراعيه، فاعترضت بحجة ثقل وزنها مع تقدم
الحمل.. ولكنه لم يتوقف إلا وهو يضعها على فراشهما
ويجاورها يضمها لصدره ثانية..

يخبرها عن الجهد الذي بذلته سعاد ورقية لتهيئة الشقة
لعودتهما..

يداعبها عن العشاء الشهي الذي أعدته آمنة وسربرته سعاد
للمطبخ بمهارة..

يربت على بطنها بحنان فتكافئه ابنته بركلة خفيفة وكأنها
تعلن عن وجودها بتلك الجلسة الحميمة..

وأخيراً رفع ذقنها ببطء ليسألها:

- بتعيطِ ليه يا فجر؟..

زادت من التصاقها به وهي تخبره بهمس:

- خايفة..

زفر بحرارة وهو يعاود السؤال:

- برضوه خايفة من الفرحة!

رفعت عينها.. كانت قلقة بالفعل.. بقدر فرحتها بقدر خوفها
وخشيتها:

-خايفة من قطع الرحم.. خايفة الحاج حافظ ما يكنش

راضي..

انتفض ياسين من جانها بعنف:

- فجر!!..

تحركت بثاقل نحوه لتتمسك بذراعه وتتوسله:

-عشان خاطر ي يا سي ياسين.. عشان خاطر أمل..

أمسكت بكفه لتضعها فوق بطنها.. تقربه من طفلته وتعيد

توسلها:

- أنت عرفت معنى تكون أب.. هتتحمل بنتك تقاطعك كده؟..

هتف بوجع:

- أنا ما قاطعتوش.. ما غلطتش في حقه..

أجابته بسرعة:

- ربنا وصى المولود.. ما وصاش الوالد..

عاد يتأملها.. نظراته تنتقل بينها وبين ابنته بأحشائها..

والحيرة تمزقه..

وقسوة والده وجفائه تزيد من الوجع بنظراته..

وأخيراً قربها منه وهو يرتكز بجبينه فوق جبينها يضمها وكأنها

مستقر أمانه..

-حاول يا فجر.. بس ما تضغطيش عليّ.. سيبيها تيجي

بظروفها..

أحاطته بذراعها بدورها مكتفية بذلك الوعد..

تعلم أنه سيفي به.. ذلك ما تعودته منه..

قلها يتألم لوجعه لاحساسه بالظلم والتجني من والده..

ولكنها تحميه.. تحمي أولادهما ومستقبلهم جميعاً..

تبغي رضا الخالق.. فوجع لحظي أخف بمراحل من غضب
الرب وقطيعة أب..

شعرت به يرفعها ثانية بين ذراعيه.. يستقر بها فوق الفراش..

يمنح جبينها قبلة امتنان.. وعينها قبلة عشق وشغف..

ويلقي برأسه فوق حجرها..

-ارغي يا فجر.. عايز ارتاح..

الخسارة إحساس موجع.. وجعها يشتد وفداحتها تزيد

عندما تتملك كل شيء بين أناملك.. وفجأة تسلب ذلك الكل..

وتزداد المرارة خاصة مع رجل يعتمد بحياته كلها مبدأ الريح..

والريح فقط..

وبكل أنواعه..

وهو ربح المال.. ومفاتيح الخزائن.. والمتجر.. وفوقهم نال ابنة

الخال الجميلة.. الصيدلانية المثقفة..

وفجأة تسرب ما ربحه من بين أنامله..

فمفاتيح الخزائن عادت لخريج السجون.. ويدير المتاجر

متشرد آخر لا يعلم من أين أتى..

وابنة الخال الجميلة استبدلها بأرملة تخطت الخمسين..

ولكنها تمتلك ما يعوض سنوات عمرها الثقيلة ووزنها الأثقل..

تزوج فاروق بأرملة أحد التجار بعدما أجاد نصب شراكه

حولها فسقطت السيدة بسهولة لم يصدقها..

وسارع بعقد قرانه عليها، ليصدم بعدها بمدى ذكاء زوجته..

فهي اشترت شبابه وقوته وعنفوانه بأزهد الأثمان..

وبعدما كان صاحب المكان يأمر فيطاع تحول لعامل أجير

عند زوجته.. وفي أفضل الأحوال

"جوز الست" ..

اشتعلت نظراته حقداً وغضباً وهو يكمن بزاوية الدرج..

ينتظرها لتخرج بموعدها المعتاد في الرابعة لتذهب لبيت

تلك المرأة التي ارتبط بها شقيقها الطبيب..

جميعهم تحسنت أحوالهم..

وهو.. هو ينحدر من سيء للأبشع..

فلم يعد يتحمل حتى أنفاس تلك الزوجة السمينة التي تطبق

على صدره كل ليلة..

وكل ذلك بسببها هي.. تلك الفاجرة المنحلة التي أوهمت

الجميع بتوبتها وارتدت ثوب القديسة.. فتقبلوها جميعهم..

حتى والدها الفظ القاسي..

وهو نال النبذ والضرب والخسارة

أنصت لخطواتها الخافتة تنزل الدرج وهو يتوعدها بداخله..

سيجعلها تدفع ثمن خسارته كلها..

ومثلما أمتعت عشيقها من قبل.. سيجعلها جارية له..

ولن تملك اعتراض.. فإما الخضوع أو الفضيحة..

شعر بخطواتها تقترب فبرز من مكمنه يجذبها من ذراعها

بقوة ويكمم فمها بكفه العريض.. وعيناه تلتمع بنظرات

رغبة مريضة وهو يهمس بعنف:

-أخيراً.. وقعت في أيدي لوحدك!

تلوت سعاد بقوة تحاول الإفلات من قبضته.. تصارعه

بذراعها معاً وتحاول دفعه بكل قوتها إلا أنه زاد من ضغط

كفه حول فكها فكاد يحطمه وأنفاسه اللزجة تحيط بها:

- أنا خسرت كل حاجة بسببك.. ومش مستعد أني أخسر
أكثر..

قاومته سعاد بفرع ونظراته الخبيثة تعيد لها ذكرى نظرات
أمير.. فتحركت ذراعها بعشوائية تبغي خلاصاً سريعاً فهي
تشعر بوعيا ينسحب منها ببطء..
وتعلم أن نهايتها بفقدان تركيزها..

قوته كانت أكبر من مقاومتها وغضبه يشحن مزيداً من العنف
فتمسك بذراعها بسهولة يمنعها من مقاومتها وعيناه تقتحم
سترها.. تنتهكه بنظرات قدرة وأنفاس ملوثة:
-زي ما كنتِ بتمتعي الرجالة على النت، أنا عايز حقي..

بس أنا مش هكتفي بشاشة..

لم يكمل كلماته وشعرت به يبتعد عنها بقوة ومعتصم_الذي
جاء ليلتقي بماجد ويراجع معه حسابات المتجر بعدما انتقل

ياسين لمنزله_ يجذبه بعيداً.. يكيل له اللكمات.. والصفعات
بغضب جنوني.. والأخر يصرخ به:

- أنا ابن عمها..

التفت معتصم يسألها بعينيه ليجدها ترتعد بقوة وجسدها
يفقد قوته ويتهاوى متهاكاً وقد شحب وجهها وكأنها فقدت
دمائها دفعة واحدة..

تنقلت نظرات معتصم بينها وهي تكاد تفقد وعيها وبين ذلك
الجرذ القذر الذي يتحرش بابنة خاله.. فعاد يوسعه ضرباً..

-ابن عمها!.. كمان بتتحرش بعرضك بدل ما تستره!!

وأقلت فاروق منه وهو يصرخ:

-أسترها!.. دي فاجرة.. الهانم اللي بتضربني عشانها كانت
بتعرض نفسها على النت..

مسح دمائه التي تفجرت من وجهه وأكمل بحقد:

-كانت بتقلع على النت للي عايز..

شهقة مخنوقة وانفجار بنوبة بكاء كانت إجابة سؤال لم
يطرحه معتصم.. بل لم يفكر بطرحه..

كان عقله يكذب كلمات فاروق تلقائياً بينما عيناه تؤكد ما
سمعه..

فسعاد انهارت بنوبة بكاء وهي تضم جسدها بين ذراعيها كأنها
تحمي نفسها من خطر مجهول..

تجمد معتصم بوقفته.. حتى أنه لم يشعر بفاروق الذي
انسل هارباً..

عيناه كانت تراقب تلك التي اختارها بغباء لتكون زوجة له
وهي تخفي وجهها بين كفيها.. وصوت بكائها يخفت وكأنها
تخجل حتى من دموعها..

لم يشعر بنفسه وقبضته تضرب جدار الدرج مرة بعد أخرى
ولكنه كان غاضباً وبشدة.. ولم يعرف كيف يتصرف..

هل يخبر ياسين بعُهر شقيقته أم ينسحب بهدوء؟!

وبينما يحاول التوصل لقرار كانت سعاد تحاول السيطرة

على بكائها وتتوسله بضعف:

-ممكن ما تقولش لياسين؟..

كان رجائها القشة التي فجرت غضبه..

هي تريد منه التستر على عهرها!!..

كيف؟.. كيف يخفي حقيقة كتلك عن شقيقها؟..

وكيف يصارحه بها؟..

بينما سعاد كان كل ما يشغلها ألا يصل تعرض فاروق لها

لياسين.. فهو لو علم.. سيقتله ببساطة..

ظل معتصم يضرب الجدار بقبضته وعقله يدور بدوائر
الحيرة..

يمنع نفسه بمجزة من الالتفات لها والصرخ بوجهها..
نظراتها الضعيفة تقتله.. ملامحها البريئة والشقية بذات
الوقت تخرجه عن عقله وكلمات الحقير تتكرر بعقله بلا
توقف

أما سعاد فكانت تحاول تطبيق كلمات الطيبة ونصائحها..
هي ليست ضعيفة.. ليست عار أو خاطئة..

أخطأت نعم.. ولكنها كفرت عن ذنبها وأعلنت توبتها..

واستقامت بطريقها..

ظلت تردد كلمات الطيبة بعقلها حتى فوجئت بماجد أمامها
وهو يصرخ بمعتصم:

-في إيه؟.. حصل إيه؟..

وتحرك نحوها ملهوفاً يرفعها من جلستها.. يضمها لصدرة
بقلق:

-سعاد.. سعاد.. حصل إيه؟..

تشبثت سعاد بقميصه وهي تستشعر الأمان بوجوده

بينما يربت هو على كتفها ويرمق معتصم بقوة..

والآخر صامت.. يعلم أنه لو نطق سينفجر به وبشقيقته..

ولا يضمن ما سيحدث بعدها..

أخيراً همست سعاد:

-فاروق.. كان مستنيني.. كان عايز..

ضمها ماجد بقوة مطمئناً:

-هششششش.. خلاص ما تقلقش..

هزت سعاد رأسها بعنف:

-ياسين.. ياسين.. ما تقولش لياسين.. لو عرف هيقته..

شبهت بألم لترفع عينها لماجد:

-هيضيع تاني يا ماجد وإحنا ما صدقنا يرجع..

ربت ماجد على رأسها بحنان وهو يطمئنها:

-ما تقلقيش..

والتفت لمعتصم يطلب منه بخفوت:

- ممكن تنتظري ثواني؟..

أوما معتصم بصمت وحيرته تزداد.. فيبدو أن ماجد على

علم بما تفعله شقيقته، بل وياسين أيضاً..

والجميع يساندها ويدعها!!

أي جنون هذا!!

كيف يتقبلاها بعدما مرغت شرفها وشرفها ما بوحل الخطيئة!!

كيف يضمّانها بتلك الطريقة!

أي قدرة على التسامح والغفران تمتلكها تلك العائلة

لتحتضن عاهرة!!

عاد ماجد بعد دقائق بعدما رافق سعاد لشقة رقية وأخبرها

باختصار عما حدث..

وأوصاها أن تجالس سعاد ولا تتركها لوحدة أفكارها..

وجه ماجد كلماته لمعتصم:

- أنا فعلاً متشكر لك جداً.. لولاك الحيوان ده كان..

صمت ماجد وهو يقبض كفه ويخبر معتصم بتقرير:

-أنا هروح لياسين الورشة.. ممكن أوصلك في طريقي.

رافقه معتصم بصمت وعقله عاجز عن استيعاب ما يحدث..

لقد ظن نفسه يقترب معجزة عندما استطاع حضور جنازة
والدته ودفنها..

والآن ما يراه ويختبره يجعل معجزته ضئيلة قدر ذرة جوار
طود عظيم..

استمع لمكالمة ماجد الهاتفية مع خطيبته، يطلب منها موافاة
سعاد بمنزل رقية.. فحالتها النفسية قد تتراجع نتيجة ما
حدث..

"حالتها النفسية!!"

هل ما يحدث حوله حقيقي أم تم إقحامه بإحدى الروايات
دون إرادة منه!!

فماجد أغلق مع خطيبته وقام بمحادثة طبيبة نفسية وقص
عليها ما حدث باختصار.. ورد فعل سعاد التفصيلي..
صمت بعدها لحظات ليستمع لتعليمات الطبيبة..

ووافقها على كلماتها بسرعة..

بعدها جرت الأحداث بسرعة وجنون..

فياسين كاد أن يحطم ورشته بالفعل وهو يستمع لكلمات

ماجد..

لحظتها أدرك معتصم معنى حوار ماجد معه وهما بالسيارة

عن غضب ياسين والذي قد يخرج عن السيطرة!

ووجد نفسه يعرض، بل يفرض رفقة عليهما.. وهما بطريقهما

لزيارة ابن عمتهما..

لحظتها شهد غضب ياسين الأسطوري..

غضب لم يعرفه معتصم من قبل وياسين يكاد يفتك بذلك

الجرذ الذي تعرض لشقيقته بعدما وصلوا لمنزل زوجته تلك

السيدة المتسلطة والتي لم تحاول حتى منع ياسين من ضرب

زوجها، فمعرفتها بما قام به الزوج الشاب المنفلت أخلاقياً

جعلتها تجلس بهدوء تراقب ياسين وماجد وهما يحطمان
ضلوع زوجها حرفياً، بل أضافت أنها ستشهد بجوار ياسين

لو فكر فاروق باللجوء للشرطة..

قبضة ياسين كانت تقابل كل ما تواجهه بوجه فاروق،
وضلوعه.. ركبة مثنية تدفع بمعدته فتتناثر قطرات دمائه

وياسين يصرخ بجنون:

-دمك الفاسد ده يبعد عن بيت برهام..

ولم يكن ماجد أقل غضباً منه، فالطبيب المتحضر اختفى
ليطفو على السطح الأخ ذو الدماء الحارة الذي شهد للتوانهيار
شقيقته بعدما تحرش بها الوغد..

الوغد الذي كان وجهه يقابل الجدار مرة بعد مرة وماجد

يهتف به:

-بتفضح عرض خالك لتاني مرة.. تاني مرة يا ابن هادية..

ويتلقفه ياسين يعيد قبضته بوجهه مرات لم يعد معتصم
يحصيها..

كم رغب بالتدخل هو الآخر.. ولكنه يعلم دوره جيداً..
فهو هنا لمنع فقدان السيطرة.. وليس للتسبب في المزيد من
الفوضى..

راقب ياسين يكيل الصفعات لفاروق بجنون..
صفعة تلو لكمة تليهما ضربة بالضلوع والبطن..
وقبضة ماجد تنافس قبضة ياسين وقد نسي أنه جراح، يده
هي ثروته وقوته..

أخيراً استطاع ماجد السيطرة على غضبه الذي ثار وبقوة
لم يعرفها منذ زمن..

وانتبه أن شقيقه يوشك على القضاء على الحقير..

بنفس اللحظة قرر معتصم التدخل وإبعادهما عن فاروق..
 فرغم كل شيء لن يسمح بضياح الأخين مقابل جرد حقير
 ابتعد ماجد بسهولة فهو بدأ السيطرة على غضبه بالفعل
 بينما إبعاد ياسين عن فاروق استلزم مجهود شقيقه ومعتصم
 معاً..

حتى أن ماجد اضطر لمنح ياسين لكمة خفيفة حتى يوقظه من
 سطوة غضبه..

وأخيراً ابتعد ياسين ووقف يلهث بقوة ويشير لفاروق بغضب
 مدمر:

-أقسم بالله لو لمحت خيالك قرب واحدة من أخواتي ليكون
 آخريوم في عمرك.. وأنت عارف أنني ما بهددش..

وفي سيارة ماجد كان الصمت يخيم على الجميع..

ماجد ممتن لقدرته على السيطرة على مارد غضبه، وأكثر
امتناناً لوجود معتصم، فلولاها لكان ياسين قتل فاروق..

أما ياسين فكانت أفكاره تدور بمدار آخر..

شقيقته تعاقب مرة أخرى.. وأخرى..

يبدو أن ذنبها لن يُغفر.. ولن يمحي..

بينما معتصم كان يراقب الأخوين.. يشعر بالحرج لاقترامه
موقف دقيق وحرج ولكن ياسين له فضل وحق عليه ولن
يخذله بأي وقت..

أجلى ياسين صوته وهو يخبر ماجد بأقصى ما استطاعه من

هدوء:

- ارجع أنت البيت يا ماجد.. أنا عايز معتصم في كلمتين..

وفي ورشة ياسين بدأ هو الحديث:

- أنا عارف أن الموقف محرج.. وأنا بأحلك من أي عرض
عرضته..

زفر معتصم بحرج:

- أنا..

قاطعه ياسين بنبرة غليها الحزن بينما يخفض معتصم
نظراته أرضاً:

- سعاد أختي غلظت واتحاسبت واتعاقبت كمان.. أنا مش
هدافع عنها ومش هشرح تفاصيل..

واجهه معتصم بارتباك:

-أنا مش قادر استوعب قدرتك.. قدرتكوا كلكوا على
الغفران!

أجابه ياسين ونظراته تشرذ بعيداً..

شريط طويل وحزين من ذكريات فقدان..

ومشاهد وجع تتوالى أمام عينيه..

طال شروده بين صدمة حاتم وموت بسنت وسنوات سجن

بين قضبان وخارجها.. وأخيراً همس:

- يمكن لأننا شوفنا مشاكل ومآسي كثير.. وفهمنا في النهاية..

مالناش غير بعض..

هز معتصم رأسه بحيرة بينما ياسين يخبره بابتسامة حزينة..

فهو يرغب بمعتصم زوج وسند لسعاد.. قوته ستعيدها للحياة

وتمنحها الثقة..

ولكن معرفته بماضيها ممتزجاً بقسوة ماضيه لا تساعد أي

منهما:

-أنت طلبت إيد سعاد مني.. عشان أنت عايز تتجوز أخت

ياسين.. مش عشان عايز تتجوز سعاد..

غمغم معتصم:

- وإيه الفرق؟..

أجابه ياسين وبأعماقه يتمنى أن يصبر معتصم على سعاد:

-فرق كبير.. لو أنت عايز سعاد فعلاً كنت هتحاول تفهم

ويمكن حتى تغفر..

لم يجبه معتصم.. ولكن عقله يهتف أنه كان يفكر بالفعل في

الغفران.. في توبة يبدو أن الفتاة طلبتها.. ونالتها..

ولكن.. هو مقيد بماضي أسود.. مكبل بذكريات مُرة يخشى

أن تتسلل بخبث فتفسد مستقبل يسعى جاهداً لبنائه..

قاطع ياسين أفكاره وقد أدرك قوة قيود الماضي وسطوته

على حياة معتصم:

-معتصم.. أنت هتفضل أخويا وصاحبي.. مش النسب اللي
 كان هيزود المودة بينا.. إحنا ننسى كل الكلام ده.. ونركز على
 المستقبل..كلمني على المعرض اللي بتفكر تشاركني فيه..
 واستغرقا الاثنان معاً في مناقشة معرضهما المشترك..
 فالماضي وجب دفنه..

والمستقبل يصبح مطالباً باستحقاق..

مستقبل فرض وجوده مع صرخات رضيفة وصلت الدنيا
 مع فجر يوم جديد لتمنح الجميع أملاً في حياة جديدة

أمل كاسمها تماماً

"أمل ياسين برهام"

فرحة أحاطت بالجميع وياسين يحمل الرضيفة برهبة
 وكأن معجزة الحياة تفرض وجودها رغماً عن خطوب الماضي

حتى الحاج حافظ نفسه الذي ظهر على باب غرفة فجر

يدفع ياسر مقعده المتحرك..

ونظراته تدور بين الجميع لتحط على ياسين وطفلته

وصوت الأب المسن يرتعد بفرحة وصول الحفيدة:

- مبروك ما جالك يا ياسين

وفجره تناظر زوجها بتوسل.. لهفة.. ورجاء ألا يرد والده

فمجيئه للمشفى بنفسه على مقعده المتحرك بادرة غفران

لا ترفض

ونظرات ياسين معلقة بوالده.. عنفوان برهام مقيد، مهزوم،

ملهوف لبداية جديدة..

كم رغب في اللوم.. في عتاب هو حقه.. في اعتذار

أو حتى طلب سماح..

ولكن نظرات والده الكسيرة هزمت غضبه وعناده..
 جملة والده المتلهفة لعودته الدائمة لبيت العائلة كانت
 ترياقاً لسموم شيطانه.. فرق القلب.. ولانت المشاعر

مع دعوة صريحة من حافظ:

- بنتك هتنور بيت برهام..

وتحرك ياسين نحو والده يضع صغيرته بين يدي والده

ويخبره بهمس:

- أمل..

فيؤمن والده على كلمته:

- أمل ياسين برهام

انتهى الفصل

الأخير

"ولسوف تنهال عليك جوائز السماء فتمسح على كل الأحزان
وتعوضك عن كل ما قاسيت من آلام" ..

كلمات قرأها قديماً للكاتب الإنسان "عبد الوهاب مطاوع" ..
ولم يدرِ لم مرت بذهنه الآن

فهو لم يبحث يوماً عن مكافأة أو جائزة ..

فقط اتخذ قراراً رآه وقتها حكيماً .. لم يفكر أنها تضحية ولم
يكن ينتظر شكر .. كان تصرفاً تلقائياً من أخ أكبر أراد حماية
شقيقه ..

لم يدر بباله المطالبة بامتنان واعتراف بجميل، ولكنه أيضاً

لم يتوقع نفور وهجران..

لذا النبذ كان صدمته الكبرى..

صدمة دفعته للبحث عن ذاته.. ليحفر الصخر وينجح..

ليثبت أنه هو من أحاط السجن بقوة ضميره ولم تعتقله

الزنزانة بقضبانها..

والآن.. يمر بباله شريط سنواته السابقة.. ليجد أنه نال

جوائز السماء بالفعل..

ومسح القدر برحمته على آلامه وأوجاعه..

فعاد لبیت العائلة يحتل مكانته القديمة بثقة..

عاد يحمل أمله على ذراع ويحيط فجر حياته بالآخر..

عاد وسط زغاريد أمانة وترحيب حافظ.. وفرحة طاغية من

إخوته..

عاد وتلك المرة للأبد..

والآن وهو يحمل طفلته، يداعب وجنتها الناعمة بحنان

ويضمها لصدره برقة ورهبة..

يشعر بحالة من الخوف.. خوف ممزوج بلهفة وسعادة..

يخشى عليها ومنها..

هي المستقبل.. التحدي..

الاختبار الحقيقي والنجاح به فرض واجب..

وفرحة تكاد تخترق جدران قلبه لتملأ الكون من حوله سكينه

وراحة..

جائزته الثمينة نالها عن استحقاق وجدارة..

منحة السماء وهديتها.. ودوره الحفاظ عليها ورعايتها..

تحرك بخفة ليستلقى على فراشه ممداً الصغيرة على صدره..

يدعم ظهرها بكف وبالأخر يداعب ملامحها البريئة بحنان..

يهمس لها بكلمات تخصها هي فقط.. يخبرها بعشقه، بمكانتها

بقلبه.. بباب أمل فُتِح أمام عينيه بمولدها..

برد اعتبار مستحق جاء مع أنفاسها الأولى بالحياة..

وعلى مدخل الغرفة وقفت تراقب زوجها وطفلتهما..

حنانه، شغفه، رفته مع الصغيرة تدغدغ قلبها.. وتسارع من

دقاته حتى أنها رفعت كفها تربت بها على صدرها عل الخفقات

المتسارعة تهدأ قليلاً..

التقت نظراتهما، فارتسمت بسمة خفيفة على شفثيه وهو يمد

ذراعه فتتحرك بلا إرادة لتسكن أحضانه هي الأخرى..

تضم كفها لكفه المستريح فوق الصغيرة تسأله بلهفة:

-بتحبها قد إيه؟..

ويجها بقبلة فوق خصلاتها وكلمات ترفعها عنان السماء:

- غلاوتها من غلاوتك يا فجر..

اتسعت ابتسامتها وهي تعلم أنه يراضي قلبها بتلك الكلمات..

فهي لم تر رجلاً يعشق ابنته كياسين..

فعادت تسأله بفضول:

-كنت بتقولها إيه؟..

لم يستطع كبح ضحكته.. فزوجته تغار من ابنتها!..

أجابها بمشاكسة:

-أسرار.. واحد وبنته بقي..

قطبت حاجبها بغیظ فضمها هامساً:

- غيرانة؟..

لفت وجهها نحوه وهي تحرك أناملها ببطء على ندبة وجنته..

ندبة حصل عليها دفاعاً عنها هي.. وهمست بدورها:

-أغير منها وهي حنة منك!

اتبعت همستها بقبلة خجولة على وجنته.. هي تشتاقه..

تشتاق حوارتهما، ثرثرتها التي لا يستمع لنصفها

ولكنه يطلها على الدوام، مشاكسته وعبثه الجري..

ألقت برأسها على صدره تجاوز ابنتها التي ابتسمت لها عندما

تلاقت نظراتهما فأردفت فجر:

-شايف بتسكت معاك إزاي!.. بتغلبنى طول النهار..

ضحك ثانية وعاود مشاكستها:

- مش بقولك غيرانة!

أحاطته هو وطفلتها بذراعها وهو تكمل:

-أقولك بتسكت معاك ليه.. بتحس بالأمان مع دقة قلبك يا

سي ياسين.. بتعرف أن لها ضهر وسند..

التفت لها ليطلع قبلة رقيقة على جبينها.. ثم تحرك ببطء

وحرص ليضع طفلته بمهدا بعدما راحت في سبات عميق..

وهي تنصت لدقات قلبه كما أخبرته فجر..

ثم عاد إليها يجاورها بالفراش.. يحيطها بذراعيه.. ويجذب

رأسها لتستلقي على صدره متسائلاً بهمس شغوف:

- "أم أمل" محتاجة شوية حنية ودلع ولا إيه!

تهدت براحة وهي تلتصق نفسها به:

كل اللي في البيت بيدلعوا "أم أمل" طول النهار.. فجرهي

اللي من يوم ما ولدت أمل و"أبو أمل" ناسيها خالص..

زاد من ضمها وهو يداعب خصلاتها بحنان:

-هتشتكي "أبو أمل" لخالتك أم ياسين!

هزت رأسها تحركها على صدره بنفي:

-لا هشتكيه لسي ياسين.. مشغول عني ليه اليومين دول يا

سي ياسين؟.. ما عدتش بتحي لي زي زمان؟..

ارتكز بمرفقه على الفراش يتأمل نظراتها الحزينة اللائمة..

وأنامله تحرك خصلاتها بعيداً عن وجهها..

وتتحسس ملامحها بشغف قبل أن يطبع قبلة دافئة على

شفتها:

-أنا ما اقدرش استغنى عنك يا فجر.. اوعي تفكري أنه عشان

رجعنا البيت الكبير يبقى أنتِ دورك خلص أو هتركني على

الرف وأي حد هيجل محلك..

قاطعته بتردد:

- ما اقصدش..

أسكتها بقبلة أخرى:

-عارف.. بس أنا عايز اتكلم.. فجره تفضل هي الصدر
الحنين لسي ياسين.. هيفضل حضنك هو الراحة بعد تعب
السنين..

ترقرقت الدموع بعينها وهي تسأل بلهفة:

-أومال ليه ناسيني اليومين الي فاتوا؟.. بتيجي تقعد مع
الدكتور ماجد والحاج والحاجة..

داعب جبهتها بجبهته وهو يخبرها باطمئنان:

- كنت بجهزلك مفاجأة.. بس حاضر هحكي لك..

اتسعت عيناها بترقب في انتظار كلماته فأخبرها بفكرة

الحاج حافظ عن تجهيز جناح خاص بهما..

فيضم غرفتي ماجد ورقية لغرفة ياسين حتى تتوفر لهما

الخصوصية اللازمة.. وخاصة بعد مولد أمل..

هتفت بسعادة:

-ربنا يكرمه الحاج حافظ..

رفع حاجباً مغتاضاً وهو يقرص وجنتها بمشاكسة:

-الحاج حافظ بس!.. وسي ياسين راحت عليه!!

اتسعت ابتسامتها والسعادة تملأها لعودته لمشاكستها

والتقرب منها ثانية، فبعد ولادة أمل وانشغالها بها طوال

الوقت.. وانشغاله هو الآخر بين العمل والتجهيز للزواج

شقيقه..

شعرت بتباعده عنها.. وخشيت بشدة أن يكون زهدا خاصة

بعد عودته النهائية بين أهله ومصالحته مع والده..

أجابته بمشاغبة هي الأخرى:

- ما هو سي ياسين لسه مخبي عليّ أخباره..

قطب جبينه للحظات شعرت فيها بالذعر.. فهي لم ترد

إغضابه.. ولكن حدسها ينبئها بأنه يخفي شيئاً..

وسرعان ما محى ذعرها ببسمته الهادئة:

- مش بقولك أنك راحتى وأكثر واحدة عارفاني..

تهددت براحة مع كلماته وهو يخبرها بسعادة لم يستطع كبجها:

- دلوقت معتصم عرض أنه يشاركني.. وبدل ما شغل الورشة

يروح للأغراب.. بيقترح نفتح معرض يكون لنا بتاعنا.. هو معاه

رأس المال.. وأنا هشارك باللي أقدر عليه والمجهود.. بصراحة

الفكرة ممتازة.. وعجبتني قوي.. وبدأنا بندور على المكان..

جاء دورها لتقطب حاجبيها:

- وكل ده مخبيه عني!

أجابه بسرعة:

-كنت منتظر ناخذ خطوة واحكي لك.. وأنتِ كمان مشغولة

مع أمل معظم الوقت..

ابتسمت بسعادة وفخر.. ومطت شفيتها بدلالها الأنثوي البرئ:

- بس أنا مش مشغولة دلوقت!

اقترب بخطورة وهو يهمس وقد عاوده عبثه:

- يبقى فرصة نصبح على فجر..

انطلقت ضحكتها الخجولة برغم كل شيء.. وقبل أن تتلامس

شفاهمها.. انبعث صوت بكاء الصغيرة وكأنها تطالب بحصتها

من الدلال..

لهتف ياسين بغیظ:

- فصيلة زي أمها..

وتقفز هي من الفراش وقد عاودتها سعادتها المفقودة.. لتأتي

بالصغيرة وتضمها لصدرها تثرثر معها وهي ترضعها وعيني

الفتاة متعلقتان بوالدها..

حتى أنها تتوقف عن الرضاعة لتمنحه ابتسامة عاشقة

ونظرات تأمل ولهفة..

فتأملتها فجر للحظات قبل أن تهمس:

-لولا أنها جعانة قوي كانت طنشتني ومسكت فيك.. أمل
متعلقة بك قوي..

داعب ياسين طفلته فتمسكت يدها الصغيرة بإصبعه وهي
تترك رضاعتها ثانية وتمنحه ابتسامة واسعة..

تعلقها به يسعده.. ويرهبه بأن واحد..

سأل فجر بنبرة بدا بها حزنه:

-تفتكري هتفضل تحبني على طول؟

أجابته ببديهية:

- أكيد طبعاً.. هو أنت في حنيتك!

غمغم بخفوت:

-حتى بعد ما تكبر وتعرف وتفهم؟..

أدرکت فجر أنه يشیر لماضیه بالسجن..

وبدا قلقه واضحاً من نظرة ابنته له في المستقبل..

مدت فجر كفها تتمسك بجانب وجهه.. تربت بأناملها على

جروحه الخفية بعنقه وهي تهمس:

-دي بنتك يا سي ياسين.. دمك بيجري في عروقها.. إذا كان

أنا اللي يادوب عرفتك مدة سنة وكام شهر، بعشق التراب اللي

بتمشي عليه.. أنت أحسن بني آدم في الدنيا دي بحالها..

إزاي تفكر كده!!

أجابها بخفوت:

-أنتِ بتفكري كده عشان أنتِ فجر لكن هي..

قاطعته بسرعة:

-هي بنت فجر.. وبنتك يا سي ياسين.. وأنت اللي هتريها..
وتفهمها إزاي ترفع راسها لأن أبوها غلب شيطانه وكسب
سنين سجنه ما خسرهاش..

جاء دوره ليلقي برأسه على صدرها يجاور رأس ابنته وهو
يسألها:

-وايه كمان يا فجر..

أجابته بسرعة:

-هتعلمها تسامح وتغفر.. هتعلمها إن الأصل الطيب هو
الأساس.. والعيلة هي الأصل ده..

أحاطها بذراعه فضمها هي وطفلته لتخبره بنبرة حانية:

- هنعلمها سوا الحنية والرحمة..

ليضيف هو بصوت اكتسب الراحة والهدوء:

-هعلمها تختار صح..

أيدته فجر بكلماتها وعادت لثروتها التي اعتادها ليغرق
بعدها ياسين في سبات عميق وهو يضم أسرته الصغيرة بين
ذراعيه..

النجاح لا يقتصر على الحياة العملية فقط.. فالحياة
الخاصة: الإجتماعية والعاطفية.. النجاح بها له مذاق
مختلف..

مذاق بنكهة الفرحة الممزوجة بالأمل خاصة لو كان نجاحاً
لقصة حب راقية ومتحضرة.. و متميزة..

وتميزها يكمن في اختلافها..

فهو عاشق متفهم وداعم لحبيبته بكل وقت..

وهي عاشقة له حد تقديس الكلمة والوعد..

بينهما ميثاق وعهد باحترام متبادل..

وبالنهاية هما ثنائي عاشق للغاية.. تقليدي جداً..

وناجح بقوة..

ولكن رغم تقليدية حبهما.. إلا أنهما كزوجين يبعدان كل البعد

عن الروتينية والواقعية، وكان حفل زفافهما عنواناً

لجنونهما..

جنون حصري لهما فقط..

فرفضت مشيرة وجود "الكوشة" المعتادة.. بل كانت تمرين

الحضور برفقة هاشم، يلقيان تحية هنا، وابتسامة هناك..

يرقصان على أغنية ناعمة ثم يجلسان وسط الحضور

والأهل..

وبعدها يعودان للرقص ثانية على أنغام شعبية مجنونة..

تعقبها موسيقى حاملة وإضاءة خافتة تسمح للعاشق المشتاق

باستراق بضع قبلات بريئة وأخرى بعيدة عن البراءة وسط
خجل العروس وسعادتها..

وبركن منعزل نسبياً جلسا زوجين آخرين ربط بينهما مودة
ورحمة واحترام.. وربما بدايات حب يتعرفان عليه معاً..

حب له نكهة نضوج سنوات ربهام الثلاثون..

وعملية ماجد التي تلونت بمشاعر دافئة بالفترة الأخيرة
والفضل يرجع لتلك الصهباء الفاتنة بجواره وطفلها المشاكس
والعاقل بآنٍ واحد..

مشاعر هادئة حميمة تختلف كل الاختلاف عن صخب
مشاعرها ببداية شبابها وزواجها الأول..

حياة آمنة ودافئة قرر الاثنان الخوض بها بإدراك وبصيرة
واعية..

أمسك ماجد أناملها برقة.. يطبع قبلة رقيقة فوق كفها يتأملها
بثوبها الأنيق،

لم تختثر ثوب زفاف وهو وافقها رأيها.. فلم يكن يرغب بإيذاء
مشاعر الصغير وهو يرى والدته ترتدي الأبيض وتزف لآخر
غير والده..

ولا يعني هذا اعتراض شريف على زواجهما، بل كانت فرحته
لا توصف باكتسابه صديق برتبة أب.. خاصة أنه يكن مشاعر
احترام ومحبة عظيمة لماجد الذي أراد الحفاظ على صورة
ريهام بعيني شريف؛ كأم لصبي أكبر من عمره ويخطو لعتبات
المراهقة..

وهي بدورها لم ترد أن تحرمه فرحة ليلة زفافه.. فارتدت ثوباً
أنيقاً من قماش الجبير الأبيض.. يصل طوله لما تحت ركبتها..
وبطنت ورداته ببطانة بيضاء من الصدر حتى الركبة..

وتركت باقي الوردات مفرغة بشكل فني راقى.. وجمعت
 خصلاتها الحمراء بتصفيفة أنيقة خلف عنقها.. فبدت بزينة
 وجهها الخفيفة وابتسامتها العفوية الصادقة
 امرأة دافئة ترسم بعينها وعود السعادة لذلك الذي حبس
 نفسه طويلاً بعيداً عن المشاعر ودوامتها..
 قطع نظراتهما المتبادلة وصول الزوجين الصاخبين يجذبانهما
 لمنتصف القاعة حيث تعالت أنغام إحدى الأغاني الحديثة..
 وبدأت مشيرة بالفعل بترديد كلماتها.. بالتبادل مع هاشم..
 حيث تقمص الاثنان تلك المرة دور مطربي الحفل..
 بينما التصقت قدمي ريهام بالأرض رافضة بخجل مراقبة
 ماجد.. الذي أشار للفرقة الموسيقية فتحولت الموسيقى
 لأخرى هادئة ناعمة..

واقترب من زوجته بثقة يدعوها لأولى راقصتهما معاً..
 فاستجابت بحياء بدا واضحاً من توردها وجنتيها.. ونظراتها
 الخجلة التي تهرب من عيني ماجد..

بينما طوقها هاشم خصر مشيرة هامساً:

-حبيبتي المجنونة.. نهدي شوية.. عايزين نكمل الليلة على
 خير..

شاكسته بمكر:

-قلقان من رؤسائك ولا إيه يا سيادة الرائد..

ضحك بعث وهو يدور بها:

- لا رؤسائي إيه بقي.. خلاص السادة العمداء ومعهم لفيف
 من اللوات.. اتأكدوا أي مجنون.. واتجوزت واحدة أجن

مني!

أراحت كفاها على كتفيه:

-بذمتك هتلاقي واحدة مجنونة زي تتحملك..

رفع حاجبه وهو يفتعل التباهي بنفسه:

-ما اكر البنات اللي نفسهم..

لم يكمل جملته لأخرها فكعب حذاء مشيرة الحاد غرز بقدمه

مما دفعه للتأوه بصوت مكتوم.. وهمس بعبث:

-مش قلنا نهدي.. ولا عايزاني أخل بواجباتي كعريس في ليلة

دخلتي!!

كادت أن تعيد حركتها ثانية ولكنه كان أسرع منها.. فدار بها مع

الموسيقى دورة واسعة ثم حملها على كتف واحد وهو يشير

لياسين بإشارة مهمة، بعدها أظلمت القاعة تماماً للحظات..

وعندما عاد الضوء كان هاشم اختفى بعروسه تماماً.. وصوته

يردد رسالة مسجلة تتردد عبر مكبرات الصوت بالقاعة..

"أنا أسف يا جماعة حقيقي.. هو مش حقيقي قوي.. بس أنا مضطر أخطف عروستي واختفي كام يوم.. أنتوا عارفين نظام الشغل وصعوبة الأجازات.. وأنا عايز ألحق الجواز من أوله.. هقولكوا سلام ومتشكر لحضوركوا" ..

انطلقت الضحكات بالقاعة تعقبها بعض تعليقات عابثة..
بينما زاد تورد وجنتي ريهام وهي تخبر ماجد بحرج:

- هاشم اتجنن.. دي حركات مجانيين..

ليجها ماجد بايتسامة مكتومة:

- أخوك سيد العاقلين.. ياريت قدمنا ميعاد السفر.. كنا هربنا إحنا كمان..

رفعت عينين تتسعان بدهشة من جرأته معها، فكان تعامله السابق بعملية وحذر.. حتى عبارات الغزل كانت من الرقة والرقى فلم تصدم أنوثتها من قبل..

أدرك ماجد ما يجول بأفكارها فهمس:

-أنا احترمت حدودك على قد ما قدرت.. بس دلوقت أنتِ
مراتي.. مافيش حدود خلاص..

ازداد تورد وجنتيها وهربت بعنينا بعيداً عنه تبحث عن طفلها..
فأخبرها ماجد بهدوء:

- شريف هناك مع ياسمين وعمرو.. ما تقلقيش عليه.. ماما
ورقية هيحطوه في عينهم لحد ما نرجع..

وافقت على كلماته وبداخلها شعور غريب.. فهي لأول مرة
تفارق شريف.. ولكن لا مفرولا عذر للتهرب من مرافقة ماجد..
فرحلتها لن تكون شهر عسل فحسب..

فماجد أيضاً سيخضع لاختبارات الزمالة بالعاصمة
الإنجليزية.. وطلب منها بوضوح مرافقته ودعمه بتلك الرحلة..
وهي أرادت مرافقته.. رغبت بتقديم مسانبتها كزوجة.. فهو
ساندها ودعم قراراتها طوال فترة خطبتها..

ما عدا قرارها بالزواج في شقتها القديمة.. فقد رفض ذلك بشدة.. وأقنعها أن تحتفظ بها لشريف.. فشقته ببيت والده موجودة وجاهزة للسكن.. فقط تحتاج لمساتها الأخيرة.. وهي اقتنعت بعدما أخذت وقتها بالتفكير..

فمن جهة هو يحق له الإقامة بمكان يخصه.. ومن جهة أخرى لم تستطع حرمان شريف من فرحته بالاندماج وسط عائلة كبيرة.. أحبته وأحبيهم.. خاصة مع وجود أطفال بمثل عمره.. راقبت ابنها الذي يصب اهتمامه على ياسمين ابنة رقية، فهو حالياً يحاول إقناعها بمراقصته.. ولكن الفتاة ترفض بقوة.. رغم إعجابها باهتمام شريف بها..

كانت رقية_ التي حضرت الحفل مضطرة؛ فلم يمكنها أن تفوت زفاف شقيقها_ تراقب بدورها متابعة شريف لطفلتها.. اهتمامه بياسمين ومراعاته لها وغيرته عليها أعادوها لذكريات حمها المؤؤد..

فحاتم كان يطاردها كما يفعل شريف مع ابنتها، ولكن شريف

ليس حاتم.. وياسمين بالقطع لن تكن رقية أخرى..

فالصغيرة تخفي انبهارها بمهارة وتتعامل بشدة وحسم

افتقدتهما رقية مع حاتم طوال سنواتهما معاً..

عادت نظراتها تحيط بطفلها، عمرو الذي نضج قبل أوانه

وزاد التصاقه بياسر..

سعيدة هي بعلاقته القوية بخاله الأصغر وعلاقته الناشئة

بشريف..

تكتشف طفلها من جديد.. فعمرو عاشق لرياضة التنس..

وبارع ببرمجيات الحاسب وصيانتته، بينما ابنتها صاحبة

المتناقضات.. عنيدة صلبة ماهرة بألعاب القوى.. وتجيد رفع

الأثقال.. رقيقة مثل الفراشة تعشق نظم الأشعار والخواطر..

وكم كانت دهشتها بالغة وهي تقرأ خاطرة خطت بقلم ابنتها..

تتذكر كلماتها بالحرف..

"ماتشوفش الحزن وتستسلم
 اضحك ل الدنيا هتضحكك
 عليّ فِ طموحاتك عيش واحلم
 هتلاقي الأفراح بتقابلك
 ما تخافش فِ مرة يخيب أملك
 خليك على طول واثق بالله
 إن إنت تمليّ هيحصلك
 أحسن م الي أنت بتمناه
 خليك عايش دايماً بيقين
 إن المستقبل جاي بالخير
 وإن كنت إمبارح عشت حزين
 هيجيلك بكرة بفرح كبير"

الخاطرة بقلم:

Nourhan

يومها لم تتردد رقية لحظة واحدة، فاشتركت لطفليها في نادي رياضي راقى.. وبدأت تتابع تدريباتهما وتنظم مواعيدهما بين الرياضة والدراسة.. وهواية كل منهما الأخرى فعمرو انضم لإحدى الدورات الخاصة بالحاسب، وياسمين بدورها شاركت بنشاطات مدرستها وناديهما للنثر والخطابة..

هي حياة تحاول الاستمرار بهما.. والنجاح فيها.. تنتقل بين غرفتي طفليها بساعات النهار.. تقلبهما لتدريباتهما.. ودروسهما.. وبوحدتها في ساعات الليل تخط كل كلمة.. كل حرف وكل حدث مرهم في مذكرات خاصة لطفلتها الفقيده ووالدها.. تعلم أن الجرح عاصي ولن يلتئم ولكنها تحاول..

تشغل وقتها بمساعدة الجميع.. وتتخمد عقلها بمشاكلهم هرباً من وجع وذكري لن تنسى..

وكما تركز اهتمام رقية على طفلها، غرقت أمنة بمتابعة
أولادها جميعاً..

ابنها البكر؛ اطمئنت عليه مع زوجة تأتمنها على الابن والبيت
والمكانة،

والأوسط أخيراً يمكنها الليلة أن تغمض عينيها وتتنهد راحة..
فقاربه رسى هو الآخر على بر أمان ناسب عقليته ومشاعره
بنفس الوقت،

أما الأصغر فهو قرر طريقه منذ زمن.. ويسعى جاهداً
للالتحاق بإحدى مدارس المتفوقين.. وبعدها بعثة لأحدى
الدول الأوروبية..

ورغم قلقها من ابتعاده الوشيك إلا أنها تثق برجاحة عقله
وحسن حكمه على الأمور..

تمهدت بحزن ونظراتها تتوجه لابنتها الكبرى..

ترى حزنها خلف ابتسامة مرسومة.. ولكنها تدرك قوتها
الداخلية فلا خوف عليها..

ويئن قلبها وجعاً على توأمتها الجميلتين؛ بلسم تداري حيرتها
بشأن خاطبها المتلهف الذي كرر عرض الزواج وهي قابلته
برفض للمرة الثانية..

راقبتها تراقص ياسر الذي يمازحها وتبادلته الابتسام ببشاشة..
ربما ستتمكن من تخطي حاجز انعدام الثقة يوماً ما،
عادت نظراتها تحط على الهادئة المستكينة بجوارها..

سعاد تعيش في حالة من الهدوء مؤخراً.. معرفتها بما قام به
شقيقها لاسترداد حقها من فاروق.. منحها شعور بالاطمئنان
والحماية..

شعرت بالفعل أن أخويها تمكنا من مسامحتها وهي بدورها
تسعى لرد الجميل.. تحاول بناء سعاد من جديد..

وأولى خطواتها كانت محافظتها على ترتيبها المتقدم على
دفعتها..

وثانيها تمسكها بفرصة العمل التي منحتها لها ربهام..
كلها خطوات عملية هي تدرك ذلك..

فحسابات القلوب والعواطف هي ستخسرهما بلا شك..
فنظرات معتصم المعجبة بها في احترام كانت تلمس روحها
ترغب معها بنيل فرصة للحياة، لكن كلمات فاروق المؤذية
دفنت كل فرصة لذلك الإعجاب في مهدها..

ولكن سعاد لم تكن تعلم أن معتصم منزوي بأحد الأركان في
صمت بعدما أصر ياسين على حضوره..

كانت نظراته تعاند إرادته بقسوة وهي تدور بكل مكان بالقاعة
وتعود لتبحث عنها!

لا يعلم ما بها يجذبه، خاصة وقد قتلت كلمات ابن عمتهما

برعم إعجابه بها قبل أن يثمر عن مشاعر جدية، لكن ملامحها
الهادئة والحزينة التي تمر عليها لحظة فتتألق بطفولة شقية
تلمس قلبه بقوة،

تلك الحماية التي يحيطها بها أشقائها وكأنهم يدافعون عن
جوهرة ثمينة تسبب له الحيرة والتيه!..

وما ضاعف حيرته مرات رؤيته لأشقائها جميعاً حتى ماجد
وهو العريس الذي لاصق عروسه منذ بداية الحفل..

ولكنه رآهم جميعاً ينتصبون أمامها ويمدون أكفهم طالبين
مراقبتها وهي أخفت وجهها بخجل ليسحبها الثلاثة معاً
ترافقها ربة خفيفة ومشجعة من والديها فتختفي بين أذرعهم
لدقائق والموسيقى تعلو من حولهم..

يقومون بحركات عبثية عشوائية يجمعها فقط حيم الواضح
وارتباطهم الوثيق ببعض

ثم تسحب كلاً من ماجد وياسين وتوصل كل واحد منهما
 لزوجته وتكتفي بلحظات تراقص بها الصغير قبل أن تعود
 وتختفي بجوار والدتها..

تلك الفتاة تشغله أكثر مما يلزم.. وبلا إرادة منه..

يدرك جيداً أنهما لا يملكان مستقبل معاً.. لا يمكنها تحمل
 ماضيه وهو لن يسامح..

ورغم ذلك.. فسعاد تسلب نظراته..

بعد مرور عامين....

تحقيق الهدف لا يعني بالضرورة الوصول لنهاية المشوار،
 فربما كانت نقطة البداية هي نفسها خط النهاية..
 كانت أفكار ياسين تدور حول تلك النقطة وهو يجلس خلف
 مكتبه بالمعرض المشترك مع معتصم..

ينتظر ذلك الأخير ليعرض عليه فكرة تراوده منذ فترة..

فبعد نجاح معرضهما للأثاث وقراري ياسين أن يترك إدارة الورشة_ والتي توسعت وضمت عدد لا بأس به من العاملين_ تحت إدارة جاد بعدما أثبت الشاب جداراته ونال ثقة ياسين كاملة..

وتفرغ ياسين للإشراف على العمل وإدارة المعرض برفقة معتصم حيث سيفتتحان فرعاً آخر له قريباً.. ومتابعة أعمال متجر العطارة والذي فاجئته رقية برغبتها في إدارة المكان.. أبدى تخوفه وقلقه بالبداية.. فمهما كان إدارة امرأة لمتجر عطارة هو شيء غير مألوف.. ولكن عادت رقية تمهره بإصرارها.. وقدرتها العفوية على الإدارة..

فنجحت في متابعة العمل يرافقها دعم العاملين بالمتجر أنفسهم..

وبعدما أثبتت نجاحها بالفعل، لم يعترض.. فهي ستخفف
 العباء عنه قليلاً كما أنها ستملاً وقتها بالمزيد من العمل..
 وهو يدرك أن ذلك هدفها الأساسي..

دلف معتصم للمكتب وهو يلقي تحية على ياسين:

-مساء الفل يا بوص.. كنت عايزني؟..

ابتسم ياسين فمعتصم رغم شراكتها معاً إلا أنه ما زال يلعبه
 ب "بوص" ..

أشار له ياسين:

-اقعد يا معتصم.. عايزين نتكلم شوية..

جلس معتصم ونظراته أوضحت حالة القلق التي تتلبسه..
 فياسين تبدو ملامحه جدية للغاية..

بينما ياسين يرتب أفكاره.. فهو سينفذ مشروعه حتى لو رفض
 معتصم المشاركة به، لكن مصارحته واجبة فبالنهاية هما
 شريكان..

أجلى صوته:

- طبعاً أنت عارف يا معتصم أن البيت اللي فوق الورشة
 تقريباً فاضي..

أوماً معتصم برأسه:

- أيوه يا بوص.. بتفكر تأجره ولا إيه؟.

هزياسين رأسه نفيماً:

-لا.. إيجار إيه!.. أنا بفكر نعمله معرض..

قاطعته معتصم بدهشة:

-معرض في المنطقة دي!!

أشار له ياسين ليهدأ:

- اصبر بس واسمع للآخر.. أيوه معرض في المنطقة دي.. بس موبيليا مناسبة للمكان.. وخصوصاً الشباب اللي في بداية حياتهم.. زي جاد مثلاً كده.. بفكر نعمل زي فرع إقتصادي.. أشكال وأنواع موبيليا عملية واقتصادية ومناسبة لاتنين بيجهزوا نفسهم.. إيه رأيك؟..

حك معتصم ذقنه بتفكير:

-فكرة صعبة يا بوص.. هامش الربح قليل جداً.. تقريباً لا يذكر..

وافقه ياسين:

- عارف.. بس ما تنساش أننا هنوفر إيجار المكان.. وكده كده الخشب موجود وكمان الصنایعية..

صمت معتصم يفكر بالموضوع:

-شوف أنا فاهم أنك مش بتدور على ربح من ورا المعرض

د..ه

قاطعه ياسين:

- عشان كده قلت لك عايزين نتكلم.. أنا مش بفرض عليك

المشروع..

أجاب معتصم:

- المشروع حلو.. وأنا موافق.. الحارة هناك لها فضل عليّ ما

اقدرش أنكره.. ودي فرصة للتعويض.. صح ولا إيه يا بوص؟

لوى ياسين شففيه بابتسامة غيظ:

-يعني أنت فاهم قصدي من البداية.. أومال إيه هامش ربح

والفكرة صعبة..

ضحك معتصم:

-بحب أتناقش معاك يا بوص.. ولا أنت زعلان عشان أنا
بفهمك كده..

وفرقع إصبعيه معاً بسرعة.. فبادلله ياسين ضحكته:

-طيب يا سيدي.. يا ريتك تفهم نفسك كده..

شحب وجه معتصم للحظات وقبل أن يتفوه بكلمة واحدة
اقتحمت بلسم المكتب تجر سعاد خلفها..

وبدا من ملامح بلسم المتفجرة.. وسعاد الباكية..

أن الأمر خطير بالفعل..

انتفض معتصم فور دخولهما..

نظراته تتشبث بدموع سعاد بجزع.. وقبضتيه تنغلقان بقوة..

نظراته لم تفت ياسين فتهد بحزن..

فالفتي مازال يعاني.. والطريق ما زال طويلاً ليحصل على

نهايته المرضية...

وبرغم مرور أكثر من عامين على حادثة فاروق..

إلا أن معتصم مازال يتخبط بحيرته.. وإن كان أكثر استقراراً

من قبل..

بفضل انتظامه أخيراً بالعلاج النفسي..

إلا أنه ما زال يجد صعوبة في الاقتراب من سعاد بالذات..

فهو عقد خطبته قبل عام على إحدى فتيات طبخته المخملية

السابقة، ولكن لم تستمر الخطبة أكثر من شهرين..

وبيوم فسخ الخطبة أتى لياسين وكاد أن يعيد طلبه السابق..

كانت الكلمات تتقاذف لتعبر حاجز شفثيه ولكنه كبجها

بقسوة..

يخشى عليها من قسوة غفرانه.. ويخشى على علاقته بياسين..

ويخشى زعزعة استقرار نفسي بالكاد بدأ يحصل عليه..

لاحظت سعاد نظراته التي تصيها بالوجع..

فهو على مدار سنتين وأكثر يكتفي بتلك النظرات الملهوفة..
نظراته تؤلمها فهي تخبرها بوضوح أنه مهتم ولكنه غير قادر

على دفع الأمور أكثر..

وتغاضت بلسم عن جميع النظرات المتبادلة لتهتف بجديّة:

- ياسين.. عايزاك ضروري..

اعتذر معتصم على الفور.. وخرج من المكتب.. بينما التفت

ياسين لسعاد متسائلاً:

- عينيك فيها دموع يا سعاد..

لم تجب سعاد ولكن بلسم هتفت بصوت عالٍ:

-أختك هتجنني.. شوفلك حل معاها.. يا ياسين.. أنا أعصابي

مش متحملة..

صوت بلسم العالي وصل لمسمع معتصم فتسمر مكانه خارج
باب الغرفة المغلق غير قادر على الحراك وصوت ياسين

المراعي للغاية يصله:

- خيرا يا سعاد!.. في واحدة تتخرج وهي الأولى على دفعتها
وتكون زعلانة كده!

همست سعاد باختناق:

- هي دي المشكلة يا ياسين..

اقترب ياسين وهو يرفع وجهها الذي نكسته أرضاً:

- مشكلة!.. ليه؟.. لو ما فيش وظائف معيدين متاحة السنة
دي مش مشكلة.. هتكلمي دراساتك العليا..

قاطعته بلسم بغضب:

- بالعكس يا ياسين.. الوظيفة موجودة.. واتعرضت عليها

فعلاً.. بس سعاد عايزة ترفضها..

شبهت سعاد ببداية بكاء ورمت بنفسها لأقرب مقعد وهي

تهمس باختناق:

-ما حدش فاهم ولا حاسس بيّ..

ركعت بلسم على أمامها بسرعة وهي تحتضنها وتسمح لها

بالبكاء على كتفها:

-مين قالك بس.. والله فاهمك وحاسة بك.. بس الهرب مش

حل..

مسحت بلسم دمعة سقطت على وجنتها بسرعة ورفعت

رأس سعاد تكرر:

-الهروب والتنازل مش حل..

تركهما ياسين لتهدأ قليلاً.. ثم سأل بهدوء:

-مممكن أفهم المشكلة؟..

التفتت سعاد له وقد هدأت قليلاً ولكنها ما زالت تحبس

دموعها:

-ياسين أنت متخيل أني أقدر أقف وسط مئات من الطلبة
والعيون تبقى كلها متركزة عليّ وبعد ده كله أقدر أتكلم مش
أشرح وأتعامل..

هتفت بلسم بحنق:

- أيوه تقدري.. وأنا أكثر واحدة عارفة أنك تقدري..

هزت سعاد رأسها بضعف:

-ما اقدرش.. ما اقدرش.. كل العيون دي مركزة عليّ.. وكأني..

عادت بلسم تقاطعها بينما ترك ياسين لها المجال:

-وكأنك المعيدة بتاعتهم.. الأستاذة اللي طحنت الصخر

وأخذت مكانها بجدارة..

أغمضت سعاد عينيها بحزن:

- يا بلسم والله ما هو سهل عليّ أتنازل عن الوظيفة.. ده

حلمي من البداية.. بس أنا خائفة.. خائفة..

اقترب ياسين وأزاح بلسم قليلاً:

-وبداية المشكلة كانت في الخوف يا سعاد.. خوف من الوحدة

جلب وراه تنازل وخوف من غضب الأهل ومعاه تنازل تاني..

وخوف من حيوان مبيتز حقير وبرضوه اتنازلت.. وأخرتها إيه!

رمقته سعاد بعجز.. فأمسك بكفها.. يقربها من جرح وجنته..

عنقه.. وأذنه المقطوعة.. وأخيراً قبل كفها وأخبرها:

-تفتكري أنني ما قلقتش من نظرات الناس للجروح اللي في

وشي.. أو حتى فكرت في نظرهم لي؟!!

هتفت سعاد:

- ياسين.. أنت أصلاً..

وصمتت وهي تشير بيديها على وسعهما وتهتف:

-ما فيش زيك.. أنت عظيم قوي..

أطلق ياسين ضحكة مريرة:

- لا يا سعاد.. أنا كنت خايف زيك كده.. ولسه خايف..

خايف من بكره أما أمل تكبر وتسألني على الجروح دي.. لكني

ما سمحتش لخوفي يقيدني ويحرمني من حقي.. حقي في

الحياة.. أني أعيش وأكمل.. ودلوقت فجر حامل.. وأنا خايف..

خايف من نظرة ابني اللي هيحي.. لكن مكمل.. وهكمل.. وربنا

المستعان..

مسحت سعاد دموعها وهمست:

-أنا مش قوية زيك يا ياسين..

صاحت بلسم بدهشة:

-أنتِ مش قوية!.. اللي عدت بأزمة من أصعب ما يمكن..

اللي ما سمحتش للأزمة دي أنها تأخرها عن هدفها ولا حتى
سنة واحدة.. اللي اتغلبت على خوفها وشيطانها واعترفت
بغلطتها وطلبت الغفران والسماح وكفرت وتابت.. اللي بتصر
مع كل عريس يتقدم لها أنها تصارحه بغلطتها.. رغم أننا كلنا
جيبنا بدل الفتوى عشرة أنك مش ملزمة تحكي.. إزاي بس
مش قوية!!..

أكمل ياسين كلمات بلسم:

-سعاد.. أنا مش عايز منك غير محاولة.. زي ما حاولت
ونجحت في كل خطوة بطريقك.. وأنا متأكد أنك هتنجحي..

غمغمت سعاد بشك:

-ولو ما اقدرتش؟.. لو ما نجحتش.. هتتغير نظرتك لي يا
ياسين؟.. هقل من نظرك تاني؟..

رفعها ياسين ليقبل جبينها:

-أنتِ ما كنتيش قليلة أبداً يا سعاد.. أنا زعلت غضبت..

عشان أنتِ غالية مش قليلة..

رمت نفسها بين ذراعيه وهي تكرر برهبة:

- خايفة من المواجهة.. خايفة.. كل أما أفكر أني هقف على

منصة الشرح وعيون الطلبة عليّ.. كل اللي بيحي في بالي وقت..

وقت.. ما..

شهقت بعنف وهي تهمس:

- وقت ما كانت عيونه بتعرين..

قاطعتها بلسم بسرعة:

-انسي يا سعاد.. انسي الموقف ده كله..

ورفع ياسين ذقنها ليخبرها بلطف:

- كل ما خاطرده يجي في بالك.. افتكري أنك بوقفك وسط
الطلبة.. أن الأستاذة سعاد.. استرجعت كل لحظة سرقها منها
الحقير ده..

صمت للحظة أكمل بعدها:

- اوعديني يا سعاد أنك هتحاولي.. هتقبلي الوظيفة..
بادلته سعاد النظرة للحظات شعرت وكأنه يمنحها ثقة لا
محدودة.. فأومات موافقة:

- أوعدك يا ياسين.. أوعدك هحاول..

قفزت بلسم نحوهما وهي تضمهما بقوة:

-مبرووك يا سعاد.. احضنوني بقى معاكوا..

ضحك ياسين وهو يحيطهما بذراعيه:

-طيب إيه رأيكوا تستنوني ساعة كمان.. هخلص شغلي

ونروح كلنا نتغدى سوا؟..

شبهت بلسم مفتعلة الغضب ومقلدة صوت فجر ببحتها

المميزة:

- عايز تتغدى بره البيت من غير فجرك يا ياسين..

فصححت لها سعاد وسط دموعها:

- سي ياسين يا بنتي..

أمسك ياسين برأسيهما يضرهما ببعض بخفة:

- آه ده الحفلة هتبقى عليّ وعلى فجر.. لا أنتوا تروحوا

وتقولوا لها تعلمي كبده اسكندراني..

تخصرت بلسم وهي تهتف به:

- والله حرام عليك.. أنت عارف أنها حامل ومش متحملة

ريحة الكبده!

خبط أنفها بخفة:

- أنتِ مالكِ أنتِ!.. قولي لها كده وهي هتتصرف..

رمقته بلسم بدهشة فهي تعلم أنه يراعي زوجته سواء حاملاً
أم لا..

هزت كتفها بحيرة وهي تخبره باستسلام:

- حاضر..

بينما هو كبح ابتسامة غامضة.. ففجر تعجز عن تحمل
رائحة الطعام تلك الأيام.. لذا يعلم أنها ستعوضه بطريقة
أخرى..

وهو اشتاق وجودها بشدة في الشهور السابقة.. فبداية حملها
الثاني كانت متعبة وغير مستقرة..

وبالكاد انتهت الشهور الأولى بسلام منذ أيام..

وهو الآن لا ينوي السماح لها بالابتعاد عنه أبداً..

بينهما حوار طويل الليلة.. وكل ليلة..

ودعته شقيقتاه وأمام الباب تسمر معتصم بمواجهة سعاد..

بدا عاجزاً عن التحرك من أمامها.. فالحوار وصله بأكمله..

لم يكن ينتوي سماع كلماتهم ولكن فضوله يقتله ليعرف

قصتها..

يريد أن يفهم ويستوعب هل هي جانية أو ضحية..

همس اسمها بخفوت:

- سعاد..

لم ينتبه أنه أغفل عن لقب آنسة.. فقط أراد أن يطمئن

عليها.. أن يتأكد أنها بخير..

- بقيت كويسة دلوقت؟..

هزت رأسها بحيرة عاجزة عن فهمه.. بينما أجابت بلسم:

-الحمد لله.. شكراً يا أستاذ معتصم..

وسحبت شقيتها خلفها وهي تغمغم بحنق:

-مش فاهمة هينطق إمتى أبو الهول ده!

نهرتها سعاد بعنف:

- بلسم.. بلاش السيرة دي.

أجابت بلسم بخفوت:

-حاضر.. ولو أنه كان لازم يفهم.. ما كانش لازم نسيب كلام

فاروق يكون هو الحقيقة الوحيدة اللي قدامه..

هزت سعاد رأسها بحزن:

-مش هتفرق يا بلسم.. في النهاية أنا اللي غلطت.. وأنا اللي

لازم أدفع تمن غلطي للنهية.

بينما تابعها معتصم بنظراته حتى اختفت خارج المعرض..
 فدفل لمكتب ياسين بعنف جعل الأخير يرفع حاجباً متسائلاً..
 فتجمد معتصم بوقفته..

عاجز عن السؤال ورافض للصمت..
 يريد أن يفهم.. يرغب بمنحها السماح..
 أو على الأقل يحتاج أن يخوض التجربة..

سأله ياسين:

- عايز حاجة يا معتصم؟..

أجاب بسرعة:

- الحقيقة.. عايز أعرف الحقيقة..

سأله ياسين:

- ليه؟..

قبض معتصم كفه وهو يهتف:

- عشان ده حقي..

حرك ياسين سبابته بحركة نفي واضحة:

- لا مش حقك..

هتف معتصم بغضب:

-أنت رفضت طلبي من أكثر من سنتين من غير توضيح..

استند ياسين بكفيه على مكتبه:

-أنا ما رفضتش طلبك.. أنا حليتك منه.. وأنت ما طلبتش

وقتها تفسير..

وكانت إجابة معتصم سريعة:

-بس بطلبه دلوقت..

بسط ياسين كفيه بتوضيح:

-التفسير من حق سعاد بس..

ولم يتراجع معتصم:

-اسمح لي أكلمها..

رمقه ياسين للحظات قبل أن يسأله:

-سعاد ولا أخت ياسين؟..

هتف معتصم بتأكيد:

-سعاد..

جلس ياسين بمقعده وهي يحيط كفه بجميته..

يرغب أن يمنح سعاد نهاية مرضية.. وبأعماقه يدرك قوة

معتصم وصلابته.. هو سند قوي لشقيقته..

ولكنه قد يكون صدمة أقوى..

زفر بقوة.. بالنهاية هو يثق بالاثنين.. ويرغب بمنحهما فرصة..

أشار لمعتصم محذراً:

-هتقدر يا معتصم...

لم يدعه معتصم يكمل جملته:

-أوعدك هحاول..

ضرب ياسين مكتبه بكفه بقوة:

- المحاولة مش كافية..

وجاء الدور على معتصم ليبسط كفيه بتوسل:

- ما أقدرش أوعدك غير بالمحاولة.. واحنا الاتنين محتاجين

المحاولة دي..

أوماً ياسين موافقاً:

- أي كلام هيكون في وجودي.. أنا مش..

ولم يكمل جملته.. فقد قاطعه صوت سعاد_ التي عادت مع
بلسم بعدما نسيت الأخيرة حقيبتها بمكتب ياسين_

وبدا أنهما استمعتا للحوار كاملاً..

وقررت تلك المرة أن تبدأ بالهجوم.. أن ترفض هي ولا تنتظر
الرفض..

لا تعرف لم هو بالذات الذي قررت رفضه..

ربما لأنها أرادته أن يتقبلها كما هي..

سعاد بعدما تخطت خطيئتها ودفعت كثيراً ثمناً للحظة

خوف ووحدة:

- ما فيش داعي لأي كلام يا ياسين..

والتفتت لمعتصم:

- هتفرق الحقيقة؟.. إذا كنت مجبرة أو بإرادتي؟..

في الحالتين الكلام الي قاله فاروق حصل..

نهرها ياسين بعنف:

- سعاد!!

بينما ارتبك معتصم أمام هجومها وغمغم بحيرة:

- مش عارف.. أنا..

رغبة قوية بالبكاء سيطرت عليها بإرادة قوية..

فهي لا تحمل له مشاعر أكثر من إعجاب.. أو ربما أكثر قليلاً..

فاهتمامه الخفي على مدار سنتين وأكثر لم يكن مجهولاً لها..

لذا أرادت ذلك الاهتمام بلا شروط..

قطعت كلماته الحائرة:

-بس أنا عارفة.. عارفة أي محتاجة إنسان واثق فيّ..

واثق في أنه يقدر يفهم ويسامح.. مش مجرد محاولة..

كبحت دمعات بدأت تترقرق بعينها وهي تودع شقيقها بخفوت:

- هندستناك على العشا يا ياسين.. عن إذنكوا..

ورحلت برفقة توأمتهما.. لتسمح لعدة قطرات من الدموع

بالهرب من بين جفونها المطبقة بقوة..

وصوت بلسم يسألها برقة:

- سعاد؟..

ضغطت سعاد على كفها بقوة:

- هبقى كويسة يا بلسم.. هبقى كويسة..

بينما معتصم يرفع عينين حائرتين لياسين:

-ليه ما سمحتش لنا بفرصة؟.. ليه هي تحكم عليّ من غير

تسمعي؟..

أجابه ياسين بحكمة:

- السكوت ساعات بيكون إجابة كافية..

حاول معتصم الاعتراض فأسكتته ياسين:

- الزمن كفيـل أنه يعالج المشكلة..

سأله معتصم بشك:

- تفتكر؟

هزياسين كتفيه:

- أتمنى..

انتهى الفصل

الخاتمة

"تمت مناقشة الباحثة/ سعاد حافظ برهام وقررت اللجنة
باجماع الأراء منحها درجة الماجستير بتقدير جيد جداً والله
الموفق" ..

ضجت القاعة بتصفيق حاد..

ونظرات سعاد تتنقل بلهفة بين الجميع..

تمنحهم ابتسامة سعادة وامتنان..

شقيقاها وزوجاتهما يناظرونها بتقدير

توأمتها تمنحها لحظة تواصل بصري وامتداد لثقة ورابط

فطري ولد بينهما..

أختها الكبرى التهب كفاها بالتصفيق ودموعها تهطل بلا توقف

ياسر الصغير العزيز..

ترك جامعته وأبحاثه وجاء خصيصاً من أجلها

حتى والدها رغم حالته الصحية المتردية

جاء على مقعده المتحرك وكفه يرتفع لها بتحية خاصة

وكأنها أخيراً نالت عفوه وغفرانه

بينما لم تستطع آمنة منع نفسها من إطلاق زغرودة طويلة

رافقت دموعها التي تساقطت بفرحة..

فخورة بابنتها التي تحددت خوفها واستجمعت ثقتها على مدار
ثلاث سنوات بعد تعيينها كمعيدة بكليتها..

سنوات حاربت بها هواجسها ومخاوفها.. معركة تلو الأخرى
واختبار يليه آخر

واليوم تقف بشموخ.. تناقش وتجادل.. توضح وجهة نظرها

تقنع لجنة الإشراف بقوة منطقتها

وتحصد النجاح..

لم يكن فقط نجاحها بنيل درجة الماجستير بتفوق..

ولكن نجاحها بتكوين سعاد جديدة

واثقة.. قوية.. تمنح ذاتها التقدير

قبل أن تنتظره من الآخرين..

تقابلت نظرات سعاد مع أمانة فتبادلا الابتسام الدامع

وكأن كلا منهما تهنأ الأخرى بسلامة الوصول

وبلوغ الهدف..

وهناك بأخر القاعة لمحته؛

واقفاً يرتكز على أحد الأعمدة..

ويرمقها بفخر وفرحة..

ثلاث سنوات منذ رفضها له بمعرض شقيقها لم يتوقف

عن متابعتها

أو محاولة متردة للاقتراب..

يقترب خطوة ويعود ليتباعد اثنتين..

ولكنه لا ييأس فيعود للاقتراب ثانية

مراعاة ومتابعة عن بعد..

ليست مؤذية ولا مزعجة

ولكنها أيضاً ملحوظة..

تردده يصيبها بالغیظ.. والحنق

ویغضبها موقف شقیقها الذي یخبرها

بثقتة فی النهاية..

فقط کلاً منهما یمتلك أشباحه الخاصة لیحاربها

ولم یکن هذا معناه تسامح یاسین بحقها، فقط هو ینتظر أن

ینهی معتصم لحظات تردده ویتخذ خطوة فعلیة..

ولم یکن انتظاره إلا ثقة بمعدن الفتی..

نظرة ثاقبة ومستقبلیة لقدرة معتصم علی احتواء سعاد

وقدرة سعاد علی تعویضه..

فالاثنان واجها ماضیاً معقد أسود..

ولکنه رأى خلف الخوف والغضب والتردد

قدرة هائلة على العطاء والمنح..

كلا منهما مر بأزمة..

خاضت سعاد بعمق خطيئة ونفضتها عنها بقوة

لتلتف بثوب التوبة..

ومعتصم لمس الحياة الفاسدة لأمه..

عاصرت خبطها وانحدارها مرة بعد مرة

أدرك الفرق بين فساد الأعماق.. وطهرها..

الفرق بين الفطرة الملوثة.. والأخرى الباقية عن طهر ونقاء

هو ما جُبلت عليه..

ربما يرى البعض التقائهما ضرباً من المستحيلات..

كما يفعل ماجد بعقليته العملية

والتي رفضت تصرف ياسين بمنح الفتى فرصة تلو الأخرى..

ولكن حدسه يخبره أن معتصم لن يخذله..

وكم كان محقاً وهو يلمح نظراته لسعاد..

نظرة منحته الثقة بصدق حكمه..

فمعتصم يرمق سعاد بنظراته كأنه يبحث عن أمانه معها..

عن موطن وسكن وقوة تشع من بين نظراتها..

اقترب معتصم بخطوات بطيئة

ليمنح سعاد تهنئته:

- مبروك يا أستاذة سعاد..

منحته بسمة هادئة فهي اعتادت على التعامل معه بالسنوات

الماضية

حيث انشأ مكتب صغيراً لتصدير الأثاث.. وأوكل إليها أعمال

الترجمة به..

أجابته بثقة:

- متشكرة قوي.. الله يبارك فيك..

أخفض بصره للحظات.. بعدها استجمع أفكاره:

- لسه برضو شايفة أنه مش من حقي أسمع الحقيقة؟

هزت كتفها بحيرة مندهشة.. فهو رغم محاولاته للاقتراب

بالسنوات الماضية إلا أنه لم يكن صريحاً مباشراً هكذا

أجابته على سؤاله:

- لو الموضوع بالنسبة لك مجرد محاولة، فأنا بعتمد..

قاطعها بحزم:

- أنا اكتفيت محاولات طول السنين اللي فاتت..

عادت تسأله:

- أومال ليه لسه بتسأل عن الحقيقة؟..

بادلها النظرات للحظات:

-مش عشان أحكم أو أقرر..

قطبت حاجبها:

- طيب ليه؟..

أخفض بصره للحظات ليخبرها بعدها:

-يمكن أنا كمان عندي حقيقة ومحتاج أنك تسمعها..

يمكن لأننا محتاجين نتكلم فعلاً من غير وسيط.. ومن غير

ما نخاف من حكم الناس علينا..

واجهته بقوة:

- الناس كده كده بتحكم.. وأنت بس اللي تقدر تخلي الحكم

ده حاجز تقف قدامه.. أو تحوله لسلمة توقف عليها وترفع

من نفسك..

رمقها بابتسامة إعجاب واضحة:

- قوتك مثيرة للإعجاب حقيقي..

التفتت لحظتها لياسين الذي قرر أنه منحهما وقتاً كافياً..

واقترب محيطاً شقيقته بذراعه بينما هي ترمقه بامتنان:

-ده كله بفضل ربنا أولاً.. وعيلتي ثانياً..

ابتسم ياسين وهو يحيي معتصم بمودة ثم يمنحه طرف

خيط.. وله مطلق الحرية بالتقاطه أو تركه يفلت منه:

-بمناسبة العيلة واللمة.. إيه رأيك تيجي تفرط معنا

النهارده.. وأهوه مناسبتين حلوين.. أول يوم رمضان.. ونجاح

سعاد..

بأدله معتصم الابتسام وهو يرمق تلك المتألقة بنجاحها وقوتها

بجواره..

ويمنحه هزة رأس مهمة..

ثم يلوح مبتعداً ومودعاً..

ومائدة الإفطار بأول أيام الشهر الفضيل يجتمع حولها كل
أفراد العائلة..

تلهث نساء الأسرة للانتهاء من الأصناف المتعددة قبل أذان
المغرب..

وكل واحدة تهتم بشكل خاص لوجبة زوجها المفضلة..

فمطبخ أمنة ازدحم بنساء بيت برهام؛

رقية أعدت معظم الأصناف وخاصة ما طلبه منها طفلها،

ريهام تحمل واحداً من توأميها والأخر يحمله شريف الذي

جلس يراقب الجميع بنظرة متسلية متجاهلاً غضب ياسمين

والتي تريد بعناد صنع "فانوس" ضخمة تعلقه بنافذتها..

هو فقط يشاكسها.. ولكنه سينفذ لها طلبها بعد الإفطار

وعلى الفور..

بينما ربهام تقلب وعاء ضخم يحتوي على "الأرز بالخلطة" كما
يعشقه ماجد الذي تأخر بالمشفى للآن... ولم يجب على هاتفه
المغلق إلا منذ دقائق ليخبرها

أنه بالطريق..

وفجرتعد الحمام المحشي كما طلب ياسين..

وتطلب من صغيرتها "أمل" تفقد "عبد الله" شقيقها

والصغيرة تريد أن تأكل "القطائف" أولاً..

وتهتف بأمرها بشقاوة أطفال

"فجريا فصيلة"..

وتطلق بلسم ضحكة ناعمة..

عندما اقترب منها يوسف يربت على بطنها المنتفخة بحنان

هامساً:

"ارتاحي أنتِ.. أنا هفطرأي حاجة".

وينال ركلة قوية من طفله بأحشائها فتتأوه بضعف

فيسألها بقلق:

"بتتألمي؟!.."

تهزكتفيها بدلال.. فيشاكسها:

"أعمل إيه!.. ابنكِ راسه ناشفة زيكِ!.."

تتوسع عيناها بعجب:

"لا والله!.. ده هو بس عنيد زيكِ!!"

فيشير لنفسه بعجب..

"أنا!!!"

تومئ موافقة..

"أيوه أنت طبعاً.. بدمتك كام مرة أقولك لأ.. وترجع تطلبني من
ياسين!!" ..

فيربت على بطنها:

"طيب اسألني ابنك كده.. ده معناه إيه غير أن دماغك حجر!"

تهتف بغیظ وطفولية:

"لا.. أنت اللي عنيد" ..

فيقترب منها هامساً:

"ويفوز باللذات كل عنيد واسمه يوسف" ..

وتنطلق ضحكتها الناعمة ثانية..

فترطب قلب أمانة فرحة بإحدى توأماتها..

فالأخرى تجاور شقيقها الأكبر بصمت..

وعيناها شاخصة نحو الباب وكأنها تنتظر حدث ما..

أو شخص ما..

وأخيراً ينطلق مدفع الافطار ومعه آذان المغرب ويلتف

الجميع حول المائدة..

ليدوي صوت جرس الباب..

وتركض أمل تفتحه وهتافها المبتهج يعلو:

"معتصم.. معتصم جه يا ياسين"..

وتعود للضيف المرابط أمام باب المنزل:

"هتفطر معانا؟"

تبحث عيناه عنها حتى تلتحم النظرات:

"ده لوليّ مكان بينكوا!"..

والنظرة تحمل رجاء.. وسؤال..

والإجابة ابتسامة خجلى..

والنظرة ملحة ترغب ببرأمان..
والابتسامة تتسع بعهد للسكن..
وترق النظرة بحب وليد..
وتزداد الابتسامة بحلاوة تمنح وعداً..
وتتشابك نظرة الحب بابتسامة الوعد
لينسجاً بداية مستقبل يخطو بثبات فوق بقايا ماضي
مُزقٍ بصلافة إرادة، وثقة بصدق توبة..
وقوة إيمان.
وخاتمة كل حكاية ما هي إلا بداية لحكاية أخرى،
بل حكايا متعددة..
تحمل بثناياها العبرة والحكمة
وأمل لا ينطفئ مع كل يوم جديد.

تمت بحمد الله

نهى طلبية

الجمعة ٢٥/١١/٢٠١٦

